مجموعة رسائل

الإمام الشهيد

حسن البنا

تأليف

الإمام الشهيد

حسن البنا

المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

مكتبة
التوفيقية
مكتبة
التوفيقية

مجموعة رسائل

الإمام الشهيد

حسن البنا



أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠

المكتبة التوفيقية

القاهرة - مصر
العنوان: أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
تليفون: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠ (٠٠٢٠٢)
فاكس: ٦٨٤٧٩٥٧

Al Tawfikia Bookshop

Cairo-Egypt
Add.: In Fornt of the Green Door Of.El Hussen
Tel. : (٠٠٢٠٢) ٥٩٠٤١٧٥ _ ٥٩٢٢٤١٠
Fax : ٦٨٤٧٩٥٧

إشراف

توفيق شعلان

بسم الله الرحمن الرحيم

نبذة عن حياة الإمام الشهيد

وُلد حسن البنا بمدينة المحمودية بمحافظة البحيرة فى مصر عام ١٩٠٦ ميلادية. كان أبوه أحمد عبدالرحمن البنا من العلماء العاملين. اشتغل بعلوم السُّنَّة، وله عدة مصنفات فى الحديث الشريف أهمها «الفتح الربانى لترتيب مُسند الإمام أحمد»، وكان إلى هذا يحترف تجليد الكتب وإصلاح الساعات، لذا لقِّب بالساعاتى.

نشأ حسن البنا فى بيت علم وصلاح، وتلقى علومه الأوليَّة فى مدرسة الرشاد الدينية ثم بالمدرسة الإعدادية بالمحمودية، وبدأ اهتمامه فى سن مبكرة بالعمل الإسلامى المنظم للأمر بالمعروف والنهى عن المنكر والدعوة إلى الله، فأنشأ مع زملائه فى الدراسة «جمعية الأخلاق الأدبية» ثم «جمعية منع المحرمات» وتعرَّف على الطريقة الحصافية، مما أصَّل فى نفسه معانى الزهد والصفاء والتجرد.

انتقل إلى دار المعلمين بدمنهور عام ١٩٢٠ حيث أتم حفظ القرآن الكريم قبل إتمام الرابعة عشرة من عمره، وشارك فى الحركة الوطنية ضد الاحتلال.

وفى عام ١٩٢٣ انتقل إلى القاهرة حيث انتسب إلى دار العلوم. وهناك تفتحت أمام حسن البنا آفاق جديدة واسعة؛ فبالإضافة إلى مجالس إخوان الطريقة الحصافية كان يرتاد المكتبة السلفيَّة ومجالس العلماء الأزهريين، وكان يحضُّ الجميع على ضرورة العمل للإسلام بشتى الوسائل. وتبلورت معالم الدعوة إلى الله فى نفسه وشغلت عليه تفكيره، فبدأ يتنقل مع عدد من زملائه داعيًا إلى الله فى المجالس والمقاهى والمنتديات.

تخرَّج حسن البنا فى دار العلوم عام ١٩٢٧، وكان ترتيبه الأول، وعُين مدرسًا بمدينة الإسماعيلية على قناة السويس، فانتقل إليها وبدأ نهجًا مدروسًا فى الدعوة، فكان يتصل بالناس فى المقاهى ثم ينتقل بهم إلى المسجد باذلاً جهده فى تجاوز الخلافات التى كانت تسود المجتمع الإسلامى آنذاك، واستطاع أن يرسى دعائم دعوة إسلامية متميزة حيث تعاهد مع ستة نفر من إخوانه على تشكيل أول

نواة لجماعة الإخوان المسلمين، وكان ذلك فى شهر ذى القعدة ١٣٤٧ هجرية - آذار (مارس) ١٩٢٨ ميلادية.

تميزت دعوة الإخوان المسلمين من أول يوم بالعودة إلى الأصالة الإسلامية بمصدريها: الكتاب والسنة، متجاوزة الجزئية والمذهبية، وكان الإمام البنا يركز على ضرورة صب الجهود من أجل بناء جيل مؤمن يفهم الإسلام فهمًا صحيحًا على أنه دين ودولة، وعبادة وجهاد، وشريعة محكمة تنتظم حياة الناس جميعًا فى جوانبها كلها، التربوية والاجتماعية والاقتصادية والسياسية.

كانت الساحة الإسلامية فى ذلك الوقت مقتصرة على تيارين رئيسيين: الدعوة السلفيَّة والطرق الصوفية، وكان الخلاف بينهما مستحكمًا والعداوة حادة، وكان الفكر الإسلامى رهين أروقة الأزهر ومنظوماته ومصنفاته، إلا ما خلَّفته حركة جمال الدين الأفغانى ومحمد عبده ومحمد رشيد رضا من آثار. لذلك كانت دعوة الإمام البنا فى العودة إلى شمول الإسلام كل جوانب الحياة تجديداً رائداً فى مجال التفكير الإسلامى. فبعد أن كان الكاتبون المسلمون يجدون عنتًا فى التدليل على أن الإسلام ليس ضد العلم وأنه يواكب الحضارة... أبرزت حركة الإخوان المسلمين جيلاً من الشباب المؤمن المثقف يستصغر الحضارة الغربية فى جنب الإسلام، ويعتقد أنه «لن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة»، وقد استوعبت جماعة الإخوان المسلمين فى صفوفها مختلف قطاعات الشعب وخاصة الشباب المثقف، وأوقدت جذوة الإسلام فى النفوس من جديد.

ونعود مع الإمام البنا إلى الإسماعيلية، حيث بدأ بناء مؤسسات الجماعة، فأقام مسجداً وداراً للإخوان، ثم معهد حراء الإسلامى، ومدرسة أمهات المؤمنين، وبدأت الدعوة تنتشر فى القرى والمدن المجاورة.

وفى عام ١٩٣٢ ينتقل الإمام حسن البنا إلى القاهرة، وبانتقاله إليها ينتقل المركز العام للإخوان المسلمين. وكان يقوم برحلات متتابعة إلى الأقاليم يصحب فيها إخوانه الجدد يربيهم على خُلُق الدعوة ويؤهلهم للقيام بأعبائها، وكان يتابع عمله هذا بدأب وتفان حتى غطت جماعة الإخوان المسلمين القطر المصرى كله.

أصدر الإمام البنا مجلة «الإخوان المسلمون» الأسبوعية، ثم مجلة «النذير»

وعددًا من الرسائل التى تحوى هذه المجموعة بعضها. ولم يفرغ -رحمه الله- للكتابة والتأليف بل كان جُلُّ اهتمامه منصبًا على التربية ونشر الدعوة، وعلى تكوين جماعة ما تزال رائد البعث الإسلامى فى العالم كله.

حرص الإمام البنا على ألا تكون حركته إقليمية فى حدود القطر المصرى، بل كانت عالمية بعالميَّة الدعوة الإسلامية، لذلك وجدناها تمتد فى الأربعينات لتشمل العالم العربى كله، ولتنطلق بعد ذلك فى أقطار العالم الإسلامى مركزة علم الدعوة فى كل مكان. وكان الإمام البنا -رحمه الله- يرسل المبعوثين إلى أقطار العالم يتفقدون أحوال المسلمين وينقلون إلى القاهرة صورة عن واقع العالم الإسلامى. وكان المركز العام بالقاهرة ملتقى أحرار المسلمين فى وقت كانت فيه معظم أقطار العالم الإسلامى رازحة تحت الاحتلال الأجنبى. فمن رجال حركات التحرير فى شمال أفريقيا، إلى أحرار اليمن، إلى زعماء الهند وباكستان وأندونيسيا وأفغانستان، إلى رجالات السودان والصومال وسوريا والعراق وفلسطين.

وكان للقضية الفلسطينية عناية خاصة لدى الإمام البنا، وكانت له نظرة ثاقبة فى موضوع الخطر اليهودى، وكان الإخوان المسلمون منذ بداية الثورات الفلسطينية عام ١٩٣٦ هم دعاة التحذير والتحرير فى العالم العربى. ولما دخلت الجيوش العربية فلسطين عام ١٩٤٨ خاض الإخوان المسلمون الحرب فى كتائب متطوعة عبر الجبهة الغربية من مصر، والشرقية من سوريا، وأبلوا فيها أحسن البلاء.

بعد ذلك مباشرة صدرت الأوامر من الدول الغربية الكبرى للحكومة المصرية بحل جماعة الإخوان المسلمين واعتقال رجالها العائدين من القتال، وذلك بعد النكبة وتوقيع الهدنة، وأُبقىَ الإمام البنا وحده خارج السجن، ليجرى اغتياله من قبل زبانية فاروق فى أحد شوارع القاهرة يوم ١٤ ربيع الثانى ١٣٦٨ هجرية، ١٢ شباط (فبراير) ١٩٤٩ ميلادية.

ولم تنته جماعة الإخوان المسلمين باغتيال مرشدها واعتقال رجالها وإغلاق دورها، بل خرجت من المحنة أصلب عودًا لتخوض حربًا أخرى ضد قوات الاحتلال البريطانى فى قناة السويس عام ١٩٥١، مما استدعى ضربة أقسى عام ١٩٥٤ ثم ١٩٦٥.

وما تزال حركة الإمـام البنا «الإخوان المسلمون» تمتد، أفقًا وعـمقًا، لتغطى العالم كله، وليحتل فكرها الإسلامى الأصـيل ساحة الصراع. وإننا لنجد اليوم أن الفكر الإسلامى لكتَّاب الحركة قد فرض نفسه على كل التجمعات الإسلامية بشتى هوياتها، وأصـبحت أحقيَّة الإسـلام بالتطبيق فى كل مجالات الحـياة الاجتمـاعية والاقتصادية والسياسية من المسلَّمـات التى تفرض نفسها حتى على أعداء الإسلام، وتملأ نفوس تيار عريض من الإسلاميين فى كل مـكان، تدفعهم للجهاد فى سبيل إعلاء كلمة الله وإقامة حكم الله فى الأرض بكل الوسائل المتاحة.

وإذا مـا برزت فى الساحـة الإسلامـية اليـوم نظريات ترى «تطوير» العـمل الإسلامى بأن تنـصبَّ الجهود على الدعـوة والتربيـة دون العمل السـياسى، أو أن يجرى التركـيز على العمل العسكرى دون التربوى، أو الدعـوة إلى الاحتراف فى مجـال العمل السياسى. فـإن أيًا من هذه الآراء يعتبـر تخلفًا فى الفهم والتـجربة تجاوزته حركة الإخـوان المسلمين، وعودة إلى الجزئية فى التصـور الإسلامى أطلقه الإمام البنا إلى الشمول والتوازن فى بناء الشخصيـة الإسلامية والحركة الإسلامية، فالبناء لا يـكون إسلاميًـا إلا إذا تمثَّلت عناصر الإسـلامَ عقيـدة وشريعـة، سلوكًا وسياسة، عبادة وحكمًا، وجهادًا فى سبيل الله.

على هذه الأسس أقام الرسول -ﷺ- البناء الإسلامى الأول، وعليـها أقام الإمام البنا جماعته، وعلى نفس الأساس تتابع الحركة الإسلامية الطريق.

دعــوتنـــا

بسم الله الرحمن الرحيم

مصارحة

نحب أن نصارح الناس بغايتنا. وأن نجلى أمامهم منهاجنا، وأن نوجه إليهم دعوتنا، فى غير لبس ولا غموض، أضوأ من الشمس، وأوضح من فلق الصبح، وأبين من غرة النهار.

براءة

ونحب مع هذا أن يعمل قومنا -وكل المسلمين قومنا- أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة بريئة نزيهة، قد تسامت فى نزاهتها حتى جاوزت المطامع الشخصية، واحتقرت المنافع المادية، وخلفت وراءها الأهواء والأغراض، ومضت قدمًا فى الطريق التى رسمها الحق تبارك وتعالى للداعين إليه: ﴿**قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ**﴾(1) فلسنا نسأل الناس شيئًا، ولا نقتضيهم مالاً ولا نطالبهم بأجر، ولا نتزيد بهم وجاهة، ولا نريد منهم جزاءً ولا شكوراً، إن أجرنا فى ذلك إلا على الذى فطرنا.

عاطفة

ونحب كذلك أن يعلم قومنا أنهم أحب إلينا من أنفسنا، وأنه حبيب إلى هذه النفوس أن تذهب فداء لعزتهم إن كان فيها الفداء، وأن تزهق ثمنًا لمجدهم وكرامتهم ودينهم وآمالهم إن كان فيها الغناء، وما أوقفنا هذا الموقف منهم إلا هذه العاطفة التى استبدت بقلوبنا، وملكت علينا مشاعرنا، فأقضت مضاجعنا، وأسالت مدامعنا، وإنه لعزيز علينا جد عزيز أن نرى ما يحيط بقومنا ثم نستسلم للذل أو نرضى بالهوان أو نستكين لليأس، فنحن نعمل للناس فى

(1) سورة يوسف: 108.

سبيل الله أكثر مما نعمل لأنفسنا، فنحن لكم لا لغيركم أيها الأحباب، ولن نكون عليكم يومًا من الأيام.

لله الفضل والمنة

ولسنا نمتن بشيء ولا نرى لأنفسنا فى ذلك فضلاً، وإنما نعتقد قول الله تبارك وتعالى: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١)، ولكم نتمنى -لو تنفع المنى- أن تتفتح هذه القلوب على مرأى ومسمع من أمتنا، فينظر إخواننا هل يرون فيها إلا حب الخير لهم والإشفاق عليهم والتفانى فى صالحهم؟

وهل يجدون إلا ألمًا مضنيًا من هذه الحال التى وصلنا إليها؟ ولكن حسبنا أن الله يعلم ذلك كله، وهو وحده الكفيل بالتأييد الموفق للتسديد، بيده أزمَّة القلوب ومفاتيحها. من يهد الله فلا مضلّ له ومن يضلل الله فلا هادى له، وهو حسبنا ونعم الوكيل، أليس الله بكافٍ عبده؟

أصناف أربعة

وكل الذى نريده من الناس أن يكونوا أمامنا واحدًا من أربعة:

مؤمن:

إما شخص آمن بدعوتنا وصدق بقولنا وأعجب بمبادئنا، ورأى فيها خيرًا اطمأنت إليه نفسه وسكن له فؤاده، فهذا ندعوه أن يبادر بالانضمام إلينا والعمل معنا حتى يكثر به عدد المجاهدين ويعلو بصوته صوت الداعين، ولا معنى لإيمان لا يتبعه عمل، ولا فائدة فى عقيدة لا تدفع صاحبها إلى تحقيقها والتضحية فى سبيلها، وكذلك كان السابقون الأولون ممن شرح الله صدورهم لهدايته فاتبعوا أنبياءه وآمنوا برسالاته وجاهدوا فيه حق جهاده، ولهؤلاء من الله أجزل الأجر، وأن يكون لهم مثل ثواب من اتبعوهم لا ينقص ذلك من أجورهم شيئًا.

(١) سورة الحجرات: ١٧.

متــردد :

وإما شخص لم يستبن له وجه الحق، ولم يتعرف فى قولنا معنى الإخلاص والفائدة، فهو متوقف متردد، فهذا نتركه لتردده ونوصيه بأن يتصل بنا عن كثب، ويقرأ عنا من بعيد أو من قريب، ويطالع كتاباتنا ويزور أنديتنا ويتعرف إلى إخواننا، فسيطمئن بعد ذلك لنا إن شاء الله، وكذلك كان شأن المترددين من أتباع الرسل من قبل.

نفعــى :

وإما شخص لا يريد أن يبذل معونته إلا إذا عرف ما يعود عليه من فائدة وما يجره هذا البذل له من مغنم فنقول له: حنانيك ليس عندنا من جزاء إلا ثواب الله إن أخلصت، والجنة إن علم فيك خيراً، أما نحن فمغمورون جاهًا فقراء مالاً، شأننا التضحية بما معنا وبذل ما فى أيدينا، ورجاؤنا رضوان الله وهو نعم المولى ونعم النصير، فإن كشف الله الغشاوة عن قلبه وأزاح كابوس الطمع عن فؤاده فسيعلم أن ما عند الله خير وأبقى، وسينضم إلى كتيبة الله ليجود بما معه من عرض هذه الحياة الدنيا لينال ثواب الله فى العقبى وما عندكم ينفد وما عند الله باق، وإن كانت الأخرى فالله غنى عمن لا يرى لله الحق الأول فى نفسه وماله ودنياه وآخرته وموته وحياته، وكذلك كان شأن قوم من أشباهه حين أبوا مبايعة رسول الله -ﷺ- إلا أن يجعل لهم الأمر من بعده، فما كان جوابه -ﷺ- إلا أن أعلمهم أن الأرض لله يورثها من يشاء من عباده، والعاقبة للمتقين.

متحامــل :

وإما شخص ساء فينا ظنه وأحاطت بنا شكوكه وريبه، فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القاتم، لا يتحدث عنا إلا بلسان المتحرج المتشكك، ويأبى إلا أن يلج فى غروره ويسدر فى شكوكه ويظل مع أوهامه، فهذا ندعو الله لنا وله أن يرينا الحق حقًا ويرزقنا اتباعه والباطل باطلاً ويرزقنا اجتنابه، وأن يلهمنا وإياه الرشد. ندعوه إن قبل الدعاء ونناديه إن أجاب النداء وندعو الله فيه وهو سبحانه

أهل الرجاء، ولقد أنزل الله على نبيه الكريم فى صنف من الناس ﴿إِنَّكَ لا تَهْدِى مَنْ أَحْبَبْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَاءُ﴾(١)، وهذا سنظل نحبه ونرجو فيئه إلينا واقتناعه بدعوتنا، وإنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى -ﷺ- من قبل: «اللهم اغفر لقومى فإنهم لا يعلمون».

نحب أن يكون الناس معنا واحدًا من هؤلاء، وقد حان الوقت الذى يجب فيه على المسلم أن يدرك غايته ويحدد وجهته، ويعمل إلى هذه الوجهة حتى يصل إلى الغاية، أما تلك الغفلة السادرة والخطرات اللاهية والقلوب الساهية والانصياع الأعمى واتباع كل ناعق فما هو من سبيل المؤمنين فى شيء.

فناء

ونحب أن يعلم قومنا إلى جانب هذا أن هذه الدعوة لا يصلح لها إلا من حاطها من كل جوانبها ووهب لها ما تكلفه إياه من نفسه وماله ووقته وصحته: ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾(٢).

فهى دعوة لا تقبل الشركة إذ أن طبيعتها الوحدة فمن استعد لذلك فقد عاش بها وعاشت به، ومن ضعف عن هذا العبء فسيحرم ثواب المجاهدين ويكون مع المخلفين ويقعد مع القاعدين، ويستبدل الله لدعوته به قومًا آخرين ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ﴾(٣).

وضوح

نحن ندعو الناس إلى «مبدأ»... مبدأ واضح محدود مسلم به منهم

(١) سورة القصص: ٥٦.
(٢) سورة التوبة: ٢٤.
(٣) سورة المائدة: ٥٤.

جميعًا، هم جميعًا يعرفونه ويؤمنون به ويدينون بأحقيته ويعلمون أن فيه خلاصهم وإسعادهم وراحتهم. . . مبدأ أثبتت التجربة وحكم التاريخ صلاحيته للخلود وأهليته لإصلاح الوجود.

إيمانان

والفرق بيننا وبين قومنا بعد اتفاقنا فى الإيمان بهذا المبدأ أنه عندهم إيمان مخدر نائم فى نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا على حكمه ولا أن يعملوا بمقتضاه، على حين أنه إيمان ملتهب مشتعل قوى يقظ فى نفوس الإخوان المسلمين. ظاهرة نفسية عجيبة نلمسها ويلمسها غيرنا فى نفوسنا نحن الشرقيين أن نؤمن بالفكرة إيمانًا يخيَّل للناس حين نتحدث إليهم عنها أنها ستحملنا على نسف الجبال وبذل النفس والمال واحتمال المصاعب ومقارعة الخطوب حتى ننتصر بها أو تنتصر بنا، حتى إذا هدأت ثائرة الكلام وانفض نظام الجمع نسى كل إيمانه وغفل عن فكرته، فهو لا يفكر فى العمل لها ولا يحدث نفسه بأن يجاهد أضعف الجهاد فى سبيلها، بل إنه قد يبالغ فى هذه الغفلة وهذا النسيان حتى يعمل على ضدها وهو يشعر أو لا يشعر؟ أولست تضحك عجبًا حين ترى رجلاً من رجال الفكر والعمل والثقافة فى ساعتين اثنتين متجاورتين من ساعات النهار ملحدًا مع الملحدين وعابدًا مع العابدين!

هذا الخور أو النسيان أو الغفلة أو النوم أو قل فيه ما شئت هو الذى جعلنا نحاول أن نوقظ «مبدأنا» وهو هو المبدأ المسلم به من قومنا فى نفوس هؤلاء القوم المحبوبين.

دعوات

وإذن سأعود إلى أول كلمتى فأقول إن دعوة الإخوان المسلمين دعوة مبدأ، وفى الشرق والغرب اليوم دعوات ومبادئ وفكر ومذاهب وآراء ومنازع كلها تتقسم عقول الناس وتتنازع ألبابهم، وكل منها يزينه أهله ويقوم بالدعاية له أبناؤه. وأتباعه وعشاقه ومريدوه، ويدَّعون له المزايا والمحاسن ويبالغون فى هذا الادعاء ما يبرزه للناس جميلاً خلابًا رائعًا.

دعـــاة

والدعاة اليوم غيرهم بالأمس فهـم مثقـفون مجهزون مدربون إخصائيون - ولا سيما فى البلاد الغربية- حيث تختص بكل فكرة كـتيبة مدربة توضح غامضها وتكشف عن محاسنها وتبتكر لهـا وسائل النشر وطرائق الدعاية، وتتلمس لها فى نفوس الناس أيسر السبل وأهونها وأقربها إلى الاقتناع والاتباع.

وســائــل

ووسائل الدعاية الآن غيرها بالأمس كذلـك، فقد كانت دعاية الأمس كلمة تلقى فى خطبة أو اجتماع أو كلمـة تكتب فى رسالة أو خطاب، أما الآن فنشرات ومجلات وجـرائد ورسالات ومسارح (وخيالات) وحـاك ومذياع، وقد ذلل ذلك كله سبل الوصول إلى قلوب الناس جميعـهم، نساء ورجالاً فى بيوتهم ومتاجرهم ومصانعهم ومزارعهم.

لهذا كان من واجب أهل الدعوة أن يحسنوا تلك الوسـائل جميعًا حتى يأتى عملهم بثمرته المطلوبة.

وما لى ولهـذا الاستطراد؟ سأعود مـرة ثانية فأقول إن العـالم الآن فى حال تخمة بالدعوات ما بين سياسية وقومية ووطنية واقتصادية وعسكرية وسلمية، فأين دعوة الإخوان المسلمين من هذا المزيج المركب كله؟

سيدعونى ذلك إلى أن أتكلم لك فى أمرين: أولهما هيكل دعوتنا الإيجابى المجرد، ثم بعد ذلك موقفها من كل نوع من أنواع هذه الدعوات.

ولا تؤاخذنى بهذا الاستطراد فى القول فقد أخذت على نفسى أن أكتب كما أتحدث، وأن أتـناول موضـوعى بهذا اللون من ألوان الكتـابة فى غيـر تكلف ولا عناء، وإنما أريد أن يفهـمنى الناس كما أنا ويصل كـلامى إلى نفوسهم خـاليًا من التزويق والتقسيم.

إسلامنـــا

اسمع يـا أخى: دعوتنا دعـوة أجمع مـا توصف به أنها (إسـلاميـة) ولهذه

الكلمة معنى واسع غير ذلك المعنى الضيق الذى يفهمه الناس. فإنا نعتقد أن الإسلام معنى شامل ينتظم شئون الحياة جميعًا، ويفتى فى كل شأن منها ويضع لها نظامًا محكمًا دقيقًا، ولا يقف مكتوفًا أمام المشكلات الحيوية والنظم التى لابد منها لإصلاح الناس. فهم بعض الناس خطأ أن الإسلام مقصور على ضروب من العبادات أو أوضاع من الروحانية، وحصروا أنفسهم وأفهامهم فى هذه الدوائر الضيقة من دوائر الفهم المحصور.

ولكننا نفهم الإسلام على غير هذا الوجه فهما فسيحًا واسعًا ينتظم شئون الدنيا والآخرة، ولسنا ندّعى هذا ادعاء أو نتوسع فيه من أنفسنا، وإنما هو ما فهمناه من كتاب الله وسيرة المسلمين الأولين، فإن شاء القارئ أن يفهم دعوة الإخوان بشىء أوسع من كلمة (الإسلامية) فليمسك بمصحفه وليجرد نفسه من الهوى والغاية ثم يتفهم ما عليه القرآن فسيرى فى ذلك دعوة الإخوان.

أجل: دعوتنا (إسلامية)، بكل ما تحتمل الكلمة من معان، فافهم فيها ما شئت بعد ذلك وأنت فى فهمك هذا مقيد بكتاب الله وسنة رسوله وسيرة السلف الصالحين من المسلمين. فأما كتاب الله فهو أساس الإسلام ودعامته، وأما سنة رسوله فهى مبينة الكتاب وشارحته، وأما سيرة السلف الصالح فهم رضوان الله عليهم منفذو أوامره والآخذون بتعاليمه وهم المثل العملية والصورة الماثلة لهذه الأوامر والتعاليم.

موقفنا من الدعوات

وموقفنا من الدعوات المختلفة التى طغت فى هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار أن نزنها بميزان دعوتنا، فما وافقها فمرحبًا به وما خالفها فنحن براء منه، ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامة محيطة لا تغادر جزءًا صالحًا من أية دعوة إلا ألمت به وأشارت إليه.

الوطنية

افتتن الناس بدعوة الوطنية تارة والقومية تارة أخرى وبخاصة فى الشرق

حيث تشعر الشعوب الشرقية بإساءة الغرب إليها إساءة نالت من عزتها وكرامتها واستقلالها وأخذت من مالها ومن دمها، وحيث تتألم هذه الشعوب من هذا النير الغربى الذى فرض عليها فرضًا، فهى تحاول الخلاص منه بكل ما فى وسعها من قوة ومنعة وجهاد وجلاد، فانطلقت ألسن الزعماء وسالت أنهار الصحف، وكتب الكاتبون وخطب الخطباء وهتف الهاتفون باسم الوطنية وجلال القومية.

حسن ذلك وجميل، ولكن غير الحسن وغير الجميل أنك حين تحاول إفهام الشعوب الشرقية وهى مسلمة أن ذلك فى الإسلام بأوفى وأزكى وأسمى وأنبل مما هو فى أفواه الغربيين وكتابات الأوروبيين أبوا ذلك عليك ولجوا فى تقليدهم يعمهون، وزعموا لك أن الإسلام فى ناحية وهذه الفكرة فى ناحية أخرى، وظن بعضهم أن ذلك مما يفرق وحدة الأمة ويضعف رابطة الشباب.

هذا الوهم الخاطئ كان خطرًا على الشعوب الشرقية من كل الوجهات، وبهذا الوهم أحببت أن أعرض هنا إلى موقف الإخوان المسلمين ودعوتهم من فكرة الوطنية، ذلك الموقف الذى ارتضوه لأنفسهم والذى يريدون ويحاولون أن يرضاه الناس معهم.

وطنية الحنين

إن كان دعاة الوطنية يريدون بها حب هذه الأرض وألفتها والحنين إليها والانعطاف نحوها فذلك أمر مركوز فى فطر النفوس من جهة، مأمور به فى الإسلام من جهة أخرى، وإن بلالا الذى ضحى بكل شىء فى سبيل عقيدته ودينه هو بلال الذى كان يهتف فى دار الهجرة بالحنين إلى مكة فى أبيات تسيل رقة وتقطر حلاوة:

ألا ليت شعرى هل أبيتَنَّ ليلةً بواد وحولى إذْخِر وجليلُ
وهل أرِدَن يومًا مياه مجنة وهل يبدُوَنْ لى شامة وطفيل

ولقد سمع رسول الله -ﷺ- وصف مكة من «أصيل» فجرى دمعه حنينًا إليها وقال: **«يا أصيل دع القلوب تقر»**.

وطنية الحرية والعزة :

وإن كانوا يريدون أن من الواجب العمل بكل جهد في تحرير البلد من الغاصبين وتوفير استقلاله له وغرس مبادئ العزة والحرية في نفوس أبنائه، فنحن معهم في ذلك أيضًا، وقد شدد الإسلام في ذلك أبلغ التشديد فقال تبارك وتعالى: ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ﴾(١)، ويقول: ﴿وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً﴾(٢).

وطنية المجتمع :

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقوية الرابطة بين أفراد القطر الواحد وإرشادهم إلى طريق استخدام هذه التقوية في مصالحهم فذلك نوافقهم فيه أيضًا، ويراه الإسلام فريضة لازمة فيقول نبيه -ﷺ-: «وكونوا عباد الله إخوانا» ويقول القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٣).

وطنية الفتح :

وإن كانوا يريدون بالوطنية فتح البلاد وسيادة الأرض فقد فرض ذلك الإسلام ووجه الفاتحين إلى أفضل استعمار وأبرك فتح، فذلك قوله تعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾(٤).

وطنية الحزبية :

وإن كانوا يريدون بالوطنية تقسيم الأمة إلى طوائف تتناحر وتتضاغن وتتراشق بالسباب وتترامى بالتهم ويكيد بعضها لبعض، وتتشيع لمناهج وضعية

---

(١) سورة المنافقون: ٨.
(٢) سورة النساء : ١٤١.
(٣) سورة آل عمران: ١١٨.
(٤) سورة البقرة : ١٩٣.

أملتها الأهواء وشكلتها الغايات والأغراض وفسرتها الأفهام وفق المصالح الشخصية، والعدو يستغل كل ذلك لمصلحته ويزيد وقود هذه النار اشتعالاً يفرقهم فى الحق ويجمعهم على الباطل، ويحرم عليهم اتصال بعضهم ببعض وتعاون بعضهم مع بعض ويحل لهم هذه الصلة به والالتفاف حوله فلا يقصدون إلا داره ولا يجتمعون إلا زواره، فتلك وطنية زائفة لا خير فيها لدعاتها ولا للناس. فها أنت قد رأيت أننا مع دعاة الوطنية، بل مع غلاتهم فى كل معانيها الصالحة التى تعود بالخير على البلاد والعباد، وقد رأيت مع هذا أن تلك الدعوى الوطنية "الطويلة العريضة لم تخرج عن أنها جزء من تعاليم الإسلام.

حدود وطنيتنا:

أما وجه الخلاف بيننا وبينهم فهو أننا نعتبر حدود الوطنية بالعقيدة وهم يعتبرونها بالتخوم الأرضية والحدود الجغرافية، فكل بقعة فيها مسلم يقول: **(لا إله إلا الله محمد رسول الله)** وطن عندنا له حرمته وقداسته وحبه والإخلاص له والجهاد فى سبيل خيره، وكل المسلمين فى هذه الأقطار الجغرافية أهلنا وإخواننا نهتم لهم ونشعر بشعورهم ونحس بإحساسهم. ودعاة الوطنية فقط ليسوا كذلك، فلا يعنيهم إلا أمر تلك البقعة المحدودة الضيقة من رقعة الأرض، ويظهر ذلك الفارق العملى فيما إذا أرادت أمة من الأمم أن تقوى نفسها على حساب غيرها فنحن لا نرضى ذلك على حساب أى قطر إسلامى وإنما نطلب القوة لنا جميعًا، ودعاة الوطنية المجردة لا يرون فى ذلك بأسًا، ومن هنا تتفكك الروابط وتضعف القوى ويضرب العدو بعضهم ببعض.

غاية وطنيتنا:

هذه هى واحدة. والثانية أن الوطنيين فقط، جلُّ ما يقصدون إليه، تخليص بلادهم، فإذا ما عملوا لتقويتها بعد ذلك، اهتموا بالنواحى المادية كما تفعل أوروبا الآن، أما نحن فنعتقد أن المسلم فى عنقه أمانة عليه أن يبذل نفسه ودمه وماله فى سبيل أدائها تلك هى هداية البشر بنور الإسلام، ورفع علمه خفاقًا على كل ربوع الأرض، لا يبغى بذلك مالاً ولا جاهًا ولا سلطانًا على أحد ولا استعبادًا لشعب،

وإنما يبغى وجه الله وحده وإسعاد العالم بدينه وإعلاء كلمته، وذلك ما حدا بالسلف الصالحين رضوان الله عليهم إلى هذه الفتوح القدسية التى أدهشت الدنيا وأربت على كل ما عرف التاريخ من سرعة وعدل ونبل وفضل.

وحدة:

وأحب أن أنبهك إلى سقوط ذلك الزعم القائل إن الجرى على هذا المبدأ يمزق وحدة الأمة التى تتألف من عناصر دينية مختلفة، فإن الإسلام وهو دين الوحدة والمساواة كفل هذه الروابط بين الجميع ما داموا متعاونين على الخير: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(١)، فمن أين يأتى التفريق إذن؟

أفرأيت بعد هذا كيف أننا متفقون مع أشد الناس غلوًا فى الوطنية فى حب الخير للبلاد والجهاد فى سبيل تخليصها وخيرها وارتقائها، ونعمل ونؤيد كل من يسعى فى ذلك بإخلاص، بل أحب أن تعلم أن مهمتهم إن كانت تنتهى بتحرير الوطن واسترداد مجده فإن ذلك عند الإخوان المسلمين بعض الطريق فقط أو مرحلة منه واحدة، ويبقى بعد ذلك أن يعملوا لترفع راية الوطن الإسلامى على كل بقاع الأرض، ويخفق لواء (المصحف) فى كل مكان.

القومية

والآن سأتحدث إليك عن موقفنا من مبدأ القومية.

قومية المجد:

إن كان الذين يعتزون بمبدأ القومية يقصدون به أن الأخلاف يجب أن ينهجوا نهج الأسلاف فى مراقى المجد والعظمة ومدارك النبوغ والهمة وأن تكون لهم بهم فى ذلك قدوة حسنة، وأن عظمة الأب مما يعتز به الابن ويجد لها الحماس والأريحية بدافع الصلة والوراثة، فهو مقصد حسن جميل نشجعه ونأخذ به، وهل عُدتنا فى إيقاظ همة الحاضرين إلا أن نحدوهم بأمجاد الماضين؟ ولعل

---

(١) سورة الممتحنة: ٨.

الإشارة إلى هذا فى قول رسول الله -ﷺ-: «**الناس معادن خيارهم فى الجاهلية خيارهم فى الإسلام إذا فقهوا**» فها أنت ذا ترى أن الإسلام لا يمنع من القومية بهذا المعنى الفاضل النبيل.

قومية الأمة :

وإذا قصد بالقومية أن عشيرة الرجل وأمته أولى الناس بخيره وبره وأحقهم بإحسانه وجهاده فهو حق كذلك ومن ذا الذى لا يرى أولى الناس بجهوده قومه الذين نشأ فيهم ونما بينهم؟

لعمرى لرهط المرء خير بقية عليه وإن عالوا به كل مركب

وإذا قصد بالقومية أننا جميعًا مبتلون مطالبون بالعمل والجهاد فعلى كل جماعة أن تحقق الغاية من جهتها حتى نلتقى إن شاء الله فى ساحة النصر فنعم التقسيم هذا، ومن لنا بمن يحدو الأمم الشرقية كتائب كل فى ميدانها حتى نلتقى جميعًا فى بحبوحة الحرية والخلاص؟

كل هذا وأشباهه فى معنى القومية جميل معجب لا يأباه الإسلام، وهو مقياسنا، بل ينفسح صدرنا له ونحض عليه.

قومية الجاهلية :

أما أن يراد بالقومية إحياء عادات جاهلية درست وإقامة ذكريات بائدة خلت وتعفية حضارة نافعة استقرت، والتحلل من عقدة الإسلام ورباطه بدعوى القومية والاعتزاز بالجنس كما فعلت بعض الدول فى المغالاة بتحطيم مظاهر الإسلام والعروبة، حتى الأسماء وحروف الكتابة وألفاظ اللغة، وإحياء ما اندرس من عادات جاهلية، فذلك فى القومية معنى ذميم وخيم العاقبة سيىء المغبة، يؤدى بالشرق إلى خسارة فادحة يضيع معها تراثه وتنحط بها منزلته ويفقد أخص مميزاته وأقدس مظاهر شرفه ونبله، ولا يضر ذلك دين الله شيئًا: ﴿**وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْمًا غَيْرَكُمْ ثُمَّ لا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ**﴾(١).

---

(١) سورة محمد: ٣٨.

قومية العدوان :

وأما أن يراد بالقومية الاعتزاز بالجنس إلى درجة تؤدى إلى انتقاص الأجناس الأخرى والعدوان عليها والتضحية بها فى سبيل عزة أمة وبقائها، كما تنادى بذلك ألمانيا وإيطاليا مثلاً، بل كما تدعى كل أمة تنادى بأنها فوق الجميع فهذا معنى ذميم كذلك ليس من الإنسانية فى شىء، ومعناه أن يتناحر الجنس البشرى فى سبيل وهم من الأوهام لا حقيقة له ولا خير فيه.

دعامتان :

الإخوان المسلمون لا يؤمنون بالقومية بهذه المعانى ولا بأشباهها ولا يقولون فرعونية وعربية وفينيقية وسورية ولا شيئًا من هذه الألقاب والأسماء التى يتنابز بها الناس، ولكنهم يؤمنون بما قال رسول الله -ﷺ- الإنسان الكامل بل أكمل معلم علَّم الإنسان الخير: «**إن الله قد أذهب عنكم نخوة الجاهلية وتعظمها بالآباء، الناس لآدم وآدم من تراب، لا فضل لعربى على أعجمى إلا بالتقوى**» ما أروع هذا وأجمله وأعدله، الناس لآدم فهم فى ذلك أكفاء والناس يتفاضلون بالأعمال فواجبهم التنافس فى الخير؛ دعامتان قويمتان لو بنيت عليهما الإنسانية لارتفعت بالبشر إلى علياء السموات؛ الناس لآدم فهم إخوان فعليهم أن يتعاونوا وأن يسالم بعضهم بعضًا ويرحم بعضهم بعضًا ويدل بعضهم بعضًا على الخير، والتفاضل بالأعمال، فعليهم أن يجتهدوا كل من ناحيته حتى ترقى الإنسانية، فهل رأيت سموًا بالإنسانية أعلى من هذا السمو أو تربية أفضل من هذه التربية؟

خواص العروبة :

ولسنا مع هذا ننكر خواصَّ الأمم ومميزاتها الخُلُقية، فنحن نعلم أن لكل شعب مميزاته وقسطه من الفضيلة والخلق، ونعلم أن الشعوب فى هذا تتفاوت وتتفاضل، ونعتقد أن العروبة لها من ذلك النصيب الأوفى والأوفر، ولكن ليس معنى هذا أن تتخذ الشعوب هذه المزايا ذريعة إلى العدوان، بل عليها أن تتخذ ذلك وسيلة إلى تحقيق المهمة السابقة التى كلفها كل شعب، تلك هى النهوض بالإنسانية، ولعلك لست واجدًا فى التاريخ من أدرك

هذا المعنى من شعوب الأرض كما أدركته تلك الكتيبة العربية من صحابة رسول الله -ﷺ-.

هذا استطراد اقتضاه السير فى البحث، ولا أحب أن أتابعه حتى لا يشط بنا القول ولكن أعود بك إلى ما نحن بسبيله.

رباط العقيدة:

أما إذ عرفت هذا فاعلم -أيدك الله- أن الإخوان المسلمين يرون الناس بالنسبة إليهم قسمين: قسمًا اعتقد ما اعتقدوه من دين الله وكتابه وآمن ببعثة رسوله وما جاء به، وهؤلاء تربطنا بهم أقدس الروابط، رابطة العقيدة وهي عندنا أقدس من رابطة الدم ورابطة الأرض، فهؤلاء هم قومنا الأقربون الذين نحنُّ إليهم ونعمل فى سبيلهم ونذود عن حماهم ونفتديهم بالنفس والمال، فى أى أرض كانوا ومن أية سلالة انحدروا. وقوم ليسوا كذلك ولم نرتبط معهم بعد بهذا الرباط، فهؤلاء نسالمهم ما سالمونا ونحب لهم الخير ما كفوا عدوانهم عنا، ونعتقد أن بيننا وبينهم رابطة هى رابطة الدعوة، علينا أن ندعوهم إلى ما نحن عليه لأنه خير الإنسانية كلها، وأن نسلك إلى نجاح هذه الدعوة ما حدد لها الدين نفسه من سبل ووسائل، فمن اعتدى علينا منهم رددنا عدوانه بأفضل ما يرد به عدوان المعتدين. أما إذا أردت ذلك من كتاب الله فاسمع:

١- ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ﴾(١).

٢- ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ ۝ إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ﴾(٢).

ولعلى أكون بذلك قد كشفت لك عن هذه الناحية من دعوتنا بما لا يدعها فى نفسك ملتبسة أو غامضة، لعلك بعد ذلك عرفت إلى أى قبيل ينتسب الإخوان المسلمون.

---

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) سورة الممتحنة: ٨، ٩.

أمام الخلافات الدينية

أتحدث إليك الآن عن دعوتنا أمام الخلافات الدينية والآراء المذهبية.

تجمع ولا تفرق:

فاعلم -فقهك الله- أولاً أن دعوة الإخوان المسلمين دعوة عامة لا تنتسب إلى طائفة خاصة، ولا تنحاز إلى رأى عرف عند الناس بلون خاص ومستلزمات وتوابع خاصة، وهى تتوجه إلى صميم الدين ولبه، ونود أن تتوحد وجهة الأنظار والهمم حتى يكون العمل أجدى والإنتاج أعظم وأكبر. فدعوة الإخوان دعوة بيضاء نقية غير ملونة بلون، وهى مع الحق أينما كان تحب الإجماع وتكره الشذوذ؟ وأن أعظم ما منى به المسلمون الفرقة والخلاف وأساس ما انتصروا به الحب والوحدة، ولن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها؛ هذه قاعدة أساسية وهدف معلوم لكل أخ مسلم، وعقيدة راسخة فى نفوسنا، نصدر عنها وندعو إليها.

الخلاف ضرورى:

ونحن مع هذا نعتقد أن الخلاف فى فروع الدين أمر لابد منه ضرورة، ولا يمكن أن نتحد فى هذه الفروع والآراء والمذاهب لأسباب عدة:

منها اختلاف العقول فى قوة الاستنباط أو ضعفه وإدراك الدلائل والجهل بها والغوص إلى أعماق المعانى. وارتباط الحقائق بعضها ببعض، والدين آيات وأحاديث ونصوص يفسرها العقل والرأى فى حدود اللغة وقوانينها، والناس فى ذلك جد متفاوتين فلابد من خلاف.

ومنها سعة العلم وضيقه. وإن هذا بلغه ما لم يبلغ ذاك والآخر شأنه كذلك. وقد قال مالك لأبى جعفر: إن أصحاب رسول الله -ﷺ- تفرقوا فى الأمصار وعند كل قوم علم، فإذا حملتهم على رأى واحد تكون فتنة.

ومنها اختلاف البيئات حتى إن التطبيق ليختلف باختلاف كل بيئة، وإنك لترى الإمام الشافعى -رضي الله عنه- يفتى بالقديم فى العراق ويفتى بالجديد فى مصر،

وهو فى كليهما آخذ بما استبان له وما اتضح عنده لا يعدو أن يتحرى الحق فى كليهما.

ومنها اختلاف الاطمئنان القلبى إلى الرواية عند التلقين لها، فبينا نجد هذا الراوى ثقة عند هذا الإمام تطمئن إليه نفسك وتطيب بالأخذ عنه، تراه مجروحًا عند غيره لما علم عن حاله.

ومنها اختلاف تقدير الدلالات فهذا يعتبر عمل الناس مقدمًا على خبر الآحاد مثلاً وذلك لا يقول معه به وهكذا.

الإجماع على أمر فرعى متعذر:

كل هذه أسباب جعلتنا نعتقد أن الإجماع على أمر واحد فى فروع الدين مطلب مستحيل، بل هو يتنافى مع طبيعة الدين، وإنما يريد الله لهذا الدين أن يبقى ويخلد ويساير العصور ويماشى الأزمان، وهو لهذا سهل مرن هين لين لا جمود فيه ولا تشديد.

نعتذر لمخالفينا:

نعتقد هذا فنلتمس العذر كل العذر لمن يخالفوننا فى بعض الفرعيات، ونرى أن هذا الخلاف لا يكون أبدًا حائلاً دون ارتباط القلوب وتبادل الحب والتعاون على الخير، وأن يشملنا وإياهم معنى الإسلام السابغ بأفضل حدوده وأوسع مشتملاته؛ ألسنا مسلمين وهم كذلك؟ وألسنا نحب أن ننزل على حكم اطمئنان نفوسنا وهم يحبون ذلك؟ وألسنا مطالبين بأن نحب لإخواننا ما نحب لأنفسنا؟ ففيم الخلاف إذن؟ ولماذا لا يكون رأينا مجالاً للنظر عندهم كرأيهم عندنا؟ ولماذا لا نتفاهم فى جو الصفاء والحب إذا كان هناك ما يدعو إلى التفاهم؟

هؤلاء أصحاب رسول الله -ﷺ- كان يخالف بعضهم بعضًا فى الإفتاء، فهل أوقع ذلك اختلافًا بينهم فى القلوب؟ وهل فرق وحدتهم أو فرق رابطتهم؟ اللهم لا وما حديث صلاة العصر فى قريظة ببعيد.

وإذا كان هؤلاء قد اختلفوا وهم أقرب الناس عهداً بالنبوة وأعرفهم بقرائن الأحكام، فما بالنا نتناحر فى خلافات تافهة لا خطر لها؟ وإذا كان الأئمة وهم أعلم الناس بكتاب الله وسنة رسوله قد اختلف بعضهم مع بعض وناظر بعضهم بعضًا فلم لا يسعنا ما وسعهم؟ وإذا كان الخلاف قد وقع فى أشهر المسائل الفرعية وأوضحها كالأذان الذى ينادى به خمس مرات فى اليوم الواحد ووردت به النصوص والآثار فما بالك فى دقائق المسائل التى مرجعها إلى الرأى والاستنباط.

وثَمَّ أمر آخر جدير بالنظر، إن الناس كانوا إذا اختلفوا رجعوا إلى (الخليفة) وشرطه الإمامة فيقضى بينهم ويرفع حكمه الخلاف، أما الأن فأين الخليفة، وإذا كان الأمر كذلك فأولى بالمسلمين أن يبحثوا عن القاضى ثم يعرضوا قضيتهم عليه، فإن اختلافهم من غير مرجع لا يردهم إلا إلى خلاف آخر.

يعلم الإخوان المسلمون كل هذه الحيثيات، فهم لهذا أوسع الناس صدراً مع مخالفيهم، ويرون أن مع كل قوم علمًا، وفى كل دعوة حقًا وباطلاً، فهم يتحرون الحق ويأخذون به ويحاولون فى هوادة ورفق إقناع المخالفين بوجهة نظرهم، فإن اقتنعوا فذاك، وإن لم يقتنعوا فإخوان فى الدين نسأل الله لنا ولهم الهداية.

ذلك منهاج الإخوان المسلمين أمام مخالفيهم فى المسائل الفرعية فى دين الله، يمكن أن أجمله لك فى أن الإخوان يجيزون الخلاف ويكرهون التعصب للرأى، ويحاولون الوصول إلى الحق، ويحملون الناس على ذلك بألطف وسائل اللين والحب.

إلى العلاج

يا أخى: اعلم وتعلَّم أن مَثَلَ الأمم فى قوتها وضعفها وشبابها وشيخوختها وصحتها وسقمها مثل الأفراد سواء بسواء، فالفرد بينما تراه قويًا معافى صحيحًا سليمًا، إذا بك تراه وقد انتابته العلل وأحاطت به الأسقام وهدَّت بنيته القوية الأمراض والآلام، ولا يزال يشكو ويئن حتى تتداركه رحمة الله تبارك وتعالى بطبيب ماهر ونطاسى بارع يعلم موطن العلة ويحسن تشخيصها ويتعرف موضع

الداء ويخلص فى علاجه، فإذا بك بعد حين ترى هذا المريض وقد عادت إليه قوته ورجعت له صحته، ربما كان بعد هذا العلاج خيراً منه قبله. قل مثل ذلك فى الأمم تمامًا، تعترضها حوادث الزمن بما يهدد كيانها ويصدع بنيانها ويسرى فى مظاهر قوّتها سريان الداء، ولا يزال يلح عليها ويتشبث بها حتى ينال منها فتبدو هزيلة ضعيفة يطمع فيها الطامعون وينال منها الغاصبون، فلا تقوى على رد غاصب ولا تمنع من مطامح طامح، وعلاجها إنما يكون بأمور ثلاثة: معرفة موطن الداء والصبر على آلام العلاج، والنطاسى الذى يتولى ذلك حتى يحقق الله على يديه الغاية ويتمم الشفاء والظفر.

الأعراض:

وقد علمتنا التجارب وعرفتنا الحوادث أن داء هذه الأمم الشرقية متشعب المناحى كثير الأعراض قد نال من كل مظاهر حياتها. فهى مصابة فى ناحيتها السياسية بالاستعمار من جانب أعدائها، والحزبية والخصومة والفرقة والشتات من جانب أبنائها، وفى ناحيتها الاقتصادية بانتشار الربا بين كل طبقاتها واستيلاء الشركات الأجنبية على مواردها وخيراتها. وهى مصابة من ناحيتها الفكرية بالفوضى والمروق والإلحاد يهدم عقائدها ويحطم المثل العليا فى نفوس أبنائها، وفى ناحيتها الاجتماعية بالإباحية فى عاداتها وأخلاقها والتحلل من عقدة الفضائل الإنسانية التى ورثتها عن الغر الميامين من أسلافها، وبالتقليد الغربى يسرى فى مناحى حياتها سريان لعاب الأفاعى فيسمم دماءها ويعكر صفو هنائها، وبالقوانين الوضعية التى لا تزجر مجرما ولا تؤدب معتديا ولا ترد ظالمًا، ولا تغنى يومًا من الأيام غناء القوانين السماوية التى وضعها خالق الخلق ومالك الملك ورب النفوس وبارئها، وبفوضى فى سياسة التعليم والتربية تحول دون التوجيه الصحيح لنشئها ورجال مستقبلها وحملة أمانة النهوض بها. وفى ناحيتها النفسانية بيأس قاتل وخمول مميت وجبن فاضح وذلة حقيرة وخنوثة فاشية وشح وأنانية تكف الأيدى عن البذل وتقف حجابًا دون التضحية وتخرج الأمة من صفوف المجاهدين إلى اللاهين اللاعبين.

وماذا يرجى من أمة اجتمعت على غزوها كل هذه العوامل بأقوى مظاهرها

وأشد أعـراضهـا: الاسـتـعمـار والحزبيـة، والربا والشركـات الأجنبيـة، والإلحاد والإباحـيـة وفـوضى التـعليم والتـشـريع، واليـأس، والـشح، والخنوثة والجبن، والإعجـاب بالخصم إعجـابًا يدعو إلى تقليـده فى كل ما صدر عنه وبخـاصة فى سيئات أعماله.

إن داء واحدًا من هذه الأدواء يكفى لقتل أمم مـتظاهرة، فكيف وقد تفشت جميـعًا فى كل أمة على حـدة؟ لولا مناعة وحصانة وجـلادة وشدة فى هذه الأمم الشرقية التى جاذبها خصومها حـبل العداء من بعيد، ودأبوا على تلقيحها بجراثيم هذه الأمراض زمنًا طويلاً حتى باضت وأفـرخت، لولا ذلك لعفت آثارها ولبادت من الوجود، ولكن يأبى الله ذلك والمؤمنون.

يا أخى: هذا هو التشـخيص الذى يلمسه الإخـوان فى أمراض هذه الأمة، وهذا هو الذى يعملون فى سـبيل أن يبرئهـا منه ويعيد إليهـا ما فقدت من صـحة وشباب.

أمل وشعـور:

وأحب أن تعلم يا أخى قبل أن أتحدث لك عن هذه الوسيلة أننا لسنا يائسين من أنفسنا، وأننا نأمل خـيرًا كثيـرًا ونعتقد أنه لا يحـول بيننا وبين النجاح إلا هذا اليأس، فإذا قوى الأمل فى نفوسنا فسنصل إلى خـير كثير إن شاء الله، لهذا نحن يائسين ولا يتطرق اليأس إلى قلوبنا والحمد لله.

وكل ما حـولنا يبشر بالأمل رغم تشـاؤم المتشائمـين، إنك إذا دخلت على مريض فوجـدته تدرج من كلام إلى صمت ومن حركة إلى سكون شـعرت بقرب نهايته وعسر شفائه واستفحال دائه، فإذا انعكس الأمر وأخذ يتدرج من صمت إلى كلام ومن همود إلى حركة شعرت بقرب شفائه وتقدمه فى طريق الصحة والعافية، ولقد أتى على هذه الأمم الشـرقية حين من الدهر جمـدت فيه حتى ملهـا الجمود وسكنت حـتى أعياها الـسكون، ولكنها الآن تغلى غليـانًا بيقـظة شـاملة فى كل مناحى الحياة، وتضطرم اضطرامًا بالمشاعر الحـية القوية والأحاسيس العنيفة. ولولا ثقل القيود من جهة والفوضى فى التوجـيه من جهة أخرى لكان لهذه اليقظة أروع الآثار، ولن تظل هذه القيود قيودًا أبد الدهر فـإنما الدهر قُلَّب، وما بين طرفة عين

وانتباهتها يغير الله من حال إلى حال، ولن يظل الحائر حائرًا، فإنما بعد الحيرة هدى وبعد الفوضى استقرار، ولله الأمر من قبل ومن بعد. ولهذا لسنا يائسين أبدًا، وآيات الله تبارك وتعالى وأحاديث رسوله -ﷺ- وسنته تعالى فى تربية الأمم وإنهاض الشعوب بعد أن تشرف على الفناء، وما قصه علينا من ذلك فى كتابه، كل ذلك ينادينا بالأمل الواسع، ويرشدنا إلى طريق النهوض الصحيح ولقد علم المسلمون -لو يتعلمون-.

وإنك لتقرأ الآية الكريمة فى أول سورة القصص: ﴿طسٓمٓ ﴿١﴾ تِلْكَ آيَاتُ الْكِتَابِ الْمُبِينِ ﴿٢﴾ نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ﴾(١)، تقرأ هذه الآيات الكريمة فترى كيف يطغى الباطل فى صولته ويعتز بقوته، ويطمئن إلى جبروته ويغفل عن عين الحق التى ترقبه، حتى إذا فرح بما أوتى أخذه الله أخذ عزيز مقتدر، وأبت إرادة الله إلا أن تنتصر للمظلومين وتأخذ بناصر المهضومين المستضعفين فإذا الباطل منهار من أساسه، وإذا الحق قائم البنيان متين الأركان وإذا أهله هم الغالبون. وليس بعد هذه الآيات الكريمة وأمثالها من آيات الكتاب المحكم عذر فى اليأس والقنوط لأمة من أمم الإسلام تؤمن بالله ورسوله وكتابه، فمتى يتفقه المسلمون فى كتاب الله؟

لمثل هذا يا أخى وهو كثير فى دين الله لم ييأس الإخوان المسلمون من أن ينزل نصر الله على هذه الأمم رغم ما يبدو أمامها من عقبات، وعلى ضوء هذا الأمل يعملون عمل الآمل المجد والله المستعان.

أما الوسيلة التى وعدتك الكلام عليها فهى أركان ثلاثة تدور عليها فكرة الإخوان:

أولها (المنهاج الصحيح): وقد وجده الإخوان فى كتاب الله وسنة رسوله وأحكام الإسلام حين يفهمها المسلمون على وجهها غضة نقية بعيدة عن الدخائل

---

(١) سورة القصص: ١ - ٦.

والمفتريات فعكفوا على دراسة الإسلام على هذا الأساس دراسة سهلة واسعة مستوعبة.

وثانيها (العاملون المؤمنون): ولهذا أخذ الإخوان أنفسهم بتطبيق ما فهموه من دين الله تطبيقًا لا هوادة فيه ولا لين، وهم بحمد الله مؤمنون بفكرتهم مطمئنون إلى غايتهم واثقون بتأييد الله إياهم ما داموا له يعملون وعلى هدى رسول الله -ﷺ- يسيرون.

وثالثها (القيادة الحازمة الموثوق بها): وقد وجدها الإخوان المسلمون كذلك، فهم لها مطيعون وتحت لوائها يعملون.

ذلك يا أخى مجمل ما أردت أن أتحدث إليك به عن دعوتنا وهو تعبير له تعبير، وأنت يوسف هذه الأحلام، فإذا راقك ما نحن عليه فيدك مع أيدينا لنعمل سويًا فى هذا السبيل، والله ولى توفيقنا وتوفيقك وهو حسبنا ونعم الوكيل فنعم المولى ونعم النصير.

والله أكبر ولله الحمد


إلى أى شىء
ندعو الناس

بسم الله الرحمن الرحيم

تمهيد

قد تتحدث إلى كثير من الناس فى موضوعات مختلفة فتعتقد أنك قد أوضحت كل الإيضاح وأبنت كل الإبانة، وأنك لم تدع سبيلاً إلى الكشف عما فى نفسك إلا سلكتها، حتى تركت من تحدثهم على المحجة البيضاء وجعلت لهم ما تريد بحديثك من الحقائق كفلق الصبح أو كالشمس فى رابعة النهار كما يقولون. وما أشد دهشتك بعد قليل حين ينكشف لك أن القوم لم يفهموا عنك ولم يدركوا قولك.

رأيت ذلك مرات ولمسته فى عدة مواقف. وأعتقد أن السر فيه لا يعدو أحد أمرين: إما أن الذى يقيس به كل منا ما يقول وما يسمع مختلف، فيختلف تبعًا لذلك الفهم والإدراك، وإما أن يكون القول فى ذاته ملتبسًا غامضًا وإن اعتقد قائله أنه واضح مكشوف.

المقياس:

وأنا أريد فى هذه الكلمة أن أكشف للناس عن دعوة الإخوان المسلمين وغايتها ومقاصدها وأساليبها ووسائلها فى صراحة ووضوح وفى بيان وجلاء، وأحب أولاً أن أحدد المقياس الذى نقيس به هذا التوضيح، وسأجتهد فى أن يكون القول سهلاً ميسوراً، لا يتعذر فهمه على قارئ يحب أن يستفيد، وأظن أن أحداً من الأمة الإسلامية جميعًا لا يخالفنى فى أن يكون هذا المقياس «كتاب الله» نستقى من فيضه ونستمد من بحره ونرجع إلى حكمه.

يا قومنا:

إن القرآن الكريم كتاب جامع جمع الله فيه أصول العقائد وأسس المصالح الاجتماعية، وكليات الشرائع الدنيوية، فيه أوامر وفيه نواه. فهل عمل المسلمون بما

في القرآن فاعتقدوا وأيقنوا بما ذكر الله من المعتقدات، وفهموا ما أوضح لهم من الغايات؟ وهل طبقوا شرائعه الاجتماعية والحيوية على تصرفاتهم في شئون حياتهم؟ إن انتهينا من بحثنا أنهم كذلك فقد وصلنا معًا إلى الغاية، وإن تكشف البحث عن بعدهم عن طريق القرآن وإهمالهم لتعاليمه وأوامره فاعلم أن مهمتنا أن نعود بأنفسنا وبمن تبعنا إلى هذا السبيل.

غاية الحياة في القرآن:

إن القرآن حدد غايات الحياة ومقاصد الناس فيه، فبين أن قومًا همهم من الحياة الأكل والمتعة، فقال تبارك وتعالى:

﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الْأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾(١).

وبين أن قومًا آخرين مهمتهم الزينة والعرض الزائل فقال تبارك وتعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالْأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَٰلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَاللَّهُ عِندَهُ حُسْنُ الْمَآبِ﴾(٢).

وبين أن قومًا آخرين شأنهم في الحياة إيقاد الفتن وإحياء الشرور والمفاسد أولئك الذين قال الله فيهم:

﴿وَمِنَ النَّاسِ مَن يُعْجِبُكَ قَوْلُهُ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيُشْهِدُ اللَّهَ عَلَىٰ مَا فِي قَلْبِهِ وَهُوَ أَلَدُّ الْخِصَامِ ﴿٢٠٤﴾ وَإِذَا تَوَلَّىٰ سَعَىٰ فِي الْأَرْضِ لِيُفْسِدَ فِيهَا وَيُهْلِكَ الْحَرْثَ وَالنَّسْلَ وَاللَّهُ لَا يُحِبُّ الْفَسَادَ﴾(٣).

تلك مقاصد من مقاصد الناس في الحياة نزه الله المؤمنين عنها وبرأهم منها وكلفهم مهمة أرقى، وألقى على عاتقهم واجبًا أسمى ذلك الواجب هو: هداية البشر إلى الحق، وإرشاد الناس جميعًا إلى الخير، وإنارة العالم كله بشمس الإسلام، فذلك قوله تبارك وتعالى:

---

(١) سورة محمد: ١٢.

(٢) سورة آل عمران: ١٤.

(٣) سورة البقرة: ٢٠٤، ٢٠٥.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(١).

ومعنى هذا أنَّ القرآن الكريم يقيم المسلمين أوصياء على البشرية القاصرة، ويعطيهم حق الهيمنة والسيادة على الدنيا لخدمة هذه الوصاية النبيلة وإذن فذلك من شأننا لا من شأن الغرب ولمدنية الإسلام لا لمدنية المادة.

وصاية المسلم تضحية لا استفادة :

ثم بين الله تبارك وتعالى أن المؤمن فى سبيل هذه الغاية قد باع لله نفسه وماله فليس له فيها شيء، وإنما هى وقف على نجاح هذه الدعوة وإيصالها إلى قلوب الناس وذلك قوله تعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾(٢).

ومن ذلك نرى أن المسلم يجعل دنياه وقفًا على دعوته ليكسب آخرته جزاء تضحيته. ومن هنا كان الفاتح المسلم أستاذًا يتصف بكل ما يجب أن يتحلى به الأستاذ من نور وهداية ورحمة ورأفة، وكان الفتح الإسلامى فتح تمدين وتحضر وإرشاد وتعليم، وأين هذا مما يقوم به الاستعمار الغربى الآن؟

أين المسلمون من هذه الغاية ؟

فبربك يا عزيزى هل فهم المسلمون من كتاب ربهم هذا المعنى فسمت نفوسهم ورقت أرواحهم، وتحرروا من رق المادة، وتطهروا من لذة الشهوات والأهواء، وترفعوا عن سفاسف الأمور ودنايا المقاصد، ووجهوا وجوههم لله الذى فطر السموات والأرض حنفاء يعلون كلمة الله ويجاهدون فى سبيله، وينشرون دينه ويذودون عن حياض شريعته، أم هم هؤلاء أسرى الشهوات وعبيد الأهواء

(١) سورة الحج : ٧٧، ٧٨.
(٢) سورة التوبة : ١١١.

والمطامع، كل همهم لقمة لينة ومركب فاره وحلة جميلة، ونومة مريحة، وامرأة وضيئة، ومظهر كاذب ولقب أجوف؟

رضُوا بالأمانى، وابتلوا بحظوظهم — وخاضوا بحار الجد دعوى فما ابتلوا

وصدق رسول الله -ﷺ-: **«تعس عبد الدينار تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة»**.

الغاية أصل والأعمال فروع لها:

وبما أن الغاية هى التى تدفع إلى الطريق، ولما كانت الغاية فى أمتنا غامضة مضطربة كان لابد من أن نوضح ونحدد، وأظننا وصلنا إلى كثير من التوضيح، واتفقنا على أن مهمتنا سعادة الدنيا وإرشاد الإنسانية كلها إلى نظم الإسلام الصالحة وتعاليمه التى لا يمكن بغيرها أن يسعد الناس.

مصادر غايتنا:

تلك هى الرسالة التى يريد الإخوان المسلمون أن يبلغوها للناس وأن تفهمها الأمة الإسلامية حق الفهم، وتهب لإنفاذها فى عزم وفى مضاء. ولم يبتدعها الإخوان المسلمون ابتداعًا، ولم يختلقوها من أنفسهم، وإنما هى الرسالة التى تتجلى فى كل آية من آيات القرآن الكريم، وتبدو فى غاية الجلاء والوضوح فى كل حديث من أحاديث الرسول العظيم -ﷺ-، وتظهر فى كل عمل من أعمال الصدر الأول الذين هم المثل الأعلى لفهم الإسلام وإنفاذ تعاليم الإسلام. فإن شاء المسلمون أن يقبلوا هذه الرسالة كان ذلك دليل الإيمان والإسلام الصحيح، وإن رأوا فيها حرجًا أو غضاضة فبيننا وبينهم كتاب الله تبارك وتعالى، حكم عدل وقول فصل يحكم بيننا وبين إخواننا ويظهر الحق لنا أو علينا: ﴿**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ**﴾(١).

استطراد:

يتساءل كثير من إخواننا الذين أحببناهم من كل قلوبنا، ووقفنا لخيرهم

(١) سورة الأعراف: ٨٩.

والعمل لمصلحتهم الدنيوية والأخروية جهودنا وأموالنا وأرواحنا، وفنينا فى هذه الغاية، غاية إسعاد أمتنا وإخواننا، عن أموالنا وأنفسنا، وذهلنا فى سبيلهم عن أبنائنا والحلائل. وكم أتمنى أن يطلع هؤلاء الإخوان المتسائلون على شباب الإخوان المسلمين وقد سهرت عيونهم والناس نيام، وشغلت نفوسهم والخليون هُجَّع، وأكب أحدهم على مكتبه من العصر إلى منتصف الليل عاملاً مجتهداً ومفكراً مجداً، ولا يزال كذلك طوال شهره، حتى إذا ما انتهى الشهر جعل مورده مورداً لجماعته، ونفقته نفقة لدعوته، وماله خادمًا لغايته، ولسان حاله يقول لبنى قومه الغافلين عن تضحيته: لا أسألكم عليه أجراً إن أجرى إلا على الله. ومعاذ الله أن نمن على أمتنا فنحن منها ولها وإنما نتوسل إليها بهذه التضحية أن تفقه دعوتنا وتستجيب لندائنا.

من أين المال ؟

يتساءل هؤلاء الإخوان المحبوبون الذين يرمقون الإخوان المسلمين عن بعد ويرقبونهم عن كثب قائلين: من أين ينفقون؟ وأنى لهم المال اللازم لدعوة نجحت وازدهرت كدعوتهم والوقت عصيب والنفوس شحيحة؟

وإنى أجيب هؤلاء بأن الدعوات الدينية عمادها الإيمان قبل المال، والعقيدة قبل الأعراض الزائلة، وإذا وجد المؤمن الصحيح وجدت معه وسائل النجاح جميعًا، وإن فى مال الإخوان المسلمين القليل الذى يقتطعونه من نفقاتهم ويقتصدونه من ضرورياتهم ومطالب بيوتهم وأولادهم، ويجودون به طيبة نفوسهم سخية به قلوبهم، يود أحدهم لو كان له أضعاف أضعاف فينفقه فى سبيل الله؛ فإذا لم يجد بعضهم شيئًا تولوا وأعينهم تفيض من الدمع حزنًا ألا يجدوا ما ينفقون. فى هذا المال القليل والإيمان الكبير ولله الحمد والعزة، بلاغ لقوم عابدين ونجاح للعاملين الصادقين، وإن الله الذى بيده كل شىء ليبارك فى القرش الواحد من قروش الإخوان و ﴿يَمْحَقُ اللَّهُ الرِّبَا وَيُرْبِي الصَّدَقَاتِ﴾(١).

﴿وَمَا آتَيْتُم مِّن زَكَاةٍ تُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة: ٢٧٦.
(٢) سورة الروم: ٣٩.

نحن والسياسة :

ويقول قوم آخرون إن الإخوان المسلمين قوم سياسيون ودعوتهم دعوة سياسية، ولهم من وراء ذلك مآرب أخرى. ولا ندرى إلى متى تتقارض أمتنا التهم وتتبادل الظنون وتتنابز بالألقاب، وتترك يقينا يؤيده الواقع فى سبيل ظن توحيه الشكوك؟

يا قومنا: إننا نناديكم والقرآن فى يميننا والسنة فى شمالنا، وعمل السلف الصالحين من أبناء هذه الأمة قدوتنا، وندعوكم إلى الإسلام وتعاليم الإسلام وأحكام الإسلام وهدى الإسلام؛ فإن كان هذا من السياسة عندكم فهذه سياستنا، وإن كان من يدعوكم إلى هذه المبادئ سياسيًا فنحن أعرق الناس والحمد لله فى السياسة، وإن شئتم أن تسموا ذلك سياسة فقولوا ما شئتم فلن تضرنا الأسماء متى وضحت المسميات وانكشفت الغايات.

يا قومنا: لا تحجبكم الألفاظ عن الحقائق، ولا الأسماء عن الغايات، ولا الأعراض عن الجواهر، وإن للإسلام لسياسة فى طيها سعادة الدنيا وصلاح الآخرة؛ وتلك هى سياستنا لا نبغى بها بديلاً فسوسوا بها أنفسكم، واحملوا عليها غيركم تظفروا بالعزة الأخروية، ولتعلمن نبأه بعد حين.

قوميتنا وعلى أى أساس ترتكز :

أيها الأخ : تعال نصغ معًا إلى صوت العزة الإلهية يدوّى فى أجواء الآفاق، ويملأ الأرض والسبع الطباق، ويوحى فى نفس كل مؤمن أسمى معانى العزة والفخار، حين يسمع هذا النداء الذى تستمع له السموات والأرض ومن فيهن منذ أن بلغه الأمين إلى هذا الوجود، إلى حيث لا نهاية، إذ كتب له الخلود:

﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا﴾(١).

أجل أجل يا أخى: هذا نداء ربك إليك. فلبيك اللهم لبيك. وحمدًا وشكرًا لك لا نحصى ثناء عليك، أنت أنت ولى المؤمنين ونصير العاملين والمدافع عن

---

(١) سورة البقرة : ٢٥٧.

المظلومين الذين حوربوا فى بيوتهم وأخرجوا من ديارهم، عز من لجأ إليك وانتصر من احتمى بحماك.

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ﴾[1].

أجل أجل يا أخى: تعال نستمع معًا إلى صوت القرآن الكريم، ونطرب بتلاوة الآيات البينات، ونسجل جمال هذه العزة فى صحائف ذلكم الكتاب المطهر.

إلىَّ إلىَّ يا أخى واسمع قول الله تبارك وتعالى:

١- ﴿ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ ﴾[2].

٢- ﴿ بَلِ اللَّهُ مَوْلاكُمْ وَهُوَ خَيْرُ النَّاصِرِينَ ﴾[3].

٣- ﴿ إِنَّمَا وَلِيُّكُمُ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ رَاكِعُونَ ﴾[4].

٤- ﴿ إِنَّ وَلِيِّيَ اللَّهُ الَّذِي نَزَّلَ الْكِتَابَ وَهُوَ يَتَوَلَّى الصَّالِحِينَ ﴾[5].

٥- ﴿ قُل لَّن يُصِيبَنَا إِلاَّ مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴾[6].

٦- ﴿ أَلا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٦٢﴾ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ ﴾[7].

٧- ﴿ ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَى لَهُمْ ﴾[8].

---

(١) سررة الحج : ٤٠.
(٢) سورة البقرة : ٢٥٧.
(٣) سورة آل عمران: ١٥٠.
(٤) سورة المائدة :٥٥.
(٥) سورة الأعراف : ١٩٦.
(٦) سورة التوبة : ٥١.
(٧) سورة يونس : ٦٢، ٦٣.
(٨) سورة محمد : ١١.

ألست ترى فى هذه الآيات البينات أن الله تبارك وتعالى ينسبك إلى نفسه ويمنحك فضل ولايته ويفيض عليك من فيض عزته؟

﴿ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعْلَمُونَ ﴾(١).

وفى الحديث الشريف الذى يرويه المختار -ﷺ- عن ربه ما معناه: «**يقول الله تبارك وتعالى يوم القيامة: يا بنى آدم جعلت نسبًا وجعلتم نسبًا فقلتم فلان ابن فلان، وقلت: ﴿ إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ ﴾(٢) فاليوم أرفع نسبى وأضع نسبكم**».

لهذا أيها الأخ الكريم فضَّل السلف الصالح أن يرفعوا نسبتَهم إلى الله تبارك وتعالى، ويجعلوا أساس صلاتهم ومحور أعمالهم تحقيق هذه النسبة الشريفة فينادى أحدهم صاحبه:

لا تَدْعُنى إلا بيا عَبْدَها ... فإنه أشرفُ أسمائى

فى حين يجيب الآخرُ من سأله عن أبيه أتميمى هو أم قيسى:

أبى الإسلامُ لا أبَ لى سواه ... إذا افتخروا بقَيْسٍ أو تميم

ليس بعد ذلك عزة:

أيها الأخ العزيز. إن الناس إنما يفخرون بأنسابهم لما يأنسون من المجد والشرف فى أعمال جدودهم، ولما يقصدون إليه من نفخ روح العزة والكرامة فى نفوس أبنائهم، ليس وراء هذين المقصدين شىء، أفلا ترى أن فى نسبتك إلى الله تبارك وتعالى أسمى ما يطمح إليه الطامحون من معانى العزة والمجد: ﴿ **فَإِنَّ الْعِزَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا** ﴾(٣)، وأولى ما يرفع نفسك إلى عليين، وينفخ فيها روح النهوض مع العاملين، وأى شرف أكبر وأى رافع إلى الفضيلة أعظم من أن ترى نفسك ربانيًا، بالله صلتك وإليه نسبتك، ولأمر ما قال الله تبارك وتعالى: ﴿ **وَلَكِن كُونُوا رَبَّانِيِّينَ بِمَا كُنتُمْ تُعَلِّمُونَ الْكِتَابَ وَبِمَا كُنتُمْ تَدْرُسُونَ** ﴾(٤).

---

(١) سورة المنافقون: ٨.
(٢) سورة الحجرات: ١٣.
(٣) سورة النساء: ١٣٩.
(٤) سورة آل عمران: ٧٩.

أعظم مصادر القوة :

وفى النسبة إلى الحق تبارك وتعالى معنى آخر يدركه من التحق بهذه النسبة، ذلك هو الفيض الأعم من الإيمان، والثقة بالنجاح الذى يغمر قلبك ويملأ نفسك فلا تخش الناس جميعًا ولا ترهب العالم كله إن وقف أمامك يحاول أن ينال عقيدتك أو ينتقص من مبادئك:

﴿الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(١).

ولأمر ما كان الواحد من أولئك القلائل المؤمنين بالله وثقته وتأييده يقف أمام الجحفل اللجب والجيش اللهام، فلا يرهب صولته ولا يخشى أذاه لأنه لا يخشى أحدًا إلا الله، وأى شىء أعظم من تلك القوة التى تنسكب فى قلب الرجل المؤمن حين يجيش صدره بقول الله تعالى: ﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾(٢).

قوميتنا نسبة عالمية :

وهناك معنى من معانى السمو الاجتماعى فى انتساب الناس إلى الله تبارك وتعالى، ذلك هو تآخى الشعوب وتآزر الجماعات والقضاء على تلك المطامع التى توحى بها العصبية ويؤرِّث نيرانها بين الأمم التقاطع والتناكر، فمن للعالم بأن يجتمع بقوة حول راية الله... ؟

أحلام الأمس حقائق اليوم :

هذا كلام طال عهد المسلمين باستماعه فقد يكون غامضًا عليهم غير مفهوم لديهم. وقد يقول قائل: ما لهؤلاء الجماعة يكتبون فى هذه المعانى التى لا يمكن أن تتحقَّق، وما بالهم يسبحون فى جو الخيال والأحلام؟

على رسلكم أيها الإخوان فى الإسلام والملة، فإنَّ ما ترونه اليوم غامضًا بعيدًا كان عند أسلافكم بدهيًا قريبًا؛ ولن يثمر جهادكم حتى يكون كذلك عندكم،

---

(١) سورة آل عمران: ١٧٣.

(٢) سورة آل عمران: ١٦٠.

وصدقونى إن المسلمين الأولين فهموا من القرآن الكريم لأول ما قرءوه ونزل فيهم، ما ندلى به اليوم إليكم ونقصه عليكم.

وأصارحكم بأن عقيدة الإخوان المسلمين يحيون بها ويأملون الخير فيها ويموتون عليها، ويرون فيها كل ما تصبو إليه نفوسهم من متعة وجمال وإسعاد وحق: ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ﴾(١).

أيها الإخوان: إذا اتفقتم معنا على هذا الأساس فاعلموا أن انتسابكم إلى الله تبارك وتعالى يفرض عليكم أن تقدروا المهمة التى ألقاها على عاتقكم، وتنشطوا للعمل لها والتضحية فى سبيلها، فهل أنتم فاعلون؟

مهمة المسلم:

إن مهمة المسلم الحق لخصها الله تبارك وتعالى فى آية واحدة من كتابه، ورددها القرآن الكريم بعد ذلك فى عدة آيات، فأما تلك الآية التى اشتملت على مهمة المسلمين فى الحياة فهى قول الله تبارك وتعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ارْكَعُوا وَاسْجُدُوا وَاعْبُدُوا رَبَّكُمْ وَافْعَلُوا الْخَيْرَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٧٧﴾ وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَىٰ وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾(٢).

هذا كلام بيِّن لا لبس فيه ولا غموض، ووالله إن له لحلاوة وإن عليه لطلاوة، وإنه لواضح كالصبح ظاهر كالنور، يملأ الآذان ويدخل على القلوب بغير استئذان، أفلم يسمعه المسلمون قبل الآن؟ أم سمعوه ولكن على قلوبهم أقفالا فلا تعى ولا تتدبر؟

(١) سورة الحديد: ١٥.
(٢) سورة الحج: ٧٧، ٧٨.

يأمر الله المسلمين أن يركعوا ويسجدوا وأن يقيموا الصلاة التى هى لب العبادة وعمود الإسلام وأظهر مظاهره، وأن يعبدوا الله ولا يشركوا به شيئًا، وأن يفعلوا الخير ما استطاعوا. وهو حين يأمرهم بفعل الخير ينهاكم بذلك عن الشر، وإن من أول الخير أن تترك الشر، فما أوجز وما أبلغ! ورتب لهم على ذلك النجاح والفلاح والفوز وتلك هى المهمة الفردية لكل مسلم التى يجب عليه أن يقوم بها بنفسه فى خلوة أو جماعة.

حق الإنسانية :

ثم أمرهم بعد ذلك أن يجاهدوا فى الله حق جهاده بنشر هذه الدعوة وتعميمها بين الناس بالحجة والبرهان، فإن أبوا إلا العسف والجور والتمرد فبالسيف والسنان:

والناس إن ظلموا البرهان واعتسفوا فالحرب أجدى على الدنيا من السَّلَمِ

حراسة الحق بالقوة :

وما أحكم ذلك القائل: (القوة أضمن طريق لإحقاق الحق، وما أجمل أن تسير القوة والحق جنبًا إلى جنب)، فهذا الجهاد فى سبيل نشر الدعوة الإسلامية، فضلاً عن الاحتفاظ بمقدسات الإسلام، فريضة الله على المسلمين كما فرض عليهم الصوم والصلاة والحج والزكاة وفعل الخير وترك الشر، وألزمهم إياها وندبهم إليها، ولم يعذر فى ذلك أحدًا فيه قوة واستطاعة، وإنها لآية زاجرة رادعة وموعظة بالغة زاجرة:

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(١).

وقد كشف الله عن سر هذا التكليف وحكمة هذه الفريضة التى افترضها على المسلمين بعد هذا الأمر، فبين لهم أنه اجتباهم واختارهم واصطفاهم دون الناس ليكونوا سوَّاس خلقه وأمناءه على شريعته وخلفاءه فى أرضه، وورثة رسوله -ﷺ- فى دعوته؛ ومهد لهم الدين وأحكم التشريع وسهل الأحكام وجعلها من

---

(١) سورة التوبة: ٤١.

الصلاحيــة لكل زمان ومكان بحيث يتقبلها العالم، وترى فيـها الإنسانية أمنيـتها المرجوة وأملها المنتظر: ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِّلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِن قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾(١)، وتلك هى المهمة الاجتماعـية التى ندب الله إليها المسلمين جميعًـا، أن يكونوا صفًا واحدًا وكتلة وقـوة، وأن يكونوا هم جيش الخلاص الذى ينقذ الإنسانية ويهديها سواء السبيل.

رهبان بالليل وفرسان بالنهـار:

ثم أوضح الحق تبـارك وتعـالى للناس بعـد ذلك الرابطة بيـن التكاليف من صلاة وصـوم بالتكاليف الاجـتمـاعيـة وأن الأولى وسيلة للثـانية، وأن الـعقـيدة الصحيحة أسـاسهما معًا، حتى لا يكون لأناس مندوحة عن القـعود عن فرائضهم الفردية بحجة أنهم يعملون للمجموع، وحتى لا يكون لآخرين مندوحة عن القعود عن العمل للمجموع بحجة أنهم مشغولون بعبادتهم مستغرقون فى صلتهم بربهم، فما أدق وما أحكم ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ حَدِيثًا﴾(٢).

أيهـا المسلمون، عـبادة ربكم والجـهاد فى سـبيـل التمكين لدينكم وإعـزاز شريعتكـم هى مهمتكم فى الحيـاة، فإن أديتموها حق الأداء فـأنتم الفائزون، وإن أديتم بعـضهـا أو أهملتـموها جـمـيعًـا فإليكم أسـوق قـول الله تبارك وتعـالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ﴾(٣).

لهذا المعنى جـاء فى أوصاف أصـحاب محـمد -ﷺ- وهـم صفوة الله من خلقه والسلف الصالح مـن عباده: «رهبان بالليل فرسـان بالنهار» ترى أحدهم فى ليله ماثلاً فى محرابه قابضًا على لحـيته يتململ تململ السليم ويبكى بكاء الحزين، ويقول: «يا دنيـا غرى غيرى» فـإذا انفلق الصباح ودوى النفيـر يدعـو المجاهدين، رأيته رئبالاً على صهوة جواده، يزأر الزأرة فتدوى لها جنبات الميدان.

(١) سورة الحج: ٧٨.
(٢) سورة النساء: ٨٧.
(٣) سورة المؤمنون: ١١٥، ١١٦.

بالله ما هذا التناسق العجيب والتزاوج الغريب والمزج الفريد بين عمل الدنيا ومهامها وشئون الآخرة وروحانيتها؟ ولكنه الإسلام الذى جمع من كل شىء أحسنه.

استعمار الأستاذية والإصلاح :

ولهذا المعنى أيها المسلمون نفر المسلمون، بعد أن اختار نبيه -ﷺ- الرفيق الأعلى، فى أقطار الأرض. قرآنه فى صدورهم ومساكنهم على سروجهم وسيوفهم بأيديهم، حجتهم واضحة على أطراف ألسنتهم يدعون الناس إلى إحدى ثلاث: الإسلام أو الجزية أو القتال. فمن أسلم فهو أخوهم له ما لهم وعليه ما عليهم، ومن أدى الجزية فهو فى ذمتهم وعهدهم يقومون بحقه ويرعون عهده ويوفون له بشرطه، ومن أبى جالدوه حتى يظهرهم الله عليه: ﴿ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ ﴾(١).

ما فعلوا ذلك لسلطان، فزهادتهم فى الجاه والشهرة معروفة عند الخاص والعام؛ ولقد قضى دينهم على تلك المظاهر الزائفة التى يستمتع بها أقوام على حساب آخرين، فكان خليفتهم كأحدهم، يفرض له من المال والعطاء ما لرجل منهم ليس بأفضلهم ولا أدركهم، لا تميزه إلا بما أفاض الله عليه من جلال الإيمان وهيبة اليقين. ولم يكن ذلك لمال، فحسب أحدهم كسرة يرد بها جوعته وجرعة يطفئ بها ظمأته، والصوم لديهم قربة، والجوع أحب عندهم من الشبع، وحظ أحدهم من الملبس ما يستر به عورته، وكتابهم يناديهم بقول الله تعالى:

﴿ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ ﴾(٢).

ونبيهم يقول لهم: **«تعس عبد الدينار، تعس عبد الدرهم، تعس عبد القطيفة»**.

إذن لم يكن مخرجهم من ديارهم لجاه أو مال أو سلطة أو استعمار أو استبداد، وإنما كان لأداء رسالة خاصة هى رسالة نبيهم -ﷺ- التى تركها أمانة بين

(١) سورة التوبة : ٣٢.
(٢) سورة محمد : ١٢.

أيديهم، وأمرهم أن يـجاهدوا فى سبـيلها: ﴿حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾(١).

آن لنا أن نتفهم:

كـان المسلمون يفـهمـون هذا قديمًـا ويعملون لـه ويحملهم إيمـانهم على التضـحية فى سـبيله، أمـا فى هذه الأيام فقد تفـرق المسلمون فى فـهم مهمـتهم واتخذوا من التأويل والتعطيل سنادًا للقعـود والكسل، فمن قائل يقول لك: مضى وقت الجهاد والعـمل. وآخر يثبط همتك بأن الوسـائل معدومة والأمم الإسـلامية مقيدة، وثالث رضى من دينه بكلمات يلوكها لسـانه صباح مساء، وقنع من عبادته بركعات يؤديها وقلبه هواء.

لا لا أيها الإخوان، القرآن بينكم يناديكم بوضوح وجلاء:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ﴾(٢).

وأما السنة فـيقـول لكم الرسول -ﷺ-: «**إذا ضن الناس بالدينار والدرهم وتبايعـوا بالعينة وتبعـوا أذناب البقر وتركوا الجـهاد فى سبـيل الله، أدخل الله تعالى عليـهم ذلاً لا يرفعـه عنهم حـتى يراجعـوا دينهم**» رواه الإمام أحـمد فى مـسنده، والطبرانى فى الكبير والبيهقى فى شعب الإيمان عن عبدالله بن عمر.

وأنـتـم تـقـرءون فـى كتـب الفقه ما ألف منهـا قديمًا أو حديثًـا متى يكون الجـهـاد فرض كـفاية ومتى يكون فرض عـين، وتعلمون حقـائق ذلك ومعناه حق الـعـلـم. فما هـذا الخمول الذى ضرب بجرانه؟ ومـا هذا اليأس الذى قبض على الـقـلـوب فـلا تعى ولا تفيق؟ هذا أيها المسلمـون عصر التكوين فـكوِّنوا أنفسكم وبذلك تتكون أمتكم.

إن هذه الفريضة تحتاج منكم نفوسًا مؤمنة وقلوبًا سليمة، فاعملوا على تقوية إيمانكم وسلامة صـدوركم، وتحتاج منكم تضحية بالمال والجهود فـاستعدوا لذلك

---

(١) سورة الأنفال: ٣٩.

(٢) سورة الحجرات: ١٥.

فإن ما عندكم ينفد وما عند الله باق، وإن الله اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم بأن لهم جنة عرضها السموات والأرض.

من أيـن نبدأ:

إن تكوين الأمم وتربية الشعـوب وتحقيق الآمال ومناصرة المبـادئ تحتاج من الأمة التى تحاول هذا أو من الفئة التى تدعو إليـه على الأقل إلى قوة نفسية عظيمة تتمثل فى عدة أمور: إرادة قوية لا يتطرق إليـها ضعف، ووفاء ثابت لا يعدو عليه تلون ولا غدر، وتضـحية عـزيزة لا يحول دونها طـمع ولا بخل، ومعرفـة بالمبدأ وإيمان به وتقدير له، يعصم من الخطأ فيه والانحراف عنه والمساومة عليه والخديعة بغيـره. على هذه الأركان الأولية التى هـى من خصوص النفـوس وحدها، وعلى هذه القوة الروحية الهائلة تبنى المبادئ وتتربى الأمم الناهضة وتتكون الشعوب الفتية وتتجدد الحياة فيمن حرموا الحياة زمنًا طويلاً.

وكل شـعب فقـد هذه الصفـات الأربع أو على الأقل فقـدها قواده ودعـاة الإصلاح فـيه، فـهو شعب عـابث مسكين، لا يصل إلى خـير ولا يحـقق أملاً. وحسـبه أن يعـيش فى جو من الأحـلام والظنون والأوهام: ﴿**إِنَّ الظَّنَّ لا يُغْنِي مِنَ الْحَقِّ شَيْئًا**﴾(١).

هذا هو قانون الله تبارك وتعالى وسنته فى خلقه ولن تجد لسنة الله تبديلاً: ﴿**إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ**﴾(٢).

وهـو أيضًـا الـقـانـون الذى عبـر عنه النبى -ﷺ- فى الحديث الـشريف الـذى رواه أبـو داود: «**يوشكُ الأمم أن تداعـى عليكم كـمـا تداعـى الأَكَلَةُ إلى قصـعـتـها**» فقال قائل: ومنَ قلة نحن يومئذ؟ قال: «**بل أنتم يومئذ كثير، ولكنكم غُثاء كغُثـاء الـسيـل، ولـيَـنْـزعَنَّ الله مـن صدُور عدوِّكم المهـابة منكم، وليقذفَنَّ فى قلوبكم الوهْن**» فـقال قـائل: يا رسـول الله وما الوهْن؟ قـال: «**حبُّ الدنيـا وكراهية الموت**».

أَوَلستَ تراه -ﷺ- قـد بيَّن أن سـبب ضعف الأمم وذلة الـشعـوب وهْنُ

---

(١) سورة يونس: ٣٦.
(٢) سورة الرعد: ٣٠.

نفوسها وضعفُ قلوبها وخلاء أفئدتها من الأخلاق الفاضلة وصفات الرجولة الصحيحة، وإن كثر عددها وزادت خيراتها وثمراتها.

وإن الأمة إذا رتعت فى النعيم وأنست بالترف وغرقت فى أعراض المادة وافتتنت بزهرة الحياة الدنيا، ونسيت احتمال الشدائد ومقارعة الخطوب والمجاهدة فى سبيل الحق، فقل على عزتها وآمالها العفاء.

بين القوتين:

يظن كثير من الناس أن الشرق تعوزه القوة المادية من المال والعتاد وآلات الحرب والكفاح لينهض ويسابق الأمم التى سلبت حقه وهضمت أهله. ذلك صحيح ومهم، ولكن أهم منه وألزم: القوة الروحية من الخلق الفاضل والنفس النبيلة والإيمان بالحقوق ومعرفتها والإرادة الماضية، والتضحية فى سبيل الواجب والوفاء الذى تنبنى عليه الثقة والوحدة، وعنهما تكون القوة.

لو آمن الشرق بحقه وغيَّر من نفسه واعتنى بقوة الروح وعنى بتقويم الأخلاق، لأتته وسائل القوة المادية من كل جانب، وعند صحائف التاريخ الخبر اليقين.

يعتقد الإخوان المسلمون هذا تمام الاعتقاد، وهم لهذا دائبون فى تطهير أرواحهم وتقوية نفوسهم وتقويم أخلاقهم، وهم لهذا يجاهدون بدعوتهم ويريدون الناس على مبادئهم ويطالبون الأمة بإصلاح النفوس وتقويم الأخلاق.

وهم لم يبتدعوا ذلك ابتداعًا شأنهم فى كل ما يقولون، ولكنهم يستمدونه من القاموس الأعظم والبحر الخضم والدستور المحكم والمرجع الأعلى، ذلك هو كتاب الله تبارك وتعالى، وقد سمعت من قبل تلك المادة الخالدة من ذلكم القانون:

﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(١).

---

(١) سورة الرعد: ٣٠.

ولقد كشف القرآن عن هذا المعنى فى كثير من آياته، بل إنه ضرب لنا مثلاً تطبيقيًا خالدًا واضحًا كل الوضوح صادقًا كل الصدق فى قصة بنى إسرائيل، تلك القصة الرائعة التى ترسم لكل أمة يائسة طريق التكوين.

المنهاج واضح:

يعتقد الإخوان المسلمون أن الله تبارك وتعالى حين أنزل القرآن وأمر عباده أن يتبعوا محمدًا -ﷺ- ورضى لهم الإسلام دينًا، وضع فى هذا الدين القويم كل الأصول اللازمة لحياة الأمم ونهضتها وإسعادها، وذلك مصداق قول الله تبارك وتعالى:

﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾[1].

ومصداق قول الرسول -ﷺ- فى الحديث الشريف ما معناه: **«والله ما تركت من شر إلا ونهيتكم عنه»**.

وأنت إذا أمعنت النظر فى تعاليم الإسلام وجدته قد وضع أصح القواعد وأنسب النظم وأدق القوانين لحياة الفرد رجلاً وامرأة، وحياة الأسرة فى تكوينها وانحلالها، وحياة الأمم فى نشوئها وقوتها وضعفها، وحلل الفكر التى وقف أمامها المصلحون وقادة الأمم.

فالعالمية والقومية والاشتراكية والرأسمالية والبلشفية والحرب وتوزيع الثروة، والصلة بين المنتج والمستهلك، وما يمت بصلة قريبة أو بعيدة إلى هذه البحوث التى تشغل بال ساسة الأمم وفلاسفة الاجتماع، كل هذه نعتقد أن الإسلام خاض فى لبها، ووضع للعالم النظم التى تكفل له الانتفاع بما فيها من محاسن، وتجنب ما تستتبعه من خطر وويلات. وليس ذلك مقام تفصيل هذا المقال، فإنما نقول ما نعتقد ونبين للناس ما ندعوهم إليه، ولنا بعد ذلك جولات نفصل فيها ما نقوله.

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.

لابد من أن نتبع :

وإذا كان الإخوان المسلمون يعتقدون ذلك فهم يطالبون الناس بأن يعملوا على أن تكون قواعد الإسلام الأصول التى تبنى عليها نهضة الشرق الحديث فى كل شأن من شئون الحياة. ويعتقدون أن كل مظهر من مظاهر النهضة يتنافى مع قواعد الإسلام ويصطدم بأحكام القرآن فهو تجربة فاسدة فاشلة، ستخرج منها الأمة بتضحيات كبيرة فى غير فائدة، فخير للأمم التى تريد النهوض أن تسلك إليه أخصر الطرق باتباعها أحكام الإسلام.

والإخوان المسلمون لا يختصُّون بهذه الدعوة قطرًا دون قطر من الأقطار الإسلامية، ولكنهم يرسلونها صيحة يرجون أن تصل إلى آذان القادة والزعماء فى كل قطر يدين أبناؤه بدين الإسلام. وإنهم لينتهزون لذلك هذه الفرصة التى تتحد فيها الأقطار الإسلامية وتحاول بناء مستقبلها على دعائم ثابتة من أصول الرقى والتقدم والعمران.

احذروا الانحراف :

وإن أكبر ما يخشاه الإخوان المسلمون أن تندفع الشعوب الشرقية الإسلامية فى تيار التقليد، فترقِّع نهضاتها بتلك النظم البالية التى انتقضت على نفسها وأثبتت التجربة فسادها وعدم صلاحيتها. إن لكل أمة من أمم الإسلام دستورًا عامًا فيجب أن تستمد مواد دستورها العام من أحكام القرآن الكريم، وإن الأمة التى تقول فى أول مادة من مواد دستورها: إن دينها الرسمى الإسلام، يجب أن تضع بقية المواد على أساس هذه القاعدة، وكل مادة لا يسيغها الإسلام ولا تجيزها أحكامه يجب أن تحذف حتى لا يظهر التناقض فى القانون الأساسى للدولة.

أصلحوا القانون :

وإن لكل أمة قانونًا يتحاكم إليه أبناؤها، وهذا القانون يجب أن يكون مستمدًا من أحكام الشريعة الإسلامية مأخوذًا من القرآن الكريم متفقًا مع أصول الفقه الإسلامى. وإن فى الشريعة الإسلامية وفيما وضعه المشترعون المسلمون ما يسد الثغرة ويفى بالحاجة وينقع الغلة، ويؤدى إلى أفضل النتائج

وأبرك الثمرات. وإن فى حدود الله لو نفذت لزاجراً يردع المجرم وإن اعتاد الإجرام، ويكف العادى وإن تأصل فى نفسه العدوان، ويريح الحكومات من عناء التجارب الفاشلة، والتجربة تثبت ذلك وتؤيده، وأصول التشريع الحديث تنادى به وتدعمه، والله تبارك وتعالى يفرضه ويوجبه: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(١).

أصلحوا مظهر الاجتماع:

وإن فى كل أمة مظاهر من الحياة الاجتماعية تشرف عليها الحكومات وينظمها القانون وتحميها السلطات، فعلى كل أمة شرقية إسلامية أن تعمل على أن تكون كل هذه المظاهر مما يتفق وآداب الدين ويساير تشريع الإسلام وأوامره. إن البغاء الرسمى لطخة عار فى جبين كل أمة تقدِّر الفضيلة، فما بالك بالأمم الإسلامية التى يفرض عليها دينها محاربة البغاء والضرب على يد الزناة بشدة:

﴿وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ﴾(٢).

إن حانات الخمر فى أظهر شوارع المدن وأبرز أحيائها، وتلك اللوحات الطويلة العريضة عن المشروبات الروحية، وهذه الإعلانات الظاهرة الواضحة عن أم الخبائث مظاهر يأباها الدين، ويحرمها القرآن الكريم أشد التحريم.

حاربوا الإباحية:

وإن هذه الإباحية المغرية والمتعة الفاتنة واللهو العابث فى الشوارع والمجامع والمصايف والمرابع، يناقض ما أوصى الإسلام باتباعه من عفة وشهامة وإباء وانصراف إلى الجد وابتعاد عن الإسفاف.

«إن الله يحب معالى الأمور ويكره سفسافها».

---

(١) سورة المائدة : ٤٤.

(٢) سورة النور: ٣.

فكل هذه المظاهر وأشباهها، على الأمم الإسلامية أن تبذل فى محاربتها ومناهضتها كل ما فى وسع سلطانها وقوانينها من طاقة ومجهود، لا تنى فى ذلك ولا تتواكل.

نظموا التعليم:

وإن لكل أمة وشعب إسلامى سياسة فى التعليم وتخريج الناشئة وبناء رجال المستقبل، الذين تتوقف عليهم حياة الأمة الجديدة، فيجب أن تبنى هذه السياسة على أصول حكيمة تضمن للناشئين مناعة دينية وحصانة خلقية، ومعرفة بأحكام دينهم، واعتداداً بمجده الغابر وحضارته الواسعة.

هذا قليل من كثير من الأصول التى يريد الإخوان المسلمون أن ترعاها الأمم الإسلامية فى بناء النهضة الحديثة، وهم يوجهون دعوتهم هذه إلى كل المسلمين شعوبًا وحكومات. ووسيلتهم فى الوصول إلى تحقيق هذه الغايات الإسلامية السامية وسيلة واحدة: أن يبينوا ما فيها من مزية وإحكام، حتى إذا ذكر الناس ذلك واقتنعوا بفائدته أنتج ذلك عملهم له ونزولهم على حكمه: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾(١).

انتفعوا بإخاء إخوانكم:

ينادى الإسلام أبناءه ومتبعيه فيقول لهم:

﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾(٢).

ويقول القرآن الكريم فى آية أخرى:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٣) وفى آية أخرى: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾(٤).

---

(١) سورة يوسف: ١٠٨.
(٢) سورة آل عمران: ١٠٣.
(٣) سورة الحجرات: ١٠.
(٤) سورة التوبة: ٧١.

ويقول النبى الكريم -ﷺ-: «وكونوا عباد الله إخوانًا» وكذلك فهم المسلمون الأولون -رضوان الله عليهم- من الإسلام هذا المعنى الأخوى، وأملت عليهم عقيدتهم فى دين الله أخلد عواطف الحب والتآلف، وأنبل مظاهر الأخوة والتعارف، فكانوا رجلاً واحدًا وقلبًا واحدًا ويدًا واحدة، حتى امتن الله بذلك فى كتابه فقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ﴾(١).

تطبيق:

وإن ذلك المهاجر الذى كان يترك أهله، ويفارق أرضه فى مكة ويفر بدينه، كان يجد أمامه أبناء الإسلام من فتيان يثرب ينتظرون وكلهم شوق إليه وحب له وسرور بمقدمه، وما كان لهم سابق معرفة ولا قديم صلة، وما ربطهم به وشيجة من صهر أو عمومة، وما دفعتهم إليه غاية أو منفعة. وإنما هى عقيدة الإسلام جعلتهم يحنون إليه ويتصلون به، ويعدونه جزءًا من أنفسهم، وشقيقًا لأرواحهم، وما هو إلا أن يصل المسجد حتى يلتف حوله الغر الميامين من الأوس والخزرج، كلهم يدعوه إلى بيته ويؤثره على نفسه ويفديه بروحه وعياله، ويتشبث بمطلبه هذا حتى يؤول الأمر إلى الاقتراع، حتى روى الإمام البخارى ما معناه: «ما نزل مهاجرى على أنصارى إلا بقرعة».

وحتى خلد القرآن للأنصار ذلك الفضل أبد الدهر، فما زال يبدو غرة مشرقة فى جبين السنين فى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٢).

وعلى هذا درج أبناء الإسلام وخص الرعيل الأول ممن وجدت بين نفوسهم الأخوة الإيمانية، لا فرق بين مهاجرهم وأنصاريهم، ولا بين مكيهم ويمنيهم، حتى أثنى الرسول الكريم على الأشاعرة من أهل اليمن بقوله -ﷺ- ما معناه:

---

(١) سورة الأنفال: ٦٣.

(٢) سور الحشر: ٩.

«نعم القوم الأشعريون، إذا جهدوا فى سفر أو حضر جمعوا ما عندهم فوضعوه فى مزادتهم ثم قسموه بينهم بالسوية».

وأنت إذا قرأت القرآن الكريم، وأحاديث النبى العظيم -ﷺ-، وطالعت سير الغر الميامين من أبناء هذا الدين، رأيت من ذلك ما يقر عينيك ويملأ سمعك وقلبك.

أخوة تعلن الإنسانية :

ولقد أثمرت هذه العقيدة ثمرتين لابد لنا من أن نجنيهما ونتحدث إليك عما فيهما من حلاوة ولذة وخير وفائدة، فأما الأولى منهما فقد أنتجت هذه العقيدة أن الاستعمار الإسلامى لم يشبهه استعمار فى التاريخ أبدًا، لا فى غايته ولا فى مسالكه وإدارته ولا فى نتائجه وفائدته، فإن المستعمر المسلم إنما كان يفتح الأرض حين يفتحها ليُعلى فيها كلمة الحق، وينير أفقها بسنة القرآن الكريم، فإذا أشرقت على نفوس أهلها شمس الهداية المحمدية فقد زالت الفوارق ومحيت المظالم، وشملها العدل والإنصاف والحب والإخاء، ولم يكن هناك فاتح غالب وخصم مغلوب، ولكن إخوان متحابون متآلفون، ومن هنا تذوب فكرة القومية، وتنجاب كما ينجاب الثلج سقطت عليه أشعة الشمس قوية مشرقة أمامَ فكرة الأخوة الإسلامية التى يبثها القرآن فى نفوس من يتبعونه جميعًا.

إن ذلك الفاتح المسلم قبل أن يغزو من غزا، ويغلب من غلب، قد باع نفسه وأهله، وتجرد من عصبيته وقوميته فى سبيل الله، فهو لا يغزو لعصبية ولا يغلب لقومية ولا ينتصر لجنسية، ولكنه يعمل حين يعمل (لله) ولله وحده لا شريك له؛ وإن أروع ما أثر من الإخلاص فى الغاية، وتجريد النفس من الهوى ما جاء فى الحديث الشريف ما معناه أن رجلاً جاء إلى النبى -ﷺ- فقال: يا رسول الله، إنى أحب أن أجاهد فى سبيل الله، وأحب أن يُرى موقفى، فسكت النبى -ﷺ- ولم يجبه، فنزلت الآية الكريمة:

﴿فَمَن كَانَ يَرْجُو لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلاً صَالِحًا وَلا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾(١).

---

(١) سورة الكهف: ١١٠.

أرأيت كيف اعتبر الإسلام تطلع هذا الشخص إلى الثناء والمدح وهما من طبائع النفوس شركا خفيا يجب أن يتنزه عنه ويسمو بشرف الغاية النبيلة عنه؟ وهل هناك أخلص من أن ينسى الإنسان نفسه فى سبيل غايته؟ وهل تظن أن رجلا يشترط عليه دينه أن يتجرد من نفسه ويكبت عواطفها وميولها وأهواءها حتى يكون جهاده خالصًا لله وحده، يفكر بعد هذا فى أن يجاهد لعصبية أو يغزو لجنس أو قومية؟ اللهم لا.

إن ذلك المغلوب الذى شاء له القدر أن يسعد بالإسلام ويهتدى بهديه، ما ترك بلده وأرضه لأجنبى عنه يتحكم فيها ويسخره تسخير العبد الذليل، ويستأثر دونه بخيراتها، ولكنه ترك ما ترك لأنه يخلطه بنفسه ويمزجه بروحه ويناديه بإخلاص: لك ما لنا وعليك ما علينا، وكتاب الله تبارك وتعالى يفصل بيننا، فكلاهما فنى فى غايته وضحى فى سبيل مبدئه، وترك ما ترك ليعم الإنسانية نور الله، وتسطع عليها شمس القرآن الكريم، وفى ذلك تمام إسعادها وكمال رقيها لو كانوا يعلمون.

أفق الوطن الإسلامى:

أما الثمرة الثانية فإن الأخوة الإسلامية جعلت كل مسلم يعتقد أن كل شبر من الأرض، فيه أخ يدين بدين القرآن الكريم، قطعة من الأرض الإسلامية العامة التى يفرض الإسلام على كل أبنائه أن يعملوا لحمايتها وإسعادها، فكان من ذلك أن اتسع أفق الوطن الإسلامى وسما عن حدود الوطنية الجغرافية والوطنية الدموية إلى وطنية المبادئ السامية والعقائد الخالصة الصحيحة، والحقائق التى جعلها الله للعالم هدى ونورًا، والإسلام حين يُشعر أبناءه بهذا المعنى ويقرره فى نفوسهم يفرض عليهم فريضة لازمة لحماية أرض الإسلام من عدوان المعتدين، وتخليصها من غصب الغاصبين، وتحصينها من مطامع المعتدين.

طريق طويلة:

أرجو أن تكون هذه الكلمات المتتاليات فى بيان دعوة الإخوان المسلمين قد كشفت للقراء الكرام عن غايتهم، وأبانت لهم ولو إلى حد ما عن مناهجهم فى

السير إلى هذه الغاية، وقد تحدثت من قبل إلى كثير من إخواننا الغيورين على الإسلام ومجده حديثًا طويلاً هو أشبه بهذه الكلمات التى رآها القراء تحت عنوان: «إلى أى شىء ندعو الناس».

ولقد أصغى إلىَّ من حدثتهم إصغاء مشكورًا، وكنا نتفهم القول تباعًا أولاً فأولاً، حتى خرجنا من المحادثة مقتنعين تمامًا بشرف الغاية ونجاح الوسيلة، وكم كانت دهشتى عظيمة حين رأيت منهم شبه إجماع على أن هذه السبيل مع التسليم بنجاحها طويلة، وأن التيارات الجارفة الهدامة فى البلد قوية، مما يجعل اليأس يدب إلى القلوب والقنوط يستولى على النفوس، وحتى لا يجد القراء الكرام فى أنفسهم هذا الشعور الذى وجده أولئك المتحدثون من قبل، أحببت أن تكون هذه الكلمة مفعمة بالأمل، فياضة باليقين فى النجاح إن شاء الله، ولله الأمر من قبل ومن بعد، وسأحصر الموضوع فى نظرتين إيجابيتين:

نظرة فلسفية اجتماعية:

يقول علماء الاجتماع إن حقائق اليوم هى أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد. وتلك نظرة يؤيدها الواقع ويعززها الدليل والبرهان، بل هى محور تقدم الإنسانية وتدرجها مدارج الكمال، فمن ذا الذى كان يصدق أن يصل العلماء إلى ما وصلوا إليه من المكتشفات والمخترعات قبل حدوثها ببضع سنين، بل إن أساطين العلم أنفسهم أنكروها لأول عهدهم بها، حتى أثبتها الواقع وأيدها البرهان. والمثل على ذلك كثيرة، وهى من البداهة بحيث يكفينا ذلك عن الإطالة بذكرها.

نظرة تاريخية:

إن نهضات الأمم جميعها إنما بدأت على حال من الضعف يخيل للناظر إليها أن وصولها إلى ما تبغى ضرب من المحال. ومع هذا الخيال فقد حدثنا التاريخ أن الصبر والثبات والحكمة والأناة وصلت بهذه النهضات الضعيفة النشأة القليلة الوسائل إلى ذروة ما يرجو القائمون بها من توفيق ونجاح. ومن ذا الذى كان

يصدِّق أن الجزيرة العربية وهى تلك الصحراء الجافة المجدبة تنبت النور والعرفان، وتسيطر بنفوذ أبنائها الروحى والسياسى على أعظم دول العالم؟ ومن ذا الذى كان يظن أن أبا بكر وهو ذلك القلب الرقيق اللين، وقد انتقض الناس عليه وحار أنصاره فى أمرهم، يستطيع أن يُخرج فى يوم واحد أحد عشر جيشًا تقمع العصاة وتقيم المعوج، وتؤدب الطاغى وتنتقم من المرتدين، وتستخلص حق الله فى الزكاة من المانعين؟ ومن ذا الذى كان يصدق أن هذه الشيعة الضئيلة المستترة من بنى علىٍّ والعباس تستطيع أن تقلب ذلك الملك القوى الواسع الأكناف ما بين عشية أو ضحاها، وهى ما كانت يومًا من الأيام إلا عرضة للقتل والتشريد والنفى والتهديد؟ ومن ذا الذى كان يظن أن صلاح الدين الأيوبى يقف الأعوام الطوال، فيرد ملوك أوروبا على أعقابهم مدحورين، مع توافر عددهم وتظاهر جيوشهم، حتى اجتمع عليه خمسة وعشرون ملكًا من ملوكهم الأكابر؟

ذلك فى التاريخ القديم. وفى التاريخ الحديث أروع المثل على ذلك، فمن كان يظن أن الملك عبدالعزيز آل سعود وقد نفيت أسرته وشرد أهله وسلب ملكه يسترد هذا الملك ببضعة وعشرين رجلاً، ثم يكون بعد ذلك أملا من آمال العالم الإسلامى فى إعادة مجده وإحياء وحدته؟ ومن كان يصدق أن ذلك العامل الألمانى (هتلر) يصل إلى ما وصل إليه من قوة النفوذ ونجاح الغاية؟

هل هناك طريق أخرى:

وثم نظرتان سلبيتان تحدثان النتيجة بعينها، وتوجهان قلب الغيور إلى العمل توجيهًا قويًا صحيحًا. أولاهما: إن هذه الطريق مهما طالت فليس هناك غيرها فى بناء النهضات بناء صحيحًا وقد أثبتت التجربة صحة هذه النظرية.

الواجب أولاً:

وثانيتهما أن العامل يعمل لأداء الواجب أولاً، ثم للأجر الأخروى ثانيًا، ثم للإفادة ثالثًا، وهو إن عمل فقد أدى الواجب، وفاز بثواب الله ما فى ذلك من شك، حتى توفرت شروطه، وبقيت الإفادة وأمرها إلى الله، فقد تأتى فرصة لم تكن فى حسابه تجعل عمله يأتى بأبرك الثمرات، على حين أنه إذا قعد عن العمل

فقد لزمه إثم التقصير، وضاع منه أجر الجهاد وحرم الإفادة قطعًا فأى الفريقين خير مقاما وأحسن نديًا؟ وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك فى صراحة ووضوح فى الآية الكريمة: ﴿لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا اللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ﴾(١).

قصة أمة تتكون

ضعف:

نحن الآن أمام جبار متكبر يستعبد عباد الله ويستضعفهم ويتخذهم خدمًا وحشمًا وعبيدًا وخولاً، وبين شعب من الشعوب الكريمة المجيدة استعبده ذلك الطاغية الجبار، ثم أراد الله تبارك وتعالى أن يعيد لهذا الشعب المجيد حريته المسلوبة وكرامته المغصوبة ومجده الضائع وعزه البائد، فكان أول شعاع من فجر حرية هذا الشعب إشراق شمس زعيمه العظيم (موسى) على الوجود طفلاً رضيعًا: ﴿نَتْلُو عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَىٰ وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٣﴾ إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلَا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ ﴿٤﴾ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ﴿٥﴾ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ﴾(٢).

زعامة:

ونحن بعد هذا أمام هذا الزعيم وقد بلغ أشده واستوى، وتولته العناية الإلهية بعد أن أنفت نفسه الظلم وعافت الضيم، ففر بنفسه وهرب بحريته، حيث اصطنعه الله لنفسه وحمله عبء رسالته، وأسند إليه خلاص شعبه؛ فآب مملوءًا بالإيمان مؤيدًا باليقين، يواجه ذلك الجبار فيطلب إليه أن يعيد إلى شعبه حريته ويترك له كرامته ويؤمن به ويتبعه. وما أروع ذلك التهكم المر اللاذع حين يحكى

---

(١) سورة الأعراف: ١٦٤، ١٦٥.

(٢) سورة القصص: ٣ - ٦.

القرآن الكريم قول الرسول العظيم: ﴿وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدتَّ بَنِي إِسْرَائِيلَ﴾(١)، أيها الجبار المتحكم فى عباد الله لا عبادك، هل من النعمة التى تذكرنى بها والجميل الذى تسديه إلى أن تستعبد شعبى وتحقر أمتى وتمتهن قومى؟ إنها صيحة الحق دوت من فم النبى الكريم فزلزلت عرش الجبار وهزت ملكه: ﴿فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولا إِنَّا رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿١٦﴾ أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ ﴿١٧﴾ قَالَ أَلَمْ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدًا وَلَبِثْتَ فِينَا مِنْ عُمُرِكَ سِنِينَ ﴿١٨﴾ وَفَعَلْتَ فَعْلَتَكَ الَّتِي فَعَلْتَ وَأَنتَ مِنَ الْكَافِرِينَ ﴿١٩﴾ قَالَ فَعَلْتُهَا إِذًا وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ ﴿٢٠﴾ فَفَرَرْتُ مِنكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّي حُكْمًا وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ﴾(٢).

صراع:

ونحن الآن نشهد غضبة القوة على الحق كيف تثور عليه وتنتقم منه وتعذب أهله وتقهر مناصريه، ثم كيف يصبر أهل الحق على كل ذلك، وكيف يعللهم رؤساؤهم بالآمال الحلوة والأمانى العذبة حتى لا يجد الخور إلى نفوسهم سبيلاً: ﴿وَقَالَ الْمَلأُ مِن قَوْمِ فِرْعَوْنَ أَتَذَرُ مُوسَىٰ وَقَوْمَهُ لِيُفْسِدُوا فِي الأَرْضِ وَيَذَرَكَ وَآلِهَتَكَ قَالَ سَنُقَتِّلُ أَبْنَاءَهُمْ وَنَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ وَإِنَّا فَوْقَهُمْ قَاهِرُونَ ﴿١٢٧﴾ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ اسْتَعِينُوا بِاللَّهِ وَاصْبِرُوا إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٣).

إيمان:

وما أروع أن نشهد ذلك النموذج الخالد من الثبات والصبر، والاستمساك بعروة الحق، والاستهانة بكل شىء حتى الحياة فى سبيل الإيمان والعقيدة من أتباع هذا الزعيم الذين آمنوا بدعوته، وقد تحدوا هذا الجبار فى استهانة واستماتة: ﴿فَاقْضِ مَا أَنتَ قَاضٍ إِنَّمَا تَقْضِي هَٰذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا ﴿٧٢﴾ إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السِّحْرِ وَاللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ﴾(٤).

---

(١) سورة الشعراء: ٢٢.

(٢) سورة الشعراء: ١٦ - ٢١.

(٣) سورة الأعراف: ١٢٧، ١٢٨.

(٤) سورة طه: ٧٢، ٧٣.

انتصار :

فإذا رأينا كل ذلك رأينا عاقبته فى القسم الخامس وما أدراك ما هى؟ فوز وفلاح وانتصار ونجاح وبشرى تزف إلى المهضومين، وأمل يتحقق للحالمين، وصيحة الحق المبين تدوِّى فى آفاق الأرض: ﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ﴾(١).

(١) سورة طه : ٨٠ .

نحو النور

تقدمة

فى رجب من سنة ١٣٦٦ الهجرية بعث الإمام الشهيد حسن البنّا، المرشد العام للإخوان المسلمين، بهذا الخطاب إلى الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان، وإلى مصطفى النحاس (باشا) رئيس حكومتها حينذاك، وإلى ملوك وأُمراء وحكام بلدان العالم الإسلامى المختلفة؛ كما بعث به كذلك إلى عدد عظيم من كبار البارزين فى هذه البلدان من ذوى الصفات الدينية والدنيوية. وها نحن أولاء نعيد طبعه وتوزيعه الآن، فلا زالت كثير من النظرات التى تضمنها والتوجيهات التى اشتمل عليها أمنية عزيزة لكل عربى ولكل مسلم، نسأل الله تحقيقها.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. ﴿رَبَّنَا آتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا﴾(١)، القاهرة عاصمة الديار المصرية فى رجب الفرد ١٣٦٦هـ.

حضرة صاحب ...

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

وبعد، فإنما حملنا على التقدم بهذه الرسالة إلى مقامكم الرفيع رغبة أكيدة فى توجيه الأمة التى استرعاكم الله أمرها، ووكل إليكم شأنها فى عهدها الجديد، توجيهًا صالحًا يقيمها على أفضل المسالك ويرسم لها خير المناهج ويقيها التزلزل والاضطراب ويجنبها التجارب المؤلمة الطويلة.

ولسنا نبغى من وراء ذلك شيئًا إلا أن نكون قد أدينا الواجب وتقدمنا بالنصيحة . . . وثواب الله خير وأبقى.

تبعة الراعى

يا صاحب ...

إن الله وكل إليكم أمر هذه الأمة، وجعل مصالحها وشئونها وحاضرها ومستقبلها أمانة لديكم ووديعة عندكم، وأنتم مسئولون عن ذلك كله بين يدى الله تبارك وتعالى، ولئن كان الجيل الحاضر عدتكم، فإن الجيل الآتى من غرسكم؛ وما أعظمها أمانة وأكبرها تبعة أن يسأل الرجل عن أمة: «**وكلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**». وقديمًا قال الإمام العادل: «لو عثرت بغلة بالعراق لرأيتنى مسئولاً عنها بين يدى الله تبارك وتعالى لمَ لمْ أسوِّ لها الطريق؟» وصوَّر الإمام عمر بن

(١) سورة الكهف: ١٠.

الخطاب عظيمَ التبعة فى جملة فقال: «لوددت أن أخرج منها كفافًا لا لى ولا علىّ».

مقدمات

(أ) عهد الانتقال:

وإن أخطر العهود فى حياة الأمم وأولاها بتدقيق النظر عهد الانتقال من حال إلى حال. إذ توضع مناهج العهد الجديد وترسم خططه وقواعده التى يراد تنشئة الأمة عليها والتزامها إياها؛ فإذا كانت هذه الخطط والقواعد والمناهج واضحة صالحة قويمة فبشر هذه الأمة بحياة طويلة مديدة وأعمال جليلة مجيدة، وبشر قادتها إلى هذا الفوز، وأدلتها فى هذا الخير، بعظيم الأجر وخلود الذكر وإنصاف التاريخ وحسن الأحدوثة.

(ب) على مفترق طريقين:

ولقد كانت المهمة ذات شطرين :

أولهما: تخليص الأمة من قيودها السياسية حتى تنال حريتها، ويرجع إليها ما فقدت من استقلالها وسيادتها.

وثانيهما: بناؤها من جديد لتسلك طريقها بين الأمم، وتنافس غيرها فى درجات الكمال الاجتماعى.

والآن وقد وضع النضال السياسى أوزاره إلى حين، وأصبحتم تستقبلون بالأمة عهداً جديداً، فإنكم سترونَ أمامكم طريقين، كل منهما يهيب بكم أن توجهوا الأمة وجهته وتسلكوا بها سبيله، ولكل منهما خواصه ومميزاته وآثاره ونتائجه ودعاته ومروجوه. فأما الأول فطريق الإسلام وأصوله وقواعده وحضارته ومدنيته، وأما الثانى فطريق الغرب ومظاهر حياته ونظمها ومناهجها.

وعقيدتنا أن الطريق الأول طريق الإسلام وقواعده وأصوله هو الطريق الوحيد الذى يجب أن يسلك وأن توجه إليه الأمة الحاضرة والمستقبلة.

(ج) مزايا التوجه الإسلامى :

وإننا إذا سلكنا بالأمة هذا المسلك استطعنا أن نحصل على فوائد كثيرة؛ منها أن المنهاج الإسلامى قد جرب من قبل وشهد التاريخ بصلاحيته، وأخرج للناس أمة من أقوى الأمم وأفضلها وأرحمها وأبرها وأبركها على الإنسانية جميعًا؛ وله من قدسيته واستقراره فى نفوس الناس ما يسهل على الجميع تناوله وفقهه والاستجابة له والسير عليه متى وجهوا إليه، فضلاً عن الاعتزاز بالقومية والإشادة بالوطنية الخالصة. إذ إننا نبنى حياتنا على قواعدنا وأصولنا ولا نأخذ من غيرنا. وفى ذلك أفضل معانى الاستقلال الاجتماعى والحيوى بعد الاستقلال السياسى.

وفى السير على هذا المنهاج تقوية للوحدة العربية أولاً ثم للوحدة الإسلامية ثانيًا، فيمدنا العالم الإسلامى كله بروحه وشعوره وعطفه وتأييده، ويرى فينا إخوة ينجدهم وينجدونه ويمدهم ويمدونه، وفى ذلك ربح أدبى كبير لا يزهد فيه عاقل.

وهذا المنهاج تام شامل، كفيل بتقرير أفضل النظم للحياة العامة فى الأمة عملية وروحية. وهذه هى الميزة التى يمتاز بها الإسلام، فهو يضع نظم الحياة للأمم على أساسين مهمين: أخذ الصالح وتجنب الضار.

فإذا سلكنا هذا السبيل استطعنا أن نتجنب المشكلات الحيوية التى وقعت فيها الدول الأخرى، التى لم تعرف هذا الطريق ولم تسلكه، بل استطعنا أن نحل كثيراً من المشكلات المعقدة التى عجزت عن حلها النظم الحالية، وإنا نذكر هنا كلمة برنارد شو:

«ما أشد حاجة العالم فى عصره الحديث إلى رجل (كمحمد) يحل مشكلته القائمة المعقدة بينما يتناول فنجانًا من القهوة».

وبعد ذلك كله فإننا إذا سلكنا هذا السبيل كان تأييد الله من ورائنا يقوينا عند الوهن، وينقذنا فى الشدائد ويهون علينا المشاق ويهيب بنا دائمًا إلى الأمام:

﴿ وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴾(١).

---

(١) سورة النساء: ١٠٤.

(د) المدنية الغربية الآن :

ومن تمام هذا البحث أن نقول: إن مدنية الغرب التى زهت بجمالها العلمى حينًا من الدهر، وأخضعت العالم كله بنتائج هذا العلم لدوله وأممه، تفلس الآن وتندحر، وتندك أصولها وتنهدم نظمها وقواعدها، فهذه أصولها السياسية تقوضها الدكتاتوريات، وأصولها الاقتصادية تجتاحها الأزمات، ويشهد ضدها ملايين البائسين من العاطلين والجائعين، وأصولها الاجتماعية تقضى عليها المبادئ الشاذة والثورات المندلعة فى كل مكان، وقد حار القوم فى علاج شأنها وضلّوا السبيل. مؤتمراتهم تفشل، ومعاهداتهم تخرق، ومواثيقهم تمزق، وعصبة أممهم شبح لا روح فيه ولا نفوذ له، ويد العظيم فيهم توقّع مع غيره ميثاق السلام والطمأنينة فى ناحية، بينما تلطمه اليد الثانية فى ناحية أخرى أقسى اللطمات، وهكذا أصبح العالم بفضل هذه السياسات الجائرة الطامعة كسفينة فى وسط اليم، ضل ربانها وهبت عليها العواصف من كل مكان. الإنسانية كلها معذبة شقية قلقة مضطربة، وقد اكتوت بنيران المطامع والمادة، فهى فى أشد الحاجة إلى عذب من سؤر الإسلام الحنيف يغسل عنها أوضار الشقاء ويأخذ بها إلى السعادة.

لقد كانت قيادة الدنيا فى وقت ما شرقية بحتة، ثم صارت بعد ظهور اليونان والرومان غربية، ثم نقلتها النبوات الموسوية والعيسوية والمحمدية إلى الشرق مرة ثانية. ثم غفا الشرق غفوته الكبرى ونهض الغرب نهضته الحديثة، فكانت سنة الله التى لا تتخلف، وورث الغرب القيادة العالمية، وها هو ذا الغرب يظلم ويجور ويطغى ويحار ويتخبط، فلم يبق إلا أن تمتد يد «شرقية» قوية يظللها لواء الله وتخفق على رأسها راية القرآن ويمدها جند الإيمان القوى المتين، فإذا بالدنيا مسلمة هانئة، وإذا بالعوالم كلها هاتفة: ﴿**الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي هَدَانَا لِهَٰذَا وَمَا كُنَّا لِنَهْتَدِيَ لَوْلَا أَنْ هَدَانَا اللَّهُ**﴾(١).

ليس ذلك من الخيال فى شيء، بل هو حكم التاريخ الصادق، إن لم يتحقق بنا ﴿**فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَٰلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ**﴾(٢).

---

(١) سورة الأعراف : ٤٣.

(٢) سورة المائدة : ٥٤.

بيد أننا نحرص على أن نكون ممن يحوزون هذه الفضيلة، ويكتبون فى ديوان هذا الشرف: ﴿ وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ ﴾(١).

الإسلام كفيل بإمداد الأمة الناهضة بما تحتاج إليه

ليس فى الدنيا نظام يمد الأمة الناهضة بما تحتاج إليه من نظم وقواعد وعواطف ومشاعر كما يمد الإسلام بذلك كله أممه الناهضة، ولقد امتلأ القرآن الكريم بتصوير هذه الناحية خاصة، وضرب الأمثال فيها بالإجمال تارة وبالتفصيل تارة أخرى، وعالج هذه النواحى علاجًا دقيقًا واضحًا، لا تأخذ به أمة حتى تصل إلى ما تريد.

(أ) الإسلام والأمل:

تحتاج الأمة الناهضة إلى الأمل الواسع الفسيح، وقد أمد القرآن أممه بهذا الشعور بأسلوب يخرج من الأمة الميتة أمة كلها حياة وهمة وأمل وعزم، وحسبك أنه يجعل اليأس سبيلاً إلى الكفر، والقنوط من مظاهر الضلال؛ وإن أضعف الأمم إذا سمعت قوله تعالى: ﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾(٢).

وقوله تعالى: ﴿ وَلا تَهِنُوا وَلا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝١٣٩ إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُ وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ ﴾(٣).

وقوله تعالى: ﴿ هُوَ الَّذِى أَخْرَجَ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن دِيَارِهِمْ لأَوَّلِ الْحَشْرِ مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُوا وَظَنُّوا أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ اللَّهِ فَأَتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُوا وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى الْمُؤْمِنِينَ فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِى الأَبْصَارِ ﴾(٤).

---

(١) سورة القصص: ٦٨.
(٢) سورة القصص: ٥، ٦.
(٣) سورة آل عمران: ١٣٩، ١٤٠.
(٤) سورة الحشر: ٢.

وقوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتُمْ أَن تَدْخُلُوا الْجَنَّةَ وَلَمَّا يَأْتِكُم مَّثَلُ الَّذِينَ خَلَوْا مِن قَبْلِكُم مَّسَّتْهُمُ الْبَأْسَاءُ وَالضَّرَّاءُ وَزُلْزِلُوا حَتَّىٰ يَقُولَ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ مَتَىٰ نَصْرُ اللَّهِ أَلَا إِنَّ نَصْرَ اللَّهِ قَرِيبٌ﴾(١).

إن أضعف الأمم إذا سمعت هذا التبشير كله، وقرأت ما إليه من قصص تطبيقية واقعية، لابد أن تخرج بعد ذلك أقوى الأمم إيمانًا وأرواحًا، ولابد أن ترى فى هذا الأمل ما يدفعها إلى اقتحام المصاعب مهما اشتدت، ومقارعة الحوادث مهما عظمت، حتى تظفر بما تصبو إليه من كمال.

(ب) الإسلام والعزة القومية:

وتحتاج الأمم الناهضة إلى الاعتزاز بقوميتها كأمة فاضلة مجيدة لها مزاياها وتاريخها، حتى تنطبع الصورة فى نفوس الأبناء، فيفدون ذلك المجد والشرف بدمائهم وأرواحهم، ويعملون لخير هذا الوطن وإعزازه وإسعاده. هذا المعنى لن نراه واضحًا فى نظام من النظم عادلاً فاضلاً رحيمًا كما هو فى الإسلام الحنيف، فإن الأمة التى تعلم أن كرامتها وشرفها قد قدسه الله فى سابق علمه وسجله فى محكم كتابه، فقال تبارك وتعالى: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿وكذلك جعلناكم أمة وسطا لتكونوا شهداء على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا﴾(٣)، ﴿وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ﴾(٤)، لهى أجدر الأمم بافتداء عزتها الربانية بالدنيا وما فيها.

ولقد عملت الأمم الحديثة على ترسيخ هذا المعنى فى نفوس شبابها ورجالها وأبنائها جميعًا؛ ومن هنا سمعنا: (ألمانيا فوق الجميع)، (وإيطاليا فوق الجميع)، (وسودى يا بريطانيا واحكمى). ولكن الفارق بين الشعور الذى يمليه المبدأ الإسلامى وبين الشعور الذى أملته هذه الكلمات والمبادئ، أن شعور المسلم

---

(١) سورة البقرة : ٢١٤.
(٢) سورة آل عمران : ١١٠.
(٣) سورة البقرة: ١٤٣.
(٤) سورة المنافقون : ٨.

يتسامى حتى يتصل بالله، على حين ينقطع شعور غيره عند حد القول فقط من جهة، ومن جهة أخرى فإن الإسلام حدد الغاية من خلق هذا الشعور وشدد فى التزامها، وبيَّن أنها ليست العصبية الجنسية والفخر الكاذب بل قيادة العالم إلى الخير، ولهذا قال تبارك وتعالى: ﴿تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١)، ومعنى ذلك مناصرة الفضيلة ومقارعة الرذيلة واحترام المثل الأعلى وملاحظته عند كل عمل، ولهذا أنتج الشعور بهذه السيادة فى السلف المسلم منتهى ما أثر عن الأمم من عدالة ورحمة. أما مبدأ السيادة فى نفس الأمم الغربية فلم يحدد غايته بغير العصبية الخاطئة، ولهذا أنتج التناحر والعدوان على الأمم الضعيفة. فكان المبدأ الإسلامى أخذ خير ما فى هذه الناحية، وأراد أن ينطبع بذلك أبناؤه، وجنبهم ما فيها من شر وطغيان. ولقد وسع الإسلام حدود الوطن الإسلامى، وأوصى بالعمل لخيره والتضحية فى سبيل حريته وعزته، فالوطن فى عرف الإسلام يشمل:

(١) القطر الخاص أولاً.

(٢) ثم يمتد إلى الأقطار الإسلامية فكلها للمسلم وطن ودار.

(٣) ثم يرقى إلى الإمبراطورية الإسلامية التى شادها الأسلاف بدمائهم الغالية العزيزة فرفعوا عليها راية الله، ولا تزال آثارهم فيها تنطق بما كان لهم من فضل ومجد؛ فكل هذه الأقاليم يُسأل المسلم بين يدى الله تبارك وتعالى لماذا لم يعمل على استعادتها.

(٤) ثم يسمو وطن المسلم بعد ذلك كله حتى يشمل الدنيا جميعًا؛ ألست تسمع قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾(٢)، وبذلك يكون الإسلام قد وفق بين شعور الوطنية الخاصة وشعور الوطنية العامة بما فيه الخير كل الخير للإنسانية جميعًا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.

(٢) سورة الأنفال: ٣٩.

(٣) سورة الحجرات: ١٣.

(ج) الإسلام والقوة الجندية :

وتحتاج كذلك الأمم الناهضة إلى القوة وطبع أبنائها بطابع الجندية، ولاسيما فى هذه العصور التى لا يضمن فيها السلم إلا بالاستعداد للحرب، والتى صار شعار أبنائها جميعًا: «القوة أضمن طريق لإحقاق الحق».

والإسلام لم يغفل هذه الناحية، بل جعلها فريضة محكمة من فرائضه، ولم يفرق بينها وبين الصلاة والصوم في شيء، وليس فى الدنيا كلها نظام عنى بهذه الناحية، لا فى القديم ولا فى الحديث، كما عنى بذلك الإسلام فى القرآن وفى حديث رسول الله -ﷺ- وسيرته، وإنك لترى ذلك ماثلاً واضحًا فى قوله تعالى:

﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(١)، وفي قوله تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ﴾(٢).

وهل رأيت منشوراً عسكريًا فى كتاب مقدس يتلى فى الصلاة والذكر والعبادة والمناجاة كهذا المنشور الذى يبتدئ بالأمر المنجز فى قوله تعالى:

﴿فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ﴾(٣)، ثم يبيِّن الجزاء بعد ذلك: ﴿وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(٤).

ثم يتلو ذلك باستثارة أنبل العواطف فى النفوس وهى استنقاذ الأهل والوطن فيقول:

﴿وَمَا لَكُمْ لا تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاءِ وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا﴾(٥).

---

(١) سورة الأنفال: ٦٠.
(٢) سورة البقرة: ٢١٦.
(٣) سورة النساء: ٧٤.
(٤) سورة النساء: ٧٤.
(٥) سورة النساء: ٧٥.

ثم يوضح لهم شرف غايتهم ودناءة غايـة عدوهم، ليبين لهم أنهم يجودون بثمن غال هو الحيـاة على سلعة غالية تستحقـه وتربو عليه وهى رضوان الله؛ على حين يقـاتل غيرهم لغـير غاية، فـهم أضعف نفوسًا وأخـزى أفئدة، فـذلك قوله تعالى:

﴿الَّذِينَ آمَنُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ الطَّاغُوتِ فَقَاتِلُوا أَوْلِيَاءَ الشَّيْطَانِ إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾(١).

ثم يندد بالذين جبنوا عن أداء الواجب، وأخـذوا التكاليف السهلة وتركـوا تكاليف البطولة، ويبين لهم خطأ مـوقفهم هذا، وأن الإقدام لن يضرهم شـيئًا بل سيكسبون به الجزاء الكبير، والإحجام لا يغنيهم شيئًا فالموت من ورائهم لا محالة، فيقول بعد الآيات السابقة مباشرة:

﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ قِيلَ لَهُمْ كُفُّوا أَيْدِيَكُمْ وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ فَلَمَّا كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقِتَالُ إِذَا فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَخْشَوْنَ النَّاسَ كَخَشْيَةِ اللَّهِ أَوْ أَشَدَّ خَشْيَةً وَقَالُوا رَبَّنَا لِمَ كَتَبْتَ عَلَيْنَا الْقِتَالَ لَوْلَا أَخَّرْتَنَا إِلَىٰ أَجَلٍ قَرِيبٍ قُلْ مَتَاعُ الدُّنْيَا قَلِيلٌ وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ لِّمَنِ اتَّقَىٰ وَلَا تُظْلَمُونَ فَتِيلًا ﴿٧٧﴾ أَيْنَمَا تَكُونُوا يُدْرِككُّمُ الْمَوْتُ وَلَوْ كُنتُمْ فِي بُرُوجٍ مُّشَيَّدَةٍ﴾(٢).

بربك أى منشور عـسكرى فى هذه القوة وفى هذا الوضـوح يبعث فى نفس الجندى كل ما يريد القائد من همة وعزة وإيمان؟

وإذا كان قوام الحياة العسكرية فى عرفهم أمرين، هما: النظام والطاعة، فقد جمعهما الله فى آيتين من كتابه فقال تبارك وتعالى:

﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾(٣)، كما قال تعالى: ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾(٤).

وإنك إذا قرأت ما جـاء به الإسلام فى إعداد العدة واستكـمال القوة وتعليم الرمى ورباط الخيل، وفـضل الشهادة وأجر الجهـاد وثواب النفقة فيـه ورعاية أهله

(١) سورة النساء: ٧٦.
(٢) سورة النساء: ٧٧، ٧٨.
(٣) سورة الصف: ٤.
(٤) سورة محمد: ٢٠، ٢١.

واستيعاب صنوفه، لرأيت من ذلك ما لا يحصيه الحصر، سواء فى الآيات الكريمة أو الأحاديث الشريفة أو السيرة المطهرة أو الفقه الحنيف: ﴿وَسِعَ رَبِّي كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا﴾(١).

ولقد عُنيَت بذلك الأمم الحديثة فبنت نفسها على هذه القواعد، ورأينا أساس فاشية موسولينى ونازية هتلر وشيوعية ستالين أساسًا عسكريًا بحتًا؛ ولكن الفرق بين ذلك كله وبين عسكرية الإسلام فرق عظيم، فإن الإسلام الذى قدس القوة هذا التقديس، هو الذى آثر عليها السلم، فقال تبارك وتعالى بعد آية القوة مباشرة: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(٢).

وهو الذى حدد ثمن النصر ومظاهره فقال تعالى: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ﴾(٣).

وهو الذى وضع أساس القانون الدولى الحربى فقال تعالى: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ﴾(٤).

ولأمر ما كانت وصية الرسول -ﷺ- وخلفائه من بعده لقواد جنودهم أروع مظاهر الرحمة والرفق: **«ولا تغدروا ولا تغلوا ولا تمثلوا ولا تقتلوا امرأة ولا طفلاً ولا شيخًا كبيرًا، ولا تقطعوا شجرة مثمرة ولا تجهزوا على جريح؛ وستمرون فى أقوام ترهبوا فى الصوامع فدعوهم وما فرغوا أنفسهم له»**.

كذلك كانت العسكرية فى الإسلام بوليس العدالة وشرطة القانون والنظام. أما عسكرية أوروبا الآن فقد علم الناس جميعًا عنها أنها جيش الظلم وجند المطامع. فأى الفريقين خير مقامًا وأحسن نديًا؟

---

(١) سورة الأنعام: ٨٠.
(٢) سورة الأنفال: ٦١.
(٣) سورة الحج: ٤٠، ٤١.
(٤) سورة الأنفال: ٥٨.

(د) الإسلام والصحة العامة :

ولما كانت الأمم الناهضة في حاجة إلى هذه الجندية الفاضلة، وكان قوام هذه الجندية صحة الأبدان وقوة الأجسام؛ فقد أشار القرآن إلى هذا المعنى فى بيان قصة أمة مجاهدة تحفزت للنهوض بعبء النضال فى سبيل حريتها واستقلالها وتكوين نفسها، فاختار الله لها زعيمًا قوى الفكر قوى الخلق، وجعل من أركان نهوضه بعبئه قوة بدنه، فذلك ما حكاه القرآن الكريم عن بنى إسرائيل فى تزكية الزعيم طالوت قال: ﴿**إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَاهُ عَلَيْكُمْ وَزَادَهُ بَسْطَةً فِي الْعِلْمِ وَالْجِسْمِ**﴾(١).

ولقد شرح الرسول -ﷺ- هذا المعنى فى كثير من أحاديثه، وحث المؤمنين على المحافظة على قوة أبدانهم، كما حثهم على قوة أرواحهم، فالحديث الصحيح يقول: «**المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف**» ويقول: «**إن لبدنك عليك حقًا**». ولقد بين رسول الله -ﷺ- للأمة كثيراً من قواعد الصحة العامة وبخاصة فى علم الوقاية، وهو أفضل شطرى الطب، فقوله -ﷺ-: «**نحن قوم لا نأكل حتى نجوع وإذا أكلنا لا نشبع**»، وتحريه -ﷺ- فيما يشرب من ماء، فى الحديث: «كان -ﷺ- يستعذب الماء» ونهيه عن البول والتبرز فى المياه الراكدة، وإعلانه الحجر الصحى على البلد المطعون وأهله، فلا يتركونه ولا ينزله غيرهم، وتحذيره من العدوى وطلب الفرار من المجذوم، وأخيراً عنايته -ﷺ- بكثير من فروع رياضة البدن كالرمى والسباحة والفروسية والعدو، وحث أمته عليها وعلى العناية بها حتى جاء فى الحديث: «**من علم الرمى ثم نسيه فليس منى**» ونهيه -ﷺ- نهيًا مشدداً عن التبتل والترهب وتعذيب الجسوم وإضوائها تقربًا إلى الله تبارك وتعالى، وإرشاده الأمة إلى جانب الاعتدال فى ذلك كله. كل هذا ينطق بعناية الإسلام البالغة بصحة الأمة العامة وتشديده فى المحافظة عليها وإفساح صدره لكل ما فيه خيرها وسعادتها من هذا الجانب الهام.

الإسلام والعلم :

وكما تحتاج الأمم إلى القوة كذلك تحتاج إلى العلم الذى يؤازر هذه القوة

---

(١) سورة البقرة : ٢٤٧.

ويوجهها أفضل توجيه، ويمدها بما تحتاج إليه من مخترعات ومكتشفات، والإسلام لا يأبى العلم بل يجعله فريضة من فرائضه كالقوة ويناصره، وحسبك أن أول آية نزلت من كتاب الله:

﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الإِنسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ﴾(١).

وأن رسول الله -ﷺ- قد جعل من فداء المشركين فى بدر أن يعلم أحدهم من الأسرى عشرة من أبناء المسلمين القراءة والكتابة، عملاً على محو الأمية عن الأمة. ولم يسوِّ الله بين العلماء وبين الجاهلين، فقال تبارك وتعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾(٢). وقد وزن الإسلام مداد العلماء بدم الشهداء، ولازم القرآن بين العلم والقوة فى الآيتين الكريمتين: ﴿فَلَوْلا نَفَرَ مِن كُلِّ فِرْقَةٍ مِّنْهُمْ طَائِفَةٌ لِّيَتَفَقَّهُوا فِي الدِّينِ وَلِيُنذِرُوا قَوْمَهُمْ إِذَا رَجَعُوا إِلَيْهِمْ لَعَلَّهُمْ يَحْذَرُونَ ﴿١٢٢﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قَاتِلُوا الَّذِينَ يَلُونَكُم مِّنَ الْكُفَّارِ وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾(٣).

ولم يفرق القرآن بين علم الدنيا وعلم الدين، بل أوصى بهما جميعًا، وجمع علوم الكون فى آية واحدة، وحث عليها وجعل العلم بها سبيل خشيته وطريق معرفته فذلك قوله تعالى:

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً﴾(٤). وفى ذلك إشارة إلى الهيئة والفلك وارتباط السماء بالأرض ثم قال تعالى: ﴿فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا﴾(٥). وفى ذلك الإشارة إلى علم النبات وغرائبه وعجائبه وكيميائه: ﴿وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾(٦). وفى ذلك الإشارة إلى علم الجيولوجيا وطبقات الأرض وأدوارها وأطوارها: ﴿وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ

---

(١) سورة العلق: ١ : ٥.
(٢) سورة الزمر : ٩.
(٣) سورة التوبة : ١٢٢، ١٢٣.
(٤) سورة فاطر : ٢٧.
(٥) سورة فاطر : ٢٧.
(٦) سورة فاطر : ٢٧.

﴿مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ﴾(١)، وفيها الإشارة إلى علم البيولوجيا والحيوان بأقسامه من إنسان وحشرات وبهائم، فهل ترى هذه الآية غادرت شيئًا من علوم الكون؟ ثم يردف ذلك كله بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(٢).

أفلست ترى من هذا التركيب العجيب أن الله يأمر الناس بدراسة الكون ويحضهم على ذلك، ويجعل العارفين منهم بدقائقه وأسراره هم أهل معرفته وخشيته؟

اللهم فقه المسلمين فى دينهم.

(و) الإسلام والخلق :

والأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى الخلق... الخلق الفاضل القوى المتين، والنفس الكبيرة العالية الطموحة، إذ أنها ستواجه من مطالب العصر الجديد مالا تستطيع الوصول إليه إلا بالأخلاق القوية الصادقة النابعة من الإيمان العميق والثبات الراسخ والتضحية الكثيرة والاحتمال البالغ. وإنما يصوغ هذه النفس الكاملة الإسلام وحده، فهو الذى جعل صلاح النفس وتزكيتها أساس الفلاح، فقال تعالى: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ﴿٩﴾ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(٣).

وجعل تغيير شئون الأمم وقفًا على تغير أخلاقها وصلاح نفوسها فقال تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(٤).

وإنك لتسمع الآيات البالغة فى مفردات الأخلاق الكريمة فتراها القوة التى لا تغالب فى إصلاح النفوس وإعدادها وتزكيتها وتصفيتها، مثل قوله تعالى فى الوفاء: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً ﴿٢٣﴾ لِيَجْزِيَ اللَّهُ الصَّادِقِينَ بِصِدْقِهِمْ﴾(٥).

---

(١) سورة فاطر : ٢٨.
(٢) سورة فاطر : ٢٨.
(٣) سورة الشمس: ٩، ١٠.
(٤) سورة الرعد : ١١.
(٥) سورة الأحزاب : ٢٣، ٢٤.

وفى البذل والتضحية والصبر والاحتمال ومغالبة الشدائد: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ﴿١٢٠﴾ وَلا يُنفِقُونَ نَفَقَةً صَغِيرَةً وَلا كَبِيرَةً وَلا يَقْطَعُونَ وَادِيًا إِلاَّ كُتِبَ لَهُمْ لِيَجْزِيَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾(١).

وليس كالإسلام عاملاً على إيقاظ الضمير وإحياء الشعور وإقامة رقيب على النفس وذلك خير الرقباء، وبغيره لا ينتظم قانون ما إلى أعماق السرائر وخفيات الأمور.

(ز) الإسلام والاقتصاد:

والأمة الناهضة أحوج ما تكون إلى تنظيم شئونها الاقتصادية، وهى أهم الشئون فى هذه العصور، ولم يغفل الإسلام هذه الناحية بل وضع كلياتها ولم يقف أمام استكمال أمرها، وها أنت ذا تسمع قول الله تبارك وتعالى فى المحافظة على المال وبيان قيمته ووجوب الاهتمام به: ﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾(٢).

ويقول فى موازنة الإنفاق والدخل:

﴿وَلا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ وَلا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ﴾(٣).

ويقول رسول الله -ﷺ-: «ما عال من اقتصد» وهو كما يصدق فى الفرد يصدق فى الأمة مع قوله -ﷺ-: «نعم المال الصالح للرجل الصالح». وأى نظام اقتصادى فاضل يرحب به الإسلام ويدعو الأمة إلى تشجيعه ولا يقف أبداً فى سبيله، والفقه الإسلامى مملوء بأحكام المعاملات المالية، وقد فصلها تفصيلاً لا يدع زيادة لمستزيد.

وبعد، فإن الأمة إذا توافرت لها هذه الدعائم من الأمل والوطنية والعلم

---

(١) سورة التوبة: ١٢٠، ١٢١.

(٢) سورة النساء: ٥.

(٣) سورة الإسراء: ٢٩.

والقوة والصحة والاقتصاد فهى بلا شك أقوى الأمم والمستقبل لهـا، ولاسيما إذا أضيف إلى ذلك أنها قد طهرت من الأثرة والعدوان والأنانية والطغيان، وأصبحت تتمنى الخير للعالم كله، وإن الإسلام قد كفل ذلك فلا حجة لأمة تريد النهوض فى النكول عنه والعدول عن طريقه.

(ح) نظم الإسلام العامة:

هذه ناحية واحدة من نواحى الجمال فى بعض النظم الإسلامية وهى النظم الخاصة بنهضة الأمم، على اعتبار أننا نستقبل عهد النهضة، أما كل نواحى الجمال فى كل النظم الإسلامية فذلك ما يحتاج إلى مجلدات ضخام وبحوث واسعة مترامية الأطراف، وحسبنا أن نقول كلمة مجملة كل الإجمال وهى: إن نظم الإسلام فيما يتعلق بالفرد أو الأسرة أو الأمة حكومتها وشعبها، أو صلة الأمم بعضها ببعض، نظم الإسلام فى ذلك كله قد جمعت بين الاستيعاب والدقة وإيثار المصلحة وإيضاحها، وأنها أكمل وأنفع ما عرف الناس من النظم حديثًا أو قديمًا. هذا حكم يؤيده التاريخ ويثبته البحث الدقيق فى كل مظاهر حياة الأمة.

ولقد كان هذا الحكم خاصًا فصار الآن عامًا يشهد به كل منصف، وكلما تغلغل الباحثون فى بحوثهم كشفوا من نواحى الجمال فى هذه النظم الخالدة ما لم يكن قد خطر ببال سلفهم وصدق الله القائل: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(١).

الإسلام يحمى الأقليات
ويصون حقوق الأجانب

يا صاحب ...

يظن الناس أن التمسك بالإسلام وجعله أساسًا لنظام الحياة ينافى وجود أقليات غير مسلمة فى الأمة المسلمة، وينافى الوحدة بين عناصر الأمة وهى دعامة

(١) سورة فصلت: ٥٣.

قوية من دعائم النهوض فى هذا العصر. ولكن الحق غير ذلك تمامًا فإن الإسلام الذى وضعه الحكيم الخبير الذى يعلم ماضى الأمم وحاضرها ومستقبلها قد احتاط لتلك العقبة وذللها من قبل، فلم يصدر دستوره المقدس الحكيم إلا وقد اشتمل على النص الصريح الواضح الذى لا يحتمل لبسًا ولا غموضًا فى حماية الأقليات، وهل يريد الناس أصرح من هذا النص:

﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(١).

فهذا نص لم يشتمل على الحماية فقط، بل أوصى بالبر والإحسان إليهم، وإن الإسلام الذى قدس الوحدة الإنسانية العامة فى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا﴾(٢).

ثم قدس الوحدة الدينيـة العامة كذلك، فقضى على التعصب وفرض على أبنائه الإيمان بالرسالات السماوية جميعًا فى قوله تعالى: ﴿قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنزِلَ إِلَىٰ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَىٰ وَعِيسَىٰ وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِن رَّبِّهِمْ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ ﴿١٣٦﴾ فَإِنْ آمَنُوا بِمِثْلِ مَا آمَنتُم بِهِ فَقَدِ اهْتَدَوا وَّإِن تَوَلَّوْا فَإِنَّمَا هُمْ فِي شِقَاقٍ فَسَيَكْفِيكَهُمُ اللَّهُ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ ﴿١٣٧﴾ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾(٣).

ثم قدس بعد ذلك الوحدة الدينية الخاصة فى غير صلف ولا عدوان، فقال تبارك وتعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(٤).

هذا الإسلام الذى بُنى على هذا المزاج المعتدل والإنصاف البالغ لا يمكن أن يكون أتباعه سببًا فى تمزيق وحدة متصلة، بل بالعكس إنه أكسب هذه الوحدة صفة القداسة الدينية بعد أن كانت تستمد قوتها من نص مدنى فقط.

---

(١) سورة الممتحنة: ٨.

(٢) سورة الحجرات: ١٣.

(٣) سورة البقرة: ١٣٦ - ١٣٨.

(٤) سورة الحجرات: ١٠.

وقد حدد الإسلام تحديدًا دقيقًا من يحق لنا أن نناوئهم ونقاطعهم ولا نتصل بهم، فقال تعالى بعد الآية السابقة:

﴿إِنَّمَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ قَاتَلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَأَخْرَجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ وَظَاهَرُوا عَلَىٰ إِخْرَاجِكُمْ أَن تَوَلَّوْهُمْ وَمَن يَتَوَلَّهُمْ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾(1).

وليس فى الدنيا منصف واحد يُكره أمة من الأمم على أن ترضى بهذا الصنف دخيلاً فيها وفساداً كبيراً بين أبنائها ونقضًا لنظام شئونها.

ذلك موقف الإسلام من الأقليات غير المسلمة، واضح لا غموض فيه ولا ظلم معه، وموقفه من الأجانب موقف سلم ورفق ما استقاموا وأخلصوا، فإن فسدت ضمائرهم وكثرت جرائمهم فقد حدد القرآن موقفنا منهم بقوله:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لَا يَأْلُونَكُمْ خَبَالًا وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الْآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ ﴿١١٨﴾ هَا أَنتُمْ أُولَاءِ تُحِبُّونَهُمْ وَلَا يُحِبُّونَكُمْ﴾(2).

وبذلك يكون الإسلام قد عالج هذه النواحى جميعًا أدق علاج وأنجعه وأصفاه.

الإسلام لا يعكر صفو العلائق بيننا وبين الغرب

وقد يظن الناس كذلك أن نظم الإسلام فى حياتنا الجديدة تباعد بيننا وبين الدول الغربية، وتعكر صفو العلائق السياسية بيننا وبينها بعد أن كادت تستقر، وهو أيضًا ظن عريق فى الوهم، فإن هذه الدول إن كانت تسىء بنا الظنون فهى لا ترضى عنا سواء تبعنا الإسلام أم غيره، وإن كانت قد صادقتنا بإخلاص وتبودلت الثقة بينها وبيننا فقد صرح خطباؤها وساستها بأن كل دولة حرة فى النظام الذى تسلكه فى داخل أرضها، ما دام لا يمس حقوق الآخرين فعلى ساسة هذه الدول جميعًا أن يفهموا أن شرف الإسلام الدولى هو أقدس شرف عرفه

(1) سورة الممتحنة : ٩.

(2) سورة آل عمران: ١١٨، ١١٩.

التاريخ، وأن القواعد التى وضعها الإسلام الدولى لصيانة هذا الشرف وحفظه أرسخ القواعد وأثبتها.

فالإسلام هو الذى يقول فى المحافظة على التعهدات وأداء الالتزامات: ﴿وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْئُولاً﴾(١)، ويقول: ﴿إِلاَّ الَّذِينَ عَاهَدتُّم مِّنَ الْمُشْرِكِينَ ثُمَّ لَمْ يَنقُصُوكُمْ شَيْئًا وَلَمْ يُظَاهِرُوا عَلَيْكُمْ أَحَدًا فَأَتِمُّوا إِلَيْهِمْ عَهْدَهُمْ إِلَىٰ مُدَّتِهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾(٢)، ويقول: ﴿فَمَا اسْتَقَامُوا لَكُمْ فَاسْتَقِيمُوا لَهُمْ﴾(٣)، ويقول فى إكرام اللاجئين وحسن جوار المستجيرين: ﴿وَإِنْ أَحَدٌ مِّنَ الْمُشْرِكِينَ اسْتَجَارَكَ فَأَجِرْهُ حَتَّىٰ يَسْمَعَ كَلامَ اللَّهِ ثُمَّ أَبْلِغْهُ مَأْمَنَهُ﴾(٤).

وهذا فى المشركين فكيف بالكتابيين؟

فالإسلام الذى يضع هذه القواعد ويسلك بأتباعه هذه الأساليب يجب أن يعتبره الغربيون ضمانة أخرى، تضمن لهم. نقول إنه من خير أوروبا نفسها أن تسودها هذه النظريات السديدة فى معاملات دولها بعضها لبعض، فذلك خير لهم وأبقى.

أصول النهضة فى الشرق غير أصولها فى الغرب

يا صاحب ...

من الأسباب التى دعت بعض الأمم الشرقية إلى الانحراف عن الإسلام واختيار تقليد الغرب دراسة قادتها للنهضة الغربية واقتناعهم بأنها لم تقم إلا على تحطيم الدين وهدم الكنائس، والتخلص من سلطة البابوية وإلجام القساوسة ورجال الكهنوت، والقضاء على كل مظاهر السلطة الدينية فى الأمة، وفصل الدين عن سياسة الدولة العامة فصلاً تامًا. وذلك إن صح فى الأمم الغربية فلا يصح أبدًا فى

(١) سورة الإسراء : ٣٤.
(٢) سورة التوبة : ٤.
(٣) سورة التوبة : ٧.
(٤) سورة التوبة : ٦.

الأمم الإسلامية، لأن طبيعة التعاليم الإسلامية غير طبيعة تعاليم أى دين آخر، وسلطة رجال الدين المسلمين محصورة محدودة لا تملك تغيير الأوضاع ولا قلب النظم، مما جعل القواعد الأساسية فى الإسلام على مر القرون، تساير العصور وتدعو إلى الرقى وتعضد العلم وتحمى العلماء، فما كان هناك لا يصح أن يكون هنا، وتلك بحوث واسعة وضعت فيها الكتب الكثيرة، ومهمتنا فى هذه الرسالة أن نلم بالموضوع إلمامة قصيرة من باب التذكرة والقضاء على الشبهات، ونحن على يقين من أن كل منصف معنا فى هذه القاعدة، وعلى ذلك فلا يجوز أبدًا أن يكون هذا الشعور رائدنا فى نهضتنا الجديدة، التى يجب أن ترتكز أول ما ترتكز على دعائم قوية من الخلق الفاضل والعلم الغزير والقوة السابغة، وهو ما يأمر به الإسلام.

رجال الدين غير الدين نفسه

ومن المبررات التى اتخذها بعض الذين سلكوا سبيل الغربيين، أنهم أخذوا يشهرون بمسلك رجال الدين المسلمين من حيث موقفهم المناوئ للنهضة الوطنية، وتجنيهم على الوطنيين وممالأتهم للغاصبين وإيثارهم المنافع الخاصة والمطامع الدنيوية على مصلحة البلد والأمة، وذلك إن صح فهو ضعف من رجال الدين أنفسهم لا فى الدين ذاته، وهل يأمر الدين بهذا؟. وهل تمليه سيرة الأجلاء الأفاضل من علماء الأمة الإسلامية الذين كانوا يقتحمون على الملوك والأمراء أبوابهم وسدودهم، فيقرِّعونهم ويأمرونهم وينهونهم ويرفضون أعطياتهم ويبينون لهم الحق ويتقدمون إليهم بمطالب الأمة، بل ويحملون السلاح فى وجوه الجور والظلم. وما نسى التاريخ بعد كتيبة الفقهاء فى صف ابن الأشعث فى شرق الدولة الإسلامية، ولا ثورة القاضى ابن يحيى الليثى المالكى فى غربها.

هذه تعاليم الدين، وهذا ماضى رجاله من فقهاء المسلمين فهل فيه شىء من هذا الذى يزعمون؟ وهل من الإنصاف أن يتحمل الدين تبعة رجال انحرفوا عنه؟

وعلى أن هذه المزاعم إن صحت فى قوم فليست صحيحة فى الجميع، وإن وقعت لظرف خاص فليست تساير كل الظروف، وهذا تاريخ النهضات الحديثة فى الشرق حافل بمواقف رجال الدين المسلمين فى كل أمة من الأمم، وما موقف الأزهر فى مصر والمجلس الأعلى فى سوريا الجنوبية «فلسطين» وسوريا الشمالية

«لبنان» ومولانا أبى الكلام وإخوانه من جلة العلماء فى الهند وزعماء المسلمين فى أندونيسيا بمنسى ولا بعيد، فتلك إذن مزاعم يجب ألا تتخذ ذريعة لتحويل الأمة عن دينها باسم الوطنية المجردة، أو ليس الأنفع للأمة أن تصلح رجال الدين وتصطلح عليهم بدلاً من أن تقف منهم الموقف المبيد. على أن هذه التعبيرات التى سرت إلينا تقليدًا ومنها (رجال الدين) لا تنطبق ولا تتفق مع عرفنا، فإنها إن كانت فى الغرب خاصة (بالأكليروس) فإنها فى العرف الإسلامى تشمل كل مسلم، فالمسلمون جميعًا من أصغرهم لأكبرهم (رجال دين).

خطوة جريئة ولكنها موفقة

يا صاحب ...

بعد كل ما تقدم لا عذر لنا إن جانبنا طريق الحق: طريق الإسلام، واتبعنا طريق الشهوات والزخارف: طريق أوروبا. وفى طريق أوروبا زينة وبهرج، وفيه لذائذ وترف، وفيه تحلل وإباحية، وفيه ما تهوى الأنفس من متعة، وكل ذلك إلى النفس حبيب وقد قال تعالى:

﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ الشَّهَوَاتِ مِنَ النِّسَاءِ وَالْبَنِينَ وَالْقَنَاطِيرِ الْمُقَنطَرَةِ مِنَ الذَّهَبِ وَالْفِضَّةِ وَالْخَيْلِ الْمُسَوَّمَةِ وَالأَنْعَامِ وَالْحَرْثِ ذَلِكَ مَتَاعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾(١).

ولكن طريق الإسلام عزة ومنعة، وحق وقوة، وبركة واستقامة، وثبات وفضيلة ونبل، فاسلكوها بالأمة وفقكم الله:

﴿قُلْ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيْرٍ مِّن ذَلِكُمْ لِلَّذِينَ اتَّقَوْا عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا وَأَزْوَاجٌ مُّطَهَّرَةٌ وَرِضْوَانٌ مِّنَ اللَّهِ وَاللَّهُ بَصِيرٌ بِالْعِبَادِ﴾(٢).

وإنما أهلك الأمم الترف، وإنما زلزلت أوروبا المتع والمطامع: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾(٣).

---

(١) سورة آل عمران: ١٤.
(٢) سورة آل عمران: ١٥.
(٣) سورة الإسراء: ١٦.

وإن الله تبارك وتعالى قد أرسل رسوله رحمة للعالمين إلى يوم القيامة، وبعث معه كتابه الحق نورًا وهدى إلى يوم القيامة، وإن زعامة الرسول -ﷺ- باقية بسنته، وإن سلطان القرآن قوى بحجته، وإن الإنسانية صائرة إليهما لا محالة بعز عزيز أو بذُلٍّ ذليل من قريب أو من بعيد حتى يتحقق قول الله: ﴿لِيُظْهِرَهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ﴾(١).

فكونوا أول من يتقدم باسم رسول الله -ﷺ- بقارورة الدواء من طب القرآن لاستنقاذ العالم المعذب المريض.

إنها خطوة جريئة ولكنها موفقة إن شاء الله تعالى والله غالب على أمره: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝٤ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾(٢).

بعض خطوات الإصلاح العملى

يا صاحب ...

بعدما أوضحنا ما يجب أن يسود الأمة فى نهضتنا الجديدة من شعور روحى، نحب أن نعرض ختامًا لبعض المظاهر والآثار العملية التى يجب أن يمليها هذا الشعور، وسنذكر هنا رءوس موضوعات فقط ونحن نعلم تمام العلم أن كل مطلب من هذه المطالب يحتاج إلى بحث فسيح واسع دقيق تتوافر فيه جهود الإخصائيين وكفايتهم، كما أننا نعلم أننا لم نستقص بعد كل حاجيات الأمة ومطالبها ومظاهر النهضة جميعًا؛ ولسنا نعتقد أن تحقيق هذه المطالب من الهنات الهينات بحيث يتم فى عشية أو ضحاها، كما أننا نعلم أن كثيرًا منها أمامه من العقبات المتشعبة ما يحتاج إلى طول الأناة وعظيم الحكمة وماضى العزيمة، كل ذلك نعلمه ونقدره، ونعلم إلى جانبه أنه إذا صدق العزم وضح السبيل، وأن الأمة القوية الإرادة إذا أخذت فى سبيل الخير فهى لابد واصلة إلى ما تريد إن شاء الله تعالى، فلتتوجهوا والله معكم. أما رءوس مناحى الإصلاح المرتكز على الروح الإسلامى الصحيح فهى:

---

(١) سورة التوبة : ٣٣.

(٢) سورة الروم: ٤، ٥.

أولاً: فى الناحية السياسية والقضائية والإدارية:

١- القضاء على الحزبية وتوجيه قوى الأمة السياسية فى وجهة واحدة وصف واحد.

٢- إصلاح القانون حتى يتفق مع التشريع الإسلامى فى كل فروعه.

٣- تقوية الجيش والإكثار من فرق الشباب وإلهاب حماستها على أسس من الجهاد الإسلامى.

٤- تقوية الروابط بين الأقطار الإسلامية جميعًا، وبخاصة العربية منها تمهيدًا للتفكير الجدى العملى فى شأن الخلافة الضائعة.

٥- بث الروح الإسلامى فى دواوين الحكومة بحيث يشعر الموظفون جميعًا بأنهم مطالبون بتعاليم الإسلام.

٦- مراقبة سلوك الموظفين الشخصى وعدم الفصل بين الناحية الشخصية والناحية العملية.

٧- تقديم مواعيد العمل فى الدواوين صيفًا وشتاء حتى يعين ذلك على الفرائض ويقضى على السهر الكثير.

٨- القضاء على الرشوة والمحسوبية والاعتماد على الكفاية والمسوغات القانونية فقط.

٩- أن توزن كل أعمال الحكومة بميزان الأحكام والتعاليم الإسلامية، فتكون نظم الحفلات والدعوات والاجتماعات الرسمية والسجون والمستشفيات بحيث لا تصطدم بتعاليم الإسلام، وتكون الدوريات فى الأعمال على تقسيم لا يتضارب مع أوقات الصلاة.

١٠- استخدام الأزهريين فى الوظائف العسكرية والإدارية وتدريبهم.

ثانيًا: فى الناحية الاجتماعية والعلمية:

١- تعويد الشعب احترام الآداب العامة، ووضع إرشادات معززة بحماية القانون فى ذلك الشأن، وتشديد العقوبات على الجرائم الأدبية.

٢- علاج قضية المرأة علاجًا يجمع بين الرقى بها والمحافظة عليها وفق تعاليم الإسلام، حتى لا تترك هذه القضية التى هى أهم قضايا الاجتماع تحت رحمة الأقلام المغرضة والآراء الشاذة من المفرطين والمفرِّطين.

٣- القضاء على البغاء بنوعيه السرى والعلنى. واعتبار الزنا مهما كانت ظروفه جريمة منكرة يجلد فاعلها.

٤- القضاء على القمار بكل أنواعه من ألعاب ويانصيب ومسابقات وأندية.

٥- محاربة الخمر كما تحارب المخدرات، وتحريمها وتخليص الأمة من شرورها.

٦- مقاومة التبرج والخلاعة وإرشاد السيدات إلى ما يجب أن يكون، والتشديد فى ذلك بخاصة على المدرسات والتلميذات والطبيبات والطالبات ومن فى حكمهن.

٧- إعادة النظر فى مناهج تعليم البنات ووجوب التفريق بينها وبين مناهج تعليم الصبيان فى كثير من مراحل التعليم.

٨- منع الاختلاط بين الطلبة والطالبات، واعتبار خلوة أى رجل بامرأة لا تحل له جريمة يؤاخذان بها.

٩- تشجيع الزواج والنسل بكل الوسائل المؤدية إلى ذلك، ووضع تشريع يحمى الأسرة ويحض عليها ويحل مشكلة الزواج.

١٠- إغلاق الصالات والمراقص الخليعة وتحريم الرقص وما إلى ذلك.

١١- مراقبة دور التمثيل وأفلام السينما والتشديد فى اختيار الروايات والأشرطة.

١٢- تهذيب الأغانى واختيارها ومراقبتها والتشديد فى ذلك.

١٣- حسن اختيار ما يذاع على الأمة من المحاضرات والأغانى والموضوعات واستخدام محطة الإذاعة فى تربية وطنية خلقية فاضلة.

١٤- مصادرة الروايات المثيرة والكتب المشككة المفسدة والصحف التى تعمل على إشاعة الفجور وتستغل الشهوات استغلالاً فاحشًا.

١٥- تنظيم المصايف تنظيمًا يقضى على الفوضى والإباحية التى تذهب بالغرض الأساسى من الاصطياف.

١٦- تحديد مواعيد افتتاح وإغلاق المقاهى العامة، ومراقبة ما يشتغل به روادها، وإرشادهم إلى ما ينفعهم وعدم السماح لها بهذا الوقت الطويل كله.

١٧- استخدام هذه المقاهى فى تعليم الأميين القراءة والكتابة، ويساعد على ذلك هذا الشباب المتوثب من رجال التعليم الإلزامى والطلبة.

١٨- مقاومة العادات الضارة اقتصاديًا أو خلقيًا أو غير ذلك، وتحويل تيار الجماهير عنها إلى غيرها من العادات النافعة، أو تهذيب نفسها تهذيبًا يتفق مع المصلحة وذلك كعادات الأفراح والمآتم والموالد والزار والمواسم والأعياد وما إليها، وتكون الحكومة قدوة صالحة فى ذلك.

١٩- اعتبار دعوة الحسبة، ومؤاخذة من يثبت عليه مخالفة شىء من تعاليم الإسلام أو الاعتداء عليه كالإفطار فى رمضان وترك الصلاة عمدًا أو سب الدين وأمثال هذه الشئون.

٢٠- ضم المدارس الإلزامية فى القرى إلى المساجد، وشمولهما معًا بالإصلاح التام من حيث الموظفين والنظافة وتمام الرعاية، حتى يتدرب الصغار على الصلاة ويتدرب الكبار على العلم.

٢١- تقرير التعليم الدينى مادة أساسية فى كل المدارس على اختلاف أنواعها كل بحسبه وفى الجامعة أيضًا.

٢٢- تشجيع تحفيظ القرآن فى المكاتب العامة الحرة، وجعل حفظه شرطًا فى نيل الإجازات العلمية التى تتصل بالناحية الدينية واللغوية، مع تقرير حفظ بعضه فى كل مدرسة.

٢٣- وضع سياسة ثابتة للتعليم، تنهض به وترفع مستواه، وتوحد

أنـواعـه المتـحـدة الأغراض والمـقاصد، وتقرب بين الثـقافات المختلفـة في الأمة، وتجعـل المرحـلـة الأولى مـن مراحـلـه خاصـة بتربيـة الروح الوطنى الفـاضل والخلق القويم.

٢٤- العناية باللغـة العربيـة فى كل مـراحل التعليم، وإفـرادها فى المراحل الأولى عن غيرها من اللغات الأجنبية.

٢٥- العناية بالتاريخ الإسـلامى، والتاريخ الوطنى والتربيـة الوطنية وتاريخ حضارة الإسلام.

٢٦- التفكير فى الوسائل المناسبة لتوحيد الأزياء فى الأمة تدريجيًا.

٢٧- القـضاء على الروح الأجنبـية فى البـيوت من حـيث اللغة والـعادات والأزياء والمربيـات والممـرضـات إلخ، وتصحـيح ذلك كلـه وبخاصـة فى بيـوت الطبقات الراقية.

٢٨- توجيه الصحـافة توجيهًا صالحًا وتشجـيع المؤلفين والكاتبين على طرق الموضوعات الإسلامية الشرقية.

٢٩- العناية بشئون الصـحة العامة من نشر الدعاية الصحـية بمختلف الطرق والإكثار من المستشفيات والأطباء والعيادات المتنقلة وتسهيل سبل العلاج.

٣٠- العناية بشأن القرية من حيث نـظامها ونظافتها وتنقية مـياهها ووسائل الثقافة والراحة والتهذيب فيها.

ثالثا: فى الناحية الاقتصادية:

١- تنظيم الزكاة دخلاً ومنصرفًا بحسب تعاليم الشريعة السمحة، والاستعانة بها فى المشروعات الخيرية التى لابد منها كملاجئ العجزة والفقراء واليتامى وتقوية الجيش.

٢- تحـريم الربا وتنظيم المصـارف تنظيـمًـا يؤدى إلى هذه الغـاية، وتكون الحكومة قدوة فى ذلك بـإلغاء الفوائد فى مشروعـاتها الخاصة بها كـبنك التسليف والسلف الصناعية وغيرها.

٣- تشجيع المشروعات الاقتصادية والإكثار منها، وتشغيل العاطلين من المواطنين فيها واستخلاص ما فى أيدى الأجانب منها للناحية الوطنية البحتة.

٤- حماية الجمهور من عسف الشركات المحتكرة وإلزامها حدودها والحصول على كل منفعة ممكنة للجمهور.

٥- تحسين حال الموظفين الصغار برفع مرتباتهم واستبقاء علاواتهم ومكافآتهم وتقليل مرتبات الموظفين الكبار.

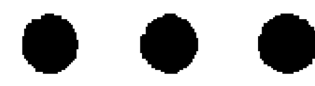
٦- حصر الوظائف وخصوصًا الكثيرة منها، والاقتصار على الضرورى، وتوزيع العمل على الموظفين توزيعًا عادلاً والتدقيق فى ذلك.

٧- تشجيع الإرشاد الزراعى والصناعى، والاهتمام بترقية الفلاح والصانع من الناحية الإنتاجية.

٨- العناية بشئون العمال الفنية والاجتماعية، ورفع مستواهم فى مختلف النواحى الحيوية.

٩- استغلال الموارد الطبيعية كالأرض البور والمناجم المهملة وغيرها.

١٠- تقديم المشروعات الضرورية على الكماليات فى الإنشاء والتنفيذ.



وبعد، فهذه رسالة الإخوان المسلمين، نتقدم بها، وإنا لنضع أنفسنا ومواهبنا وكل ما نملك تحت تصرف أية هيئة أو حكومة تريد أن تخطو بأمة إسلامية نحو الرقى والتقدم، نجيب النداء ونكون الفداء، ونرجو أن نكون قد أدينا بذلك أمانتنا وقلنا كلمتنا والدين النصيحة لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم، وحسبنا الله، وكفى، وسلام على عباده الذين اصطفى. . . .

حسن البنا

إلى الشباب

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه.

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ ﴿٤٦﴾ قُلْ مَا سَأَلْتُكُم مِّنْ أَجْرٍ فَهُوَ لَكُمْ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَى اللَّهِ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ﴿٤٧﴾ قُلْ إِنَّ رَبِّي يَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَّامُ الْغُيُوبِ ﴿٤٨﴾ قُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ وَمَا يُعِيدُ ﴿٤٩﴾ قُلْ إِن ضَلَلْتُ فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَىٰ نَفْسِي وَإِنِ اهْتَدَيْتُ فَبِمَا يُوحِي إِلَيَّ رَبِّي إِنَّهُ سَمِيعٌ قَرِيبٌ﴾(١).

أيها الشباب:

أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو، وأصلى وأسلم على سيدنا محمد إمام المصلحين وسيد المجاهدين، وعلى آله وصحبه والتابعين.

أيها الشباب:

إنما تنجح الفكرة إذا قوى الإيمان بها، وتوفر الإخلاص فى سبيلها، وازدادت الحماسة لها، ووجد الاستعداد الذى يحمل على التضحية والعمل لتحقيقها. وتكاد تكون هذه الأركان الأربعة: الإيمان، والإخلاص، والحماسة، والعمل من خصائص الشباب. لأن أساس الإيمان القلب الذكى، وأساس الإخلاص الفؤاد النقى، وأساس الحماسة الشعور القوى، وأساس العمل العزم الفتى، وهذه كلها لا تكون إلا للشباب. ومن هنا كان الشباب قديمًا وحديثًا فى كل أمة عماد نهضتها، وفى كل نهضة سر قوتها، وفى كل فكرة حامل رايتها: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى﴾(٢).

---

(١) سورة سبأ: ٤٦ - ٥٠.

(٢) سورة الكهف: ١٣.

ومن هنا كثرت واجباتكم، ومن هنا عظمت تبعاتكم، ومن هنا تضاعفت حقوق أمتكم عليكم، ومن هنا ثقلت الأمانة فى أعناقكم. ومن هنا وجب عليكم أن تفكروا طويلاً، وأن تعملوا كثيراً، وأن تحددوا موقفكم، وأن تتقدموا للإنقاذ، وأن تعطوا الأمة حقها كاملاً من هذا الشباب.

قد ينشأ الشاب فى أمة وادعة هادئة، قوى سلطانها واستبحر عمرانها، فينصرف إلى نفسه أكثر مما ينصرف إلى أمته، ويلهو ويعبث وهو هادئ النفس مرتاح الضمير. وقد ينشأ فى أمة جاهدة عاملة قد استولى عليها غيرها، واستبد بشئونها خصمها فهى تجاهد ما استطاعت فى سبيل استرداد الحق المسلوب، والتراث المغصوب، والحرية الضائعة والأمجاد الرفيعة، والمثل العالية. وحينئذ يكون من أوجب الواجبات على هذا الشاب أن ينصرف إلى أمته أكثر مما ينصرف إلى نفسه. وهو إذ يفعل ذلك يفوز بالخير العاجل فى ميدان النصر، والخير الآجل من مثوبة الله. ولعل من حسن حظنا أن كنا من الفريق الثانى فتفتحت أعيننا على أمة دائبة الجهاد مستمرة الكفاح فى سبيل الحق والحرية. واستعدوا يا رجال فما أقرب النصر للمؤمنين وما أعظم النجاح للعاملين الدائبين.

أيها الشباب:

لعل من أخطر النواحى فى الأمة الناهضة -وهى فى فجر نهضتها- اختلاف الدعوات، واختلاط الصيحات، وتعدد المناهج، وتباين الخطط والطرائق، وكثرة المتصدين للتزعم والقيادة. وكل ذلك تفريق فى الجهود وتوزيع للقوى يتعذر معه الوصول إلى الغايات. ومن هنا كانت دراسة هذه الدعوات والموازنة بينها أمراً أساسيًا لابد منه لمن يريد الإصلاح.

ومن هنا كان من واجبى أن أشرح لكم فى وضوح موجز دعوة الإسلام فى القرن الهجرى الرابع عشر.

دعــوة الإخوان المسلمين
أو دعوة الإسلام فى القرن الهجرى الرابع عشر

يا شباب :

لقـد آمنا إيمانًا لا جـدال فيـه ولا شك معـه، واعتـقدنا عـقيـدة أثبت من الرواسى وأعمق من خفايا الضمائر، بأنه ليس هناك إلا فكرة واحدة هى التى تنقذ الدنيا المعـذبة وترشد الإنسـانية الحائرة وتهـدى الناس سواء السـبيل، وهى لذلك تستـحق أن يضحى فى سبيل إعـلانها والتبشـير بها وحمل الناس عليـها بالأرواح والأموال وكل رخـيص وغال، هذه الفكرة هى الإسلام الحنيف الذى لا عـوج فيه ولا شر معه ولا ضلال لمن اتبعه:

﴿ شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ وَالْمَلائِكَةُ وَأُوْلُوا الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴿١٨﴾ إِنَّ الدِّينَ عِندَ اللَّهِ الإِسْلامُ ﴾(١).

﴿ الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الإِسْلامَ دِينًا ﴾(٢).

ففكرتنا لهذا إسلامية بحتة، على الإسلام ترتكز ومنه تستمد وله تجاهد وفى سبيل إعلاء كلـمته تعمل. لا تعدل بالإسلام نظامًـا، ولا ترضى سواه إمامًا، ولا تطيع لغيره أحكامًا:

﴿ وَمَن يَبْتَغِ غَيْرَ الإِسْلامِ دِينًا فَلَن يُقْبَلَ مِنْهُ ﴾(٣).

ولـقـد أتـى عـلـى الإسـلام والمسلـمـين حـين من الدهر توالت فـيـه الحـوادث وتتـابعت الكوارث، وعـمل خـصـوم الإسـلام عـلـى إطـفـاء روائه وإخفـاء بهائه وتضلـيل أبـنـائه وتـعطـيـل حـدوده، وإضعاف جنـوده، وتحريف

(١) سورة آل عمران : ١٨، ١٩.
(٢) سورة المائدة : ٣.
(٣) سورة آل عمران: ٨٥.

تعاليمه وأحكامه تارة بالنقص منها، وأخرى بالزيادة فيها، وثالثة بتأويلها على غير وجهها، وساعدهم على ذلك ضياع سلطة الإسلام السياسية وتمزيق إمبراطوريته العالمية وتسريح جيوشه المحمدية ووقوع أممه فى قبضة أهل الكفر مستذلين مستعمرين.

فأول واجباتنا نحن الإخوان أن نبين للناس حدود هذا الإسلام واضحة كاملة بينة لا زيادة فيها ولا نقص بها ولا لبس معها، وذلك هو الجزء النظرى من فكرتنا، وأن نطالبهم بتحقيقها ونحملهم على إنفاذها ونأخذهم بالعمل بها، وذلك هو الجزء العملى فى هذه الفكرة.

وعمادنا فى ذلك كله كتاب الله الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، والسنة الصحيحة الثابتة عن رسول الله -ﷺ-، والسيرة المطهرة لسلف هذه الأمة، لا نبغى من وراء ذلك إلا إرضاء الله وأداء الواجب وهداية البشر وإرشاد الناس.

وسنجاهد فى سبيل تحقيق فكرتنا، وسنكافح لها ما حيينا وسندعو الناس جميعًا إليها، وسنبذل كل شىء فى سبيلها، فنحيا بها كرامًا أو نموت كرامًا، وسيكون شعارنا الدائم: الله غايتنا، والرسول زعيمنا، والقرآن دستورنا، والجهاد سبيلنا، والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا.

أيها الشباب:

إن الله قد أعزكم بالنسبة إليه والإيمان به والتنشئة على دينه، وكتب لكم بذلك مرتبة الصدارة من الدنيا ومنزلة الزعامة من العالمين وكرامة الأستاذ بين تلامذته: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١)، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾(٢).

فأول ما يدعوكم إليه أن تؤمنوا بأنفسكم، أن تعلموا منزلتكم وأن تعتقدوا

(١) سورة آل عمران: ١١٠.
(٢) سورة البقرة: ١٤٣.

أنكم سادة الدنيا وإن أراد لكم خصومكم الذل، وأساتذة العالمين وإن ظهر عليكم غيركم بظاهر من الحياة الدنيا والعاقبة للمتقين.

فجدِّدوا أيها الشباب إيمانكم، وحددوا غاياتكم وأهدافكم، وأول القوة الإيمان، ونتيجة هذا الإيمان الوحدة، وعاقبة الوحدة النصر المؤزر المبين. فآمنوا وتآخوا واعملوا وترقبوا بعد ذلك النصر... وبشر المؤمنين.

إن العالم كله حائر يضطرب، وكل ما فيه من النظم قد عجز عن علاجه ولا دواء له إلا الإسلام، فتقدموا باسم الله لإنقاذه، فالجميع فى انتظار المنقذ، ولن يكون المنقذ إلا رسالة الإسلام التى تحملون مشعلها وتبشرون بها.

أيها الشباب:

إن منهاج الإخوان المسلمين محدود المراحل واضح الخطوات، فنحن نعلم تمامًا ماذا نريد ونعرف الوسيلة إلى تحقيق هذه الإرادة.

١- نريد أولاً الرجل المسلم فى تفكيره وعقيدته، وفى خلقه وعاطفته، وفى عمله وتصرفه. فهذا هو تكويننا الفردى.

٢- ونريد بعد ذلك البيت المسلم فى تفكيره وعقيدته وفى خلقه وعاطفته وفى عمله وتصرفه ونحن لهذا نعنى بالمرأة عنايتنا بالرجل، ونعنى بالطفولة عنايتنا بالشباب وهذا هو تكويننا الأسرى.

٣- ونريد بعد ذلك الشعب المسلم فى ذلك كله أيضًا، ونحن لهذا نعمل على أن تصل دعوتنا إلى كل بيت، وأن يسمع صوتنا فى كل مكان، وأن تتيسر فكرتنا وتتغلغل فى القرى والنجوع والمدن والمراكز والحواضر والأمصار، لا نألو فى ذلك جهدًا ولا نترك وسيلة.

٤- ونريد بعد ذلك الحكومة المسلمة التى تقود هذا الشعب إلى المجد، وتحمل به الناس على هدى الإسلام من بعد كما حملتهم على ذلك بأصحاب رسول الله -ﷺ- أبى بكر وعمر من قبل. ونحن لهذا لا نعترف بأى نظام

حكومى لا يرتكز على أساس الإسلام ولا يستمد منه، ولا نعترف بهذه الأحزاب السياسية، ولا بهذه الأشكال التقليدية التى أرغمنا أهل الكفر وأعداء الإسلام على الحكم بها والعمل عليها، وسنعمل على إحياء نظام الحكم الإسلامى بكل مظاهره، وتكوين الحكومة الإسلامية على أساس هذا النظام.

٥- ونريد بعد ذلك أن نضم إلينا كل جزء من وطننا الإسلامى الذى فرقته السياسة الغربية وأضاعت وحدته المطامع الأوروبية. ونحن لهذا لا نعترف بهذه التقسيمات السياسية ولا نسلم بهذه الاتفاقات الدولية، التى تجعل من الوطن الإسلامى دويلات ضعيفة ممزقة يسهل ابتلاعها على الغاصبين، ولا نسكت على هضم حرية هذه الشعوب واستبداد غيرها بها. فمصر وسورية والعراق والحجاز واليمن وطرابلس وتونس والجزائر ومراكش وكل شبر أرض فيه مسلم يقول: لا إله إلا الله، كل ذلك وطننا الكبير الذى نسعى لتحريره وإنقاذه وخلاصه وضم أجزائه بعضها إلى بعض.

ولئن كان الرايخ الألمانى يفرض نفسه حاميًا لكل من يجرى فى عروقه دم الألمان، فإن العقيدة الإسلامية توجب على كل مسلم قوى أن يعتبر نفسه حاميًا لكل من تشربت نفسه تعاليم القرآن. فلا يجوز فى عرف الإسلام أن يكون العامل العنصرى أقوى فى الرابطة من العامل الإيمانى. والعقيدة هى كل شىء فى الإسلام، وهل الإيمان إلا الحب والبغض؟

٦- ونريد بعد ذلك أن تعود راية الله خفاقة عالية على تلك البقاع التى سعدت بالإسلام حينًا من الدهر ودوى فيها صوت المؤذن بالتكبير والتهليل، ثم أراد لها نكد الطالع أن ينحسر عنها ضياؤه فتعود إلى الكفر بعد الإسلام. فالأندلس وصقلية والبلقان وجنوب إيطاليا وجزائر بحر الروم، كلها مستعمرات إسلامية يجب أن تعود إلى أحضان الإسلام. ويجب أن يعود البحر الأبيض والبحر الأحمر بحيرتين إسلاميتين كما كانتا من قبل. ولئن كان السنيور موسولينى يرى من حقه أن يعيد الإمبراطورية الرومانية، وما تكونت هذه الإمبراطورية المزعومة قديمًا إلا على أساس المطامع والأهواء، فإن من حقنا أن نعيد مجد الإمبراطورية الإسلامية التى قامت على العدالة والإنصاف ونشر النور والهداية بين الناس.

٧- نريد بعد ذلك ومعه أن نعلن دعوتنا على العالم، وأن نبلغ الناس جميعًا، وأن نُعمَّ بها آفاق الأرض، وأن نُخضع لها كل جبار، حتى لا تكون فتنة ويكونَ الدين كله لله، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله، ينصر من يشاء وهو العزيز الرحيم.

ولكل مرحلة من هذه المراحل خطواتها وفروعها ووسائلها، وإنما نجعل هنا القول دون إطالة ولا تفصيل، والله المستعان وهو حسبنا ونعم الوكيل.

ليقل القاصرون الجبناء إن هذا خيال عريق ووهم استولى على نفوس هؤلاء الناس، وذلك هو الضعف الذى لا نعرفه ولا يعرفه الإسلام. ذلك هو الوهن الذى قذف فى قلوب هذه الأمة فمكَّنَ لأعدائها فيها، وذلك هو خراب القلب من الإيمان وهو علة سقوط المسلمين. وإنما نعلن فى وضوح وصراحة أن كل مسلم لا يؤمن بهذا المنهاج ولا يعمل لتحقيقه لا حظ له فى الإسلام، فليبحث له عن فكرة أخرى يدين بها ويعمل لها.

يا شباب:

لستم أضعف ممن قبلكم ممن حقق الله على أيديهم هذا المنهاج فلا تهنوا وتَضْعُفُوا، وضعوا نصب أعينكم قوله تعالى:

﴿الَّذينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إيمَانًا وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ﴾(١).

سنربى أنفسنا ليكون منا الرجل المسلم، وسنربى بيوتنا ليكون منها البيت المسلم، وسنربى شعبنا ليكون منه الشعب المسلم؛ وسنكون من بين هذا الشعب المسلم، وسنسير بخطوات ثابتة إلى تمام الشوط، وإلى الهدف الذى وضعه الله لنا لا الذى وضعناه لأنفسنا، وسنصل بإذن الله وبمعونته، ويأبى الله إلا أن يتم نوره ولو كره الكافرون.

وقد أعددنا لذلك إيمانًا لا يتزعزع، وعملاً لا يتوقف،

---

(١) سورة آل عمران: ١٧٣.

وثقة بالله لا تضعف، وأرواحًا أسعد أيامها يوم تلقى الله شهيدة فى سبيله.

فليكن ذلك من صميم السياسية الداخلية والخارجية، فإنـ، نستمد ذلك من الإسلام، ونجد بأن هذا التفريق بين الدين والسياسة ليس من تعاليم الإسلام الحنيف، ولا يعرفه المسلمون الصادقون فى دينهم الفاهمون لروحه وتعاليمه، فليهجرنا من يريد تحويلنا عن هذا المنهاج فإنه خصم للإسلام أو جاهل به، وليس له سبيل إلا أحد هذين الوضعين.

أيها الشباب:

يخطئ من يظن أن جماعة الإخوان المسلمين (جماعة دراويش) قد حصروا أنفسهم فى دائرة ضيقة من العبادات الإسلامية، كل همهم صلاة وصوم وذكر وتسبيح، فالمسلمون الأولون لم يعرفوا الإسلام بهذه الصورة، ولم يؤمنوا به على هذا النحو، ولكنهم آمنوا به عقيدة وعبادة، ووطنًا وجنسية، وخلقًا ومادة، وثقافة وقانونًا، وسماحة وقوة، واعتقدوه نظامًا كاملاً يفرض نفسه على كل مظاهر الحياة وينظم أمر الدنيا كما ينظم الآخرة. اعتقدوه نظامًا عمليًا وروحيًا فهو عندهم دين ودولة، ومصحف وسيف. وهم مع هذا لا يهملون أمر عبادتهم ولا يقصرون فى أداء فرائضهم لربهم، يحاولون إحسان الصلاة ويتلون كتاب الله، ويذكرون الله تبارك وتعالى على النحو الذى أمر به وفى الحدود التى وضعها لهم، فى غير غلو ولا سرف، فلا تنطع ولا تعمق، وهم أعرف بقول رسول الله -ﷺ-: **«إن هذا الدين متين فأوغل فيه برفق، إن المنبتّ لا أرضًا قطع ولا ظهراً أبقى»**، وهم مع هذا يأخذون من دنياهم بالنصيب الذى لا يضر بآخرتهم، ويعلمون قول الله تبارك وتعالى: ﴿**قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ**﴾[(١)]، وإن الإخوان ليعلمون أن خير وصف لخير جماعة هو وصف أصحاب رسول الله -ﷺ-: (رهبان فى الليل فرسان فى النهار)، وكذلك يحاولون أن يكونوا والله المستعان.

---

(١) سورة الأعراف: ٣٢.

ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين يتبرمون بالوطن والوطنية، فالمسلمون أشد الناس إخلاصًا لأوطانهم وتفانيًا فى خدمة هذه الأوطان واحترامًا لكل من يعمل لها مخلصًا، وها قد علمت إلى أى حد يذهبون فى وطنيتهم وإلى أى عزة يبغون بأمتهم. ولكن الفارق بين المسلمين وبين غيرهم من دعاة الوطنية المجردة أن أساس وطنية المسلمين العقيدة الإسلامية. فهم يعملون لوطن مثل مصر ويجاهدون فى سبيله ويفنون فى هذا الجهاد لأن مصر من أرض الإسلام وزعيمة أممه؛ كما أنهم لا يقفون بهذا الشعور عند حدودها بل يشركون معها فيه كل أرض إسلامية وكل وطن إسلامى، على حين يقف كل وطنى مجرد عند حدود أمته ولا يشعر بفريضة العمل للوطن إلا عن طريق التقليد أو الظهور أو المباهاة أو المنافع، لا عن طريق الفريضة المنزلة من الله على عباده. وحسبك من وطنية الإخوان المسلمين أنهم يعتقدون عقيدة جازمة لازمة أن التفريط فى أى شبر أرض يقطنه مسلم جريمة لا تغتفر حتى يعيدوه أو يهلكوا دون إعادته، ولا نجاة لهم من الله إلا بهذا.

ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة كسل أو إهمال، فالإخوان يعلنون فى كل أوقاتهم أن المسلم لابد أن يكون إمامًا فى كل شىء، ولا يرضون بغير القيادة والعمل والجهاد والسبق فى كل شىء، فى العلم وفى القوة وفى الصحة وفى المال. والتأخر فى أية ناحية من النواحى ضار بفكرتنا مخالف لتعاليم ديننا، ونحن مع هذا ننكر على الناس هذه المادية الجارفة التى تجعلهم يريدون أن يعيشوا لأنفسهم فقط وأن ينصرفوا بمواهبهم وأوقاتهم وجهودهم إلى الأنانية الشخصية، فلا يعمل أحدهم لغيره شيئًا ولا يعنى من أمر أمته بشىء، والنبى -ﷺ- يقول: «**من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم**»، كما يقول: «**إن الله كتب الإحسان على كل شىء**».

ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين دعاة تفريق عنصرى بين طبقات الأمة فنحن نعلم أن الإسلام عنى أدق العناية باحترام الرابطة الإنسانية العامة بين بنى الإنسان فى مثل قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا**﴾[1]، كما أنه جاء لخير الناس جميعًا ورحمة

(١) سورة الحجرات: ١٣.

من الله للعالمين. ودين هذه مهمته أبعد الأديان عن تفريق القلوب وإيغار الصدور، وبهذا جاء القرآن مثبتًا لهذه الوحدة مشيدًا بها فى مثل قوله تعالى: ﴿لاَ نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ﴾(١). وقد حرم الإسلام الاعتداء حتى في حالات الغضب والخصومة فقال تعالى: ﴿وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلاَّ تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(٢).

وأوصى بالبر والإحسان بين المواطنين وإن اختلفت عقائدهم وأديانهم: ﴿لاَ يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ﴾(٣)، كما أوصى بإنصاف الذميين وحسن معاملتهم: «**لهم ما لنا وعليهم ما علينا**». نعلم كل هذا فلا ندعو إلى فرقة عنصرية، ولا إلى عصبية طائفية. ولكننا إلى جانب هذا لا نشترى هذه الوحدة بإيماننا ولا نساوم فى سبيلها على عقيدتنا ولا نهدر من أجلها مصالح المسلمين، وإنما نشتريها بالحق والإنصاف والعدالة وكفى. فمن حاول غير ذلك أوقفناه عند حده وأبنّا له خطأ ما ذهب إليه: ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين.

ويخطئ من يظن أن الإخوان المسلمين يعملون لحساب هيئة من الهيئات أو يعتمدون على جماعة من الجماعات. فالإخوان المسلمون يعملون لغايتهم على هدى من ربهم، وهى الإسلام وأبناؤه فى كل زمان ومكان، وينفقون مما رزقهم الله ابتغاء مرضاته، ويفخرون بأنهم إلى الآن لم يمدوا يدهم إلى أحد ولم يستعينوا بفرد ولا هيئة ولا جماعة.

أيها الشباب:

على هذه القواعد الثابتة وإلى هذه التعاليم السامية ندعوكم جميعًا. فإن آمنتم بفكرتنا، واتبعتم خطواتنا، وسلكتم معنا سبيل الإسلام الحنيف، وتجردتم من كل فكرة سوى ذلك، ووقفتم لعقيدتكم كل جهودكم فهو الخير لكم فى الدنيا والآخرة، وسيحقق الله بكم إن شاء الله ما حقق بأسلافكم فى العصر الأول،

---

(١) سورة البقرة: ٢٨٥.
(٢) سورة المائدة : ٨.
(٣) سورة المتحنة : ٨.

وسيجد كل عامل صادق منكم فى ميدان الإسلام ما يرضى همته ويستغرق نشاطه إذا كان من الصادقين.

وإن أبيتم إلا التذبذب والاضطراب، والتردد بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة، فإن كتيبة الله ستسير غير عابئة بقلة ولا بكثرة: ﴿وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾[1].

حسن البنا

(١) سورة آل عمران : ١٢٦.

الإخوان المسلمون
تحت راية القرآن

إلى الشباب الظامئ للمجد التليد. . .

إلى الأمة الحيرى على مفترق الطرق. . .

إلى ورثة الدم القانى الذى سطر على هام الزمان آيات الفخار. . .

إلى كل مسلم يؤمن بالسيادة فى الدنيا والسعادة فى دار القرار نقدم:

خطاب الإمام الشهيد حسن البنا

رسالة الماضى القوى الملتهب إلى الحاضر الفتى المضطرب. . .

وعُدَّة الحاضر الثائر للمستقبل الزاهر.

أيها الشباب. . . أيها الهائم يبغى الحياة. . .

أيها التائق لنصر دين الله. . .

أيها المقدّم روحه بين يدى مولاه. . .

هنا الهداية والرشاد. . .

هنا الحكمة والسداد. . .

هنا نشوة البذل ولذة الجهاد. . .

فلتسارع إذن إلى الكتيبة الخرساء. . .

ولتعمل تحت راية سيِّد الأنبياء. . .

وليضمك معسكر «الإخوان المسلمين».

﴿حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ﴾(١).

الإخوان المسلمون

(١) سورة الأنفال : ٣٩.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم. أحييكم بتحية الإسلام(١) تحية من عند الله مباركة طيبة، فسلام الله عليكم ورحمته وبركاته.

أيها الإخوان المسلمون:

أيها الناس أجمعون:

فى هذا الصخب الداوى من صدى الحوادث الكثيرة المريرة، التى تلدها الليالى الحبالى فى هذا الزمان، وفى هذا التيار المتدفق الفياض من الدعوات التى تهتف بها أرجاء الكون، وتسرى بها أمواج الأثير فى أنحاء المعمورة، مجهزة بكل ما يغرى ويخدع من الآمال والوعود والمظاهر.

نتقدم بدعوتنا نحن الإخوان المسلمين.

هادئة، ولكنها أقوى من الزوابع العاصفة.

متواضعة، ولكنها أعز من الشم الرّواسى.

محدودة، ولكنها أوسع من حدود هذه الأقطار الأرضية جميعًا.

خالية من المظاهر الزائفة والبهرج الكاذب، ولكنها محفوفة بجلال الحق، وروعة الوحى، ورعاية الله.

مجرّدة من المطامع والأهواء والغايات الشخصية والمنافع الفردية، ولكنها تورث المؤمنين بها والصادقين فى العمل لها السيادة فى الدنيا والجنة فى الآخرة.

---

(١) نصُّ الخطاب الجامع الذى ألقاه الأستاذ الإمام فى الاجتماع الحاشد يوم الثلاثاء ١٤ صفر سنة ١٣٥٨هـ الموافق ٤ إبريل سنة ١٩٣٩م بدار الإخوان المسلمين بالقاهرة.

على ضوء الدعوة الأولى:

أيها الإخوان المسلمون...

أيها الناس أجمعون...

اسمعوها صريحة داوية، يجلجل بها صوت الداعي الأول من بعد، كما جلجل بها من قبل: ﴿يَا أَيُّهَا الْمُدَّثِّرُ ۝ قُمْ فَأَنذِرْ ۝ وَرَبَّكَ فَكَبِّرْ﴾(١).

ويدوى معها سرُّ قوله تعالى: ﴿فَاصْدَعْ بِمَا تُؤْمَرُ وَأَعْرِضْ عَنِ الْمُشْرِكِينَ﴾(٢)، ويهتف بها لسان الوحى مخاطبًا الناس أجمعين: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٣).

أين نحن من تعاليم الإسلام؟

أيها الإخوان المسلمون.

أيها الناس أجمعون.

إن الله بعث لكم إمامًا، ووضع لكم نظامًا، وفصل أحكامًا، وأنزل كتابًا، وأحل حلالاً، وحَرم حرامًا، وأرشدكم إلى ما فيه خيركم وسعادتكم، وهداكم سواء السبيل؛ فهل اتبعتم إمامه، واحترمتم نظامه، وأنفذتم أحكامه، وقدستم كتابه، وأحللتم حلاله، وحَرمتم حرامه؟

كونوا صرحاء فى الجواب، وسترون الحقيقة واضحة أمامكم، كل النظم التى تسيرون عليها فى شئونكم الحيوية نظم تقليدية بحتة لا تتصل بالإسلام، ولا تستمد منه ولا تعتمد عليه.

نظام الحكم الداخلى.

نظام العلاقات الدولية.

---

(١) سورة المدثر: ١-٣.

(٢) سورة الحجر: ٩٤.

(٣) سورة الأعراف: ١٥٨.

نظام القضاء.

نظام الدفاع والجندية.

نظام المال والاقتصاد للدولة والأفراد.

نظام الثقافة والتعليم.

بل نظام الأسرة والبيت.

بل نظام الفرد فى سلوكه الخاص.

الروح العام الذى يهيمن على الحاكمين والمحكومين، ويشكل مظاهر الحياة على اختلافها، كل ذلك بعيد عن الإسلام وتعاليم الإسلام.

وماذا بقى بعد هذا؟

هذه المساجد الشامخة القائمة التى يعمرها الفقراء والعاجزون، فيؤدون فيها ركعات خالية من معانى الروحانية والخشوع إلا من هَدى الله؟

هذه الأيام التى تصام فى العام فتكون موسمًا للتعطل والتبطل والطعام والشراب، وقلما تتجدد فيها نفس أو تزكو بها روح...

﴿إِلاَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ﴾[1].

هذه المظاهر الخادعة من المسابح والملابس، واللحى والمراسم، والطقوس والألفاظ والكلمات...

أهذا هو الإسلام الذى أراده الله أن يكون رحمته العظمى، ومنته الكبرى على العالمين؟

أهذا هدى محمد -ﷺ- الذى أراد به أن يخرج الناس من الظلمات إلى النور؟

أهذا هو تشريع القرآن الذى عالج أدواء الأمم ومشكلات الشعوب، ووضع للإصلاح أدق القواعد وأرسخ الأصول؟

---

(١) سورة ص: ٢٤.

موجة التقليد الغربي:

أيها الإخوان المسلمون.

بل أيها الناس أجمعون.

من الحق أن نعترف بأن موجة قوية جارفة وتيارًا شديدًا دفاقًا قد طغى على العقول والأفكار فى غفلة من الزمن، وفى غرور من أمم الإسلام، وانغماس منهم فى الترف والنعيم. . . فقامت مبادئ ودعوات، وظهرت نظم وفلسفات، وتأسست حضارات ومدنيات، ونافست هذه كلها فكرة الإسلام فى نفوس أبنائها، وغزت أممه فى عقر دارها، وأحاطت بهم من كل مكان، ودخلت عليهم بلدانهم وبيوتهم ومخادعهم، بل احتلت قلوبهم وعقولهم ومشاعرهم، وتهيأ لها من أسباب الإغواء والإغراء والقوة والتمكن ما لم يتهيأ لغيرها من قبل، واجتاحت أممًا إسلامية بأسرها، وانخدعت بها دول كانت فى الصميم والذؤابة من دول الإسلام، وتأثر ما بقى تأثرًا بالغًا ونشأ فى كل الأمم الإسلامية جيل مخضرم، إلى غير الإسلام أقرب، تَصدَّر فى تصريف أمورها واحتل مكان الزعامة الفكرية والروحية والسياسية والتنفيذية منها، فدفع بالشعوب مخافلة إلى ما يريد، بل إلى ما ألف، وهى لا تدرى ما يراد بها ولا ما تصير إليه. وارتفعت أصوات الدعاة إلى الفكرة الطاغية: أن خلصونا مما بقى من الإسلام وآثار الإسلام، وتقبلوا معنا راضين لا كارهين مستلزمات هذه الحياة وتكاليفها وأفكارها ومظاهرها، واطرحوا بقية الفكرة البالية من رءوسكم ونفوسكم، ولا تكونوا مخادعين منافقين معاندين، تعملون عمل الغربيين وتقولون قول المسلمين.

من الحق أن نعرف أننا بعدنا عن هدى الإسلام وأصوله وقواعده، والإسلام لا يأبى أن نقتبس النافع وأن نأخذ الحكمة أنى وجدناها، ولكنه يأبى كل الإباء أن نتشبه فى كل شىء بمن ليسوا من دين الله على شىء، وأن نطرح عقائده وفرائضه وحدوده وأحكامه، لنجرى وراء قوم فتنتهم الدنيا واستهوتهم الشياطين.

حقًا لقد تقدم العلم، وتقدم الفن، وتقدم الفكر، وتزايد المال وتبرجت الدنيا، وأخذت الأرض زخرفها وازينت، وأترف الناس ونعموا؛ ولكن هل جلب

شيء من هذا السعادة لهم، وهل أمَّن لهم شيء من هذه الحياة، أو ساق إلى نفوسهم الهدوء والطمأنينة؟

هل اطمأنت الجنوب فى المضاجع؟

هل جفت الجفون عن المدامع؟

هل حوربت الجريمة، واستراح المجتمع من شرور المجرمين؟

هل استغنى الفقراء وأشبعت الملايين التى تفوق الحصر بطون الجائعين؟

هل ساقت هذه الملاهى والمفاتن، التى ملأت الفضاء وسرت مسرى الهواء، العزاء إلى المحزونين؟

هل تذوقت الشعوب طعم الراحة والهدوء، وأمنت عدوان المعتدين وظلم الظالمين؟

لا شيء من هذا أيها الناس، فما فضل هذه الحضارة إذن على غيرها من الحضارات؟

وهل هذا فحسب؟

ألسنا نرى هذه النظم والتعاليم والفلسفات حتى فى العلوم وفى الأرقام يحطم بعضها بعضًا، ويقضى بعضها على بعض، ويرجع الناس بعد طول التجربة وعظيم التضحيات فيها بمرارة الفشل وخيبة الأمل وألم الحرمان؟

مهمتنا

ما مهمتنا إذن نحن الإخوان المسلمين ؟

أما إجمالاً :

فهى أن نقف فى وجه هذه الموجة الطاغية من مدنية المادة وحضارة المتع والشهوات، التى جرفت الشعوب الإسلامية، فأبعدتها عن زعامة النبى -ﷺ- وهداية القرآن، وحرمت العالم من أنوار هديها، وأخرت تقدمه مئات السنين، حتى تنحسر عن أرضنا ويبرأ من بلائها قومنا. ولسنا واقفين عند هذا الحد بل

سنلاحقها في أرضها، وسنغزوها في عقر دارها، حتى يهتف العالم كله باسم النبي -ﷺ-، وتوقن الدنيا كلها بتعاليم القرآن، وينتشر ظل الإسلام الوارف على الأرض. وحينئذ يتحقق للمسلم ما ينشده، فلا تكون فتنة ويكون الدين كله لله: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِن قَبْلُ وَمِن بَعْدُ وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٤﴾ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾(١).

وأما تفصيلاً:

هذه مهمتنا نحن الإخوان المسلمين إجمالاً، فأما في بعض تفاصيلها فهي أن يكون في مصر أولاً، بحكم أنها في المقدمة من دول الإسلام وشعوبه، ثم في غيرها كذلك:

- نظام داخلي للحكم يتحقق به قول الله تبارك وتعالى:

﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ﴾(٢).

- ونظام للعلاقات الدولية يتحقق به قول القرآن الكريم:

﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٣).

- ونظام عملي للقضاء يستمد من الآية الكريمة:

﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٤).

- ونظام للدفاع والجندية يحقق مرمى النفير العام:

﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ﴾(٥).

---

(١) سورة الروم: ٤.
(٢) سورة المائدة: ٤٩.
(٣) سورة البقرة: ١٤٣.
(٤) سورة النساء: ٦٥.
(٥) سورة التوبة: ٤١.

- ونظام اقتصادى استقلالى للثروة والمال والدولة والأفراد أساسه قوله تعالى:

﴿وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾(١).

- ونظام للثقافة والتعليم يقضى على الجهالة والظلام، ويطابق جلال الوحى فى أول آية من كتاب الله: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾(٢).

- ونظام للأسرة والبيت ينشئ الصبى المسلم والفتاة المسلمة والرجل المسلم، ويحقق قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا قُوا أَنفُسَكُمْ وَأَهْلِيكُمْ نَارًا وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ﴾(٣).

- ونظام للفرد فى سلوكه الخاص يحقق الفلاح المقصود بقوله تعالى:

﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا﴾(٤).

- وروح عام يهيمن على كل فرد فى الأمة من حاكم أو محكوم قوامه قول الله تعالى:

﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلا تَبْغِ الْفَسَادَ فِي الأَرْضِ﴾(٥).

نحن نريد:

الفرد المسلم ....

والبيت المسلم ...

والشعب المسلم...

والحكومة المسلمة ...

---

(١) سورة النساء: ٥.
(٢) سورة العلق: ١.
(٣) سورة التحريم: ٦.
(٤) سورة الشمس: ٩.
(٥) سورة القصص: ٧٧.

والدولة التى تقود الدول الإسلامية، وتضم شتات المسلمين وتستعيد مجدهم، وترد عليهم أرضهم المفقودة، وأوطانهم المسلوبة وبلادهم المغصوبة، ثم تحمل علم الجهاد ولواء الدعوة إلى الله، حتى تسعد العالم بتعاليم الإسلام.

عدتنا

هذه غايتنا أيها الناس، وهذا منهاجنا:

فما عدتنا لتحقيق هذا المنهاج ؟

عدتنا هى عدة سلفنا من قبل، والسلاح الذى غزا به زعيمنا وقدوتنا محمد رسول الله -ﷺ- وصحابته معه العالم، مع قلة العدد وقلة المورد وعظيم الجهد، هو السلاح الذى سنحمله لنغزوَ به العالم من جديد. لقد آمنوا أعمق الإيمان وأقواه وأقدسه وأخلده، بالله ونصره وتأييده:

﴿إِن يَنصُرْكُمُ اللَّهُ فَلا غَالِبَ لَكُمْ﴾[1]. وبالقائد وصدقه وإمامته: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾[2].

- وبالمنهاج ومزيته وصلاحيته:

﴿قَدْ جَاءَكُم مِّنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُّبِينٌ ﴿١٥﴾ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلامِ﴾[3].

- وبالإخاء وحقوقه وقدسيته:

﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾[4].

- وبالجزاء وجلاله وعظمته وجزالته:

﴿ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلا نَصَبٌ وَلا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَطَئُونَ

(١) سورة آل عمران: ١٦٠.
(٢) سورة الأحزاب: ٢١.
(٣) سورة المائدة: ١٥، ١٦.
(٤) سورة الحجرات: ١٠.

مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوٍّ نَّيْلاً إِلاَّ كُتِبَ لَهُم بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ﴾(١).

وبأنفسهم: فهم الجماعة التى وقع عليها اختيار القدر لإنقاذ العالمين، وكتب لهم الفضل بذلك، فكانوا خير أمة أخرجت للناس.

لقد سمعوا المنادى ينادى للإيمان فآمنوا، ونحن نرجو أن يحبب الله إلينا هذا الإيمان، ويزينه فى قلوبنا كما حببه إليهم، وزينه من قبل فى قلوبهم.

فالإيمان أول عدتنا:

ولقد علموا أصدق العلم وأوثقه، أن دعوتهم هذه لا تنتصر إلا بالجهاد، والتضحية والبذل وتقديم النفس والمال، فقدموا النفوس وبذلوا الأرواح، وجاهدوا فى الله حق جهاده، وسمعوا هاتف الرحمن يهتف بهم:

﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ وَإِخْوَانُكُمْ وَأَزْوَاجُكُمْ وَعَشِيرَتُكُمْ وَأَمْوَالٌ اقْتَرَفْتُمُوهَا وَتِجَارَةٌ تَخْشَوْنَ كَسَادَهَا وَمَسَاكِنُ تَرْضَوْنَهَا أَحَبَّ إِلَيْكُم مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَجِهَادٍ فِي سَبِيلِهِ فَتَرَبَّصُوا حَتَّىٰ يَأْتِيَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ﴾(٢).

فأصاخوا للنذير، وخرجوا عن كل شىء، طيبة بذلك نفوسهم، راضية قلوبهم، مستبشرين ببيعهم الذى بايعوا الله به.

يعانق أحدهم الموت وهو يهتف : ركضًا إلى الله بغير زاد.

ويبذل أحدهم المال كله قائلاً : أبقيت لعيالى الله ورسوله.

ويخطر أحدهم والسيف على عنقه :

ولست أبالى حين أُقتَلُ مسلمًا
على أىِّ جنب كان فى الله مَصرعَى

---

(١) سورة التوبة : ١٢٠.
(٢) سورة التوبة : ٢٤.

كذلك كانوا : صدق جهاد، وعظيم تضحية، وكبير بذل، وكذلك نحاول أن نكون!

فالجهاد من عدتنا كذلك :

ونحن بعد هذا كله واثقون بنصر الله، مطمئنون إلى تأييده :

﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ ۝٤٠ الَّذِينَ إِن مَّكَّنَّاهُمْ فِي الأَرْضِ أَقَامُوا الصَّلاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنكَرِ وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الأُمُورِ ﴾(١) .

بين الخيال والحقيقة :

سيقول الذين يسمعون هذا إنه الخيال بعينه وإنه الوهم، وإنه الغرور. وأنى لهؤلاء الذين لا يملكون إلا الإيمان والجهاد أن يقاوموا هذه القوى المتألبة المجتمعة، والأسلحة المتنوعة المختلفة، وأن يصلوا إلى حقهم، وهم بين ذراعى وجبهة الأسد.

سيقول كثيرون هذا، ولعل لهم بعض العذر، فهم قد يئسوا من أنفسهم، ويئسوا من صلتهم بالقوى القادر. أما نحن فنقول إنها الحقيقة التى نؤمن بها ونعمل لها، ونحن نقرأ قول الله تعالى:

﴿ وَلا تَهِنُوا فِي ابْتِغَاءِ الْقَوْمِ إِن تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ ﴾(٢) .

وإن الذين فتحوا أقطار الدنيا، ومكّن الله لهم فى الأرض من أسلافنا لم يكونوا أكثر عدداً، ولا أعظم عُدة، ولكنهم مؤمنون مجاهدون، ونحن سنعتد اليوم بما اعتد به رسول الله -ﷺ- يوم قال: «**بشر خُبَيبًا بظهور هذا الأمر حتى يسير الراكب من عدن إلى عمان لا يخشى إلا الله والذئب على غنمه**» وكانوا إذ ذاك يستترون.

ويوم وعد سُراقة بن مالك سوارَىْ كسرى، وكان مهاجراً بدينه ليس معه إلا ربه وصاحبه.

---

(١) سورة الحج : ٤٠، ٤١.

(٢) سورة النساء : ١٠٤.

ويوم هتف مطلعًا على قصور الروم البيضاء، وقد حاصره المشركون فى مدينته بجنود من فوقهم ومن أسفلَ منهم:

﴿ وَإِذْ زَاغَتِ الأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ ﴾(١).

ثم ماذا كان بعد ذلك ؟

كان أن أصغى مسمع الدهر لدعوة رسول الله -ﷺ-، وترددت فى فم الزمان آيات قرآنية، وأشرقت شموس الهداية فى كل مكان من قلوب أصحابه وأتباعه، وعم الكون نور، ورفرف على الدنيا سلام، وتذوقت الإنسانية حلاوة السعادة بعدالة الحكم، وأمن المحكوم فى ظل هذا الرعيل الأول من تلامذة محمد صلوات الله عليه وسلامه، وفتحت قصور الروم، ودانت مدائن الفرس، ومدت الأرض بأعناقها، وألقت بجرانها وزويت أكنافها، واستسلمت مختارة للهداية المنقذة، ترف عليها أنفاس النبوة، وتمازجها أنفاس الوحى المقدس، وتحف بها رحمة الله من كل جانب:

﴿ وَرَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِغَيْظِهِمْ لَمْ يَنَالُوا خَيْرًا وَكَفَى اللَّهُ الْمُؤْمِنِينَ الْقِتَالَ وَكَانَ اللَّهُ قَوِيًّا عَزِيزًا (٢٥) وَأَنزَلَ الَّذِينَ ظَاهَرُوهُم مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ مِن صَيَاصِيهِمْ وَقَذَفَ فِي قُلُوبِهِمُ الرُّعْبَ فَرِيقًا تَقْتُلُونَ وَتَأْسِرُونَ فَرِيقًا (٢٦) وَأَوْرَثَكُمْ أَرْضَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضًا لَّمْ تَطَئُوهَا وَكَانَ اللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا ﴾(٢).

سنعتد أيها الناس اليوم بهذه العدة، وسننتصر كما انتصر أسلافنا بالأمس القريب، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم، وسيتحقق لنا وعد الله تبارك وتعالى:

﴿ وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ (٥) وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ ﴾(٣).

﴿ فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ وَلا يَسْتَخِفَّنَّكَ الَّذِينَ لا يُوقِنُونَ ﴾(٤).

---

(١) سورة الأحزاب : ١٠.

(٢) سورة الأحزاب : ٢٥-٢٧.

(٣) سورة القصص : ٥.

(٤) سورة الروم : ٦٠.

لو كانت لنا حكومة :

لو كانت لنا حكومة إسلامية صحيحة الإسلام، صادقة الإيمان، مستقلة التفكير والتنفيذ، تعلم حق العلم عظمة الكنز الذى بين يديها، وجلال النظام الإسلامى الذى ورثته، وتؤمن بأن فيه شفاء شعبها، وهداية الناس جميعًا. . . لكان لنا أن نطلب إليها أن تدعم الدنيا باسم الإسلام، وأن تطالب غيرها من الدول بالبحث والنظر فيه، وأن تسوقها سوقًا إليه بالدعوات المتكررة والإقناع والدليل والبعثات المتتالية، وبغير ذلك من وسائل الدعوة والإبلاغ، ولاكتسبت مركزًا روحيًا وسياسيًا وعمليًا بين غيرها من الحكومات. ولاستطاعت أن تجدد حيوية الشعب، وتدفع به نحو المجد والنور، وتثير فى نفسه الحماسة والجد والعمل.

عجيب أن تجد الشيوعية دولة تهتف بها، وتدعو إليها، وتنفق فى سبيلها، وتحمل الناس عليها. وأن تجد الفاشستية والنازية أممًا تقدسها، وتجاهد لها، وتعتز باتباعها، وتخضع كل النظم الحيوية لتعاليمها. وأن تجد المذاهب الاجتماعية والسياسية المختلفة أنصارًا أقوياء، يقفون عليها أرواحهم وعقولهم وأفكارهم وأقلامهم وأموالهم وصحفهم وجهودهم، ويحيون ويموتون لها.

ولا نجد حكومة إسلامية تقوم بواجب الدعوة إلى الإسلام، الذى جمع محاسن هذه النظم جميعًا وطرح مساوئها، وتقدمه لغيرها من الشعوب كنظام عالمى فيه الحل الصحيح الواضح المريح لكل مشكلات البشرية، مع أن الإسلام جعل الدعوة فريضة لازمة، وأوجبها على المسلمين شعوبًا وجماعات قبل أن تخلق هذه النظم، وقبل أن يعرف فيها نظام الدعايات:

﴿وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(١).

ولكن أنّى لحكامنا هذا، وهم جميعًا قد تربوا فى أحضان الأجانب، ودانوا بفكرتهم، على آثارهم يهرعون، وفى مرضاتهم يتنافسون؟ ولعلنا لا نكون مبالغين

(١) سورة آل عمران : ١٠٤.

إذا قلنا إن الفكرة الاستقلالية فى تصريف الشئون والأعمال لم تخطر ببالهم، فضلاً عن أن تكون منهاج عملهم.

لقد تقدمنا بهذه الأمنية إلى كثير من الحاكمين فى مصر، وكان طبيعيًا ألا يكون لهذه الأمنية أثر عملى. فإن قومًا فقدوا الإسلام فى أنفسهم وبيوتهم وشئونهم الخاصة والعامة لأعجز من أن يفيضوه على غيرهم، ويتقدموا بدعوة سواهم إليه، وفاقد الشىء لا يعطيه.

ليست هذه مهمتهم أيها الإخوان، فقد أثبتت التجارب عجزهم المطلق عن أدائها، ولكنها مهمة هذا النشء الجديد، فأحسنوا دعوته، وجدوا فى تكوينه، وعلموه استقلال النفس والقلب، واستقلال الفكر والعقل، واستقلال الجهاد والعمل، واملئوا روحه الوثابة بجلال الإسلام وروعة القرآن، وجندوه تحت لواء محمد ورايته، وسترون منه فى القريب الحاكم المسلم الذى يجاهد نفسه ويسعد غيره.

طبيعة فكرتنا:

أيها الإخوان المسلمون ...

بل أيها الناس أجمعون...

لسنا حزبًا سياسيًا وإن كانت السياسة على قواعد الإسلام من صميم فكرتنا...

ولسنا جمعية خيرية إصلاحية، وإن كان عمل الخير والإصلاح من أعظم مقاصدنا...

ولسنا فرقًا رياضية، وإن كانت الرياضة البدنية والروحية من أهم وسائلنا...

لسنا شيئًا من هذه التشكيلات، فإنها جميعًا تبررها غاية موضعية محدودة لمدة معدودة، وقد لا يوحى بتأليفها إلا مجرد الرغبة فى تأليف هيئة، والتحلى بالألقاب الإدارية فيها.

ولكننا أيها الناس: فكرة وعقيدة، ونظام ومنهاج، لا يحدده موضع ولا يقيده جنس، ولا يقف دونه حاجز جغرافى، ولا ينتهى بأمر حتى يرث الله الأرض ومن عليها ذلك لأنه نظام رب العالمين، ومنهاج رسوله الأمين.

نحن أيها الناس -ولا فخر- أصحابُ رسول الله -ﷺ-، وحملة رايته من بعده، ورافعو لوائه كما رفعوه، وناشرو لوائه كما نشروه، وحافظو قرآنه كما حفظوه، والمبشرون بدعوته كما بشَّروا، ورحمة الله للعالمين: ﴿وَلَتَعْلَمُنَّ نَبَأَهُ بَعْدَ حِينٍ﴾(١).

أيها الإخوان المسلمون:

هذه منزلتكم، فلا تصغروا فى أنفسكم، فتقيسوا أنفسكم بغيركم، أو تسلكوا فى دعوتكم سبيلاً غير سبيل المؤمنين، أو توازنوا بين دعوتكم التى تتخذ نورها من نور الله ومنهاجها من سنة رسوله، بغيرها من الدعوات التى تبررها الضرورات، وتذهب بها الحوادث والأيام. لقد دعوتم وجاهدتم، ولقد رأيتم ثمار هذا المجهود الضئيل أصواتًا تهتف بزعامة رسول الله وهيمنة نظام القرآن، ووجوب النهوض للعمل، وتخليص الغاية لله، ودماء تسيل من شباب طاهر كريم فى سبيل الله، ورغبة صادقة للشهادة فى سبيل الله. وهذا نجاح فوق ما كنتم تنتظرون، فواصلوا جهودكم، واعملوا والله معكم، ولَن يَترِكُمْ أعمالَكمْ.

فمن تبعنا الآن فقد فاز بالسبق، ومن تقاعد عنا من المخلصين اليوم فسيلحق بنا غدًا، وللسابق عليه الفضل. ومن رغب عن دعوتنا، زهادة، أو سخرية بها، أو استصغاراً لها، أو يائسًا من انتصارها، فستثبت له الأيام عظيم خطئه، وسيقذف الله بحقنا على باطله فيدمغه فإذا هو زاهق.

فإلينا إلينا أيها المؤمنون العاملون، والمجاهدون المخلصون فهنا الطريق السّوى، والصراط المستقيم، ولا توزعوا القوى والجهود:

﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾(٢).

حسن البنا

(١) سورة ص: ٨٨.
(٢) سورة الأنعام: ١٥٣.

دعوتنا
فى طور جديد

بسم الله الرحمن الرحيم

كان من الواجب قبل أن نتطرق فى دراستنا إلى مختلف نواحى الفكرة الإسلامية، وقبل أن نتولى الرد على ما يحوم حولها من شبهات، وقبل أن نعرض على بساط النقد غيرها من الأفكار، أقول كان من الواجب أن نلم إلمامة سريعة بأهداف فكرتنا وخصائصها ووسائلها، حتى تكون جولاتنا المقبلة على أساس من فهم سابق لفكرتنا.

ربانية عالمية

أخص خصائص دعوتنا أنها ربانية عالمية :

(أ) أما أنها ربانية فلأن الأساس الذى تدور عليه أهدافنا جميعًا، أن يتعرف الناس إلى ربهم، وأن يستمدوا من فيض هذه الصلة روحانية كريمة تسمو بأنفسهم عن جمود المادة الصماء وجحودها إلى طهر الإنسانية الفاضلة وجمالها. ونحن الإخوان المسلمين نهتف من كل قلوبنا: (الله غايتنا) فأول أهداف هذه الدعوة أن يتذكر الناس من جديد هذه الصلة التى تربطهم بالله تبارك وتعالى والتى نسوها فأنساهم الله أنفسهم: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾(١)، وهذا فى الحقيقة هو المفتاح الأول لمغاليق المشكلات الإنسانية التى أوصدها الجمود والمادية فى وجوه البشر جميعًا فلم يستطيعوا إلى حلِّها سبيلاً، وبغير هذا المفتاح فلا إصلاح.

(ب) وأما أنها عالمية فلأنها موجهة إلى الناس كافة لأن الناس فى حكمها إخوة: أصلهم واحد، وأبوهم واحد، ونسبهم واحد، لا يتفاضلون إلا بالتقوى

---

(١) سورة البقرة : ٢٣.

وبما يقدم أحدهم للمجموع من خير سابغ وفضل شامل : ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيباً﴾(١)، فنحن لا نؤمن بالعنصرية الجنسية، ولا نشجع عصبية الأجناس والألوان، ولكنا ندعو إلى الإخوَّة العادلة بين بنى الإنسان.

قرأت لأحد زعماء الغرب أنه يقسم الجنس البشرى إلى مبتكرين ومحافظين ومخربين، وهو يعتبر قومه مبتكرين ويعتبر قومًا آخرين من الغربيين محافظين، ويعتبرنا نحن الشرقيين وما إلينا عدا هذين مخربين ومدمرين. هذا التقسيم ظالم جائر فضلاً عن أنه غير صحيح بأصله، فالجنس البشرى كله مرده إلى دم واحد وطينة واحدة وإن اختلفت البيئات والأوساط والمدارك والثقافات. وإذا هذب الإنسان استطاع أن يرتقى من رتبته إلى أعلى منها بدرجة ما يصل إليه من تهذيب. وليس هناك جنس من بنى آدم لا يمكن إصلاحه فى حدود ظروفه وبيئته الخاصة به. هذا من جهة، ومن جهة أخرى فإن هذا الشرق الذى وضع فى صف المخربين والمدمرين هو مبعث المدنيات ومشرق الحضارات ومهبط الرسالات، وهو مفيض ذلك كله على الغرب، لا ينكر هذا إلا جاحد مكابر. ومثل هذه المزاعم الباطلة إنما هى نزوات من غرور الإنسان وطيش الوجدان لا يمكن أن تستقر على أساسها نهضات أو تقوم على قاعدتها مدنيات، وما دام فى الناس من يشعر بمثل هذا الشعور لأخيه الإنسان فلا أمن ولا سلام ولا اطمئنان حتى يعود الناس إلى علم الأخوة فيرفعونه خفاقًا، ويستظلون بظله الوارف الأمين، ولن يجدوا طريقًا معبدة إلى ذلك كطريق الإسلام الذى يقول كتابه: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوباً وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ﴾(٢)، ويقول نبيه -ﷺ-: **«ليس منا من دعا إلى عصبية، وليس منا من مات على عصبية»** رواه أحمد من حديث جبير بن مطعم -رضي الله عنه-.

ولهذا كانت دعوة الإخوان المسلمين ربانية إنسانية.

---

(١) سورة النساء : ١.

(٢) سورة الحجرات : ١٣.

بين العقلية الغيبية والعقلية العلمية

ولقد تذبذب العقل البشرى منذ وجد الإنسان على ظهر الأرض إلى يومه هذا -وأغلب الظن كذلك حتى تتداركه هداية من الله- بين أطوار ثلاثة، وإن شئت قلت بين ألوان ثلاثة من ألوان التفكير والتصوير:

١- طور الخرافة والبساطة والتسليم المطلق للغيب المجهول والقوى الخفية البعيدة عنه. فهو ينسب إليها كل شىء ويفسر بها كل شىء. ولا يرى لنفسه معها عملاً ولا فكرًا، وكثيراً ما استبد هذا الطور بالإنسان فى أدوار حياته الأولى يوم عاش على هذه الأرض يجهلها وتجهله، ولعل أقوامًا من بنى الإنسان لا يزالون يعيشون على هذا النحو إلى الآن.

٢- وطور الجمود والمادية والتنكر لهذا الغيب المجهول، والخروج على هذه القوى البعيدة عن حس الإنسان والتمرد على كل ما يتصل إليها بسبب، ومحاولة تفسير مظاهر الكون جميعًا محاولة مادية صرفة وفق قوانين تجريبية اهتدى إليها الإنسان بطول تجاربه ودوام بحثه وتفكيره. وكثيراً ما طغى هذا التفكير على العقل الإنسانى فى هذه العصور الحديثة، التى وصل فيها الإنسان إلى الكشف عن كثير من مجهولات الطبيعة، وعرف فيها الكثير من خواص الكائنات، فظن أنه واصل لا محالة بهذا الأسلوب إلى معرفة ما هناك، وإن كان الذى يعرفه بالنسبة إلى ما يجهله كالذرة من الرمال فى الفلاة الواسعة الفسيحة.

وفى هذا الدور أنكر الإنسان المادى الألوهية وما يتصل بها والنبوات وما يمتّ إليها والآخرة والجزاء والعالم الروحى بكلّ ما فيه، ولم ير شيئًا إلا هذا العالم الأدنى المحدود يفسر ظواهره بحسب قوانينه المادية الصرفة.

كلا هذين اللونين من ألوان التفكير خطأ صريح وغلوٌّ فاحش وجهالة من الإنسان بما يحيط بالإنسان، ولقد جاء الإسلام الحنيف يفصل القضية فصلاً حقًا، فيقرر حق العالم الروحى ويوضح صلة الإنسان بالله رب الكائنات جميعًا وبالحياة الآخرة بعد هذه الحياة الدنيا، ويجعل الإيمان بالله أساس صلاح النفس التى هى من عالم الروح فعلاً والتى لا سبيل إلى صلاحها إلا بهذا الإيمان،

ويصف ذلك العالم الغيبى المجهول وصفًا يقربه إلى الأذهان ولا يتنافى مع بدهيات العقول، وهو مع هذا يقرر فضل هذا العالم المادى وما فيه من خير للناس لو عمروه بالحق وانتفعوا به فى حدود الخير، ويدعو إلى النظر السليم فى ملكوت السموات والأرض، ويعتبر هذا النظر أقرب إلى معرفة الله العلى الكبير. هذا الموقف من الإسلام الحنيف ألزم العقل البشرى لونا من ألوان التفكير، هو أكملها وأتمها وأكثرها انطباقًا على واقع الحياة ومنطق الكون، وأعظمها نفعًا لبنى الإنسان: ذلك هو الجمع بين الإيمان بالغيب والانتفاع بالعقل. فنحن نعيش فى عالمين فعلاً لا فى عالم واحد، ونحن عاجزون عن تفسير كثير من ظواهر الكون فعلاً، عاجزون عن إدراك كل الحقائق الأولية التى تحيط بنا. ونحن فى إدراكها ننتقل من مجهول إلى مجهول حتى ينتهى بنا العجز إلى الإقرار بعظمة الله، ونحن نشعر من أعماق قلوبنا بعاطفة الإيمان قوية مشبوبة، لأن الإيمان من فطرة نفوسنا وهو لها ضرورة من ضرورات حياتها كالغذاء والهواء والماء للأجسام سواء بسواء. ونحن بعد ذلك نلمس أن هذا المجتمع الإنسانى لن يصلحه إلا اعتقاد روحى يبعث فى النفوس مراقبة الله والتعزى بمعرفته، ومن هنا كان لزامًا على الناس أن يعودوا إلى الإيمان بالله وبالنبوات وبالروح وبالحياة الآخرة، وبالجزاء فيها على الأعمال: ﴿فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ۝٧ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾(١)، كل هذا فى الوقت الذى يجب عليهم فيه أن يطلقوا لعقولهم العنان لتعلم وتعرف وتخترع وتكتشف وتسخر هذه المادة الصماء، وتنتفع بما فى الوجود من خيرات وميزات: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٢)، وإلى هذا اللون من التفكير الذى يجمع بين العقليتين الغيبية والعلمية ندعو الناس. لقد عاش الغرب أخريات أيامه مادى النزعة لا يشعر بغير المادة ولا يعترف بغير المادة ولا يحس بوجود غيرها حتى ماتت فى نفوس أبنائه عواطف الرحمة الإنسانية، وخبت أنواع الروحانية الربانية. وهيمن الغرب على الدنيا بأسرها بعلومه ومعارفه ومباهجه وزخارفه وكشوفه ومخترعاته وجنوده وأمواله، وصبغ الفكر البشرى فى كل مكان بصبغته هذه. والآن والدنيا كلها تكتوى بهذه النيران تنبثق الدعوة من

---

(١) سورة الزلزلة: ٧، ٨.

(٢) سورة طه: ١١٤.

جانب جديد لتهيب بالناس فى الشرق والغرب معًا أن يمزجوا المادة بالروح، وأن يؤمنوا بالغيب والشهادة، وأن يتعرفوا من جديد إلى الله: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾(١).

مكان القومية والعروبة والشرقية والعالمية من هذه الدعوة

وكما أن دعوتنا هذه ربانية تدعو إلى هجر المادية ومقاومتها والوقوف فى وجه طغيانها والحد من سلطانها والفرار إلى الله والإيمان به والاعتماد عليه وحسن مراقبته فى كل عمل، فهى كذلك إنسانية تدعو إلى الآخرة بين بنى الإنسان وترمى إلى إسعادهم جميعًا لأنها إسلامية، والإسلام للناس كافة ليس لجنس دون جنس ولا لأمة دون أخرى: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾(٢)، ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(٣)، ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ كَافَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا﴾(٤).

ومن هذا العموم فى بعثة النبى -ﷺ- ومدى رسالته استمدت دعوتنا العموم فى هدفها ومرماها، فهى دعوة توجه الناس جميعًا وتؤاخى بينهم جميعًا وتسعى لخيرهم جميعًا ولا تعترف بفوارق الأجناس والألوان ولا تتغير بتغير الشعوب والأوطان.

وتتردد فى أفواه الدعاة والناس ألفاظ كثيرة يعنون بها آراء ومذاهب فأين مكان هذه الألفاظ فى دعوتنا؟ إن لكل لفظ من هذه الألفاظ ولكل رأى من هذه الآراء مكانًا فى دعوتنا لا لأننا نعمل لإرضاء الجميع ونجامل فى الفكرة وعلى حسابها ولكن لأن طبيعة دعوتنا هكذا عموم وشمول:

---

(١) سورة الذاريات : ٥٠ .
(٢) سورة الفرقان : ١.
(٣) سورة الأعراف : ١٥٨ .
(٤) سورة سبأ : ٢٨ .

أ- **فالمصرية:** أو القومية لهـا فى دعوتنا مكانها ومنزلتها وحـقها فى الكفاح والنضال.

إننا مصريون بهذه البـقعة الكريمة من الأرض التى نبتنا فيـها ونشأنا عليها. ومصر بلد مؤمن تلقى الإسلام تلقيًا كـريمًا وذاد عنه ورد عنه العدوان فى كثير من أدوار التاريخ وأخلص فـى اعتناقه وطوى عليـه أعطف المشاعـر وأنبل العواطف، وهو لا يصلح إلا بالإسلام ولا يداوى إلا بعقاقـيره ولا يطب له إلا بعلاجه. وقد انتهت إليه بحكم الظروف الكثيرة حضانة الفكرة الإسلامية والقيام عليها فكيف لا نعمل لمصر ولخير مصر؟ وكيف لا ندفع عن مصر بكل ما نستطيع، وكيف يقال إن الإيمان بالمصرية لا يـتفق مع ما يجب أن يدعو إليه رجل يـنادى بالإسلام ويهتف بالإسلام! إننا نعـتز بأننا مخلصون لهـذا الوطن الحبيب عاملون له مـجاهدون فى سبيل خيره، وسنظل كذلك ما حيينا معتقدين أن هذه هى الحلقة الأولى فى سلسلة النهضة المنشودة، وأنها جزء من الوطن العـربى العام، وأننا حين نعمل لمصر نعمل للعروبة والشرق والإسلام.

وليس يضيرنا فى هذا كله أن نعنى بتاريخ مصر القديم، وبما سبق إليه قدماء المصريين الناسَ من المعارف والعلوم. فنحن نرحب بمصر القديمـة كتاريخ فيه مجد وفيه علم ومعرفة. ونحارب هذه النظرية بكل قـوانا كمنهاج عملى يراد صبغ مصر به ودعـوتها إليـه بعد أن هداها الله بتـعاليم الإسـلام وشرح له صـدرها وأنار به بصيـرتها وزادها بـه شرفًا ومـجدًا فـوق مجـدها، وخلصهـا بذلك مما لاحق هذا التاريخ من أوضار الوثنية وأدران الشرك وعادات الجاهلية.

(ب) **والعروبة:** أو الجامـعة العربـية، لها فى دعـوتنا كذلك مكانهـا البارز وحظها الوافر، فالعرب هم أمـة الإسـلام الأولـى وشـعبـه المتخيَّر، وبحق ما قاله -ﷺ-: «**إذا ذل العـرب ذل الإسلام**» ولن ينهض الإسـلام بغيـر اجتـماع كلمـة الشعوب العربيـة ونهضتها، وإن كل شبر أرض فى وطن عربى نعـتبره من صميم أرضنا ومن لباب وطننا.

فهذه الحدود الجـغرافية والتقسـيمات السياسيـة لا تمزق فى أنفسنا أبدًا معنى الوحدة الـعربية الإسـلاميـة التى جمـعت القلوب على أمل واحـد وهدف واحد

وجعلت من هذه الأقطار جميعًا أمة واحدة مهما حاول المحاولون وافترى الشعوبيون.

ومن أروع المعانى فى هذا السبيل ما حدد به الرسول -ﷺ- معنى العروبة إذ فسرها بأنها اللسان والإسلام.

فقد روى الحافظ ابن عساكر بسنده عن مالك قول النبى -ﷺ-: **«ياأيها الناس إن الرب واحد، والأب واحد، وإن الدين واحد، وليست العربية بأحدكم من أب ولا أم، وإنما هى اللسان فمن تكلم بالعربية فهو عربى»**.

وبذلك نعلم أن هذه الشعوب الممتدة من خليج فارس إلى طنجة ومراكش على المحيط الأطلسى كلها عربية تجمعها العقيدة ويوحد بينها اللسان، وتؤلفها بعد ذلك هذه الوضعية المتناسقة فى رقعة من الأرض واحدة متصلة متشابهة لا يحول بين أجزائها حائل، ولا يفرق بين حدودها فارق، ونحن نعتقد أننا حين نعمل للعروبة نعمل للإسلام ولخير العالم كله.

(ج) والشرقية: لها فى دعوتنا مكانها وإن كان المعنى الذى يجمع بين المشاعر فيها معنى وقتيًا طارئًا، إنما ولَّده وأوجده اعتزاز الغرب بحضارته وتغاليه بمدنيته، وانعزاله عن هذه الأمم التى سماها الأمم الشرقية وتقسيمه العالم إلى شرقى وغربى، ونداءه بهذا التقسيم حتى فى قول أحد شعرائه المأثور: الشرق شرق والغرب غرب ولا يمكن أن يجتمعا. هذا المعنى الطارئ هو الذى جعل الشرقيين يعتبرون أنفسهم صفًا يقابل الصف الغربى، أما حين يعود الغرب إلى الإنصاف ويدع سبيل الاعتداء والإجحاف فتزول هذه العصبية الطارئة وتحل محلها الفكرة الناشئة، فكرة التعاون بين الشعوب على ما فيه خيرها وارتقاؤها.

(د) أما العالمية أو الإنسانية: فهى هدفنا الأسمى وغايتنا العظمى وختام الحلقات فى سلسلة الإصلاح. والدنيا صائرة إلى ذلك لا محالة فهذا التجمع فى الأمم، والتكتل فى الأجناس والشعوب، وتداخل الضعفاء بعضهم فى بعض ليكتسبوا بهذا التداخل قوة، وانضمام المفترقين ليجدوا فى هذا الانضمام أنس الوحدة، كل ذلك ممهد لسيادة الفكرة العالمية وحلولها محل الفكرة الشعوبية

القومية التى آمن بها الناس من قبل، وكان لابد أن يؤمنوا هذا الإيمان لتتجمع الخلايا الأصلية، ثم كان لابد أن يتخلوا عنها لتتألف المجموعات الكبيرة، ولتتحقق بهذا التآلف الوحدة الأخيرة. وهى خطوات إن أبطأ بها الزمن فلابد أن تكون، وحسبنا أن نتخذ منها هدفًا، وأن نضعها نصب أعيننا مثلاً، وأن نقيم فى هذا البناء الإنسانى لبنته وليس علينا أن يتم البناء، فلكل أجل كتاب.

وإذا كان فى الدنيا الآن دعوات كثيرة ونظم كثيرة يقوم معظمها على أساس العصبية القومية التى تستهوى قلوب الشعوب وتحرك عواطف الأمم، فإن هذه الدروس القاسية التى يتلقاها العالم من آثار هذه القوة الطاغية كفيلة بأن يفىء الناس إلى الرشد ويعودوا إلى التعاون والإخاء.

ولقد رسم الإسلام للدنيا هذه السبيل فوحد العقيدة أولاً، ثم وحد النظم والأعمال بعد ذلك؛ وظهر هذا المعنى الساحر النبيل فى كل فروعه العملية.

فرب الناس واحد، ومصدر الدين واحد، والأنبياء جميعًا مقدسون معظمون، والكتب السماوية كلها من عند الله، والغاية المنشودة اجتماع القلوب: ﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ الدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾(١).

والقرآن عربى وهو أساس هذا الدين، وركن الصلاة أفضل القربات إلى الله، وتلك هى الوسيلة العملية إلى وحدة اللسان بعد وحدة الإيمان.

وهذه الصلاة وتلك الزكاة، والحج والصوم، إنما هى كلها تشريعات اجتماعية يراد بها توثيق الوحدة وجمع الكلمة وإزالة الفوارق وكشف الحجب والموانع بين بنى الإنسان.

ومن هنا كانت دعوتنا ذات مراحل نرجو أن تتحقق تباعًا، وأن نقطعها جميعًا وأن نصل بعدها إلى الغاية.

نرجو أن تقوم فى مصر دولة مسلمة تحتضن دعوة الإسلام، وتجمع كلمة العرب وتعمل لخيرهم وتحمى المسلمين فى أكناف الأرض من عدوان كل ذى

---

(١) سورة الشورى: ١٣.

عدوان، وتنتشر كلمة الله وتبلغ رسالته. . . حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

يقظة الروح: الإيمان والعزة والأمل

وينظر الناس فى الدعوات إلى مظاهرها العملية وألوانها الشكلية، ويهملون كثيرًا النظر إلى الدوافع النفسية والإلهامات الروحية التى هى فى الحقيقة مدد الدعوات وغذاؤها وعليها يتوقف انتصارها ونماؤها. وتلك حقيقة لا يجادل فيها إلا البعيد عن دراسة الدعوات وتعرف أسرارها، إن من وراء المظاهر جميعًا فى كل دعوة روحًا دافعة، وقوة باطنة تسيرها وتهيمن عليها وتدفع إليها، ومحال أن تنهض أمة بغير هذه اليقظة الحقيقية فى النفوس والأرواح والمشاعر: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾(١).

ولهذا أستطيع أن أقول إن أول ما نهتم له فى دعوتنا، وأهم ما نعول عليه فى نمائها وظهورها وانتشارها هذه اليقظة الروحية المرتجلة. فنحن نريد أول ما نريد يقظة الروح، حياة القلوب، صحوة حقيقية فى الوجدان والمشاعر، وليس يعنينا أن نتكلم عما نريد بهذه الدعوة من فروع الإصلاح فى النواحى العملية المختلفة بقدر ما يعنينا أن نركز فى النفوس هذه الفكرة.

نحن نريد نفوسًا حية قوية فتية، قلوبًا جديدة خفاقة، مشاعر غيورة ملتهبة متأججة، أرواحًا طموحة متطلعة متوثبة، تتخيل مُثلاً عليا، وأهدافًا سامية لتسموَ نحوها وتتطلع إليها ثم تصل إليها، ولابد من أن تحدد هذه الأهداف والمثل، ولابد من أن تحصر هذه العواطف والمشاعر، ولابد من أن تركز حتى تصبح عقيدة لا تقبل جدلاً ولا تحتمل شكًا ولا ريبًا. وبغير هذا التحديد والتركيز سيكون مثل هذه الصحوة مثل الشعاع التائه فى البيداء لا ضوء له ولا حرارة فيه، فما حدود الأهداف وما منتهاها؟!

إننا نتحرى بدعوتنا نهج الدعوة الأولى ونحاول أن تكون هذه الدعوة الحديثة صدى حقيقيًا لتلك الدعوة السابقة التى هتف بها رسول الله -ﷺ- فى بطحاء

---

(١) سورة الرعد: ١١.

مكة قبل ألف ومئات من السنين، فـما أولانا بالرجوع بأذهاننا وتصوراتنا إلى ذلك العصر المشرق بنور النبوة، الزاهى بجلال الوحى، لنقف بين يدى الأستاذ الأول وهو سيد المربين وفخر المرسلين الهادين، لنتلقى عنه دروس الإصلاح من جديد، وندرس خطوات الدعوة من جديد.

أى نور من وهج الشموس الربانية أشعله النبى الكريم فى قلوب صحابته فأشرقت وأضاءت بعد ظلمة وديجور؟ وأى ماء من فيض الحياة الروحية أفاضه عليها فاهتزت وربت ونمت فيها الأزاهير وأورقت بالوجدانيات والمشاعر وترعرعت فيها العواطف والضمائر؟!

إن النبى -ﷺ- قذف فى قلوب صحابته بهذه المشاعر الثلاثة فأشرقت بها وانطبعت عليها:

(أ) قذف فى قلوبهم أن ما جاء به هو الحق وما عداه الباطل وأن رسالته خير الرسالات، ونهجه أفضل المناهج، وشريعته أكمل النظم التى تتحقق بها سعادة الناس أجمعين، وتلا عليهم من كتاب الله ما يزيد هذا المعنى ثباتًا فى النفس وتمسكًا فى القلب: ﴿فَاسْتَمْسِكْ بِالَّذِي أُوحِيَ إِلَيْكَ إِنَّكَ عَلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٤٣﴾ وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَّكَ وَلِقَوْمِكَ وَسَوْفَ تُسْأَلُونَ﴾(١)، ﴿فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ﴾(٢)، ﴿ثُمَّ جَعَلْنَاكَ عَلَىٰ شَرِيعَةٍ مِّنَ الْأَمْرِ فَاتَّبِعْهَا وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾(٣)، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٤)، فآمنوا بهذا واعتقدوه وصدروا عنه.

(ب) وقذف فى قلوبهم أنهم ما داموا أهل الحق وما داموا حملة رسالة النور وغيرهم يتخبط فى الظلام، وما دام بين أيديهم هدى السماء لإرشاد الأرض فهم إذن يجب أن يكونوا أساتذة الناس وأن يقعدوا من غيرهم مقعد الأستاذ من تلميذه: يحنو عليه ويرشده ويقوّمه ويسدده ويقوده إلى الخير ويهديه سواء السبيل.

---

(١) سورة الزخرف: ٤٣، ٤٤.
(٢) سورة النمل : ٧٩.
(٣) سورة الجاثية : ١٨.
(٤) سورة النساء : ٦٥.

وجاء القرآن الكريم يثبت هذا المعنى ويزيده كذلك وضوحًا، وصاروا يتلقون عن نبيهم من وحي السماء: ﴿كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾(١)، ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾(٢)، ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾(٣). فآمنوا بهذا أيضًا واعتقدوه وصدروا عنه.

(ج) وقذف فـي قلوبهم أنهم ما دامـوا كذلك مـؤمنين بهذا الحـق معتـزين بانتسـابهم إليه، فإن الله معـهم يعينهم ويرشدهم وينصـرهم ويؤيدهم ويمدهم إذا تخلى عنهم الناس، ويدفع عنهم إذا أعوزهم النصير، وهو معهم أينما كانوا. وإذا لم ينهض معهم جند الأرض تنزَّل عليهم المدد من جند السماء وأخذوا يقرءون هذه المعانى واضحة فى كتاب الله:

﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٤)، ﴿أَنَّ الأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ﴾(٥)، ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٦)، ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي﴾(٧)، ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(٨)، ﴿إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا﴾(٩)، ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١٠)، ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ﴾(١١).

قرءوا هذا وفقهوه جيدًا فآمنوا به واعتقدوه وصدروا عنه.

---

(١) سورة آل عمران: ١١٠.
(٢) سورة البقرة: ١٤٣.
(٣) سورة الحج: ٧٨.
(٤) سورة الأعراف: ١٢٨.
(٥) سورة الأنبياء: ١٠٥.
(٦) سورة الحج: ٤٠.
(٧) سورة المجادلة: ٢١.
(٨) سورة يوسف: ٢١.
(٩) سورة الأنفال: ١٢.
(١٠) سورة الروم: ٤٧.
(١١) سورة القصص: ٥.

وبهذه المشاعر الثلاثة: الإيمان بعظمة الرسالة والاعتزاز باعتناقها والأمل فى تأييد الله إياها، أحياها الراعى الأول -ﷺ- فى قلوب المؤمنين من صحابته بإذن الله، وحدد لهم أهدافهم فى هذه الحياة، فاندفعوا يحملون رسالتهم محفوظة فى صدورهم أو مصاحفهم، بادية فى أخلاقهم وأعمالهم معتدِّين بتكريم الله إياهم واثقين بنصره وتأييده، فدانت لهم الأرض وفرضوا على الدنيا مدنيَّة المبادئ الفاضلة وحضارة الأخلاق الرحيمة العادلة، وبدلوا فيها سيئات المادية الجامدة إلى حسنات الربانية الخالدة، ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

إلى هذه المشاعر الثلاثة ندعو الناس أولاً.

أيها الناس. قبل أن نتحدث إليكم فى هذه الدعوة عن الصلاة والصوم وعن القضاء والحكم وعن العادات والعبادات وعن النظم والمعاملات، نتحدث إليكم عن القلب الحى والروح الحى والنفس الشاعرة والوجدان اليقظ والإيمان العميق بهذه الأركان الثلاثة: الإيمان بعظمة الرسالة والاعتزاز باعتناقها والأمل فى تأييد الله إياها، فهل أنتم مؤمنون؟

الفرد المسلم، البيت المسلم، الأمة المسلمة

وهذا الشعور القوى الذى يجب أن تفيض به النفوس، وهذه اليقظة الروحية التى ندعو الناس إليها لابد أن يكون لها أثرها العملى فى حياتهم! ولابد أن تسبقها ولا شك نهضة عملية تتناول الأفراد والأسر والمجتمعات.

(أ) ستعمل هذه اليقظة عملها فى الفرد فإذا به نموذج قائم لما يريده الإسلام فى الأفراد. . . . إن الإسلام يريد فى الفرد وجدانا شاعراً يتذوق الجمال والقبح، وإدراكًا صحيحًا يتصور الصواب والخطأ، وإرادة حازمة لا تضعف ولا تلين أمام الحق، وجسما سليمًا يقوم بأعباء الواجبات الإنسانية حق القيام ويصبح أداة صالحة لتحقيق الإرادة الصالحة وينصر الحق والخير.

وقد وضع الإسلام تكاليفه الشخصية على القواعد التى توصل إلى هذه النتائج كلها، ففى العبادات الإسلامية أفضل ما يصل القلب بالله، ويربى الوجدان

الشاعر والإحساس الدقيق، وفى النظر الإسلامى ما يرقى بالعقول والألباب ويدفعها إلى كشف ستائر الكون ومعرفة دقائق الوجود.

وفى الخُلق الإسلامى ما يربى الإرادة الحازمة والعزيمة الماضية الصارمة، وفى النظام الإسلامى فى الطعام والشراب والمنام وتوابع ذلك من شئون الحياة ما لو اتبعه الفرد لحفظ جسمه من مهلكات لا دواء لها، ولظل فى وقاية من فواتك الأمراض.

ولهذا نوجب على الأخ المسلم أن يتعبد بما أمره الله به ليرقى وجدانه، وأن يتعلم ما وسعه العلم ليتسع إدراكه، وأن يتخلق بأخلاق الإسلام لتقوى إرادته، وأن يلتزم نظام الإسلام فى الطعام والشراب والنوم ليحفظ الله عليه بدنه من غوائل الأمراض والسقام، والإسلام حين يضع هذه القواعد لا يضعها للرجال ويدع النساء ولكن الصنفين فى هذه الناحية الفردية فى الإسلام سواء، فعلى الأخت المسلمة أن تكون كالأخ المسلم فى دقة وجدانها وسمو إدراكها ومكانة خلقها وسلامة بدنها.

(ب) وسيكون لهذا الإصلاح الفردى أثره فى الأسرة، ذلك أن الأسرة مجموعة أفراد، فإذا صلح الرجل وصلحت المرأة -وهما عماد الأسرة- استطاعا أن يكوِّنا بيتا نموذجيًا وفق القواعد التى وضعها الإسلام، وقد وضع الإسلام قواعد البيت فأحكم وضعها، فأرشد إلى حسن الاختيار، وبين أفضل الطرائق للارتباط وحدد الحقوق والواجبات، وأوجب على الطرفين رعاية ثمرات هذا الزواج حتى تينع وتنضج فى غير عبث ولا إهمال، وعالج ما يعترض هذه الحياة الزوجية من المشكلات أدق علاج، واختط فى كل نظراته طريقًا وسطًا لا تفريط فيه ولا إفراط.

(ج) وإذا صلحت الأسرة فقد صلحت الأمة وإنما الأمة مجموعة هذه الأسر وإنما الأسرة أمة مصغرة والأمة أسرة مكبَّرة، وقد وضع الإسلام للأمة قواعد الحياة الاجتماعية السعيدة، فعقد بين بنيها آصرة الأخوة وجعلها قرينة الإيمان، ورفع مستوى هذه الصلة إلى المحبة بل إلى الإيثار، وقضى على كل ما من شأنه أن يمزق هذه الروابط أو يضعف هذه الوشائج، وحدد الحقوق والواجبات والصلات، فللأبوَّة حقها وعليها واجبها، وللبنوَّة مثل ذلك، ولذوى القربى حقوقهم وعليهم

واجباتهم، وفصَّل مهمة الحاكم والمحكوم أدق تفصيل. وبين للمعاملات بين الناس أحكامها بأفصح بيان، ولم يجعل لأحد على أحد فضلاً إلا بالتقوى فلا سيد ولا مسود ولا أمراء ولا عبيد، ولكن الناس فى ذات الله سواسية كأسنان المشط، إنما يتفاوتون بعمل الصالحات، وكذلك حدد صلات الأمم بعضها ببعض، وبين حقوق كل صنف فيها وواجباته، ولم يدع من ذلك صغيرة ولا كبيرة إلا أحصاها.

وقد عالج الإسلام بعد ذلك مشاكل المجتمعات. فالوقاية مما يؤدى إليها أولاً، واستئصال ما عساه أن يحدث منها ثانيًا. فلكل مشكلة اجتماعية عنده دواء، والدواء الأول فى كل علاج صلاح النفوس والتضامن الاجتماعى بين بنى الإنسان.

والإسلام يحيط بكل ذلك لا يسلك سبيل العنت، ولا يحمل الناس على ما يؤدى إلى الحرج ولكن يريد بالناس اليسر ولا يريد بهم العسر، ويضع القواعد الكلية ويدع الفرعيات الجزئية ويرسم طرائق التطبيق، ويكل للأزمان والعصور بعد ذلك أن تعمل عملها. وهو لذلك شريعة كل زمان ومكان، وهو لذلك يفرض نشر الدعوة حتى تشمل الناس أجمعين ويتحقق قوله تعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١)، وإذا قوى الشعور الذى أشرنا إليه آنفًا، وأدى إلى نتيجته التى وضعناها الآن، فطبق نظام الإسلام على الفرد والبيت والأمة، ووصلت الرسالة إلى القلب والآذان، فقد نجحت فكرتنا واستجيبت دعوتنا ويأبى الله إلا أن يتم نوره.

بين الصبغة الاستقلالية والصبغة التقليدية

نحن نريد الفرد المسلم، والبيت المسلم، والشعب المسلم، ولكنا نريد قبل ذلك أن تسود الفكرة الإسلامية حتى تؤثر فى كل هذه الأوضاع وتصبغها بصبغة الإسلام، وبدون ذلك لن نصل إلى شىء، نريد أن نفكر تفكيرًا استقلاليًا يعتمد على أساس الإسلام الحنيف لا على أساس الفكرة التقليدية التى جعلتنا نتقيد بنظريات الغرب واتجاهاته فى كل شىء، نريد أن نتميز بمقوماتنا ومشخصات حياتنا

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧.

كأمة عظيمة مجيدة تجر وراءها أقدم وأفضل ما عرف التاريخ من دلائل ومظاهر الفخار والمجد.

لقد ورثنا هذا الإسلام الحنيف واصطبغنا به صبغة ثابتة قوية، تغلغلت فى الضمائر والمشاعر ولصقت بحنايا الضلوع وشغاف القلوب؛ واندمجت مصر بكليتها فى الإسلام بكليته: عقيدته ولغته وحضارته ودافعت عنه وذادت عن حياضه وردت عنه عادية المعتدين، وجاهدت فى سبيله ما وسعها الجهاد بمالها ودم أبنائها، وأنقذته من براثن التتار وأنياب الصليبيين، وردت الجميع على أعقابهم خاسرين، واستقرت فيها علوم الإسلام ومعارفه، واحتوت الأزهر أقدم جامعة تقوم على حياطته ورعايته وحراسته، وانتهت إليها زعامة شعوبه الأدبية والاجتماعية، وصارت مطمح أنظار الجميع ومعقد آمالهم.

هذا الإسلام، عقيدته ونظمه ولغته وحضارته، ميراث عزيز غال على مصر ليس تفريطها فيه بالشيء الهين ولا إبعادها عنه بالأمر المستطاع مهما بذلت فى سبيل ذلك الجهود الهدامة المدمرة. ومن هنا بدت مظاهر الإسلام قوية فياضة زاهرة دفاقة فى كثير من جوانب الحياة المصرية: فأسماؤها إسلامية ولغتها عربية، وهذه المساجد العظيمة يذكر فيها اسم الله ويعلو منها نداء الحق صباح مساء، وهذه مشاعرنا لا تهتز لشيء اهتزازها للإسلام وما يتصل بالإسلام. كل ذلك حق، ولكن هذه الحضارة الغربية قد غزتنا غزواً قويًا عنيفًا بالعلم والمال، وبالسياسة والترف، والمتعة واللهو وضروب الحياة الناعمة العابثة المغرية التى لم نكن نعرفها من قبل. فأعجبنا بها، وركنا إليها، وأثر هذا الغزو فينا أبلغ الأثر وانحسر ظل الفكرة الإسلامية عن الحياة الاجتماعية المصرية فى كثير من شئونها الهامة، واندفعنا نغير أوضاعنا الحيوية ونصبغ معظمها بالصبغة الأوروبية، وحصرنا سلطان الإسلام فى حياتنا على القلوب والمحاريب، وفصلنا عنه شئون الحياة العملية، وباعدنا بينه وبينها مباعدة شديدة وبهذا أصبحنا نحيا حياة ثنائية متذبذبة أو متناقضة.

الإسلام بما فيه من روعة وجلال، وبسلطانه الساحر العذب الجذاب،

وأصوله الثابتة المدعمة القويمة، وحجته البالغة يجذب إليه القلوب والمشاعر، ويجعلنا نحن المؤمنين به في حنين دائم إليه. وهذه الحياة الغربية بما تحتويه من مباهج ومفاتن وبما لها من مظاهر القوة المادية تحاول أن تسيطر وتهيمن على ما بقى لنا من شئوننا الحيوية. هذا وضع مشاهد ملموس يراه ويعلمه كل من يعنيه أمر هذه الأمة، ولابد أن ينتهى هذا التذبذب إلى استقرار ولابد أن يتغلب أحد الجانبين على الآخر فلكل شىء نهاية! فنحن الإخوان المسلمين نشفق كل الإشفاق من أن تكون هذه النهاية هى التحلل مما بقى من مظاهر الإسلام والانغماس الكلى فى الحياة الغربية بكل مظاهرها، ولقد ارتفعت بذلك صيحات وقامت على قواعده دعوات، وسبقتنا إليه شعوب وحكومات، وإن كان ذلك كله قد خفت وطأته الآن أمام ما يقاسى العالم كله من محن وويلات.

نحن نشفق من هذا المصير، وندعو إلى أن تعود مصر إلى تعاليم الإسلام وقواعده، تعتمد عليها وتستمد منها وتبنى على أساسها النهضة الجديدة وتركز عليها الأوضاع الاجتماعية فى المستقبل إن شاء الله.

وإذا كان الإسلام يدعو إلى أن نأخذ من كل شىء أحسنه، وينادى بأن الحكمة ضالة المؤمن أنى وجدها فهو أحق الناس بها، ولا يمنع فى أن تقتبس الأمة الإسلامية الخير من أى مكان، فليس هناك ما يمنع من أن ننقل كل ما هو نافع مفيد عن غيرنا ونطبقه وفق قواعد ديننا ونظام حياتنا وحاجات شعبنا.

أما أثر هذا التذبذب فى مظاهر حياتنا فكبير واضح، ولعله مصدر كثير من المشكلات فى التعليم والقضاء، وفى حياة الأسرة وفى منابع الثقافة العامة وفى غير ذلك من الشئون العامة، هل هناك أمة غير مصر يسير التعليم فيها من أول خطواته على هذين اللونين من ألوان التربية، فهناك التعليم الدينى يتصل بنصف الأمة وينتهى إلى الأزهر ومعاهده وكلياته، وهناك التعليم المدنى يتصل بالنصف الثانى ويتميز كل منهما بخواصه ومميزاته؟ وهل لذلك من سبب سوى أن السلسلة الأولى هى أثر الإسلام الباقى فى نفوس هذه الأمة وأن السلسلة الثانية هى نتاج مجاراة الغرب والأخذ عنه، فما الذى يمنع من توحيد التعليم فى مراحله الأولى على أساس التربية القومية الإسلامية ثم يكون بعد ذلك التخصص؟ وهل هناك أمة غير

مصر ينقسم فيه القضاء إلى شرعى وغير شرعى كما ينقسم القضاء المصرى وهل لذلك من سبب سوى أن القضاء الأول أثر الإسلام فى الحياة المصرية. والثانى وليد النقل من الغرب والأخذ عنه، وما الذى يمنع من أن تتوحد المحكمة على أساس اعتبار الشريعة الإسلامية هى شريعة البلاد ومصدر التقنين؟

وهذه البيوت المصرية، ألسنا نلمح فيها أثر هذه الحياة المذبذبة المتناقضة، فكثير من الأسر المصرية لا تزال شديدة المحافظة على ما ورث من تعاليم الإسلام وآدابه فى الوقت الذى انسلخ فيه الكثير من هذه التعاليم وخرج على هذه الآداب وغلبت عليه نزعة التقليد فى كل شىء بل جاوز بعضنا ذلك الحد حتى صار غربيًّا أكثر من الغربيين.

ولابد من وضع حد لهذا التفاوت الغريب حتى نظفر بالأمة الموحدة، فبدون الوحدة لا تتحقق نهضة ولا تحيا أمة حياة الكمال.

لهذا يدعو الإخوان المسلمون إلى أن يكون الأساس الذى تعتمد عليه نهضتنا هو توحيد مظاهر الحياة العملية فى الأمة على أساس الإسلام وقواعده وبذلك تبنى مصر نفسها، وتقدم للعالم كله أكمل نماذج الحياة الإنسانية الصحيحة.

وسيلتنا العامة... بين جماعة وفكرة

الكلام عن الوسيلة العامة للإخوان المسلمين يقف بنا أمام هذه الدعوة كجمعية من الجمعيات التى تقوم بالخدمة العامة، ثم يقف بنا كذلك أمامها كدعوة من الدعوات التجديدية لحياة الأمم والشعوب التى ترسم لها منهاجًا جديدًا تؤمن به وتسير عليه.

(أ) لا شك أن جماعات الإخوان المسلمين جماعات تقوم بالخدمة العامة من بناء المساجد وعمارتها، ومن فتح المدارس والمكاتب والإشراف عليها، ومن إنشاء الأندية والفرق وتوجيهها ورعايتها، ومن الاحتفال بالذكريات الإسلامية احتفالاً يليق بجلالها وعظمتها، ومن الإصلاح بين الناس فى القرى والبلدان إصلاحًا يوفر عليهم كثيراً من الجهود والأموال، ومن التوسط بين الأغنياء الغافلين

والفقراء المعوزين بتنظيم الإحسان وجمع الصدقات لتوزع فى المواسم والأعياد، لا شك أن الإخوان يقومون بهذا كله ولهم فيه والحمد لله أثر يذكر، وقد تضاعف نشاطهم فى هذه النواحى مضاعفة ملموسة فى هذا الدور من أدوار الدعوة بطبيعة التفات الناس إليها وإقبالهم عليها، ووسيلة الإخوان فى هذه الميادين التنظيم والتطوع والاستعانة بأهل الرأى والخبرة، وتدبير ما تحتاج إليه هذه المشروعات من أموال من المشتركين تارة ومن المتبرعين أخرى إلى ما يدفع لمثل هذه المشروعات، ولسنا نقول إن الإخوان قد اكتملت جهودهم فى هذه الناحية ولكنا نقول إنهم يسيرون بخطوات واسعة نحو الكمال، والله الموفق والمستعان. هؤلاء هم الإخوان وتلك هى دعوتهم كجماعة من جماعات الخدمة العامة.

(ب) ولكن الإخوان كما علمت ليسوا كذلك فحسب، ولكن لب دعوتهم فكرة وعقيدة يقذفون بها فى نفوس الناس ليتربى عليها الرأى العام وتؤمن بها القلوب وتجتمع من حولها الأرواح: تلك هى العمل للإسلام والعمل به فى كل نواحى الحياة.

أما الوسيلة إلى تحقيق ذلك فليست المال، والتاريخ منذ عرف إلى الآن يحدثنا أن الدعوات لا تقوم أول أمرها بالمال ولا تنهض به بحال، فهى تحتاج إلى مال فى بعض مراحل طريقها ولكن محال أن يكون قوامها ودعامتها، فرجال الدعوات وأنصارها هم دائمًا المقلون من هذا المال وسل التاريخ ينبئك، وليست الوسيلة القوة كذلك فالدعوة الحقة إنما تخاطب الأرواح أولاً وتناجى القلوب وتطرق مغاليق النفوس، ومحال أن تثبت بالعصا أو أن تصل إليها على شبا الأسنة والسهام، ولكن الوسيلة فى تركيز كل دعوة وثباتها معروفة معلومة مقروءة لكل من له إلمام بتاريخ الجماعات، وخلاصة ذلك جملتان: إيمان وعمل ومحبة وإخاء. ماذا فعل رسول الله -ﷺ- فى تركيز دعوته فى نفوس الرعيل الأول من أصحابه أكثر من أنه دعاهم إلى الإيمان والعمل، ثم جمع قلوبهم على الحب والإخاء، فاجتمعت قوة العقيدة إلى قوة الوحدة وصارت جماعتهم هى الجماعة النموذجية التى لابد أن تظهر كلمتها وتنتصر دعوتها وإن ناوأها أهل الأرض جميعًا، وماذا فعل الدعاة من قبل ومن بعد أكثر من هذا؟ ينادون بالفكرة ويوضحونها ويدعون الناس إليها فيؤمنون بها ويعملون لتحقيقها ويجتمعون عليها ويزدادون عددًا فتزداد

الفكرة بهم ظهوراً حتى تبلغ مداها وتبتلع ما سواها، وتلك سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلاً.

وليست دعوة الإخوان بدعًا في الدعوات فهي صدى من الدعوة الأولى يدوى في قلوب هؤلاء المؤمنين ويتردد على ألسنتهم، ويحاولون أن يقذفوا به إيمانًا في قلوب الأمة المسلمة ليظهر عملاً في تصرفاتها ولتجمع قلوبها عليه، فإذا فعلوا ذلك أيدهم الله ونصرهم وهداهم سواء السبيل... فإلى الإيمان والعمل وإلى الحب والإخاء أيها الإخوان والله معكم وتلك هي وسيلتكم والله غالب على أمره.


بين
الأمس واليوم

تقديم

أصدر الإخوان المسلمون رسائل تشرح دعوتهم، وتبين فكرتهم، وترسم منهاجهم، وقد جمعت تلك الرسائل أصول الدعوة ومراحلها، وبينت حقيقتها وأهدافها.

وبين يدى القارئ الرسالة الأولى «بين الأمس واليوم» عن تطورات الفكرة الإسلامية وأهدافها، وقد وضعت فى فجر الفكرة قبيل نشوب الحرب العظمى الثانية، وتداولها الإخوان منذ ذلك الحين، وفيها عرض طيب لمبادئ الإسلام ووسائل الإصلاح التى رسمها ودعا إلى الأخذ بها، ونبذة عن الدولة الإسلامية فى مطلع نهضتها يوم اتخذت القرآن دستوراً والرسول -ﷺ- قدوةً وزعيمًا، كما أن فيها تحليلاً دقيقًا للعوامل التى أفسدت على المسلمين نهضتهم وبدلت حالهم. ويرى القارئ فى ختام الرسالة كلمات توجيهية سديدة، فلن يصلح آخر هذه الأمة إلا بما صلح به أولها.

والله نسأل أن يجعل هذا العمل خالصًا لوجهه، وأن يفتح قلوب المسلمين وعقولهم للعمل بهدى الدين الحنيف.

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله، وصلى الله على سيدنا محمد الفاتح الخاتم، وعلى آله وصحبه وسلم تسليمًا كثيرًا.

١- رسالة النبى الأمين

منذ ألف وثلثمائة ستة وسبعين عامًا نادى محمد بن عبدالله النبى الأمى فى بطن مكة وعلى رأس الصفا: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ الَّذِي يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبِعُوهُ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾(١)، فكانت تلك الدعوة الجامعة حدًا فاصلاً فى الكون كله، بين ماض مظلم، ومستقبل باهر مشرق، وحاضر زاخر سعيد، وإعلانًا واضحًا مبينًا لنظام جديد شارعه الله العليم الخبير ومبلغه محمد البشير النذير، وكتابه القرآن الواضح المنير، وجنده السابقون الأولون من المهاجرين والأنصار والذين اتبعوهم بإحسان، وليس من وضع الناس، ولكنه صبغة الله، ومن أحسن من الله صبغة: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ وَلَكِن جَعَلْنَاهُ نُورًا نَّهْدِي بِهِ مَن نَّشَاءُ مِنْ عِبَادِنَا وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٥٢﴾ صِرَاطِ اللَّهِ الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ أَلا إِلَى اللَّهِ تَصِيرُ الأُمُورُ﴾(٢).

٢- منهاج القرآن الكريم فى الإصلاح الاجتماعى

والقرآن هو الجامع لأصول هذا الإصلاح الاجتماعى الشامل، وقد أخذ يتنزل على النبى -ﷺ-، ويعلن به المؤمنين بين الآن والآن بحسب الوقائع والظروف والمناسبات: ﴿كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلاً ﴿٣٢﴾ وَلا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ

---

(١) سورة الأعراف: ١٥٧.
(٢) سورة الشورى: ٥٢، ٥٣.

إلاَّ جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ وَأَحْسَنَ تَفْسِيراً﴾(١)، حتى اكتمل به الوحى وحفظ فى الصدور والسطور فى مدى اثنتين وعشرين سنة ونيفًا، وقد جمع الله فيه لهذه الأمة تبيان كل شيء. وأصول الإصلاح الاجتماعى الكامل الذى جاء به تكاد تنحصر فى هذه الأصول:

(أ) الربانية.

(ب) التسامى بالنفس الإنسانية.

(ج) تقرير عقيدة الجزاء.

(د) إعلان الأخوة بين الناس.

(هـ) النهوض بالرجل والمرأة جميعًا، وإعلان التكافل والمساواة بينهما، وتحديد مهمة كل منهما تحديداً دقيقًا.

(و) تأمين المجتمع بتقرير حق الحياة والملك والعمل والصحة والحرية والعلم والأمن لكل فرد وتحديد موارد الكسب.

(ز) ضبط الغريزتين: غريزة حفظ النفس، وحفظ النوع، وتنظيم مطالب الفم والفرج.

(ح) الشدة فى محاربة الجرائم الأصلية.

(ط) تأكيد وحدة الأمة والقضاء على كل مظاهر الفرقة وأسبابها.

(ى) إلزام الأمة الجهاد فى سبيل مبادئ الحق التى جاء بها هذا النظام.

(ك) اعتبار الدولة ممثلة للفكرة وقائمة على حمايتها، ومسئولة عن تحقيق أهدافها فى المجتمع الخاص، وإبلاغها إلى الناس جميعًا.

٣- الشعائر العملية لهذا النظام

وقد خالف هذا النظام القرآنى غيره من النظم الوضعية والفلسفات النظرية فلم يترك مبادئه وتعاليمه نظريات فى النفوس، ولا آراء فى الكتب، ولا كلمات

(١) سورة الفرقان: ٢٢، ٢٣.

على الأفواه والشفاه؛ ولكنه وضع لتركيزها وتثبيتها والانتفاع بآثارها ونتائجها مظاهر عملية، وألزم الأمة التى تؤمن به وتدين له بالحرص على هذه الأعمال وجعلها فرائض عليها لا تقبل فى تضييعها هوادة، بل يثيب العاملين ويعاقب المقصرين عقوبة قد تخرج بالواحد منهم من حدود هذا المجتمع الإسلامى وتطوّح به إلى مكان سحيق. وأهم هذه الفرائض التى جعلها هذا النظام سياجًا لتركيز مبادئه هى:

(أ) الصلاة والذكر والتوبة والاستغفار... إلخ.

(ب) الصيام والعفة والتحذير من الترف.

(ج) الزكاة والصدقة والإنفاق فى سبيل الخير.

(د) الحج والسياحة والرحلة والكشف والنظر فى ملكوت الله.

(هـ) الكسب والعمل وتحريم السؤال.

(و) الجهاد والقتال وتجهيز المقاتلين ورعاية أهليهم ومصالحهم من بعدهم.

(ز) الأمر بالمعروف وبذل النصيحة.

(ح) النهى عن المنكر ومقاطعة مواطنه وفاعليه.

(ط) التزود بالعلم والمعرفة لكل مسلم ومسلمة فى فنون الحياة المختلفة كل فيما يليق به.

(ى) حسن المعاملة وكمال التخلق بالأخلاق الفاضلة.

(ك) الحرص على سلامة البدن والمحافظة على الحواس.

(ل) التضامن الاجتماعى بين الحاكم والمحكوم بالرعاية والطاعة معًا.

فالمسلم مطالب بأداء هذه الواجبات، والنهوض بها كما فصلها النظام القرآنى، وعليه ألا يقصر فى شىء منها، وقد ورد ذكرها جميعًا فى القرآن الكريم، وبينتها بيانًا شافيًا أعمال النبى -ﷺ- وأصحابه والذين اتبعوهم بإحسان فى بساطة ووضوح، وكل عمل فيها أو عدة أعمال تقوى وتركز مبدأ أو عدة

مبادئ من النظريات السابقة التى جاء هذا النظام لتحقيقها وإفادة الناس بنتائجها وآثارها.

٤- الدولة الإسلامية الأولى

على قواعد هذا النظام الاجتماعى القرآنى الفاضل قامت الدولة الإسلامية الأولى تؤمن به إيمانًا عميقًا وتطبقه تطبيقًا دقيقًا وتنشره فى العالمين، حتى كان الخليفة الأول -رضي الله عنه- يقول: (لو ضاع منى عقال بعير لوجدته فى كتاب الله) وحتى إنه ليقاتل مانعى الزكاة ويعتبرهم مرتدين بهدمهم هذا الركن من أركان هذا النظام ويقول: (والله لو منعونى عقالاً كانوا يؤدونه لرسول الله -ﷺ- لقاتلتهم ما استمسك السيف بيدى).

وكانت الوحدة بكل معانيها ومظاهرها تشمل هذه الأمة الناشئة. فالوحدة الاجتماعية شاملة بتعميم نظام القرآن ولغة القرآن، والوحدة السياسية شاملة فى ظل أمير المؤمنين وتحت لواء الخلافة فى العاصمة، ولم يحل دونها أن كانت الفكرة الإسلامية فكرة لا مركزية فى الجيوش، وفى بيوت المال، وفى تصرفات الولاة، إذ إن الجميع يعملون بعقيدة واحدة وبتوجيه عام متحد.

ولقد طاردت هذه المبادئ القرآنية الوثنية المخرفة فى جزيرة العرب وبلاد الفرس فقضت عليها، وطاردت اليهودية الماكرة فحصرتها فى نطاق ضيق وقضت على سلطانها الدينى والسياسى قضاءً تامًا، وصارعت المسيحية حتى انحصر ظلها فى قارتى آسيا وأفريقيا وانحازت إلى أوروبا فى ظل الدولة الرومانية الشرقية بالقسطنطينية، وتركز بذلك السلطان الروحى والسياسى بالدولة الإسلامية فى القارتين العظيمتين، وألحت بالغزو على القارة الثالثة تهاجم القسطنطينية من الشرق وتحاصرها حتى يجهدها الحصار، وتأتيها من الغرب فتقتحم الأندلس وتصل جنودها المظفرة إلى قلب فرنسا وإلى شمال وجنوب إيطاليا، وتقيم فى غرب أوروبا دولة شامخة البنيان مشرقة بالعلم والعرفان، ويتم لها بعد ذلك فتح القسطنطينية نفسها وحصر المسيحية فى هذا الجزء المحدود من قلب أوروبا، وتمخر الأساطيل الإسلامية عباب البحرين الأبيض والأحمر فيصير كل منهما بحيرة

إسلامية، وتقبض قوات الدولة الإسلامية بذلك على مفاتيح البحار فى الشرق والغرب وتتم لها السيادة البرية والبحرية.

وقد اتصلت هذه الأمم الإسلامية بغيرها من الأمم ونقلت كثيراً من الحضارات، ولكنها تغلبت بقوة إيمانها ومتانة نظامها عليها جميعًا، فعربتها أو كادت، واستطاعت أن تصبغها وأن تحملها على لغتها ودينها بما فيها من روعة وحيوية وجمال، ولم يمنعها أن تأخذ النافع من هذه الحضارات جميعًا من غير أن يؤثر ذلك فى وحدتها الاجتماعية أو السياسية.

٥- عوامل التحلل فى كيان الدولة الإسلامية

ومع هذه القوة البالغة والسلطان الواسع فإن عوامل التحلل قد أخذت تتسلل إلى كيان هذه الأمة القرآنية، وتعظم وتنتشر وتقوى شيئًا فشيئًا حتى مزقت هذا الكيان وقضت على الدولة الإسلامية المركزية فى القرن السادس الهجرى بأيدى التتار وفى القرن الرابع عشر الهجرى مرة ثانية، وتركت وراءها فى كلتا المرتين أممًا مبعثرة ودويلات صغيرة تتوق إلى الوحدة وتتوثب للنهوض.

وكان أهم هذه العوامل:

(أ) الخلافات السياسية والعصبية وتنازع الرياسة والجاه، مع التحذير الشديد الذى جاء به الإسلام فى ذلك والتزهيد فى الإمارة ولفت النظر إلى هذه الناحية التى هى سوس الأمم ومحطمة الشعوب والدول: ﴿**وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**﴾(١)، ومع الوصية البالغة بالإخلاص لله وحده فى القول والعمل والتنفير من حب الشهرة والمحمدة.

(ب) الخلافات الدينية والمذهبية والانصراف عن الدين كعقائد وأعمال إلى ألفاظ ومصطلحات ميتة لا روح فيها ولا حياة، وإهمال كتاب الله وسنة الرسول -ﷺ-، والجمود والتعصب للآراء والأقوال، والولع بالجدل والمناظرات والمراء، وكل ذلك مما حذر منه الإسلام ونهى عنه أشد النهى، حتى قال رسول الله -ﷺ-: **«ما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل»**.

---

(١) سورة الأنفال: ٤٦.

(ج) الانغماس فى ألوان الترف والنعيم، والإقبال على المتعة والشهوات، حتى أثر عن حكام المسلمين فى كثير من العصور ما لم يؤثر عن غيرهم، مع أنهم يقرءون قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيرًا﴾(١).

(د) انتقال السلطة والرياسة إلى غير العرب من الفرس تارة والديلم تارة أخرى والمماليك والأتراك وغيرهم ممن لم يتذوقوا طعم الإسلام الصحيح، ولم تشرق قلوبهم بأنوار القرآن لصعوبة إدراكهم لمعانيه، مع أنهم يقرءون قول الله تبارك وتعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَتَّخِذُوا بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لا يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّوا مَا عَنِتُّمْ قَدْ بَدَتِ الْبَغْضَاءُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ وَمَا تُخْفِي صُدُورُهُمْ أَكْبَرُ قَدْ بَيَّنَّا لَكُمُ الآيَاتِ إِن كُنتُمْ تَعْقِلُونَ﴾(٢).

(هـ) إهمال العلوم العملية والمعارف الكونية وصرف الأوقات وتضييع الجهود فى فلسفات نظرية عقيمة وعلوم خيالية سقيمة، مع أن الإسلام يحثهم على النظر فى الكون واكتناه أسرار الخلق والسير فى الأرض، ويأمرهم أن يتفكروا فى ملكوت الله: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ﴾(٣).

(و) غرور الحكام بسلطانهم والانخداع بقوتهم وإهمال النظر فى التطور الاجتماعى للأمم من غيرهم، حتى سبقتهم فى الاستعداد والأهبة وأخذتهم على غرة، وقد أمرهم القرآن باليقظة وحذرهم مغبة الغفلة واعتبر الغافلين كالأنعام بل هم أضل: ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ الْجِنِّ وَالإِنسِ لَهُمْ قُلُوبٌ لاَّ يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لاَّ يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ آذَانٌ لاَّ يَسْمَعُونَ بِهَا أُوْلَئِكَ كَالأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ أُوْلَئِكَ هُمُ الْغَافِلُونَ﴾(٤).

(ز) الانخداع بدسائس المتملقين من خصومهم، والإعجاب بأعمالهم ومظاهر حياتهم والاندفاع فى تقليدهم فيما يضر ولا ينفع، مع النهى الشديد عن

---

(١) سورة الإسراء : ١٦.
(٢) سورة آل عمران: ١١٨.
(٣) سورة يونس : ١٠١.
(٤) سورة الأعراف: ١٧٩.

التشبه بهم والأمر الصريح بمخالفتهم والمحافظة على مقومات الأمة الإسلامية والتحذير من مغبة هذا التقليد حتى قال القرآن الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾(١)، وقال فى آية أخرى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا الَّذِينَ كَفَرُوا يَرُدُّوكُمْ عَلَىٰ أَعْقَابِكُمْ فَتَنقَلِبُوا خَاسِرِينَ﴾(٢).

٦ - صراع سياسى

(أ) محاولات القضاء على الأمة الإسلامية: أخذت هذه العوامل تعمل فى كيان الدولة الإسلامية والأمة الإسلامية عملها، وظنت الأمم الموتورة أنه قد سنحت الفرصة لتأخذ بثأرها وتقضى على هذه الدولة الإسلامية التى فتحت بلادها من قبل، وغيرت معالم أوضاعها فى كل شئون الحياة. فانحدر التتار كالسيل الدافق على الدولة الإسلامية وأخذوا يقطعون أشلاءها جزءًا جزءًا حتى وصلوا إلى بغداد عاصمة الخلافة العباسية، ووطئوها بنعالهم فى شخص الخليفة المستعصم، وبذلك تبدد شمل الدولة وانتثر عقد الخلافة لأول مرة وتفرقت الأمم إلى دويلات صغيرة، فكل قبيلة فيها أمير المؤمنين ومنبر. وتنبهت المسيحية فى أوروبا وجمعت جموعها وقذفت الشرق المسلم فى آسيا وأفريقيا بكتائبها فى تسع حملات صليبية اشتملت على خير ما فيها من فرسان وملوك وعتاد. وتمكنت هذه القوات الزاحفة من إقامة دولة صليبية فى بيت المقدس وتهديد أمم الإسلام فى الشرق والغرب ومهاجمة مصر أقوى هذه الدول إذ ذاك.

(ب) انتصارات متتالية: ولكن الله تبارك وتعالى لم يأذن بعد بانتصار الباطل على الحق، فاستطاعت مصر أن تجمع حولها فلول بعض هذه الدويلات وتقذف بهم فى نحر الصليبيين بقيادة صلاح الدين، فتستعيد منهم بيت المقدس وتريهم كيف تكون الهزيمة فى حطين، ثم تقف فى وجه التتار بقيادة الظاهر بيبرس وتردهم على أعقابهم خاسئين فى عين جالوت، ثم تعيد رسم الخلافة من جديد، ويريد الله بعد ذلك أن تقوم للإسلام دولة وارفة

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٠.

(٢) سورة آل عمران: ١٤٩.

الظلال قوية البأس شديدة المراس، تجمع كلمة أهله وتضم تحت لوائها معظم أممه وشعوبه، ويأبى لها علو الهمة إلا أن تغزو المسيحية فى عقر دارها، فتفتح القسطنطينية ويمتد سلطانها فى قلب أوروبا حتى يصل إلى فيينا، تلك هى دولة الأتراك العثمانية.

(ج) **بواكير النهضة فى أوروبا:** اطمأنت الدولة الإسلامية تحت لواء العثمانيين إلى سلطانها واستنامت إليه، وغفلت عن كل ما يدور حولها. ولكن أوروبا التى اتصلت بأضواء الإسلام غربًا بالأندلس وشرقًا بالحملات الصليبية، لم تضع الفرصة ولم تغفل عن الاستفادة بهذه الدروس. فأخذت تتقوى وتتجمع تحت لواء الفرنجة فى بلاد الغال، واستطاعت بعد ذلك أن تصد تيار الغزو الإسلامى الغربى، وأن تبث الدسائس بين صفوف مسلمى الأندلس، وأن تضرب بعضهم ببعض إلى أن قذفت بهم أخيرًا إلى ما وراء البحر أو إلى العدوة الأفريقية. فقامت مقامهم الدولة الأسبانيولية الفتية، وما زالت أوروبا تتقوى وتتجمع وتفكر وتتعلم، وتجوب البلاد وتكشف الأقطار، حتى كان كشف أمريكا عملا من أعمال إسبانيا وكشف طريق الهند عملاً من أعمال البرتغال، وتوالت فيها صيحات الإصلاح ونبغ بها كثير من المصلحين وأقبلت على العلم الكونى والمعرفة المنتجة المثمرة. وانتهت بها هذه الثورات الإصلاحية إلى تكوين القوميات وقيام دولة قوية جعلت هدفها جميعًا أن تمزق هذه الدولة الإسلامية التى قاسمتها أوروبا واستأثرت دونها بأفريقيا وآسيا. وتحالفت هذه الدول الفتية على ذلك أحلافًا رقت بها إلى درجة القداسة فى كثير من الأحيان.

(د) **هجوم جديد:** وامتدت الأيدى الأوروبية، بحكم الكشف والضرب فى الأرض والرحلة إلى أقصى آفاقها البعيدة، إلى كثير من بلدان الإسلام النائية كالهند وبعض الولايات الإسلامية المجاورة لها. وأخذت تعمل فى جد للوصول إلى تمزيق دولة الإسلام القوية الواسعة وأخذت تضع لذلك المشروعات الكثيرة تعبر عنها أحيانًا بالمسألة الشرقية وأخرى باقتسام تركة الرجل المريض، وأخذت كل دولة تنتهز الفرصة السانحة وتنتحل الأسباب الواهية، وتهاجم الدولة الوادعة اللاهية فتنقص بعض أطرافها أو تهد جانبًا من كيانها، واستمرت هذه المهاجمة أمدًا طويلاً انسلخ فيه عن الدولة العثمانية كثير من الأقطار الإسلامية، وقعت تحت السلطان

الأوروبى كالمغرب الأقصى وشمال أوروبا واستقل فيه كثير من البلاد غير الإسلامية التى كانت تحت سلطان العثمانيين كـاليونان ودول البلقان. وكان الدور الختامى فى هذا الصراع الحرب العـالمية الأولى سنة ١٩١٤-١٩١٨م الذى انتهى بهزيمـة تركيا وحلفائهـا وبذلك سنحت الفرصة الكاملة لأقـوى شعوب أوروبا (إنجلترا وفـرنسا) وإلى جوارهما (إيطـاليا) فوضعت يدها على هذا الميـراث الضخم من أمم الإسلام وشعوبه، وبسطت سلطانهـا عليها بأسماء مخـتلفة من احتلال واستعـمار ووصاية وانتداب وتقاسمته على هذا النحو:

١- أفريقيا الشمالية (مراكش والجزائر وتونس) مـستعمرات فرنسية، تتخللها منطقة نفوذ دولية فى طنجة، ومستعمرة إسبانية فى الريف.

٢- طرابلس وبرقة مسـتعمرة إيطالية لم تشـأ إيطاليا أن تبقى على شىء من آثار الإسلام فـيها، ففـرضت عليها التـجنس بالجنسية الإيطاليـة وأسمتهـا إيطاليا الجنوبية وقذفتها بآلاف من جياع الأسر وذئاب البشر.

٣- مصـر والسودان تحت الحمـاية الإنجليزية لا تملك إحـداهما لنفسـها من أمرها شيئًا.

٤- فلسطين مستعمرة إنجليزية أباحت إنجلترا لنفسها أن تبيعها لليهود ليُنشئوا فيها الوطن القومى الصهيونى.

٥- سوريا مستعمرة فرنسية.

٦- العراق مستعمرة إنجليزية.

٧- الحجاز حكومة ضعيفة متداعـية تنتظر الصدقات وتتشبث بالعهود الزائفة والمواثيق الباطلة.

٨- اليمن حكومـة منزوية وشعب فقـير مهـدد بالغزو فى كل مكان فى أى وقت من الأوقات.

٩- بقيـة أقسـام الجزيرة العـربية إمـارات صغيـرة يعيش أمـراؤها فى كنف القناصل الإنجليـزية ويقـاتـلون بفـتـات مـوائـدهم وتشـتعـل صدورهم بنيـران التحـاقد والتـباغض، هذا مع الوعـود المؤكدة والمواثـيـق الغلـيـظة التى قطعـها

الحلفاء لعاهل الجزيرة الملك حسين أن يساعدوه على استقلال العرب وتدعيم سلطان الخلافة العربية.

١٠- إيران والأفغان حكومات مضطربة تتوزعها الأطماع من كل مكان فهى تحت كنف هذه الأمة تارة وإلى جانب تلك تارة أخرى.

١١- الهند مستعمرة إنجليزية.

١٢- تركستان وما جاورها مستعمرات روسية يذيقها البلاشفة مر العذاب. وفيما عدا ذلك فهناك الأقليات الإسلامية المنثورة فى كثير من البلدان لا تعرف دولة تلجأ إلى حمايتها، أو حكومة مسلحة تحتمى بجنسيتها كالمسلمين فى الحبشة والصين والبلقان وبلاد أفريقية الوسطى والجنوبية الشرقية والغربية. وبهذا الوضع انتصرت أوروبا فى هذا الصراع السياسى وتم لها ما أرادت من تمزيق الإمبراطورية الإسلامية والذهاب بدولة الإسلام، وحذفها سياسيًا من قائمة الدول الحية العظيمة.

(هـ) **إلى القوة من جديد:** ولكن هذا العدوان الصارخ والاستهتار بالعهود والمواثيق أحرج الصدور وأثار النفوس، فهبت هذه الأمم تطالب باستقلالها وتجاهد لاسترداد حريتها ومجدها، واشتعلت فيها الثورات لهذا المعنى، فثارت تركيا، وثارت مصر، وثارت العراق وسوريا، وتكررت الثورات فى فلسطين والريف فى بلاد المغرب، وعمت اليقظة النفوس فى كل مكان، ووصلت شعوب الإسلام بذلك إلى بعض الحقوق، فاستقلت تركيا فى حدودها الجديدة، واعتبرت مصر والعراق دولتين مستقلتين، وقامت فى الحجاز ونجد دولة السعوديين، وحافظت اليمن وإيران وأفغانستان على وضعياتها المستقلة، وقاربت سورية أن تسلب الاعتراف باستقلالها[1]، ولفتت فلسطين أنظار العالم إليها بكفاحها، وخطا المسلمون ولا شك خطوات طيبة وإن كانت قليلة وبطيئة نحو الأهداف الكريمة التى قصدوها من استعادة حريتهم واسترداد مجدهم وبناء دولتهم. ولئن اتجهت هذه الخطوات إلى المعنى القومى الخاص وطالبت كل أمة بحقها فى الحرية كأمة

---

(١) نالت سوريا بعد ذلك حريتها، واعترفت الدول باستقلالها وجلا الفرنسيون عن ديارها، وكذلك استقلت سائر الدول العربية.

مستقلة، وتعمَّد كثير من العاملين لهذه النهضة أن يغفل فكرة الوحدة فإن مصير هذه الخطوات سيكون، ولا شك، التجمع وعودة الأمَّة الإسلامية كدولة متحدة تضم شتات شعوب العالم الإسلامى وترفع راية الإسلام وتحمل دعوته، فليس فى الدنيا أمة يجمعها ما يجمع المسلمين من وحدة اللغة والاشتراك فى المصالح المادية والروحية والتشابه فى الآلام والآمال.

(و) **حرب جديدة:** ولقد خرجت الدول الأوروبية من الحرب العالمية وبذور الحقد والبغضاء متأصلة فى صدور الكثير منها، وجاء مؤتمر الصلح ومعاهداته لطمات قاسية لبعضها وخيبة أمل مؤلمة لكثير منها، هذا إلى ظهور كثير من الفكر الجديدة، والمبادئ المتعصبة الشديدة التعصب؛ ولابد أن تنتهى هذه الحال بهذه الأمم إلى خلاف جديد وحرب طاحنة ضروس تبدد شملهم وتمزق وحدتهم وتعيدهم إلى رشدهم وتردهم عن ظلمهم، وتهب لأمم الإسلام فرصة أخرى تسوى فيها صفوفها وتجمع شملها وتستكمل حريتها واستقلالها وتسترد دولتها ووحدتها تحت لواء أمير المؤمنين: **﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ﴾**(١).

٧ - صراع اجتماعى

حضارة جديدة: إن الأمم الأوروبية التى اتصلت بالإسلام وشعوبه فى الشرق بالحروب الصليبية، وفى الغرب بمجاورة عرب الأندلس وخالطتهم، ولم تستفد من هذا الاتصال مجرد الشعور القوى أو التجمع والتوحد السياسى، ولكنها أفادت إلى جانب ذلك يقظة ذهنية وعقلية كبيرة واكتسبت علومًا ومعارف جمة، وظهرت فيها نهضة أدبية وعلمية واسعة النطاق، وقامت الكنيسة تناهض هذه الظاهرة الغربية بكل ما أوتيت من قوة، وتذيق رجالها من الأدباء والعلماء مر العذاب، وتعتدى عليهم محاكم التفتيش وتثير ضدهم الدول والشعوب، ولكن ذلك كله لم يُجدها نفعًا ولم تثبت تعاليمها أمام حقائق العلم وكشوفه؛ وخرجت النهضة العلمية منتصرة كل الانتصار وتنبهت الدولة بذلك، فصارعت الكنيسة هى الأخرى حتى صرعتها. وتخلص بذلك المجتمع الأوروبى تخلصًا تامًا من سلطانها

(١) سورة القصص: ٥.

وطارد رجالها إلى المعابد والأديرة وألزم البابا الإقامة فى الفاتيكان، وحصر عمل رجال الدين فى نطاق ضيق من شئون الحياة لا يخرجون عنه ولا يتطلعون إلى سواه، ولم تبق أوروبا على المسيحية إلا كتراث تاريخى، وعامل من عوامل تهذيب البسطاء والأغرار من دهماء الشعوب، ووسيلة من وسائل التغلب والاستعمار وقضاء المآرب السياسية.

وامتد أمام الأوروبيين رواق العلم وانفسح مجال الاختراع والكشف، وضاعفت الماكينة الإنتاج ووجهت الحياة وجهة صناعية، وسار ذلك جنبًا إلى جنب مع نشأة الدولة القوية وامتداد سلطانها إلى كثير من البلاد والأقطار، فأقبلت الدنيا على هذه الأمم الأوروبية وجبيت إليها ثمرات كل شىء، وتدفقت عليها الأموال من كل مكان، فكان طبيعيًا بعد ذلك أن تقوم الحياة الأوروبية والحضارة الأوروبية على قاعدة إقصاء الدين عن مظاهر الحياة الاجتماعية وبخاصة الدولة والمحكمة والمدرسة، وطغيان النظرة المادية وجعلها المقياس فى كل شىء... وتبعًا لذلك صارت مظاهر هذه الحضارة مظاهر مادية بحتة تهدم ما جاءت به الأديان السماوية، وتناقض كل المناقضة تلك الأصول التى قررها الإسلام الحنيف وجعلها أساسًا لحضارته التي جمعت بين الروحانية والمادية جميعًا، ومن أهم الظواهر التى لازمت المدنية الأوروبية:

١- الإلحاد والشك فى الله وإنكار الروح ونسيان الجزاء الأخروى والوقوف عند حدود الكون المادى المحسوس: ﴿يَعْلَمُونَ ظَاهِراً مِّنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَهُمْ عَنِ الآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ﴾(١).

٢- الإباحية والتهافت على اللذة والتفنن فى الاستمتاع وإطلاق الغرائز الدنيا من عقالها، وإشباع شهوتى البطن والفرج، وتجهيز المرأة بكل صنوف المفاتن والمغريات، والإغراق فى الموبقات إغراقًا يحطم الجسوم والعقول ويقضى على نظام الأسر ويهدم سعادة البيوت: ﴿وَالَّذِينَ كَفَرُوا يَتَمَتَّعُونَ وَيَأْكُلُونَ كَمَا تَأْكُلُ الأَنْعَامُ وَالنَّارُ مَثْوًى لَّهُمْ﴾(٢).

---

(١) سورة الروم: ٧.

(٢) سورة محمد: ١٢.

٣- الأثـرة فـى الأفـــراد، فكـل إنســان لا يـريد إلا خـيـر نفـــســه. وفى الطبقـــات، فكل طبقة تتـعالى عـمن سواها وتود أن تحظى بالمغـانم دونها. وفى الشـعــوب، فـكـل أمة تتـعصب لجنسها وتنتقص غيـرها وتحاول أن تلتهم من هى أضعف منها.

٤- الربا والاعتـراف بشرعيتـه واعتباره قـاعدة التعامل، والتـفنن فى صوره وضروبه وتعميمه بين الدول والأفراد.

وقد أنتـجت هذه المظاهر المادية البحتـة فى المجتمع الأوروبى فسـاد النفوس وضعف الأخلاق والتراخى فى محاربة الجرائم، فكثرت المشكلات وظهرت المبادئ الهـدامـة واشتـعلت الـثورات المخـربة المدمـرة، واضطربت النظـم الاقتـصـادية والاجتماعية والسياسـية فلم تستقر على حال، وتمزقت الدول بالطوائف والأحزاب وتناحرت الشعوب على المطامع والأحقاد. وأثبـتت هذه المدنية الحديثة عجزها التام عن تأمين المجتمع الإنسانى وإقرار الطمأنـينة والسلام فيه وفشلت فى إسعاد الناس رغم ما فتحت عليـهم من حقائق العلم والمعرفة وما وفـرت لهم من أسباب الغنى والثراء وما مكنت لدولها فى الأرض من قوة وسـلطان ولما يمض عليها قرن كامل من الزمان.

٨- طغيان المادة على بلاد الإسلام

وقد عـمل الأوروبيون جاهدين على أن تغـمر هذه الحيـاة المادية، بمظاهرها الفاسدة وجراثيمها القتالة، جميع البلاد الإسلامية التى امتدت إليها أيديهم وأوقعها سوء الطالع تحت سلطانهم، مع حرصهم الشديد على أن يحتجزوا دون هذه الأمم عناصـر الصلاح والقـوة من العلوم والمعـارف والصناعات والنظم النافـعة، وقـد أحكموا خطة هذا الغـزو الاجتماعى إحكامًـا شديدًا واستعانوا بدهائهـم السياسى وسلطانهم العسكرى حتى تم لهم ما أرادوا. أغروا كـبار المسلمين بالاستدانة منهم والتعامل معهم وسهلوا عليهم ذلك وهونـوه عليهم، واستطاعوا بذلك أن يكتسبوا حق التدخل الاقتصادى وأن يغرقوا البـلاد برءوس أموالهم ومصارفهم وشركاتهم، وأن يديروا دولاب العـمل الاقـتصـادى كـما يريدون وأن يسـتـأثروا دون الأهلين بالأرباح الطائلة والثروات العظيـمة، وتمكنوا بعد ذلك من أن يغيـروا قواعد الحكم

والقضاء والتعليم وأن يصبغوا النظم السياسية والتشريعية والثقافية بصبغتهم الخالصة في أقوى بلاد الإسلام.

وجلبوا إلى هذه الديار نساءهم الكاسيات العاريات وخمورهم ومسارحهم ومراقصهم وملاهيهم وقصصهم وجرائدهم ورواياتهم وخيالاتهم وعبثهم ومجونهم، وأباحوا فيها من الجرائم ما لم يبيحوه في ديارهم. وزينوا هذه الدنيا الصاخبة العابثة، التي تعج بالإثم وتطفح بالفجور، في أعين البسطاء الأغرار من المسلمين الأغنياء وذوي الرأي فيهم وأهل المكانة والسلطان. ولم يكفهم هذا حتى أنشئوا المدارس والمعاهد العلمية والثقافية في عقر ديار الإسلام تقذف في نفوس أبنائه الشك والإلحاد وتعلمهم كيف ينتقصون أنفسهم ويحتقرون دينهم ووطنهم وينسلخون من تقاليدهم وعقائدهم ويقدسون كل ما هو غربي، ويؤمنون بأن ما يصدر عن الأوروبيين وحده هو المثل الأعلى في هذه الحياة. واحتوت هذه المدارس على أبناء الطبقة العليا وحدها وصارت وقفًا عليها، وأبناء هذه الطبقة هم العظماء والحكام ومن سيكون بيدهم بعد قليل مقاليد الأمور في هذه الأمم والشعوب. ومن لم يتم نضجه في هذه المعاهد الموضعية فإن في البعثات المتلاحقة ما يكفل لهم التمام. ونجح هذا الغزو الاجتماعي المنظم العنيف أعظم النجاح، فهو غزو محبب إلى النفوس لاصق بالقلوب طويل العمر قوي الأثر، وهو لهذا أخطر من الغزو السياسي والعسكري بأضعاف الأضعاف.

وتغالت بعض الأمم الإسلامية في الإعجاب بهذه الحضارة الأوروبية والتبرم بصبغتها الإسلامية، حتى أعلنت تركيا أنها دولة غير إسلامية وتبعت الأوروبيين بعنف قاس في كل ما يصنعون. وحاول ذلك أمان الله خان ملك الأفغان فطاحت تلك المحاولة بعرشه، وازدادت في مصر مظاهر هذا التقليد واستفحلت حتى استطاع رجل من ذوي الرأي فيها أن يجهر بأنه لا سبيل إلى الترقي إلا بأن نأخذ بهذه الحضارة خيرها وشرها وحلوها ومرها وما يحب منها وما يكره وما يحمد منها وما يعاب. وأخذت تنتقل في سرعة وقوة من مصر إلى ما جاورها من البلاد حتى وصلت إلى أقصى المغرب وطوفت بالمشاعر المقدسة في ربوع الحجاز. ونستطيع أن نقسم البلاد الإسلامية بحسب تأثرها بهذه الحضارة المادية وطغيان مادتها عليها إلى ثلاثة أقسام:

١- بلاد بلغ هذا التأثر مبلغًا عظيمًا يصل إلى القلوب والمشاعر، كما غير الأوضاع والمظاهر، ومن هذه البلاد تركيا ومصر، فقد انحسر ظل الفكرة الإسلامية فى هذه البلاد عن كل الأوضاع الاجتماعية وطوردت الفكرة الإسلامية لتقبع فى المساجد والزوايا والربط والتكايا.

٢- بلاد تأثرت بهذه الحضارة فى أوضاعها ومظاهرها الرسمية، ولكنها لم تتغلب فيها على المشاعر القلبية كإيران وبلاد المغرب وشمال أفريقيا.

٣- بلاد لم تتأثر بهذه الحضارة فيها إلا طبقة خاصة من المثقفين والحكام دون العامة والدهماء كسوريا والعراق والحجاز وكثير من أجزاء الجزيرة العربية وبقية ممالك الإسلام.

ومع هذا فالموجة تمتد بسرعة البرق لتصل إلى ما لم تصل إليه بعد من النفوس والطبقات والأوضاع. ولقد استطاع خصوم الإسلام أن يخدعوا عقلاء المسلمين وأن يضعوا ستارًا كثيفًا أمام أعين الغُيَّر منهم، بتصوير الإسلام نفسه تصويرًا قاصرًا فى ضروب من العقائد والعبادات والأخلاق إلى جانب مجموعة من الطقوس والخرافات والمظاهر الجوفاء، وأعانهم على هذه الخديعة جهل المسلمين بحقيقة دينهم حتى استراح كثير منهم إلى هذا التصوير واطمأنوا إليه ورضوا به، وطال عليهم فى ذلك الأمد حتى صار من العسير أن نفهم أحدهم أن الإسلام نظام اجتماعى كامل يتناول كل شئون الحياة.

ونستطيع بعد ذلك أن نقول إن الحضارة الغربية بمبادئها المادية قد انتصرت فى هذا الصراع الاجتماعى على الحضارة الإسلامية بمبادئها القويمة الجامعة للروح والمادة معًا فى أرض الإسلام نفسه، وفى حرب ضروس ميدانها نفوس المسلمين وأرواحهم وعقائدهم وعقولهم، كما انتصرت فى الميدان السياسى والعسكرى، ولا عجب فى هذا فإن مظاهر الحياة لا تتجزأ والقوة قوة فيها جميعًا، والضعف ضعف فيها جميعًا كذلك: ﴿وَتِلْكَ الأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ﴾(١)، وإن كانت مبادئ الإسلام وتعاليمه ظلت قوية فى ذاتها فياضة بالخصب والحياة جذابة أخاذة بروعتها وجمالها، وستظل كذلك لأنها الحق ولن تقوم الحياة الإنسانية كاملة فاضلة بغيرها

---

(١) سورة آل عمران : ١٤٠.

ولأنها مـن صنع الله وفي حيـاطته: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾(١)، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾(٢).

يقظة: وكما كان لذلك العدوان السياسى أثره فى تنبيه المشاعر القومية، كان لهذا الطغيان الاجتماعى أثره كذلك فى انتعاش الفكرة الإسلامية، فارتفعت الأصوات من كل مكان تطالب بالرجوع إلى الإسلام وتفهُّم أحكامه وتطبيق نظامه. ولابد أن يأتى قريبًا ذلك اليوم الذى تندك فيه صروح هذه المدنية المادية على رءوس أهلها، وحينئذ يشعرون بسعير الجوع الروحى تشتعل به قلوبهم وأرواحهم ولا يجدون الغذاء والشفاء والدواء إلا فى تعاليم هذا الكتاب الكريم: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ ﴿٥٧﴾ قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾(٣).

٩- دعوتنا دعوة البعث والإنقاذ

(أ) تركة مثقلة: وهكذا أيها الإخوان أراد الله أن نرث هذه التركة المثقلة بالتبعات، وأن يشرق نور دعوتكم فى ثنايا هذا الظلام وأن يهيئكم الله لإعلاء كلمته وإظهار شريعته وإقامة دولته من جديد: ﴿وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(٤).

(ب) أهدافنا العامة: ماذا نريد أيها الإخوان؟ أنريد جمع المال وهو ظل زائل؟ أم سعة الجاه وهو عرض حائل؟ أم نريد الجبروت فى الأرض: ﴿إِنَّ الأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾(٥)، ونحن نقرأ قول الله تبارك وتعالى: ﴿تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الأَرْضِ وَلا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾(٦)، شهد الله أننا لا نريد شيئًا من هذا وما لهذا عملنا ولا إليه دعونا، ولكن اذكروا دائمًا أن لكم هدفين أساسيين:

---

(١) سورة الحجر: ٩.
(٢) سورة التوبة: ٣٢.
(٣) سورة يونس: ٥٧، ٥٨.
(٤) سورة الحج: ٤٠.
(٥) سورة الأعراف: ١٢٨.
(٦) سورة القصص: ٨٣.

١- أن يتحرر الوطن الإسلامى من كل سلطان أجنبى وذلك حق طبيعى لكل إنسان، لا ينكره إلا ظالم جائر أو مستبد قاهر.

٢- أن تقوم فى هذا الوطن الحر دولة إسلامية حرة تعمل بأحكام الإسلام وتطبق نظامه الاجتماعى وتعلن مبادئه القويمة وتبلغ دعوته الحكيمة للناس، وما لم تقم هذه الدولة فإن المسلمين جميعًا آثمون مسئولون بين يدى الله العلى الكبير عن تقصيرهم فى إقامتها وقعودهم عن إيجادها. ومن العقوق للإنسانية فى هذه الظروف الحائرة أن تقوم فيها دولة تهتف بالمبادئ الظالمة وتنادى بالدعوات الغاشمة ولا يكون فى الناس من يعمل لتقوم دولة الحق والعدالة والسلام.

نريد تحقيق هذين الهدفين فى وادى النيل وفى بلاد العروبة وفى كل أرض أسعدها الله بعقيدة الإسلام: دين وجنسية وعقيدة توحد بين جميع المسلمين.

(ج) **أهدافنا الخاصة:** ولنا بعد هذين الهدفين أهداف خاصة لا يصير المجتمع إسلاميًا كاملاً إلا بتحقيقها. فاذكروا أيها الإخوان أن أكثر من ٦٠٪ من المصريين يعيشون أقل من معيشة الحيوان، ولا يحصلون على القوت إلا بشق النفس، وأن مصر مهددة بمجاعة قاتلة ومعرضة لكثير من المشكلات الاقتصادية التى لا يعلم نتيجتها إلا الله، وأن مصر بها أكثر من ٣٢٠ شركة أجنبية تحتكر كل المرافق العامة وكل المنافع الهامة فى جميع أنحاء البلاد، وأن دولاب التجارة والصناعة والمنشآت الاقتصادية كلها فى أيدى الأجانب المرابين، وأن الثروة العقارية تنتقل بسرعة البرق من أيدى الوطنيين إلى أيدى هؤلاء، وأن مصر أكثر بلاد العالم المتمدين أمراضًا وأوبئة وعاهات، وأن أكثر من ٩٠٪ من الشعب المصرى مهدد بضعف البنية وفقد الحواس ومختلف العلل والأمراض، وأن مصر لا زالت إلى الآن جاهلة لم يصل عدد المتعلمين فيها إلى الخمس بما فى ذلك أكثر من مائة ألف شخص لا يتجاوز تعليمهم برامج مدارس الإلزام، وأن الجرائم تتضاعف فى مصر وتتكاثر بدرجة هائلة حتى إن السجون لتخرج أكثر مما تخرج المدارس، وأن مصر لم تستطع إلى الآن أن تجهز فرقة واحدة فى الجيش كاملة المعدات، وأن هذه المعانى والصور تتراءى فى كل بلد من بلدان العالم الإسلامى، فمن أهدافكم أن تعملوا لإصلاح التعليم ومحاربة الفقر والجهل والمرض والجريمة وتكوين مجتمع نموذجى يستحق أن ينتسب إلى شريعة الإسلام.

(د) **وسائلنا العامة:** كيف نصل إلى هذه الأهداف؟ إن الخطب والأقوال والمكاتبات والدروس والمحاضرات وتشخيص الداء ووصف الدواء كل ذلك وحده لا يجدى نفعًا ولا يحقق غاية ولا يصل بالداعين إلى هدف من الأهداف؛ ولكن للدعوات وسائل لابد من الأخذ بها والعمل لها، والوسائل العامة للدعوات لا تتغير ولا تتبدل ولا تعدو هذه الأمور الثلاثة:

١- الإيمان العميق.

٢- التكوين الدقيق.

٣- العمل المتواصل. وتلك هى وسائلكم العامة أيها الإخوان فآمنوا بفكرتكم وتجمعوا حولها واعملوا لها واثبتوا عليها.

(هـ) **وسائل إضافية:** وقد تكون إلى جانب هذه الوسائل العامة وسائل إضافية لابد من الأخذ بها وسلوك سبيلها، منها السلبى ومنها الإيجابى، ومنها ما يتفق مع عرف الناس ومنها ما يخرج على هذا العرف ويخالفه ويناقضه، ومنها ما فيه لين ومنها ما فيه شدة، ولابد أن نروض أنفسنا على تحمل ذلك كله والإعداد لهذا كله حتى نضمن النجاح. قد يطلب إلينا أن نخالف عادات ومألوفات وأن نخرج على نظم وأوضاع ألفها الناس وتعارفوا عليها، وليست الدعوة فى حقيقة أمرها إلا خروجًا على المألوفات وتغييراً للعادات والأوضاع، فهل أنتم مستعدون لذلك أيها الإخوان؟

(و) **تثبيط:** وسيقول كثير من الناس: وماذا تعنى هذه الوسائل؟ وما عساها أن تنفع فى بناء أمة وترميم مجتمع مع هذه المشكلات المزمنة ومع استقرار الحال على هذه المفاسد المتعددة؟ وكيف تعالجون الاقتصاد على غير أساس الربا؟ وكيف تصنعون فى قضية المرأة؟ وكيف تنالون حقكم بغير قوة؟ فاعلموا أيها الإخوان أن وساوس الشيطان يلقيها فى أمنية كل مصلح فينسخ الله ما يلقى الشيطان ثم يحكم الله آياته والله عليم حكيم. واذكروا لهؤلاء جميعًا أن التاريخ يقص علينا من نبأ الأمم الماضية والحاضرة ما فيه عظة وعبرة. والأمة التى تصمم على الحياة لا يمكن أن تموت.

(ز) **العقبات فى طريقنا:** أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة

عند كثير من الناس، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومه شديدة وعداوة قاسية، وستجدون أمامكم كثيرًا من المشقات وسيعترضكم كثير من العقبات، وفى هذا الوقت وحده تكونون قد بدأتم تسلكون سبيل أصحاب الدعوات. أما الآن فلا زلتم مجهولين ولا زلتم تمهدون للدعوة وتستعدون لما تتطلبه من كفاح وجهاد. وسيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة فى طريقكم، وستجدون من أهل التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام وينكر عليكم جهادكم فى سبيله، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان، وستقف فى وجهكم كل الحكومات على السواء، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم وأن تضع العراقيل فى طريقكم.

وسيتذرع الغاصبون بكل طريق لمناهضتكم وإطفاء نور دعوتكم، وسيستعينون فى ذلك بالحكومات الضعيفة والأخلاق الضعيفة والأيدى الممتدة إليهم بالسؤال وإليكم بالإساءة والعدوان. وسيثير الجميع حول دعوتكم غبار الشبهات وظلم الاتهامات، وسيحاولون أن يلصقوا بها كل نقيصة، وأن يظهروها للناس فى أبشع صورة، معتمدين على قوتهم وسلطانهم، ومعتدّين بأموالهم ونفوذهم: **﴿يُرِيدُونَ أَن يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾**(١)، وستدخلون بذلك ولا شك فى دور التجربة والامتحان، فتسجنون وتعتقلون، وتنقلون وتشردون، وتصادر مصالحكم وتعطل أعمالكم وتفتش بيوتكم، وقد يطول بكم مدى هذا الامتحان: **﴿أَحَسِبَ النَّاسُ أَن يُتْرَكُوا أَن يَقُولُوا آمَنَّا وَهُمْ لا يُفْتَنُونَ﴾**(٢)، ولكن الله وعدكم من بعد ذلك كله نصرة المجاهدين ومثوبة العاملين المحسنين: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ... فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ﴾**(٣)، فهل أنتم مصرون على أن تكونوا أنصار الله؟

(ح) **عوامل النجاح**: ومن الحق أيها الإخوان أن نذكر أمام هذه العقبات جميعًا أننا ندعو بدعوة الله وهى أسمى الدعوات، وننادى بفكرة الإسلام وهى

---

(١) سورة التوبة: ٣٢.
(٢) سورة العنكبوت: ٢.
(٣) سورة الصف: ١٠ - ١٤.

أقوى الفكر، ونقدم للناس شريعة القرآن وهى أعدل الشرائع: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾(١)، وأن العالم كله فى حاجة إلى هذه الدعوة وكل ما فيه يمهد لها ويهيئ سبيلها، وأننا بحمد الله براء من المطامع الشخصية بعيدون عن المنافع الذاتية، ولا نقصد إلا وجه الله وخير الناس ولا نعمل إلا ابتغاء مرضاته، وإننا نترقب تأييد الله ونصرته ومن نصره الله فلا غالب له: ﴿ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ مَوْلَى الَّذِينَ آمَنُوا وَأَنَّ الْكَافِرِينَ لا مَوْلَىٰ لَهُمْ﴾(٢)، فقوة دعوتنا وحاجتنا إليها ونبالة مقصدنا وتأييد الله إيانا هى عوامل النجاح التى لا تثبت أمامها عقبة ولا يقف فى طريقها عائق: ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

١٠- وصيّة

أيها الإخوان المسلمون، اسمعوا:

أردت بهذه الكلمات أن أضع فكرتكم أمام أنظاركم فلعل ساعات عصيبة تنتظرنا يحال فيها بينى وبينكم إلى حين؛ فلا أستطيع أن أتحدث معكم أو أكتب إليكم، فأوصيكم أن تتدبروا هذه الكلمات وأن تحفظوها إذا استطعتم وأن تجتمعوا عليها، وإن تحت كل كلمة لمعانى جمة.

أيها الإخوان: أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزبًا سياسيًا ولا هيئة موضعية لأغراض محدودة المقاصد، ولكنكم روح جديد يسرى فى قلب هذه الأمة فيحييه بالقرآن، ونور جديد يشرق فيبدد ظلام المادة بمعرفة الله، وصوت داو يعلو مرددًا دعوة الرسول -ﷺ- ومن الحق الذى لا غلوَّ فيه أن تشعروا أنكم تحملون هذا العبء بعد أن تخلى عنه الناس.

إذا قيل لكم إلام تدعون؟ فقولوا ندعو إلى الإسلام الذى جاء به محمد -ﷺ- والحكومة جزء منه والحرية فريضة من فرائضه، فإن قيل لكم هذه سياسة! فقولوا هذا هو الإسلام ونحن لا نعرف هذه الأقسام.

وإن قيل لكم أنتم دعاة ثورة، فقولوا نحن دعاة حق وسلام نعتقده ونعتز

(١) سورة البقرة: ١٣٨.
(٢) سورة محمد: ١١.
(٣) سورة يوسف: ٢١.

به، فإن ثرتم علينا ووقفتم فى طريق دعوتنا فقد أذن الله أن ندفع عن أنفسنا وكنتم الثائرين الظالمين، وإن قيل لكم إنكم تستعينون بالأشخاص والهيئات فقولوا: ﴿آمَنَّا بِاللَّهِ وَحْدَهُ وَكَفَرْنَا بِمَا كُنَّا بِهِ مُشْرِكِينَ﴾(١)، فإن لجّوا فى عدوانهم فقولوا: ﴿سَلامٌ عَلَيْكُمْ لا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾(٢).

واجبات

أيها الإخوان:

آمنوا بالله واعتزوا بمعرفته والاعتماد عليه والاستناد إليه، فلا تخافوا غيره ولا ترهبوا سواه، وأدوا فرائضه واجتنبوا نواهيه.

وتخلقوا بالفضائل وتمسكوا بالكمالات. وكونوا أقوياء بأخلاقكم أعزاء بما وهب الله لكم من عزة المؤمنين وكرامة الأتقياء الصالحين.

وأقبلوا على القرآن تتدارسونه، وعلى السيرة المطهرة تتذاكرونها، وكونوا عمليين لا جدليين؛ فإذا هدى الله قومًا ألهمهم العمل؛ وما ضل قوم بعد هدى كانوا عليه إلا أوتوا الجدل.

وتحابوا فيما بينكم، واحرصوا كل الحرص على رابطتكم فهى سر قوتكم وعماد نجاحكم، واثبتوا حتى يفتح الله بينكم وبين قومكم بالحق وهو خير الفاتحين.

واسمعوا وأطيعوا لقيادتكم فى العسر واليسر والمنشط والمكره، فهى رمز فكرتكم وحلقة الاتصال فيما بينكم.

وترقبوا بعد ذلك نصر الله وتأييده، والفرصة آتية لا ريب فيها: ﴿وَيَوْمَئِذٍ يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ ۝ بِنَصْرِ اللَّهِ يَنصُرُ مَن يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ﴾(١).

وفقنا الله وإياكم لما يحبه ويرضاه، وسلك بنا وبكم مسالك الأخيار المهتدين، وأحيانا حياة الأعزاء السعداء وأماتنا موت المجاهدين والشهداء إنه نعم المولى ونعم النصير.

---

(١) سورة غافر : ٨٤.

(٢) سورة القصص: ٥٥.

(٣) سورة الروم : ٤، ٥.

رسالة المؤتمر الخامس

بسم الله الرحمن الرحيم

في عشر سنوات

١٣٤٧ - ١٣٥٧ الهجرية

خلاصة الخطاب الجامع الذي ألقاه فضيلة الأستاذ المرشد العام في المؤتمر الدوري الخامس

- **غاية الإخوان وخصائص دعوتهم.**
- **رسائل الإخوان وخطوات منهاجهم.**
- **موقف الإخوان من الهيئات المختلفة.**

غاية الإخوان وخصائص دعوتهم

أيها الإخـــوان :

كنت أود أن نظل دائمًـا نعـمل ولا نتكلم، وأن نكمـل للأعمـال وحـدها الحديث عن الإخوان وخطوات الإخوان، وكنت أحب أن تتصل خطوتكم اللاحقة بخطوتكم السابـقة فى هدوء وسكون ومن غيـر هذا الفاصل الذى نحدد به جـهاد عشر سنوات مـضت لنستأنف مرحلـة أخرى من مراحل الجهاد الدائـب فى سبيل تحقيق فكرتنا السامية.

ولكنكم أردتم هذا، وأحبـبتم أن تسـعدونا بهذا الاجـتماع الشـامل فشكراً لكم، ولا بأس أن ننتهز هذه الفرصة الكريمة فنستعرض برنامجنا، ونراجع فهرس أعمالنا، ونستوثق من مراحل طريقنا ونحدد الغاية والوسيلة فتتضح الفكرة المبهمة، وتصحح النظرة الخـاطئة، وتعلم الخطوة المجهـولة، وتتم الحلقة المفقـودة، ويعرف الناس الإخوان المسلمين على حقيقة دعوتهم، من غير لبس ولا غموض.

لا بأس بهذا، ولا بأس بأن يتقدم إلينا من وصلته هذه الدعوة ومن سمع أو قرأ هذا البيان، برأيه فى غايتنـا ووسيلتنا وخطواتنا فنأخذ الصالح من رأيه، وننزل على الحق من مشورته؛ فـإن الدين النصحية لله ولرسوله ولكتـابه ولأئمة المسلمين وعامتهم.

أيها الإخـوان :

أجدنى فى غنى عن تحيتكم وشكركم، وعن وصف مـا يغمرنى من السعادة بموقـفى هذا بينكم، ومن السـرور والفـرح بلقائكم ومن الأمـل العظيم بمؤازرتكم وتوفيق الله إياكم:

أجدنى فى غنـى عن بيان هذا كله بهذا الـفيض من العواطف النـبيلة الذى يغمر جـو هذا الاجتماع، فكان كل مـا فيه ينطق بالحب العمـيق والارتباط الوثيق والأخوة الصادقة والتعاون المكين، وفقكم الله لخير ما يحب ويرضى.

الإخوان فكرة فى نفوس أربعة :

أيها الإخوان الكرام :

طالعت كثيراً وجربت كثيراً وخالطت أوساطًا كثيرة وشهدت حوادث عدة، فخرجت من هذه السياحة القصيرة المدى الطويلة المراحل بعقيدة ثابتة لا تتزلزل هى أن: السعادة التى ينشدها الناس جميعًا إنما تفيض عليهم من نفوسهم وقلوبهم، ولا تأتيهم من خارج هذه القلوب أبداً، وأن الشقاء الذى يحيط بهم ويهربون منه إنما يصيبهم بهذه النفوس والقلوب كذلك، وإن القرآن يؤيد هذا المعنى ويوضحه ذلك قول الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنفُسِهِمْ﴾[1]، وما رأيت كلامًا أعمق فى فلسفة الاجتماع من قول ذلك الشاعر:

لعمرك ما ضاقت بلاد بأهلها ولكن أخلاق الرجال تضيق

اعتقدت هذا واعتقدت إلى جانبه أنه ليست هناك نظم ولا تعاليم تكفل سعادة هذه النفوس البشرية، وتهدى الناس إلى الطرق العملية الواضحة لهذه السعادة، كتعاليم الإسلام الحنيف الفطرية الواضحة العملية. وليس هنا مجال تفصيل هذه التعاليم، ولا مجال التدليل على أنها تضمن هذه النتيجة، وتكفل سعادة البشرية جميعًا فلذلك مجال آخر، فضلاً عن أننا كلنا فيما أعتقد شركاء فى التسليم بصحة هذه النظرية، على أن كثيراً من غير المسلمين يقرُّ بها ويعترف بما فى الإسلام من جمال وكمال.

لهذا وقفت نفسى منذ نشأت على غاية واحدة هى إرشاد الناس إلى الإسلام حقيقة وعملاً. ولهذا كانت فكرة الإخوان المسلمين إسلامية بحتة فى غايتها وفى وسائلها، لا تتصل بغير الإسلام فى شىء.

ظلت هذه الخواطر حديثا نفسانيًا ومناجاة روحية أتحدث بها فى نفسى لنفسى، وقد أفضى بها إلى كثير ممن حولى، وقد تظهر فى شكل دعوة فردية أو خطابة وعظية أو درس فى المساجد إذا سنحت فرصة التدريس، أو حث لبعض الأصدقاء من العلماء على بذل الهمة ومضاعفة المجهود فى إنقاذ الناس وإرشادهم إلى ما فى الإسلام من خير.

---

(١) سورة الرعد: ١١.

ثم كانت فى مصر وغيرها من بلدان العالم الإسلامى حوادث عدة ألهبت نفسى وأهاجت كوامن الشجن فى قلبى، ولفتت نظرى إلى وجوب الجد والعمل، وسلوك طريق التكوين بعد التنبيه، والتأسيس بعد التدريس، ولا أطيل عليكم بتفصيل حوادث انتهى أمرها وعفت آثارها، وفاءً إلى الرشد أو بعض الرشد أصحابها.

ولقد أخذت أفاتح كثيراً من كبار القوم فى وجوب النهوض والعمل وسلوك طريق الجد والتكوين، فكنت أجد التثبيط أحيانا والتشجيع أحيانًا، والتريث أحيانًا، ولكنى لم أجد ما أريد من الاهتمام بتنظيم الجهود العملية. ومن الوفاء أن أذكر فى هذا المقام المرحوم أحمد باشا تيمور أفسح الله له فى جنته، فما رأيته مرة إلا مثالاً للهمة المتوثبة، والغيرة المتوقدة، وما تحدثت إليه فى شأن من شئون الأمة العامة إلا وجدت العقل الكامل والاستعداد التام والإلمام الشامل وترقب ساعة العمل، فرحمه الله وأجزل مثوبته.

ولَّيتُ وجهى شطر الأصدقاء والإخوان ممن جمعنى وإياهم عهد الطلب وصدق الود والشعور بالواجب، فوجدت استعداداً حسنًا. وكان أسرعهم مبادرة إلى مشاركتى عبء التفكير وأكثرهم اقتناعًا بوجوب العمل فى إسراع وهمة، الإخوان الفضلاء: الأستاذ أحمد أفندى السكرى، والأخ المفضال المرحوم الشيخ حامد عسكرية أسكنه الله فسيح جنته، والأخ الشيخ أحمد عبدالحميد وكثير غيرهم.

وكان عهد وكان موثق أن يعمل كل منا لهذه الغاية، حتى يتحول العرف العام فى الأمة إلى وجهة إسلامية صالحة.

ليس يعلم أحد إلا الله كم من الليالى كنا نقضيها نستعرض حال الأمة وما وصلت إليه فى مختلف مظاهر حياتها، ونحلل العلل والأدواء ونفكر فى العلاج وحسم الداء، ويفيض بنا التأثر لما وصلنا إليه إلى حد البكاء. وكم كنا نعجب إذ نرى أنفسنا فى مثل هذه المشغلة النفسانية العنيفة والخليون هاجعون يتسكعون بين المقاهى ويترددون على أندية الفساد والإتلاف. فإذا سألت أحدهم عما يحمله على هذه الجلسة الفارغة المملة قال لك: أقتل الوقت، وما درى هذا المسكين أن من يقتل وقته إنما يقتل نفسه، فإنما الوقت هو الحياة.

كنا نعجب لهؤلاء الناس وكثير منهم من المثقفين، ومن هم أولى منا بحمل هذا العبء، ثم يقول بعضنا لبعض: أليس هذا داء من أدواء الأمة ولعله أخطرها، ألاَّ تفكر فى مرضها وألا تعمل لعلاج نفسها.

ولهذا وأمثاله نعمل لإصلاح هذا الفساد وقفنا أنفسنا فنتعزى ونحمد الله على أن جعلنا من الداعين إليه العاملين لدينه.

وعمل الزمن عمله فتفرقنا نحن الأربعة فكان أحمد أفندى السكرى بالمحمودية، وكان المرحوم الشيخ حامد عسكرية بالزقازيق، وكان الشيخ أحمد عبدالحميد بكفر الدوار، وكنت بالإسماعيلية أذكر قول القائل:

بالشام أهلى وبغداد الهوى وأنا   بالرقمتين وبالفسطاط جيرانى

وفى الإسماعيلية أيها الإخوان وضعت أول نواة تكوينية للفكرة، وظهرت أول هيئة متواضعة نعمل ونحمل لواءها ونعاهد الله على الجندية التامة فى سبيلها تحت اسم (الإخوان المسلمون)، وكان ذلك فى ذى القعدة سنة ١٣٤٧هـ.

إسلام الإخوان المسلمين:

واسمحوا لى أيها السادة أن أستخدم هذا التعبير، ولست أعنى به أن للإخوان المسلمين إسلامًا جديدًا غير الإسلام الذى جاء به سيدنا محمد -ﷺ- عن ربه، وإنما أعنى أن كثيراً من المسلمين فى كثير من العصور خلعوا على الإسلام نعوتًا وأوصافًا وحدودًا ورسومًا من عند أنفسهم، واستخدموا مرونته وسعته استخدامًا ضاراً - مع أنها لم تكن إلا للحكمة السامية- فاختلفوا فى معنى الإسلام اختلافًا عظيمًا، وانطبعت للإسلام فى نفوس أبنائه صور عدة تقرب أو تبعد أو تنطبق على الإسلام الأول الذى مثله رسول الله -ﷺ- وأصحابه خير تمثيل.

فمن الناس من لا يرى الإسلام شيئًا غير حدود العبادة الظاهرة فإن أداها أو رأى من يؤديها اطمأن إلى ذلك ورضى به وحسبه قد وصل إلى لب الإسلام، وذلك هو المعنى الشائع عند عامة المسلمين، ومن الناس من لا يرى الإسلام إلا الخلق الفاضل والروحانية الفياضة، والغذاء الفلسفى الشهى للعقل والروح، والبعد

بهما عن أدران المادة الطاغية الظالمة. ومنهم من يقف إسلامه عند حد الإعجاب بهذه المعانى الحيوية العملية فى الإسلام فلا يتطلب النظر إلى غيرها ولا يعجبه التفكير فى سواها، ومنهم من يرى الإسلام نوعًا من العقائد الموروثة والأعمال التقليدية التى لا غناء فيها ولا تقدم معها، فهو متبرم بالإسلام وبكل ما يتصل بالإسلام، وتجد هذا المعنى واضحًا فى نفوس كثير من الذين ثقفوا ثقافة أجنبية ولم تتح لهم فرص حسن الاتصال بالحقائق الإسلامية فهم لم يعرفوا عن الإسلام شيئًا أصلاً، أو عرفوه صورة مشوهة بمخالطة من لم يحسنوا تمثيله من المسلمين.

وتحت هذه الأقسام جميعًا تندرج أقسام أخرى يختلف نظر كل منها إلى الإسلام عن نظر الآخر قليلاً أو كثيرًا، وقليل من الناس أدرك الإسلام صورة كاملة واضحة تنتظم هذه المعانى جميعًا.

هذه الصور المتعددة للإسلام الواحد فى نفوس الناس جعلتهم يختلفون اختلافًا بينًا فى فهم الإخوان المسلمين وتصور فكرتهم، فمن الناس من يتصور الإخوان المسلمين جماعة وعظية إرشادية كل همها أن تقدم للناس العظات فتزهدهم فى الدنيا وتذكرهم الآخرة، ومنهم من يتصور الإخوان المسلمين طريقة صوفية تعنى بتعليم الناس ضروب الذكر وفنون العبادة وما يتبع ذلك من تجرد وزهادة، ومنهم من يظنهم جماعة نظرية فقهية كل همها أن تقف عند طائفة من الأحكام تجادل فيها وتناضل عنها وتحمل الناس عليها وتخاصم أو تسالم من لم يسلم بها معها، وقليل من الناس خالطوا الإخوان المسلمين وامتزجوا بهم ولم يقفوا عند حدود السماع ولم يخلعوا على الإخوان المسلمين إسلامًا يتصورونه هم، فعرفوا حقيقتهم وأدركوا كل شىء عن دعوتهم علمًا وعملاً. ولهذا أحببت أن أتحدث لحضراتكم فى إيجاز عن معنى الإسلام وصورته الماثلة فى نفوس الإخوان المسلمين، حتى يكون الأساس الذى ندعو إليه ونعتز بالانتساب له والاستمداد منه واضحًا جليًا:

(١) نحن نعتقد أن أحكام الإسلام وتعاليمه شاملة تنتظم شئون الناس فى الدنيا وفى الآخرة، وأن الذين يظنون أن هذه التعاليم إنما تتناول الناحية العبادية أو الروحية دون غيرها من النواحى مخطئون فى هذا الظن، فالإسلام عقيدة وعبادة، ووطن وجنسية ودين ودولة، وروحانية وعمل، ومصحف وسيف. والقرآن الكريم

ينطق بذلك كله ويعتبره من لب الإسلام ومن صميمه ويوصى بالإحسان فيه جميعه، وإلى هذا تشير الآية الكريمة: ﴿وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الآخِرَةَ وَلا تَنسَ نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا وَأَحْسِن كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ﴾(١).

وإنك تقرأ فى القرآن وفى الصلاة إن شئت قول الله تبارك وتعالى فى العقيدة والعبادة: ﴿وَمَا أُمِرُوا إِلاَّ لِيَعْبُدُوا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ حُنَفَاءَ وَيُقِيمُوا الصَّلاةَ وَيُؤْتُوا الزَّكَاةَ وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ﴾(٢)، وتقرأ قوله تعالى فى الحكم والقضاء والسياسة: ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(٣)، وتقرأ قوله تعالى فى الدين وفى التجارة: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنتُم بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى فَاكْتُبُوهُ وَلْيَكْتُب بَّيْنَكُمْ كَاتِبٌ بِالْعَدْلِ وَلا يَأْبَ كَاتِبٌ أَن يَكْتُبَ كَمَا عَلَّمَهُ اللَّهُ فَلْيَكْتُبْ وَلْيُمْلِلِ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ وَلْيَتَّقِ اللَّهَ رَبَّهُ وَلا يَبْخَسْ مِنْهُ شَيْئًا فَإِن كَانَ الَّذِى عَلَيْهِ الْحَقُّ سَفِيهًا أَوْ ضَعِيفًا أَوْ لا يَسْتَطِيعُ أَن يُمِلَّ هُوَ فَلْيُمْلِلْ وَلِيُّهُ بِالْعَدْلِ وَاسْتَشْهِدُوا شَهِيدَيْنِ مِن رِّجَالِكُمْ فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَامْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ الشُّهَدَاءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَاهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَاهُمَا الأُخْرَىٰ وَلا يَأْبَ الشُّهَدَاءُ إِذَا مَا دُعُوا وَلا تَسْأَمُوا أَن تَكْتُبُوهُ صَغِيرًا أَوْ كَبِيرًا إِلَىٰ أَجَلِهِ ذَلِكُمْ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ وَأَقْوَمُ لِلشَّهَادَةِ وَأَدْنَىٰ أَلاَّ تَرْتَابُوا إِلاَّ أَن تَكُونَ تِجَارَةً حَاضِرَةً تُدِيرُونَهَا بَيْنَكُمْ فَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَلاَّ تَكْتُبُوهَا وَأَشْهِدُوا إِذَا تَبَايَعْتُمْ وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ﴾(٤)، وتقرأ قوله تعالى فى الجهاد والقتال والغزو: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُوا أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُوا فَلْيَكُونُوا مِن وَرَائِكُمْ وَلْتَأْتِ طَائِفَةٌ أُخْرَىٰ لَمْ يُصَلُّوا فَلْيُصَلُّوا مَعَكَ وَلْيَأْخُذُوا حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَىٰ أَن تَضَعُوا أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُوا حِذْرَكُمْ﴾(٥)، إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة البارعة فى هذه الأغراض نفسها وفى غيرها من الآداب العامة وشئون الاجتماع.

---

(١) سورة القصص: ٧٧.
(٢) سورة البينة : ٥.
(٣) سورة النساء : ٦٥.
(٤) سورة البقرة : ٢٨٢.
(٥) سورة النساء : ١٠٢.

وهكذا اتصل الإخوان بكتاب الله واستلهموه واسترشدوه فأيقنوا أن الإسلام هو هذا المعنى الكلى الشامل، وأنه يجب أن يهيمن على كل شئون الحياة وأن تصطبغ جميعها به وأن تنزل على حكمه وأن تساير قواعده وتعاليمه وتستمد منها ما دامت الأمة تريد أن تكون مسلمة إسلامًا صحيحًا، أما إذا أسلمت فى عبادتها وقلدت غير المسلمين فى بقية شئونها، فهى أمة ناقصة الإسلام تضاهئ الذين قال الله تعالى فيهم: ﴿أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاءُ مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَىٰ أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾(١).

(٢) إلى جانب هذا يعتقد الإخوان أن أساس التعاليم الإسلامية ومعينها هو كتاب الله تبارك وتعالى وسنة رسوله -ﷺ-، اللذان إن تمسكت بهما الأمة فلن تضل أبدًا؛ وأن كثيرًا من الآراء والعلوم التى اتصلت بالإسلام وتلونت بلونه تحمل لون العصور التى أوجدتها والشعوب التى عاصرتها. ولهذا يجب أن تستقى النظم الإسلامية التى تحمل عليها الأمة من هذا المعين الصافى معين السهولة الأولى، وأن نفهم الإسلام كما كان يفهمه الصحابة والتابعون من السلف الصالح رضوان الله عليهم، وأن نقف عند هذه الحدود الربانية النبوية حتى لا نقيد أنفسنا بغير ما يقيدنا الله به، ولا نلزم عصرنا لون عصر لا يتفق معه، والإسلام دين البشرية جميعًا.

(٣) وإلى جانب هذا أيضًا يعتقد الإخوان المسلمون أن الإسلام كدين عام انتظم كل شئون الحياة فى كل الشعوب والأمم لكل الأعصار والأزمان، جاء أكمل وأسمى من أن يعرض لجزئيات هذه الحياة وخصوصًا فى الأمور الدنيوية البحتة، فهو إنما يضع القواعد الكلية فى كل شأن من هذه الشئون، ويرشد الناس إلى الطريق العملية للتطبيق عليها والسير فى حدودها.

ولضمان الحق والصواب فى هذا التطبيق أو تحريهما على الأقل، عنى الإسلام عناية تامة بعلاج النفس الإنسانية وهى مصدر النظم ومادة التفكير والتصوير والتشكل، فوصف لها من الأدوية الناجعة ما يطهرها من الهوى، ويغسلها

---

(١) سورة البقرة : ٨٥.

من أدران الغرض والغاية ويهديها إلى الكمال والفضيلة، ويزجرها عن الجور والقصور والعدوان؛ وإذا استقامت النفس وصفت فقد أصبح كل ما يصدر عنها صالحًا جميلاً. يقولون إن العدل ليس فى نص القانون ولكنه فى نفس القاضى، وقد تأتى بالقانون الكامل العادل إلى القاضى ذى الهوى والغاية فيطبقه تطبيقًا جائرًا لا عدل معه، وقد تأتى بالقانون الناقص والجائر إلى القاضى الفاضل العادل البعيد عن الأهواء والغايات فيطبقه تطبيقًا فاضلاً عادلاً فيه كل الخير والبر والرحمة والإنصاف، ومن هنا كانت النفس الإنسانية محل عناية كبرى فى كتاب الله، وكانت النفوس الأولى التى صاغها هذا الإسلام مثال الكمال الإنسانى، ولهذا كله كانت طبيعة الإسلام تساير العصور والأمم، وتتسع لكل الأغراض والمطالب، ولهذا أيضًا كان الإسلام لا يأبى أبدًا الاستفادة من كل نظام صالح لا يتعارض مع قواعده الكلية وأصوله العامة.

لا أحب أيها السادة أن أسترسل فى هذا البيان فذلك باب واسع وحسبنا هذه الإلمامة الموجزة تلقى ضوءًا على هذا المعنى العام للفكرة الإسلامية فى نفوس الإخوان المسلمين.

فكرة الإخوان المسلمين تضم كل المعانى الإصلاحية

كان من نتيجة هذا الفهم العام الشامل للإسلام عند الإخوان المسلمين أن شملت فكرتهم كل نواحى الإصلاح فى الأمة، وتمثلت فيها كل عناصر غيرها من الفكر الإصلاحية، وأصبح كل مصلح مخلص غيور يجد فيها أمنيته، والتقت عندها آمال محبى الإصلاح الذين عرفوها وفهموا مراميها، وتستطيع أن تقول ولا حرج عليك، إن الإخوان المسلمين:

(١) **دعوة سلفيّة**: لأنهم يدعون إلى العودة بالإسلام إلى معينه الصافى من كتاب الله وسنة رسوله.

(٢) **وطريقة سنِّيَّة**: لأنهم يحملون أنفسهم على العمل بالسنة المطهرة فى كل شيء، وبخاصة فى العقائد والعبادات ما وجدوا إلى ذلك سبيلاً.

(٣) **وحقيقة صوفية**: لأنهم يعلمون أن أساس الخير طهارة النفس، ونقاء

القلب، والمواظبة على العمل، والإعراض عن الخلق، والحب فى الله، والارتباط على الخير.

(٤) **وهيئة سياسية:** لأنهم يطالبون بإصلاح الحكم فى الداخل وتعديل النظر فى صلة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم فى الخارج، وتربية الشعب على العزة والكرامة والحرص على قوميته إلى أبعد حد.

(٥) **وجماعة رياضية:** لأنهم يعنون بجسومهم، ويعلمون أن المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف، وأن النبى -ﷺ- يقول: «**إن لبدنك عليك حقًا**» وأن تكاليف الإسلام كلها لا يمكن أن تؤدى كاملة صحيحة إلا بالجسم القوى، فالصلاة والصوم والحج والزكاة لابد لها من جسم يحتمل أعباء الكسب والعمل والكفاح فى طلب الرزق، ولأنهم تبعًا لذلك يعنون بتشكيلاتهم وفرقهم الرياضية عناية تضارع وربما فاقت كثيراً من الأندية المتخصصة بالرياضة البدنية وحدها.

(٦) **ورابطة علمية ثقافية:** لأن الإسلام يجعل طلب العلم فريضة على كل مسلم ومسلمة، ولأن أندية الإخوان هى فى الواقع مدارس للتعليم والتثقيف ومعاهد لتربية الجسم والعقل والروح.

(٧) **وشركة اقتصادية:** لأن الإسلام يعنى بتدبير المال وكسبه من وجهه وهو الذى يقول نبيه -ﷺ-: «**نعم المال الصالح للرجل الصالح**»، ويقول: «**من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له**»، «**إن الله يحب المؤمن المحترف**».

(٨) **وفكرة اجتماعية:** لأنهم يعنون بأدواء المجتمع الإسلامى ويحاولون الوصول إلى طرق علاجها وشفاء الأمة منها.

وهكذا نرى أن شمول معنى الإسلام قد أكسب فكرتنا شمولاً لكل مناحى الإصلاح، ووجه نشاط الإخوان إلى كل هذه النواحى، وهم فى الوقت الذى يتجه فيه غيرهم إلى ناحية واحدة دون غيرها يتجهون إليها جميعًا ويعلمون أن الإسلام يطالبهم بها جميعًا.

ومن هنا كان كثير من مظاهر أعمال الإخوان يبدو أمام الناس متناقضًا وما هو بمتناقض.

فقد يرى الناس الأخ المسلم فى المحراب خاشعًا متبتلاً يبكى ويتذلل، وبعد قليل يكون هو بعينه واعظًا مدرسًا يقرع الآذان بزواجر الوعظ، وبعد قليل تراه نفسه رياضيًا أنيقًا يرمى بالكرة أو يدرب على العدو أو يمارس السباحة، وبعد فترة يكون هو بعينه فى متجره أو معمله يزاول صناعته فى أمانة وفى إخلاص. هذه مظاهر قد يراها الناس متنافرة لا يلتئم بعضها ببعض، ولو علموا أنها جميعًا يجمعها الإسلام ويأمر بها الإسلام ويحضُّ عليها الإسلام لتحققوا فيها مظاهر الالتئام ومعانى الانسجام، ومع هذا الشمول فقد اجتنب الإخوان كل ما يؤخذ على هذه النواحى من المآخذ ومواطن النقد والتقصير.

كما اجتنبوا التعصب للألقاب إذ جمعهم الإسلام الجامع حول لقب واحد هو (الإخوان المسلمون).

بعض خصائص دعوة الإخوان

لعل من صنع الله لدعوة الإخوان أن تنبت فى الإسماعيلية، وأن يكون ذلك على أثر خلاف فقهى بين الأهلين وانقسام دام سنوات حول بعض النقاط الفرعية التى أذكى نار الفرقة فيها ذوو المطامع والأغراض، وأن تصادف نشأتها عهد الصراع القوى العنيف بين الأجنبى المتعصب والوطنى المجاهد، فكان من أثر هذه الظروف أن تميزت هذه الدعوة بخصائص خالفت فيها كثيراً من الدعوات التى عاصرتها.

ومن هذه الخصائص :

(١) البعد عن مواطن الخلاف.

(٢) والبعد عن هيمنة الأعيان والكبراء.

(٣) والبعد عن الأحزاب والهيئات.

(٤) والعناية بالتكوين والتدرج فى الخطوات.

(٥) وإيثار الناحية العملية الإنتاجية على الدعاية والإعلانات.

(٦) وشدة الإقبال من الشباب.

(٧) وسرعة الانتشار فى القرى والبلاد.

١- البعد عن مواطن الخلاف:

فأما البعد عن مواطن الخلاف الفقهى فلأن الإخوان يعتقدون أن الخلاف فى الفرعيات أمر ضرورى، لابد منه، إذ إن أصول الإسلام آيات وأحاديث وأعمال تختلف فى فهمها وتصورها العقول والأفهام، لهذا كان الخلاف واقعًا بين الصحابة أنفسهم، وما زال كذلك وسيظل إلى يوم القيامة، وما أحكم الإمام مالك -رضي الله عنه- حين قال لأبى جعفر وقد أراد أن يحمل الناس على الموطأ: (إن أصحاب رسول الله -ﷺ- تفرقوا فى الأمصار، وعند كل قوم علم، فإذا حملتهم على رأى واحد تكون فتنة)، وليس العيب فى الخلاف ولكن العيب فى التعصب للرأى والحجر على عقول الناس وآرائهم. هذه النظرة إلى الأمور الخلافية جمعت القلوب المتفرقة على الفكرة الواحدة، وحَسْبُ الناس أن يجتمعوا على ما يصير به المسلم مسلمًا كما قال زيد -رضي الله عنه-، وكانت هذه النظرة ضرورية لجماعة تريد أن تنشر فكرة فى بلد لم تهدأ بعد فيه ثائرة الخلاف على أمور لا معنى للجدل ولا للخلاف فيها.

٢- البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان:

وأما البعد عن هيمنة الكبراء والأعيان فلانصرافهم عن هذه الدعوات الناشئة المجردة من الغايات والأهواء إلى الدعوات القائمة، التى تستتبع المغانم وتجر المنافع ولو فى ظن الناس لا فى حقيقة الحال. ولأننا معشر القائمين بدعوة الإخوان تعمدنا هذا، لأول عهد الدعوة بالظهور، حتى لا يطمس لونها الصافى لون آخر من ألوان الدعوات التى يروج لها هؤلاء الكبراء، وحتى لا يحاول أحد منهم أن يستغلها أو يوجهها فى غير الغاية التى تقصد إليها، وذلك إلى أن كثيراً من العظماء ينقصه الكمال الإسلامى الذى يجب أن يتصف به المسلم العادى فضلاً عن المسلم العظيم الذى يحمل اسم دعوة إسلامية لإرشاد الناس، وعلى هذا فقد ظل هذا الصنف بعيدًا عن الإخوان اللهم إلا قليلاً من الأكرمين الفضلاء، يفهم فكرتهم ويعطف على غايتهم ويشارك فى أعمالهم ويتمنى لهم التوفيق والنجاح.

٣- البعد عن الهيئات والأحزاب:

وأما البعد عن الاتصال بالأحزاب والهيئات فلما كان ولا يزال بين هذه

الهيئات من التنافر والتناحر الذى لا يتـفق مع أخوّة الإسلام، ودعوة الإسلام عامة تجمـع ولا تفرق ولا ينهض بهـا ويعمل لهـا إلا من تجرد من كل ألوانـه وصار لله خالصًا. وقد كـان هذا المعنى من قبل عسيراً على النفـوس الطامحة، التى تريد أن تصل عن طريق حزبيـتها أو جـماعتهـا إلى ما تريد من جاه ومـال. لهذا آثرنا أن نتجنب الجميع وأن نصبر على الحرمان من كثير من العناصر الصالحة حتى ينكشف الغطاء، ويدرك الناس بعض الحقـائق المستورة عنهم فيعـودوا إلى الخطة المثلى بعد التجربة وقد امتلأت قلوبهم باليقين والإيمان.

ونحـن الآن -وقـد اشتـد سـاعـد الدعوة وصلب عودها وأصبحت تستطيع أن توجه ولا توجـه وأن تؤثر ولا تـتـأثر، نهـيـب بالكـبراء والأعـيـان والهيـئات والأحـزاب أن ينضمـوا إلينا، وأن يـسلـكـوا سـبـيـلـنا وأن يعـمـلوا مـعـنـا وأن يتركوا هذه المظاهر الفـارغة التى لا غناء فيها، ويتـوحدوا تحت لواء القرآن العظيم ويسـتـظلـوا بـرايـة الـنبـى الـكـريم ومنهاج الإسـلام القـويم. فإن أجـابوا فهـو خيـرهم وسـعادتهم فى الدنيا والآخرة، وتسـتطيع الدعوة بهم أن تختـصر الوقت والجـهـود، وإن أبـوا فـلا بأس علينا أن ننتـظر قليلاً وأن نلتـمس المعـونة من الله وحـده حـتـى يحـاط بهم ويسقط فى أيـديهم ويضطرون إلى العمل للدعــوة أذنابًا وقد كانوا يسـتطـيعون أن يكونوا رؤسـاء، والله غالب على أمره ولكن أكثر الناس لا يعلمون.

٤- التدرج فى الخطوات:

وأما التـدرج والاعتمـاد على التربية ووضــوح الخطوات فى طريق الإخوان المسلمين، فـذلك أنهم اعتقـدوا أن كل دعوة لابد لها من مـراحل ثلاث: مرحلة الدعاية والتعريف والتبشير بالفكرة وإيصـالها إلى الجماهير من طبقات الشعب، ثم مرحلـة التكوين وتخيـر الأنصار وإعداد الجـنود وتعبئـة الصفـوف من بين هؤلاء المدعوين، ثم بعد ذلك كله مـرحلة التنفيذ والعمل والإنتاج. وكثيـراً ما تسير هذه المراحل الثلاث جنبًـا إلى جنب نظرًا لوحدة الدعوة وقوة الارتبـاط بينها جمـيعًا، فالداعى يدعـو، وهو فى الوقت نفسه يتـخير ويربى، وهو فى الوقت عـينه يعمل وينفذ كذلك.

ولكن لا شك فى أن الغاية الأخيرة أو النتيجة الكاملة لا تظهر إلا بعد عموم الدعاية وكثرة الأنصار ومتانة التكوين.

فى حدود هذه المراحل سارت دعوتنا ولا تزال تسير، فقد بدأنا بالدعوة فوجهناها إلى الأمة فى دروس متتالية وفى رحلات متلاحقة وفى مطبوعات كثيرة وفى حفلات عامة وخاصة، وفى جريدة الإخوان المسلمين الأولى ثم فى مجلة النذير الأسبوعية، ولا زلنا ندعو وسنظل كذلك حتى لا يكون هناك فرد واحد لم تصله دعوة الإخوان المسلمين على حقيقتها الناصعة وعلى وجهها الصحيح. ويأبى الله إلا أن يتم نوره، وأظن أننا وصلنا فى هذه المرحلة إلى درجة نطمئن عليها وعلى اطراد السير فيها، وصار من ألزم واجباتنا أن نخطو الخطوة الثانية، خطوة الاختيار والتكوين والتعبئة.

خطونا الخطوة الثانية فى صور ثلاث:

١- الكتائب: ويراد بها تقوية الصف بالتعارف، وتمازج النفوس والأرواح ومقاومة العادات والمألوفات، والمران على حسن الصلة بالله تبارك وتعالى واستمداد النصر منه، وهذا هو معهد التربية الروحية للإخوان المسلمين.

٢- الفرق للكشافة والجوالة والألعاب الرياضية: ويراد بها تقوية الصف بتنمية جسوم الإخوان وتعويدهم الطاعة والنظام والأخلاق الرياضية الفاضلة وإعدادهم للجندية الصحيحة التى يفرضها الإسلام على كل مسلم، وهذا هو معهد التربية الجسمية للإخوان المسلمين.

٣- درس التعاليم فى الكتائب أو فى أندية الإخوان المسلمين: ويراد بها تقوية الصف بتنمية أفكار الإخوان وعقولهم بدراسة جامعة لأهم ما يلزم الأخ المسلم معرفته لدينه ودنياه وهذا هو معهد التربية العلمية والفكرية للإخوان المسلمين.

ذلك، إلى مختلف نواحى النشاط الأخرى التى يدرب بها الإخوان على الواجب الذى ينتظرهم كجماعة تعد نفسها لقيادة أمة بل لهداية العالمين.

بعد أن نطمئن على موقفنا من هذه الخطوة نخطو إن شاء الله الخطوة الثالثة، وهى الخطوة العملية التى تظهر بعدها الثمار الكاملة لدعوة الإخوان المسلمين.

مصارحة :

أيها الإخوان المسلمون وبخاصة المتحمسون المتعجلون منكم: اسمعوها منى كلمة عالية داوية من فوق هذا المنبر فى مؤتمركم هذا الجامع: إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده. ولست مخالفًا هذه الحدود التى اقتنعت كل الاقتناع بأنها أسلم طريقة للوصول، أجل قد تكون طريقًا طويلة ولكن ليس هناك غيرها. إنما تظهر الرجولة بالصبر والمثابرة والجد والعمل الدائب، فمن أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه فى ذلك بحال، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلى غيرها من الدعوات. ومن صبر معى حتى تنمو البذرة وتنبت الشجرة وتصلح الثمرة ويحين القطاف فأجره فى ذلك على الله، ولن يفوتنا وإياه أجر المحسنين: إما النصر والسيادة، وإما الشهادة والسعادة.

أيها الإخوان المسلمون :

ألجموا نزوات العواطف بنظرات العقول، وأنيروا أشعة العقول بلهب العواطف، وألزموا الخيال صدق الحقيقة والواقع، واكتشفوا الحقائق فى أضواء الخيال الزاهية البراقة. ولا تميلوا كل الميل فتذروها كالمعلقة، ولا تصادموا نواميس الكون فإنها غلابة، ولكن غالبوها واستخدموها وحولوا تيارها واستعينوا ببعضها على بعض، وترقبوا ساعة النصر وما هى منكم ببعيد.

أيها الإخوان المسلمون :

إنكم تبتغون وجه الله وتحصيل مثوبته ورضوانه، وذلك مكفول لكم ما دمتم مخلصين. ولم يكلفكم الله نتائج الأعمال ولكن كلفكم صدق التوجه وحسن الاستعداد، ونحن بعد ذلك إما مخطئون فلنا أجر العاملين المجتهدين، وإما مصيبون فلنا أجر الفائزين المصيبين. على أن التجارب فى الماضى والحاضر قد

أثبتت أنه لا خير إلا فى طريقكم، ولا إنتاج إلا مع خطتكم، ولا صواب إلا فيما تعملون، فلا تغامروا بجهودكم ولا تقامروا بشعار نجاحكم، واعملوا والله معكم ولن يتركم أعمالكم والفوز للعاملين ﴿وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾(١).

متى تكون خطوتنا التنفيذية؟

أيها الإخوان المسلمون :

نحن هنا فى مؤتمر أعتبره مؤتمرًا عائليًا يضم أسرة الإخوان المسلمين، وأريد أن أكون معكم صريحًا للغاية فلم تعد تنفعنا إلا المصارحة:

إن ميدان القول غير ميدان الخيال، وميدان العمل غير ميدان القول، وميدان الجهاد غير ميدان العمل، وميدان الجهاد الحق غير ميدان الجهاد الخاطئ.

يسهل على كثيرين أن يتخيلوا، ولكن ليس كل خيال يدور بالبال يستطاع تصويره أقوالاً باللسان، وإن كثيرين يستطيعون أن يقولوا ولكن قليلاً من هذا الكثير يثبت عند العمل، وكثير من هذا القليل يستطيع أن يعمل، ولكن قليلاً منهم يقدر على حمل أعباء الجهاد الشاق والعمل المضنى، وهؤلاء المجاهدون وهم الصفوة القلائل من الأنصار قد يخطئون الطريق ولا يصيبون الهدف إن لم تتداركهم عناية الله. وفى قصة طالوت بيان لما أقول: فأعدوا أنفسكم وأقبلوا عليها بالتربية الصحيحة والاختبار الدقيق وامتحنوها بالعمل، العمل القوى البغيض لديها الشاق عليها، وافطموها عن شهواتها ومألوفاتها وعاداتها.

وفى الوقت الذى يكون فيه منكم -معشر الإخوان المسلمين- ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسها روحيًا بالإيمان والعقيدة، وفكريًا بالعلم والثقافة، وجسميًّا بالتدريب والرياضة، فى هذا الوقت طالبونى بأن أخوض بكم لجج البحار، وأقتحم بكم عنان السماء، وأغزو بكم كل عنيد جبار، فإنى فاعل إن شاء الله، وصدق رسول الله القائل: **«ولن يُغلب اثنا عشر ألفًا من قلة»**. إنى أقدر لذلك وقتًا ليس طويلاً بعد توفيق الله واستمداد معونته وتقديم إذنه ومشيئته، وقد

---

(١) سورة البقرة: ١٤٣.

تستطيعـون أنتم معشر نواب الإخوان ومندوبيـهم أن تقصروا هذا الأجل إذا بذلتم همتكم وضاعفـتم جهودكم، وقد تهملون فيخطئ هذا الحـساب، وتختلف النتائج المترتبة عليه، فأشعروا أنفـسكم العبء وألفوا الكتائب وكونوا الفرق، وأقبلوا على الدروس، وسارعوا إلى التدريب وانشروا دعـوتكم فى الجهات التى لم تصل إليها بعد، ولا تضيعوا دقيقة بغير عمل.

وقـد يظن من يسمع هـذا أن الإخوان المسلمـين قليل عـددهم أو ضعـيف مجـهودهـم، ولست إلى هذا أقصـد وليس هذا هو مفـهوم كـلامى، فالإخـوان المسلمون والحـمد لله كثـيرون، وإن جمـاعة يمثـلها فى هذا الاجتـماع آلاف من أعضـائها كل منهم ينوب عن شعـبة كاملة لأكـثر من أن يستـقل عددها أو ينسى مجهودها أو يغمط حقها، ولكـن أقصد إلى ما ذكرت أولاً من أن رجل القول غير رجل العمل، ورجل العمل غير رجل الجهاد، ورجل الجهاد فقط غير رجل الجهاد المنتج الحكيم الذى يؤدى إلى أعظم الربح بأقل التضحيات.

٥- إيثار الناحية العملية:

وأما إيثـار الناحية الـعملية على الدعـاية والإعلانات، فقـد أثارها فى نفس الإخوان ودعا إليها فى منهاجهم أمور:

منها ما جاء فى الإسلام خاصًا بهذه الناحية بالذات، ومخافة أن تشوب هذه الأعمال شوائب الرياء فيسـرع إليها التلف والفساد. والموازنة بين هذه النظرة وبين ما ورد فى إذاعة الخـير، والأمر به والمسارعة إلى إعـلانه ليتعدى نفسـه، أمر دقيق قلما يتم إلا بتوفيق.

ومنهـا نفور الإخـوان الطبـيعى من اعـتمـاد الناس على الدعـايات الكاذبة والتهريج الذى ليس من ورائه عمل، وما أنتجه هذا فى الأمة من أثر سيئ وتضليل كبير وفساد ملموس.

ومنها ما كان يخـشاه الإخوان من معاجلة الدعوة بخصومـة حادة أو صداقة ضارة ينتج عن كليهما تعويق فى السير أو تعطيل عن الغاية.

كـل هـذه أمـور وضـعـهـا الإخـوان فـى مـيـزانهم وآثروا أن يسـيـروا فى

دعوتـهـم بجـد وإسراع وإن لم يشعر بـهـم إلا من حولهم، وإن لم يؤثر ذلك إلا في محيطهم.

قليل من الناس من يعرف أن الداعية من دعـاة الإخوان قد يخرج من عمله المصلحي في عصر الخميس، فإذا هو في العشاء بالمنيا يحاضر الناس، وإذا هو في صلاة الجمعـة يخطب بمنفلوط، فإذا هو في العصر يحاضر بأسيـوط، وبعد العشاء يحاضـر بسوهاج، ثم يعـود أدراجه فإذا هو في الصـباح الباكـر في مركـز عمله بالقاهرة قبل إخوانه من الموظفين. أربع حفلات جامعات يحضرها الداعية من دعاة الإخوان في أطراف القطر في ثلاثين ساعة، ثـم يعود أدراجه هادئ النفس مطمئن القلب يحمد الله على ما وفقه إليه ولا يشعر به إلا الذين استمعوه.

هذا مجهود لو قام به غير الإخـوان لملأ الدنيا صياحًا ودعاية، لكن الإخوان -لما قدمت- يؤثرون ألا يراهم الناس إلا عاملين، فمن أقنعه العمل فيها، ومن لم يؤثر فيه العمل فلن يرشده القول.

قد يقضـي الأخ شهرًا أو شهرين بعـيدًا عن أهله وبيته وزوجـه وولده يدعو إلى الله، هو في الليل محاضـر وفي النهار مسافر، يومًا بحزوى ويـومًا بالعقيق، فيلقي أكثر من ستين محـاضرة من شرق القطر إلى غربه، وقد تضم الحفلات التي يحاضر فيها الآلاف من مختلف الطبقات، ثم هو بعد ذلك يوصي ألا يكون ذلك محل دعاية أو إعلان.

يعقـد الإخوان معـسكرًا نموذجيًـا بالإسكندرية قرابة شهـر فيكون مـعسكرًا نموذجيًا بحق، يجمع رياضة الفكر والروح إلى رياضة البـدن والجسم، وتتمثل فيه بجلاء ووضوح المعاني الرياضية والعسكرية الكاملة، ويدوم ذلك طول هذه الفترة، ويضم تحت خيامـه المباركة مائة من الشباب التـقي المؤمن، فلا يكون لذلك صداه في غير من حضروه من الإخوان المسلمين.

يعقد مـؤتمر كمؤتمركم هذا وهو في الواقع أصدق برلمان لمصر إذ مـثلت فيه مديرياتها ومراكزها وقراها وحواضرها من كل الطبقات أصدق تمثيل، وقد حضرتم جمـيعًا لا يحـملكم إلى ذلك إلا الرغبة الأكـيدة في العمل المنتـج، فنوجه إليكم الدعوة ويضمكم معشر الإخوان المسلمين هذا المكان المبارك.

يقوم الإخوان بهـذا وبغيره من ضروب الإصـلاح التى تنتج أحسن الآثار ثم هم بذلك لا يتشدقـون ولا يباهون، ولا يذكرون حتى الحـقيقة فضـلاً عن المبالغة والإغـراق. ولو كان بعض هذا النشـاط وبعض هذه الأعـمال مما يوفق إليـه غيـر الإخوان من الهيئات لملئوا الدنيا صـراخًا، ولأسمعوا من فى المشرق والمغرب، ولا عجب فنحن فى عصر الدعايات.

أيها الإخوان:

ذلك المعنى الذى تقصـدون إليه معنى جمـيل حقًا وخطة محـمودة عند الله وعند الناس، فـادرجـوا عليـها ولا بـأس عليكم، ولكن لاحظوا أنكم الآن وقـد أرغمـتكم الدعوة على أن تتـخطوا الحواجـز الخاصة إلى الميـادين الواسعـة، وقد أظهرت الدعوة نفسها فأخذ الناس يتـساءلون عنها وعنكم، وأخذ بعض الفضوليين يتطوع بتصويركم لغـيركم وهو لا يدرى قليلاً ولا كثيرًا من شـئونكم، فقد وجب عليكم أن تبينوا للناس غايتكم ووسيلتكم وحـدود فكرتكم ومنهاج أعمالكم، وأن تعلنوا هذه الأعمال على الناس، لا للمباهاة بها ولكن للإرشاد إلى مافيها من نفع للأمـة وخيـر لأبنـائها فاكـتبـوا إلى النذير وهى لسانكم، واكـتبوا إلـى الصحف اليـوميـة وأظنهـا لا تقف فى سبـيلكم، واحـرصوا علـى أن تكونوا صادقـين لا تتجاوزون الحـقيقة، وأن تكون دعايتكم فى حـدود الأدب الكامل والخلق الفاضل والحـرص التام على جـمع القلوب وتأليف الأرواح، واستـشعـروا كلما ظهـرت دعوتكم أن الفضل فى ذلك كله لله: ﴿بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلإِيمَانِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١).

٦- إقبال الشباب على الدعوة:

وأما إقـبال الشبـاب على الدعوة، ونموها فى كـثير مـن الأوساط التى هى أخصب المنابت للدعوات من الطبـقات العاملة والوسطى، فتوفيق كبـير نحمد الله عليـه، فقـد أقبل الشـباب فى كل مكان على دعـوة الإخوان يؤمن بهـا ويؤيدها ويناصرها، ويعاهد الله على النهوض بحقها والعمل فى سبيلها.

---

(١) سورة الحجرات: ١٧.

تقدم ستة من شباب الجامعة منذ سنوات يهبون الله نفوسهم وجهودهم، وعلم الله منهم ذلك فأيدهم وآزرهم، فإذا بالجامعة كلها من أنصار الإخوان المسلمين تحبهم وتحترمهم وتتمنى لهم النجاح، وإذا من الشباب الجامعى فئة كريمة مؤمنة تتفانى فى الدعوة وتبشر بها فى كل مكان.

قل مثل ذلك فى الأزهر الشريف، والأزهر بطبعه معقل الدعوة الإسلامية وموئل الإسلام، فليس غريبًا عليه أن يعتبر دعوة الإخوان دعوته وأن يعد غايتها غايته، وأن تمتلئ الصفوف الإخوانية والأندية الإخوانية بشبابه الناهض وعلمائه الفضلاء ومدرسيه ووعاظه، وأن يكون لهم جميعًا أكبر الأثر فى نشر الدعوة وتأييدها والمناداة بها فى كل مكان. ولم يقتصر إقبال الشباب على طوائف الطلبة الفضلاء ومن إليهم، بل إن كثيراً من طبقات الشعب المؤمنة أقبل على الدعوة وكان خير معوان فى مناصرتها، وإن كثيراً من الشباب كان ضالاً فهداه الله وكان حائرًا فأرشده الله، وكانت المعصية له عادة فوفقه الله إلى الطاعة، وكان لا يعرف له غاية من الحياة فوضحت أمامه الغاية ﴿يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَن يَشَاءُ﴾(١)، وإنا لنعتبر ذلك من علامات التوفيق ونلمس كل يوم تقدمًا جديداً فى هذا الباب يدعونا إلى الأمل القوى والمثابرة ومضاعفة الجهود، وما النصر إلا من عند الله العزيز الحكيم.

٧- سرعة الانتشار فى القرى والمدن :

وأما سرعة انتشار الدعوة فى القرى والمدن فقد قدمت لكم أن الدعوة نشأت فى الإسماعيلية، وترعرعت فى جوها الصافى ودرجت على رمالها الممتدة الجميلة، يغذيها وينميها ما ترى كل صباح ومساء من مظاهر الاحتلال الأجنبى والاستئثار الأوروبى بخير هذا البلد. فهذه قناة السويس علة الداء وأصل البلاء، وفى الغرب المعسكر الإنجليزى بأدواته ومعداته، وفى الشرق المكتب العام لإدارة شركة القناة بأثاثه ورياسته وعظمته ومرتباته؛ والمصرى غريب بين كل هذه الأجواء فى بلده محروم وغيره ينعم بخير وطنه، ذليل والأجنبى يعتز بما يغتصبه من موارد رزقه. كان هذا الشعور غذاء جميلاً ومدداً طيبًا لدعوة الإخوان فبسطت رواقها فى

(١) سورة النور : ٣٥.

منطقة القناة، ثم تخطتها إلى البحر الصغير ثم مديرية الدقهلية، تحتل قلوب المؤمنين بها بذرة صغيرة متواضعة، ثم لا تلبث أن تستولى على هذه القلوب وتستغرق شعورها وتفكيرها، وتصبح للرجل أمل الآمال وغاية الغايات فيدعو ويضحى ويبذل.

وخطت الدعوة إلى القاهرة باندماج جمعية الحضارة الإسلامية بدعاتها وأدواتها إلى الإخوان، إيمانًا بفكرتهم وإيثاراً للعمل مع الجماعة، وزهادة فى الألقاب والأسماء، واحتقاراً لهذه الأنانية الفردية التى أفسدت علينا كل عمل. ثم تبع ذلك تكوُّن مكتب الإرشاد العام بالقاهرة وإشرافه على شعب الجماعة الناشئة فى الأقاليم والبلدان، وعمله الدائب على نشر الفكرة وإيصالها إلى البلدان التى لم تتصل بها بعد.

ودأب المكتب على ذلك يقتطع أعضاؤه من قوتهم وأوقاتهم وجهودهم ما يستعينون به على خدمة عقيدتهم فى عفة الأسد، وفى طهارة ماء الغمام، ولا يمدون لأحد يداً ولا يسألون كبيراً ولا هيئة شيئًا، ولا يأخذون من مال حكومة ولا يطلبون معونة أحد إلا الله، حتى انتشرت شُعب الإخوان بسرعة فائقة فى جميع نواحى القطر المصرى من أسوان إلى الإسكندرية إلى رشيد إلى بورسعيد إلى السويس إلى طنطا، إلى الفيوم إلى بنى سويف، إلى المنيا، إلى أسيوط، إلى جرجا، إلى قنا، وفيما بين ذلك من المراكز والقرى.

ولم تقف عند هذه الحدود المصرية بل تجاوزتها إلى القسم الجنوبى من الوطن الغالى، إلى السودان المفدى، ثم إلى بقية أجزاء الوطن الإسلامى العزيز: سوريا بأقسامها شرقًا، والمغرب بأقسامه غربًا، ثم إلى غير ذلك من بقية بلادنا الإسلامية المباركة.

كنا نوجه الدعوة ونعمل على انتشارها من قبل، أما الآن فقد صارت الدعوة تسبقنا إلى البلاد والقرى وتضطرنا إلى ملاحقتها وأداء حقوقها مهما كان فى ذلك من عنت ومن إرهاق. والمهم أن الصلة بين هذه الهيئات كلها ليس مجرد التشابه فى الاسم أو الوحدة فى المقصد العام، كلا بل إنها أقوى الصلات جميعًا، إنها صلة الحب العميق والتعاون الوثيق، والارتباط القدسى المتين، والالتفاف التام

حول محور الدعوة ومركزها، والوحدة الشاملة فى الألم والأمل والجهاد والعمل، والوسائل والغايات والمناهج والخطوات وليس بعد ذلك زيادة لمستزيد.

وليست هذه الهيئات فى البلدان والقرى مقتصرة فى عملها على تنفيذ تعليمات المكتب الرئيسى لها بالقاهرة، بل إنها تجدُّ وتعمل فى مناحى الخدمة العامة فتبنى أنديتها، وكثير منها قد بنى داره وأصبحت ملكًا خالصًا له خاصًا به، وكثير منها كذلك قام بكثير من المشروعات الخيرية والاقتصادية والاجتماعية. وجميعها دائمة النشاط جمة الإنتاج، كما أن صلة المكتب بفروعه وهيئاته المختلفة ليست صلة الرئيس بالمرءوس، وليست صلة الإدارة البحتة والإشراف العلمى فقط، ولكنها صلة فوق ذلك كله: صلة الروح أولاً، وصلة أفراد الأسرة الواحدة بعضهم ببعض، التزاور فى الله، فدعاة الإخوان يزورون إخوانهم ويختلطون بهم ويعرفون أهم ما يتصل بحياتهم وشئونهم الخاصة والعامة، ولم يتوفر ذلك لهيئة من الهيئات القائمة فيما أعلم، وذلك فضل الله يؤتيه من يشاء.

أيها الإخوان:

لا أكتمكم أنى مزهو بهذه الوحدة الإخوانية الصادقة، فخور بهذا الارتباط الربانى القوى المتين، عظيم الأمل فى المستقبل، ما دمتم كذلك إخوة فى الله متحابين متعاونين، فاحرصوا على هذه الوحدة فإنها سلاحكم وعدتكم.

وإن كثيراً من الناس ليتساءل: ومن أين يقوم الإخوان المسلمون بنفقات هذه الدعوة، وهى نفقات كثيرة تعجز الأغنياء فضلاً عن الفقراء؟

ألا فليعلم هؤلاء وليعلم غيرهم أن الإخوان المسلمين لا يبخلون على دعوتهم يومًا من الأيام بقوت أولادهم وعصارة دمائهم وثمن ضرورياتهم، فضلاً عن كمالياتهم والفائض من نفقاتهم، وأنهم يوم أن حملوا هذا العبء عرفوا جيداً أنها دعوة لا ترضى بأقل من الدم والمال، فخرجوا عن ذلك كله لله وفقهوا معنى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ﴾(١)، فقبلوا البيع وقدموا البضاعة عن رضا وطيب نفس، معتقدين أن الفضل كله لله، فاستغنوا بما فى أيديهم عما فى أيدى الناس، ومنحهم الله البركة فى القليل فأنتج

---

(١) سورة التوبة: ١١١.

الكثير. إلى الآن أيها الإخوان لم يمنح مكتب الإرشاد العام إعانة واحدة من حكومة أيًا كانت، وهو يباهى ويفاخر ويتحدى الناس جميعًا أن يقول أحدهم إن هذا المكتب قد دخل خزانته قرش واحد من غير جيوب أعضائه، ولسنا نريد إلا هذا، ولن نقبل إلا من عضو أو من محب، ولن نعتمد على الحكومات فى شىء، ولا تجعلوا فى ترتيبكم ولا منهاجكم ذلك ولا تنظروا إليه ولا تعملوا له، واسألوا الله من فضله إن الله كان بكل شىء عليمًا.

تلك أيها الإخوان بعض خصائص دعوتكم، انتهزت هذه الفرصة لأتحدث إليكم عنها، وأنتقل بعد ذلك إلى ناحية هامة من نواحى الدعوة قد يلتبس الأمر فى موقف الإخوان منها على كثير من الناس، وربما خفى على بعض الإخوان أنفسهم حتى نحدد معًا ونكشف معًا ما عسى أن يكون من إبهام.

من منهاج الإخوان المسلمين

الغاية والوسيلة:

أظنكم أيها الإخوة الفضلاء قد عرفتم من هذا الحديث الطويل غاية الإخوان ووسيلتهم ومهمتهم تمامًا.

إن غاية الإخوان تنحصر فى تكوين جيل جديد من المؤمنين بتعاليم الإسلام الصحيح يعمل على صبغ الأمة بالصبغة الإسلامية الكاملة فى كل مظاهر حياتها: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾(١)، وأن وسيلتهم فى ذلك تنحصر فى تغيير العرف العام وتربية أنصار الدعوة على هذه التعاليم حتى يكونوا قدوة لغيرهم فى التمسك بها والحرص عليها والنزول على حكمها؛ وأنهم ساروا إلى غايتهم فى حدود وسيلتهم فوصلوا إلى درجة من النجاح يطمئنون إليها ويحمدون الله عليها، وأظننى لست فى حاجة إلى مزيد شرح أو بيان فى هذه الناحية.

الإخوان والقوة والثورة:

ويتساءل كثير من الناس: هل فى عزم الإخوان المسلمين أن يستخدموا القوة

---

(١) سورة البقرة : ١٣٨.

فى تحقيق أغراضهم والوصول إلى غايتهم؟ وهل يفكر الإخوان المسلمون فى إعداد ثورة عامة على النظام السياسى أو النظام الاجتماعى فى مصر؟ ولا أريد أن أدع هؤلاء المتسائلين فى حيرة، بل إنى أنتهز هذه الفرصة فأكشف اللثام عن الجواب السافر لهذا فى وضوح وفى جلاء، فليسمع من يشاء.

أما القوة فشعار الإسلام فى كل نظمه وتشريعاته، فالقرآن الكريم ينادى فى وضوح وجلاء: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(١)، والنبى -ﷺ- يقول: «**المؤمن القوى خير من المؤمن الضعيف**»، بل إن القوة شعار الإسلام حتى فى الدعاء وهو مظهر الخشوع والمسكنة، واسمع ما كان يدعو به النبى -ﷺ- فى خاصة نفسه ويعلّمه أصحابه ويناجى به ربه: «**اللهم إنى أعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غَلَبَة الدَّيْنِ وقهر الرجال**»، ألا ترى فى هذه الأدعية أنه قد استعاذ بالله من كل مظهر من مظاهر الضعف: ضعف الإرادة بالهم والحزن، وضعف الإنتاج بالعجز والكسل، وضعف الجيب والمال بالجبن والبخل، وضعف العزة والكرامة بالدَّيْنِ والقهر؟ فماذا تريد من إنسان يتبع هذا الدين إلا أن يكون قويًا فى كل شىء شعاره القوة فى كل شىء؟ فالإخوان المسلمون لابد أن يكونوا أقوياء، ولابد أن يعملوا فى قوة.

ولكن الإخوان المسلمين أعمق فكرًا وأبعد نظرًا من أن تستهويهم سطحية الأعمال والفكر، فلا يغوصوا إلى أعماقها ولا يزنوا نتائجها وما يقصد منها وما يراد بها، فهم يعلمون أن أول درجة من درجات القوة قوة العقيدة والإيمان، ويلى ذلك قوة الوحدة والارتباط، ثم بعدهما قوة الساعد والسلاح. ولا يصح أن توصف جماعة بالقوة حتى تتوفر لها هذه المعانى جميعًا، وإنها إذا استخدمت قوة الساعد والسلاح وهى مفككة الأوصال مضطربة النظام أو ضعيفة العقيدة خامدة الإيمان فسيكون مصيرها الفناء والهلاك.

هذه نظرة، ونظرة أخرى: هل أوصى الإسلام -والقوة شعاره- باستخدام

---

(١) سورة الأنفال: ٦٠.

القوة فى كل الظروف والأحوال؟ أم حدد لذلك حدودًا واشترط شروطًا ووجه القوة توجيهًا محدودًا؟

ونظرة ثالثة - هل تكون القوة أول علاج أم أن آخر الدواء الكىّ؟ وهل من الواجب أن يوازن الإنسان بين نتائج استخدام القوة النافعة ونتائجها الضارة وما يحيط بهذا الاستخدام من ظروف؟ أم من واجبه أن يستخدم القوة وليكن بعد ذلك ما يكون؟

هذه نظرات يلقيها الإخوان المسلمون على أسلوب استخدام القوة قبل أن يقدموا عليه، والثورة أعنف مظاهر القوة، فنظر الإخوان المسلمين إليها أدق وأعمق، وبخاصة فى وطن كمصر جرّب حظه فى الثورات فلم يجن من ورائها إلا ما تعلمون. وبعد كل هذه النظرات والتقديرات أقول لهؤلاء المتسائلين: إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها، وحيث يثقون أنهم قد استكملوا عدة الإيمان والوحدة، وهم حين يستخدمون هذه القوة سيكونون شرفاء صرحاء وسينذرون أولاً، وينتظرون بعد ذلك ثم يُقدِمون فى كرامة وعزة، ويحتملون كل نتائج موقفهم هذا بكل رضاء وارتياح.

وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها، ولا يعتمدون عليها، ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها، وإن كانوا يصارحون كل حكومة فى مصر بأن الحال إذا دامت على هذا المنوال ولم يفكر أولو الأمر فى إصلاح عاجل وعلاج سريع لهذه المشاكل، فسيؤدى ذلك حتما إلى ثورة ليست من عمل الإخوان المسلمين ولا من دعوتهم، ولكن من ضغط الظروف ومقتضيات الأحوال، وإهمال مرافق الإصلاح. وليست هذه المشاكل التى تتعقد بمرور الزمن ويستفحل أمرها بمضى الأيام إلا نذيرًا من هذه النذر، فليسرع المنقذون بالأعمال.

الإخوان المسلمون والحكم:

ويتساءل فريق آخر من الناس: هل فى منهاج الإخوان المسلمين أن يكوّنوا حكومة وأن يطالبوا بالحكم؟ وما وسيلتهم إلى ذلك؟ ولا أدع هؤلاء المتسائلين أيضًا فى حيرة، ولا نبخل عليهم بالجواب.

فالإخـوان المسلمون يسـيرون فى جمـيع خطواتهم وآمالهم وأعـمالهم على هدى الإسـلام الحنيف كمـا فهـموه، وكـما أبانوا عن فـهمـهم هذا فى أول هذه الكلمة. وهذا الإسـلام الذى يؤمن به الإخوان المسلمون يجـعل الحكومة ركنًا من أركانه، ويعتمد على التنـفيذ كما يعتمد على الإرشاد، وقديمًا قال الخليفة الثالث -رضي الله عنه-: (إنَّ الله لَيَـزَعُ بالسلطان مـا لا يزع بالقرآن). وقـد جـعل النبى -ﷺ- الحكم عـروة من عرى الإسلام، والحكم مـعدود فى كـتبنا الفـقهـية من العـقائد والأصول، لا من الفـقهيات والـفروع، فالإسلام حكم وتنفـيذ، كمـا هو تشريع وتعليم، كـمـا هو قـانون وقضـاء، لا ينفك واحـد منهـا عن الآخـر. والمصلح الإسلامى إن رضى لنفـسه أن يكون فقـيهًا مـرشدًا يقرر الأحكام ويرتل التـعاليم ويسـرد الفروع والأصـول، وترك أهل التنفيـذ يشرِّعـون للأمة مـا لم يأذن به الله ويحملونها بقـوة التنفيذ على مخالفة أوامـره، فإن النتيجة الطبيـعية أن صوت هذا المصلح سيكون صرخة فى واد ونفخة فى رماد كما يقولون.

قد يكون مفـهومًا أن يقنع المصلحون الإسلاميـون برتبة الوعظ والإرشاد إذا وجـدوا من أهل التنفـيذ إصـغاءً لأوامـر الله وتنفـيذًا لأحكـامه، وإيصـالاً لآياته وأحاديث نبيه -ﷺ-، وأما والحال كما نرى: التشريع الإسلامى فى واد والتشريع الفعلى والتنفيذى فى واد آخر، فإن قعود المصلحين الإسلاميين عن المطالبة بالحكم جريمة إسلامية لا يكفرها إلا النهـوض واستخلاص قوة التنفيذ من أيدى الذين لا يدينون بأحكام الإسلام الحنيف.

هذا كلام واضح لم نأت به من عند أنفسـنا، ولكننا نقرر به أحكام الإسلام الحنيف. وعلى هذا فالإخوان المسلمون لا يطلبون الحكم لأنفسهم، فإن وجدوا من الأمة من يستعد لحمل هذا العبء وأداء هذه الأمانة، والحكم بمنهاج إسلامى قرآنى فهم جنوده وأنصـاره وأعوانه، وإن لم يجدوا فالحـكم من منهاجهم، وسيـعملون لاستخلاصه من أيدى كل حكومة لا تنفذ أوامر الله.

وعلى هذا فالإخوان أعقل وأحزم من أن يتقـدموا لمهمة الحكم ونفوس الأمة على هذا الحال، فـلابد من فترة تنشر فـيها مبـادئ الإخوان وتسود، ويتعلم فـيها الشعب كيف يؤثر المصلحة العامة على المصلحة الخاصة.

وكلمة لابد أن نقولهـا فى هذا الموقف هى أن الإخوان المسلمين لم يروا فى حكومة من الحكومات التى عـاصروها - لا الحكومة القائمة ولا الحكومـة السابقة ولا غـيـرهمـا من الحكومـات الحـزبيـة- من ينهض بهـذا العبء، أو من يبـدى الاستـعداد الصـحيح لمـناصرة الفكرة الإسـلاميـة، فلتعلم الأمـة ذلك، ولتطالب حكامها بحقوقها الإسلامية، وليعمل الإخوان المسلمون.

وكلمـة ثانيـة أنه ليس أعـمق فى الخـطأ من ظن بعض الناس أن الإخـوان المسلمين كـانوا فى أى عهد من عهـود دعوتهم مطية لحكومـة من الحكومات، أو منفذين لغاية غير غايتهم، أو عـاملين على منهاج غير منهاجهم، فليعلم ذلك من لم يكن يعلمه من الإخوان ومن غير الإخوان.

الإخوان المسلمون والدستور المصرى:

ويتسـاءل كذلك فريق من الناس ما مـوقف الإخوان المسلمين من الدسـتور المصرى؟ ولاسـيما بعـد أن كتب الأخ صالح أفندى عـشماوى رئيس تحـرير مجلة النذير فى هذا الموضوع، وتناولت كـتابته صحيـفة (مصر الفتـاة) بالنقد والموازنة. وهذه فرصة طيبة أتحدث إلى حضراتكم فيها عن رأى الإخوان المسلمين، وموقفهم من الدسـتور المصرى، وأحب قـبل هذا أن نفرق دائمًـا بين (الدستـور) وهو نظام الحكم العـام الذى ينظم حـدود السلطات وواجـبات الحـاكـمين ومـدى صلتـهم بالمحكومين، وبين (القانون) وهو الذى ينظم صلة الأفراد بعضهم ببعض، ويحمى حقوقـهم الأدبية والمادية ويحاسبـهم على ما يأتون من أعمال. وأسـتطيع بعد هذا البيان أن أجلى لكم موقفنا من نظام الحكم الدستورى عامة، ومن الدستور المصرى خاصة:

الواقع أيها الإخوان، أن الباحث حين ينظر إلى مبادئ الحكم الدستورى التى تتلخص فى المحـافظة على الحـرية الشـخصـية بـكل أنواعهـا، وعلى الشـورى واستمداد السلطة من الأمـة، وعلى مسئولية الحكام أمام الشعب ومحـاسبتهم على ما يعملون من أعـمال، وبيان حدود كل سلطة من السلـطات، هذه الأصول كلها يتجلى للباحث أنهـا تنطبق كل الانطباق على تعاليم الإسلام ونظمـه وقواعده فى شكل الحكم.

ولهذا يعتقد الإخوان المسلمون أن نظام الحكم الدستورى هو أقرب نظم الحكم القائمة فى العالم كله إلى الإسلام، وهم لا يعدلون به نظامًا آخر.

بقى بعد ذلك أمران: أولهما النصوص التى تصاغ فى قالبها هذه المبادئ، ثانيهما طريقة التطبيق التى تفسر بها عمليًا هذه النصوص. إن المبدأ السليم القويم قد يوضع فى نص مبهم غامض فيدع مجالاً للعبث بسلامة المبدأ فى ذاته. وإن النص الظاهر الواضح للمبدأ السليم القويم قد يطبق وينفذ بطريقة يمليها الهوى وتوحيها الشهوات، فيذهب هذا التطبيق بكل ما يرجى من فائدة.

وإذا تقرر هذا فإنه من نصوص الدستور المصرى ما يراه الإخوان المسلمون مبهمًا غامضًا يدع مجالاً واسعًا للتأويل والتفسير الذى تمليه الغايات والأهواء، فهى فى حاجة إلى وضوح وإلى تحديد وبيان. هذه واحدة، والثانية هى أن طريقة التنفيذ التى يطبق بها الدستور، ويتوصل بها إلى جنى ثمرات الحكم الدستورى فى مصر، طريقة أثبتت التجارب فشلها وجنت الأمة منها الأضرار لا المنافع، فهى فى حاجة شديدة إلى تحوير وإلى تعديل يحقق المقصود ويفى بالغاية.

وحسبنا أن نشير هنا إلى قانون الانتخاب، وهو وسيلة اختيار النواب الذين يمثلون الأمة ويقومون بتنفيذ دستورها وحمايته، وما جره هذا القانون على الأمة من خصومات وحزازات، وما أنتجه من أضرار يشهد بها الواقع الملموس. ولابد أن تكون فينا الشجاعة الكافية لمواجهة الأخطاء والعمل على تعديلها.

لهذا يعمل الإخوان المسلمون جهدهم حتى تحدد النصوص المبهمة فى الدستور المصرى، وتعدل الطريقة التى ينفذ بها هذا الدستور فى البلاد. وأظن أن موقف الإخوان قد وضح بهذا البيان، وردت الأمور إلى نصابها الصحيح.

إن الأخ صالح أفندى قد أراد أن يعبر فى مقاله الأول عن وجهة النقد التى يراها الإخوان فاحتد واشتد. ولما نبهناه إلى أن هذا ليس موقفنا فى الواقع، فنحن نسلم بالمبادئ الأساسية للحكم الدستورى باعتبارها متفقة بل مستمدة من نظام الإسلام، وإنما ننقد الإبهام وطرائق الإنفاذ، أراد أن يعبر عن ذلك ويقر الأمر فى وضعه الطبيعى بالنسبة للإخوان فتساهل ولان، وهو فى كلا الموقفين مأجور فالخير أراد ونية المرء خير من عمله. ونحن نشكر الذين أخذوا على الأخ صالح أفندى

هذا الموقف، ولا يضره فيما أعتقد أن يستفيد من هذا التنبيه فيؤثر الاعتدال فى كل حال، وأعتقد أنه لا مجال لقول بعد هذا البيان. أما الأمثلة التفصيلية والأدلة الوافية ووصف طرائق العلاج والإصلاح ففى رسالة خاصة إن شاء الله.

الإخوان المسلمون والقانون:

قدمت أن الدستور شيء والقانون شيء آخر، وقد أبنت موقف الإخوان من الدستور، وأبيِّن لحضراتكم الآن، موقفهم من القانون.

إن الإسلام لم يجئ خلواً من القوانين بل هو قد أوضح كثيراً من أصول التشريع وجزئيات الأحكام، سواء أكانت مادية أم جنائية، تجارية أم دولية. والقرآن والأحاديث فياضة بهذه المعانى، وكتب الفقهاء غنية كل الغنى بكل هذه النواحى، وقد اعترف الأجانب أنفسهم بهذه الحقيقة وأقرها مؤتمر لاهاى الدولى أمام ممثلى الأمم من رجال القانون فى العالم كله.

فمن غير المفهوم ولا المعقول أن يكون القانون فى أمة إسلامية متناقضًا مع تعاليم دينها وأحكام قرآنها وسنة نبيها، مصطدمًا كل الاصطدام بما جاء عن الله ورسوله، وقد حذر الله نبيه -ﷺ- ذلك من قبل، فقال تبارك وتعالى: ﴿وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ فَإِن تَوَلَّوْا فَاعْلَمْ أَنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُصِيبَهُم بِبَعْضِ ذُنُوبِهِمْ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ لَفَاسِقُونَ ﴿٤٩﴾ أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(١)، وذلك بعد قوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾(٢)، والظالمون- والفاسقون، فكيف يكون موقف المسلم الذى يؤمن بالله وكلماته إذا سمع هذه الآيات البينات وغيرها من الأحاديث والأحكام، ثم رأى نفسه محكومًا بقانون يصطدم معها؟ فإذا طالب بالتعديل قيل له إن الأجانب لا يرضون بهذا ولا يوافقون عليه، ثم يقال بعد هذا الحجر والتضييق إن المصريين مستقلون وهم لم يملكوا بعد أن يتمتعوا بحرية الدين، وهى أقدس الحريات.

---

(١) سورة المائدة : ٤٩، ٥٠.

(٢) سورة المائدة : ٤٤.

على أن هذه القـوانين الوضـعيـة كـما تصطدم بالديـن ونصوصـه تصطدم بالدستور الـوضعي نفسه الذى يقـرر أن دين الدولة هو الإسلام، فكيف نوفق بين هذين يا أولى الألباب؟

وإذا كان الله ورسوله قد حرم الزنا وحظر الربا ومنع الخمور وحارب الميسر، وجاء القانون يحمى الزانية والزانى ويلزم بالربا ويبـيح الخمر وينظم القمار، فكيف يكون موقف المسلم بينهما؟ أيطيع الله ورسوله ويعصى الحكومة وقانونها والله خير وأبقى؟ أم يعصى الله ورسـوله ويطيع الحكومة فـيشقـى فى الآخرة والأولى؟ نريد الجـواب على هذا من رفعـة رئيس الحكومـة ومـعالى وزير العـدل ومن علمـائنا الفضلاء الأجلاء.

أما الإخـوان المسلمون فهم لا يوافـقون على هذا القـانون أبدًا ولا يرضونه بحـال. وسيـعملون بكل سـبيل على أن يـحل مكانه التشـريع الإسلامى العـادل الفاضل فى نواحى القـانون. ولسنا هنا فى مقام الرد على ما قـيل فى هذه الناحية من شبهات أو ما يعـترض سبيلها من توهم العقبات، ولكنا فى مـقام بيان موقفنا الذى عملنا وسنعمل عليه، مـتخطين فى سبيله كل عقبة، موضـحين كل شبهة، حتى لا تكون فتنة ويكون الدين كله لله.

ولقد تقدم الإخـوان المسلمون إلى معالى وزير العدل بمذكرة ضـافية فى هذا الموضـوع، ولقد حـذروا الحكومـة فى نهايتـهـا من إحراج الناس هذا الإحـراج، فالعقيدة أثمن ما فى الوجـود، وسوف يعاودون الكرة، وسوف لا يكون ذلك آخر مجهودهم ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾[1].

(١) سورة التوبة : ٣٢.

موقف الإخوان المسلمين

من الوحدة القومية والعربية والإسلامية

كثيراً ما تتوزع أفكار الناس فى هذه النواحى الثلاث: الوحدة القومية، والوحدة العربية، والوحدة الإسلامية، وقد يضيفون إلى ذلك الوحدة الشرقية. ثم تنطلق الألسنة والأفكار بالموازنة بينها، وإمكان تحققها أو صعوبة ذلك الإمكان، ومبلغ الفائدة أو الضرر منها، والتشيع لبعضها دون البعض الآخر.

فما موقف الإخوان المسلمين من هذا الخليط من الأفكار والمناحى؟ ولاسيما وكثير من الناس يغمزون الإخوان المسلمين فى وطنيتهم، ويعتبرون تمسكهم بالفكرة الإسلامية مانعًا إياهم من الإخلاص للناحية الوطنية.

والجواب على هذا أننا لن نحيد عن القاعدة التى وضعناها أساسًا لفكرتنا، وهى السير على هدى الإسلام وضوء تعاليمه السامية. فما موقف الإسلام نفسه من هذه النواحى؟

إن الإسلام قد فرضها فريضة لازمة لا مناص منها أن يعمل كل إنسان لخير بلده وأن يتفانى فى خدمته، وأن يقدم أكثر ما يستطيع من الخير للأمة التى يعيش فيها، وأن يقدم فى ذلك الأقرب فالأقرب رحمًا وجواراً حتى أنه لم يُجز أن تنقل الزكوات أبعد من مسافة القصر -إلا لضرورة- إيثاراً للأقربين بالمعروف. فكل مسلم مفروض عليه أن يسد الثغرة التى هو عليها وأن يخدم الوطن الذى نشأ فيه، ومن هنا كان المسلم أعمق الناس وطنية وأعظمهم نفعًا لمواطنيه، لأن ذلك مفروض عليه من رب العالمين، وكان الإخوان المسلمون بالتالى أشد الناس حرصًا على خير وطنهم، وتفانيًا فى خدمة قومهم، وهم يتمنون لهذه البلاد العزيزة المجيدة كل عزة ومجد وكل تقدم ورقى، وكل فلاح ونجاح، وقد انتهت إليها رياسة الأمم الإسلامية بحكم ظروف كثيرة تضافرت على هذا الوضع الكريم. وإن حب المدينة لم يمنع رسول الله -ﷺ- أن يحنَّ إلى مكة وأن يقول لأصيل، وقد أخذ يصفها «يا أصيل دَعِ القلوبَ تقرُّ» وأن يجعل بلالاً يهتف من قرارة نفسه:

ألا ليت شعرى هلى أبيتنَّ ليلةً ... بواد وحولى إذْخِرٌ وجليل
وهل أرِدَنْ يومًا مياه مجنة ... وهلْ يبدُوَنْ لى شامَة وطفيل؟

فالإخوان المسلمون يحبون وطنهم، ويحرصون على وحدته القومية بهذا الاعتبار، ولا يجدون غضاضة على أى إنسان أن يخلص لبلده، وأن يفنى فى سبيل قومه، وأن يتمنى لوطنه كل مجد وكل عز وفخار. هذا من وجهة القومية الخاصة.

ثم إن هذا الإسلام الحنيف نشأ عربيًا ووصل إلى الأمم عن طريق العرب، وجاء كتابه الكريم بلسان عربى مبين، وتوحدت الأمم باسمه على هذا اللسان يوم كان المسلمون مسلمين. وقد جاء فى الأثر: إذا ذل العرب ذل الإسلام، وقد تحقق هذا المعنى حين دال سلطان العرب السياسى وانتقل الأمر من أيديهم إلى غيرهم من الأعاجم والديلم ومن إليهم، فالعرب هم عصبة الإسلام وحراسه.

وأحب هنا أن ننبه إلى أن الإخوان المسلمين يعتبرون العروبة، كما عرفها النبى -ﷺ-، فيما يرويه ابن كثير عن معاذ بن جبل -رضي الله عنه-: (ألا إن العربية اللسان ألا إن العربية اللسان).

ومن هنا كانت وحدة العرب أمرًا لابد منه لإعادة مجد الإسلام وإقامة دولته وإعزاز سلطانه. ومن هنا وجب على كل مسلم أن يعمل لإحياء الوحدة العربية وتأييدها ومناصرتها، وهذا هو موقف الإخوان المسلمين من الوحدة العربية.

بقى علينا أن نحدد موقفنا من الوحدة الإسلامية. والحق أن الإسلام كما هو عقيدة وأنه قضى على الفوارق النَّسَبية بين الناس، فالله تبارك وتعالى يقول: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(١)، والنبى -ﷺ- يقول: **«المسلم أخو المسلم»**، و**«المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم وهم يد على سواهم»**.

فالإسلام - والحالة هذه - لا يعترف بالحدود الجغرافية ولا يعتبر الفوارق الجنسية الدموية، ويعتبر المسلمين جميعًا أمة واحدة، ويعتبر الوطن الإسلامى وطنًا واحدًا مهما تباعدت أقطاره وتناءت حدوده. وكذلك الإخوان المسلمون يقدسون هذه الوحدة ويؤمنون بهذه الجامعة، ويعملون لجمع كلمة المسلمين وإعزاز أخوة الإسلام، وينادون بأن وطنهم هو كل شبر أرض فيه مسلم يقول: (لا إله إلا الله محمد رسول الله) وما أروع ما قال فى هذا المعنى شاعر من شعراء الإخوان:

---

(١) سورة الحجرات : ١٠.

ولست أدرى سوى الإسلام لى وطنًا الشـــام فيـه ووادى النيـل سـيّانِ
وكلمـا ذكـر اسـم اللـه فى بلـدٍ عَدَدْت أرجـاءه من لب أوطـانى

يقول بعض الناس: إن ذلك يناقض تيـار الفكرة السـائدة فى العـالم فكرة التعصب للأجناس والألوان، والعـالم الآن تجرفه موجة القوميـات الجنسية، فكيف تقفون أمام هذا التيار وكيف تخرجون على ما اتفق عليه الناس؟

وجواب ذلك أن الناس يخطئون وأن نتائج خـطئهم فى ذلك ظاهرة ملموسة فى إقلاق راحة الأمم وتعـذيب ضمائر الشعوب مما لا يحـتاج إلى برهان. وليست مهـمة الطبيب أن يجـارى المرضى ولكن أن يعالجـهم وأن يهديهم سواء السـبيل، وتلك مهمة الإسلام ومن وصل دعوته بالإسلام.

ويقول آخرون: إن ذلك غير ممكن والعمل له عبث لا طائل تحته ومجهود لا فائدة منه، وخير للذين يعملون لهذه الجامعة أن يعملوا لأقوامهم ويخدموا أوطانهم الخاصة بجهودهم.

والجواب على هذا أن هذه لغـة الضعف والاستكانة. فقـد كانت هذه الأمم مفرقة من قبل متخالفة فى كل شىء: فى الدين واللغة، والمشاعر والآمال والآلام، فوحّدها الإسلام وجمع قلوبها على كلمة سواء. وما زال الإسلام كما هو بحدوده وبرسومـه، فإذا وجد من أبنائه من ينهـض بعبء الدعوة إليه وتجـديده فى نفوس المسلمين، فإنه يجمع هذه الأمم جميعًا من جـديد كما جمعها من قديم، والإعادة أهون من الابتداء، والتجربة أصدق دليل على الإمكان.

يهتف بعض الناس بعـد هذا بالوحدة الشرقية، وأظن أنه لـم يثر هذه النعرة فى نفوس الهـاتفين بها إلا تعـصب الغربيين لغربـهم وسوء عقيـدتهم فى الشرق وأبنائه، وهم فى ذلك مخطئون، وإذا استـمر الغربيون على عقيدتهم هذه فـستجر عليهم الوبال والنكال. والإخوان المسلمون لا ينظرون إلـى الوحدة الشرقية إلا من خلال هذه العاطفة فـقط، والشرق والغرب عندهم سيان إذا استوى موقـفهما من الإسلام، وهم لا يزنون الناس إلا بهذا الميزان.

وضح إذن أن الإخوان المسلمين يحترمون قوميتهم الخاصة باعتبارها الأساس الأول للنهوض المنشـود، ولا يـرون بأسًا بأن يعمل كل إنسان لوطنـه، وأن يقدمه

فى الوطن على سواه. ثم هم بعد ذلك يؤيدون الوحدة العربية باعتبارها الحلقة الثانية فى النهوض، ثم هم يعملون للجامعة الإسلامية باعتبارها السياج الكامل للوطن الإسلامى العام. ولى أن أقول بعد هذا: إن الإخوان يريدون الخير للعالم كله، فهم ينادون بالوحدة العالمية لأن هذا هو مرمى الإسلام وهدفه ومعنى قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾(١).

وأنا فى غنى بعد هذا البيان عن أن أقول إنه لا تعارض بين هذه الوحدات بهذا الاعتبار، وبأن كلاً منها يشد أزر الأخرى ويحقق الغاية منها، فإذا أراد أقوام أن يتخذوا من المناداة بالقومية الخاصة سلاحًا يميت الشعور بما عداها، فالإخوان المسلمون ليسوا معهم ولعل هذا هو الفارق بيننا وبين كثير من الناس.

الإخوان المسلمون والخلافة:

ولعل من تمام هذا البحث أن أعرض لموقف الإخوان المسلمين من الخلافة وما يتصل بها، وبيان ذلك أن الإخوان يعتقدون أن الخلافة رمز الوحدة الإسلامية، ومظهر الارتباط بين أمم الإسلام، وأنها شعيرة إسلامية يجب على المسلمين التفكير فى أمرها والاهتمام بشأنها، والخليفة مناط كثير من الأحكام فى دين الله، ولهذا قدم الصحابة رضوان الله عليهم النظر فى شأنها على النظر فى تجهيز النبى -ﷺ- ودفنه، حتى فرغوا من تلك المهمة واطمأنوا إلى إنجازها.

والأحاديث التى وردت فى وجوب نصب الإمام، وبيان أحكام الإمامة وتفصيل ما يتعلق بها، لا تدع مجالاً للشك فى أن من واجب المسلمين أن يهتموا بالتفكير فى أمر خلافتهم منذ حوِّرت عن مناهجها ثم ألغيت بتاتًا إلى الآن.

والإخوان المسلمون لهذا يجعلون فكرة الخلافة والعمل لإعادتها فى رأس مناهجهم، وهم مع هذا يعتقدون أن ذلك يحتاج إلى كثير من التمهيدات التى لابدَّ منها، وأن الخطوة المباشرة لإعادة الخلافة لابد أن تسبقها خطوات:

لابد من تعاون تام ثقافى واجتماعى واقتصادى بين الشعوب الإسلامية كلها، يلى ذلك تكوين الأحلاف والمعاهدات وعقد المجامع والمؤتمرات بين هذه

---

(١) سورة الأنبياء : ١٠٧.

البـلاد، وإنَّ المؤتمر البـرلمانى الإسلامى لـقضـيـة فلسطين ودعـوة وفود الممـالك الإسلاميـة إلى لندن للمناداة بحقوق العـرب فى الأرض المباركة لظاهرتان طيـبتان وخطوتان واسعتـان فى هذا السبيل. ثم يلى ذلك تكوين عصبـة الأمم الإسلامية، حـتى إذا تم ذلك للمسلمـين نتج عنه الاجـتـماع على (الإمـام) الذى هو واسطة العقد، ومجتمع الشمل، ومهوى الأفئدة وظل الله فى الأرض.

موقف الإخوان من الهيئات المختلفة

الإخوان المسلمون والهيئات الإسلامية:

الآن وقد أفصـحت عن رأى الإخوان وموقفـهم فى كثير من المسـائل العامة التى تشغل أذهان الأمـة فى هذه الأوقات، أحب كذلك أن أفصح لحـضراتكم عن موقف الإخوان المسلمين من الهيئات الإسلامية فى مصر. ذلك أن كثيراً من محبى الخير يتمـنون أن تجتمع هذه الهيئات وتتـوحد فى جمعية إسلامـية ترمى عن قوس واحدة، ذلك أمل كبير وأمنية عزيزة يتمناها كل محب للإصلاح فى هذا البلد.

والإخوان المسلمون يرون هذه الهـيئات على اختلاف ميادينهـا تعمل لنصرة الإسلام، وهم يتـمنون لها جميـعًا النجاح، ولم يفـتهم أن يجعلوا من منهـاجهم التقرب منها والعـمل على جمـعها وتوحيدها حول الفكرة العـامة. وقد تقرر هذا فى المؤتمر الدورى الرابع للإخوان بالمنصـورة وأسيوط فى العام الفـائت، وأبشركم بأن مكتب الإرشـاد حـين أخـذ يعـمـل على تنفـيذ هذا القرار، وجد روحًـا طيبة من كـل الهيـئات التـى اتصل بها وتحدث إليـها، مما يبشر بنجاح المسعى مع الزمن إن شاء الله.

الإخوان والشبان:

كثيراً مـا يرد على أذهان الناس هذا السؤال: ما الفرق بين جـماعة الإخوان وجماعة الشبان؟ ولماذا لا تكونان هيئة واحدة تعملان على منهاج واحد؟

وأحب قبل الجواب عـلى هذا السؤال أن أؤكد للذين يسرهم وحـدة الجهود وتعاون العاملين أن الإخوان والشبان، وبخاصة هنا فى القاهرة، لا يشعرون بأنهم

في مـيدان مناقـشة ولكن في مـيدان تعـاون قوى وثيق، وأن كـثيـراً من القضـايا الإسلامية العـامة يظهر فيها الإخـوان والشبان شيئًا واحدًا وجـماعة واحدة؛ إذ إن الغاية العامة مشتركة وهى العـمل لما فيه إعزاز الإسلام وإسعاد المسلمين. وإنما تقع فروق يسيرة فى أسلوب الـدعوة وفى خطة القائمين بها وتوجيـه جهودهم فى كلتا الجماعتين، وإن الوقت الذى سـتظهر فيه الجماعات الإسلامية كلهـا جبهة موحدة غير بعيد على ما أعتقد، والزمن كفيل بتحقيق ذلك إن شاء الله.

الإخوان المسلمون والأحزاب:

والإخوان المسلمون يعتقدون أن الأحزاب السياسية المصرية جميعًا قد وجدت فى ظروف خـاصة، ولدواع أكـثرها شـخصى لا مـصلحى وشرح ذلك تعلمـونه حضراتكم جميعًا.

ويعتـقدون كذلك أن هذه الأحزاب لم تحـدد برامجها ومناهجـها إلى الآن، فكل منهـا سيدعى أنه يـعمل لمصلحـة الأمة فى كل نواحى الإصـلاح، ولكن ما تفاصيل هذه الأعمال، وما وسائل تحقـيقها؟ وما الذى أعد من هذه الوسائل، وما العقـبات التى ينتظر أن تقف فـى سبيل التنفـيذ، ومـا أعد لتذليلـها؟ كل ذلك لا جواب له عند رؤساء الأحزاب وإدارات الأحزاب، فـهم قد اتفقوا فى هذا الفراغ، كمـا اتفقوا فى أمر آخـر هو التهالك على الحكم وتسـخير كل دعاية حـزبية وكل وسيلة شـريفة وغير شـريفة فى سبـيل الوصول إليه، وتجـريح كل من يحول من الخصوم الحزبيين دون الحصول عليه.

ويعتـقد الإخوان كذلك أن هذه الحـزبية قد أفسـدت على الناس كل مرافق حياتهم، وعطلت مصالحهم، وأتلفـت أخلاقهم، ومزقت روابطهم، وكان لها فى حياتهم العامة والخاصة أسوأ الأثر.

ويعتـقدون كـذلك أن النظام النيـابى، بل حتى البـرلمانى فى غنى عن نظام الأحزاب بصورتها الحـاضرة فى مصر. وإلا قامت الحكومات الائتـلافية فى البلاد الديمقـراطية، فالحـجة القائلة بأن النظام البـرلمانى لا يتصور إلا بوجـود الأحزاب حجة واهـية وكثير مـن البلاد الدستورية البـرلمانية تسير على نظام الحـزب الواحد وذلك فى الإمكان.

كما يعتقد الإخوان أن هناك فرقًا بين حرية الرأى والتفكير والإبانة والإفصاح والشورى والنصحية -وهو ما يوجبه الإسلام- وبين التعصب للرأى والخروج على الجماعة، والعمل الدائب على توسيع هوة الانقسام فى الأمة وزعزعة سلطان الحكام، وهو ما تستلزمه الحزبية ويأباه الإسلام ويحرمه أشد التحريم، والإسلام فى كل تشريعاته إنما يدعو إلى الوحدة والتعاون.

هذا مجمل نظرات الإخوان إلى قضية الحزبية والأحزاب فى مصر. وهم لهذا قد طلبوا إلى رؤساء الأحزاب منذ عام تقريبًا أن يطرحوا هذه الخصومة جانبًا وينضم بعضهم إلى بعض، كما اقترحوا التوسط فى هذه القضية على صاحب السمو الأمير محمد على وصاحب السمو الأمير عمر طوسون... كما طلبوا من جلالة الملك حل هذه الأحزاب القائمة حتى تندمج جميعًا فى هيئة شعبية واحدة تعمل لصالح الأمة على قواعد الإسلام.

وإذا كانت الظروف لم تساعد فى الماضى على تحقيق هذه الفكرة، فإننا نعتقد أن هذا العام كان دليلاً على صدق نظرة الإخوان، وكان مقنعًا لمن كان فى شك بأنه لا خير فى بقاء هذه الأحزاب، وسيواصل الإخوان جهودهم فى هذا السبيل، وسيصلون إلى ما يريدون بتوفيق الله وفضل يقظة الأمة، وبتوالى فشل رجال الأحزاب فى ميادينها وسيتحقق قطعًا ناموس الله: ﴿فَأَمَّا الزَّبَدُ فَيَذْهَبُ جُفَاءً وَأَمَّا مَا يَنفَعُ النَّاسَ فَيَمْكُثُ فِي الأَرْضِ﴾(١).

يظن رجال بعض الأحزاب أننا إنما نقصد بهذه التعاليم هدم حزبهم خدمة لغيره من الأحزاب وجريًا وراء منفعة خاصة، وليس أدل على خطأ هذه النظرة من أن هذا الوهم قد سرى إلى نفوس الأحزاب جميعًا، فكثير من رجال الوفد يتهم الإخوان المسلمين بأنهم يعملون لمحاربته وبأنه هو وحده المقصود بهذه النعوت والأوصاف، وبأن الإخوان إنما يحملون الناس على محاربته والانفضاض عنه، وبأنهم إنما يقصدون بذلك خدمة الحكومة وتقوية الأحزاب الممثلة فيها، فى الوقت الذى نسمع فيه هذه التهمة بعينها من أحزاب الحكومة أيضًا! فهل هناك دليل أصدق من هذا على أن الإخوان يقفون من

(١) سورة الرعد : ١٧.

الجميع موقفًا واحدًا، ويصدرون فيه عن عقيدتهم، ويعملون فيه بوحى من ضمائرهم وإيمانهم؟

أحب أن أقول لإخواننا من دعاة الأحزاب ورجالها: إن اليوم الذى يستخدم فيه الإخوان المسلمون لغير فكرتهم الإسلامية البحتة لم يجئ بعد ولن يجيء أبدًا. وإن الإخوان لا يضمرون لحزب من الأحزاب أيًا كان خصومة خاصة به، ولكنهم يعتقدون من قرارة نفوسهم أن مصر لا يصلحها ولا ينقذها إلا أن تنحل هذه الأحزاب كلها، وتتألف هيئة وطنية عاملة تقود الأمة إلى الفوز وفق تعاليم القرآن الكريم.

وبهذه المناسبة أقول: إن الإخوان المسلمين يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب، ويعتقدون أنها مسكِّن لا علاج، وسرعان ما ينقضُ المؤتلفون بعضهم على بعض، فتعود الحرب بينهم جذعة على أشد ما كانت عليه قبل الائتلاف. والعلاج الحاسم الناجح أن تزول هذه الأحزاب مشكورة فقد أدت مهمتها وانتهت الظروف التى أوجدتها، ولكل زمان دولة ورجال كما يقولون.

الإخوان ومصر الفتاة:

بهذه المناسبة لابد لى أن أعرض لموقف الإخوان المسلمين من جماعة (مصر الفتاة). لقد تكونت جماعة الإخوان منذ عشر سنين وتكونت جماعة مصر الفتاة منذ خمس سنين، فجمعية الإخوان تكبر جمعية مصر الفتاة بضعف عمرها تمامًا، ومع هذا أيضًا شاع فى كثير من الأوساط أن جماعة الإخوان من شُعَب مصر الفتاة، وسبب ذلك أن (مصر الفتاة) اعتمدت على الدعاية والإعلان فى الوقت الذى آثر فيه الإخوان العمل والإنتاج، وما علينا من ذلك كله فسواء أكان الإخوان هم الذين رسموا لمصر الفتاة طريق الجهاد والعمل للإسلام أم أن (مصر الفتاة) هى التى أظهرت الإخوان وأبرزتهم للناس، وهم قد ولدوا قبلها وسبقوها إلى الجهاد والميدان بخمس سنوات أى بمثل عمرها؛ وذلك أمر نظرى لا يقيم له الإخوان وزنًا، ولكن الذى أريد أن أنبه إليه فى هذه الكلمة أن الإخوان المسلمين لم يكونوا يومًا من الأيام فى صفوف (مصر الفتاة) ولا عاملين لها؛ ولا أقصد بذلك أن أنال

منها أو من القائمين بدعوتها ولكن أقول تقريراً للواقع، وأن جريدة مصر الفتاة هاجمت الإخوان واتهمتهم تهمًا غير صحيحة وزعمت أنهم يعتدون عليها ويتهمونها وذلك غير صحيح أيضًا، ونحن معشر الإخوان لم نعلق على ما كتب أهمية، ولا نحب أن نؤاخذ بشيء منه، وأرجو أن يكون ذلك هو شعور الإخوان جميعًا.

وأن كثيراً من الناس يود أن لو اتحدت جماعة (مصر الفتاة) مع الإخوان المسلمين، وهذا شعور ما من شك فى أنه جميل نبيل فليس أجمل من الوحدة والتعاون على الخير، ولكن من الأمور ما ليس يفصل فيه إلا الزمن وحده. فى مصر الفتاة من لا يرى الإخوان إلا جماعة وعظية وينكر عليهم كل ما سوى ذلك من منهاجهم، وفى الإخوان من يعتقد أن جماعة (مصر الفتاة) لم ينضج فى نفوس كثير من أعضائها بعد المعنى الإسلامى الصحيح نضجًا يؤهلهم للمناداة بالدعوة الإسلامية خالصة سليمة، فلنترك للزمن أداء مهمته وإصدار حكمه وهو خير كفيل بالصقل والتمييز.

وليس معنى هذا أن الإخوان سيحاربون (مصر الفتاة) بل إنه ليسرنا أن يوفق كل عامل للخير وإلى الخير، ولا يحب الإخوان أن يخلطوا البناء بهدم، وفى ميدان الجهاد متسع للجميع.

ذلك موقفنا من (مصر الفتاة) ما دامت قد أعلنت أنها ليست حزبًا سياسيًا، وأنها تعمل وستظل تعمل للفكرة الإسلامية ولمبادئ الإسلام، وفى ذلك الواقع انتصار جديد لمبادئ الإخوان المسلمين.

بقى أمر أخير ذلك هو موقف الإخوان من (مصر الفتاة) فى قضية تحطيم الحانات، ومعلوم أنه ما من غيور فى مصر يتمنى أن يرى فوق أرضها حانة واحدة، وقد ألقى الإخوان تبعة هذا التحطيم على الحكومة قبل الذين فعلوه، لأنها هى التى أحرجت شعبها المسلم هذا الإحراج ولم تفطن إلى ذلك التغيير النفسانى، والاتجاه الجديد القوى الذى طرأ عليه من تقديس الإسلام والاعتزاز بتعاليمه، وقديمًا قيل (قبل أن تأمر الباكى بالكفّ عن البكاء تأمر الضارب أن يرفع العصا). ونحن نعتقد أن هذا التحدى لم يحن وقته بعد، ولابد من تخير الظرف

المناسب أو استخدام منتهى الحكمة فيه، وإنفاذه بصورة أخف ضررًا وأبلغ فى الدلالة على المقصد، كلفت نظر الحكومة إلى واجبها الإسلامى. وبالرغم من أن المقبوض عليهم لم يعترفوا، فقد وجه الإخوان خطابًا إلى معالى وزير العدل، يلفتون نظر معاليه فيه إلى وجوب النظر إلى هذه القضية نظرة خاصة تتناسب مع الدافع الشريف فيها، وأن يسرع بإصدار تشريع يحمى البلاد من هذه المهالك الخلقية.

موقف الإخوان من الدول الأوروبية:

بعد هذا البيان عن موقف الإخوان المسلمين، الذى يمليه عليهم الإسلام، فى أهم القضايا الداخلية يحسن أن أتحدث إلى حضراتكم عن موقفهم من الدول الأوروبية:

الإسلام كما قدمت يعتبر المسلمين أمة واحدة تجمعها العقيدة ويشارك بعضها بعضًا فى الآلام والآمال. وأن أى عدوان يقع على واحدة منها أو على فرد من المسلمين فهو واقع عليهم جميعًا.

أضحكنى وأبكانى حكم فقهى رأيته عرضًا فى كتاب «الشرح الصغير على أقرب المسالك» قال مؤلفه: مسألة امرأة مسلمة سبيت بالمشرق وجب على أهل المغرب تخليصها وافتداؤها ولو أتى ذلك على جميع أموال المسلمين. ورأيت مثله قبل ذلك فى كتاب «البحر فى مذهب الأحناف» رأيت هذا فضحكت وبكيت، وقلت لنفسى: أين عيون هؤلاء الكاتبين لتنظر المسلمين جميعًا فى أسر غيرهم من أهل الكفر والعدوان؟؟

أريد أن أستخلص من هذا أن الوطن الإسلامى واحد لا يتجزأ، وأن العدوان على جزء من أجزائه عدوان عليه كله. هذه واحدة، والثانية أن الإسلام فرض على المسلمين أن يكونوا أئمة فى ديارهم، سادة فى أوطانهم، بل ليس ذلك فحسب، بل إن عليهم أن يحملوا غيرهم على الدخول فى دعوتهم والاهتداء بأنوار الإسلام التى اهتدوا بها من قبل.

ومن هنا يعتقد الإخوان المسلمون أن كل دولة اعتدت وتعتدى على أوطان

الإسلام دولة ظالمة لابد أن تكف عدوانها، ولابد من أن يعد المسلمون أنفسهم ويعملوا متساندين على التخلص من نيرها.

إن إنجلترا لا تزال تضايق مصر رغم محالفتها إياها، ولا فائدة فى أن نقول إن المعاهدة نافعة أو ضارة أو ينبغى تعديلها أو يجب إنفاذها، فهذا كلام لا طائل تحته. والمعاهدة غل فى عنق مصر وقيد فى يدها ما فى ذلك شك، وهل تستطيع أن تتخلص من هذا القيد إلا بالعمل وحسن الاستعداد؟ فلسان القوة هو أبلغ لسان، فلتعمل على ذلك ولتكتسب الوقت إذا أردت الحرية والاستقلال.

وإن إنجلترا لا تزال تسىء إلى فلسطين وتحاول أن تنقص من حقوق أهلها، وفلسطين وطن لكل مسلم باعتبارها من أرض الإسلام وباعتبارها مهد الأنبياء، وباعتبارها مقر المسجد الأقصى الذى بارك الله حوله. ففلسطين دَيْن على إنجلترا للمسلمين لا تهدأ ثائرتهم حتى توفيهم فيه حقهم؛ وإنجلترا تعلم ذلك العلم، ذلك ما حداها إلى دعوة ممثلى البلاد الإسلامية إلى مؤتمر لندن، وإنا ننتهز هذه الفرصة فنُذكِّرها بأن حقوق العرب لا يمكن أن تنقص؛ وبأن هذه الأعمال القاسية التى يدأب ممثلوها على ارتكابها فى فلسطين ليست مما يساعد على حسن ظن المسلمين بها، وخير لها أن تكف هذه الحملات العدوانية عن الأبرياء الأحرار. وإنا لنبعث لسماحة المفتى الأكبر من فوق هذا المنبر أخلص تحيات الإخوان المسلمين وأطيب تمنياتهم، ولن يضر سماحته ولن يضير آل الحسينى أنْ تفتش دورهم ويسجن أحرارهم، فذلك مما يزيدهم شرفًا إلى شرفهم وفخاراً إلى فخارهم، ونذكر الوفود الإسلامية بمكر إنجلترا وخداعها وبوجوب القيام على حقوق العرب كاملة غير منقوصة.

وبهذه المناسبة أذكِّر الإخوان بأنه قد تألفت لجنة عامة، بدار الشبان المسلمين من الجمعيات الإسلامية جميعًا، للتعاون على إصدار طابع موحد يوزع من أول السنة الهجرية إغاثة لفلسطين المجاهدة، وسيحل هذا الطابع محل كل الطوابع المختلفة لكل الهيئات. فالوصية للإخوان أن يبذلوا جهدهم فى تشجيع هذه اللجنة بتوزيع طوابعها حين صدورها، وبتصفية ما قد يكون موجوداً لديهم من حساب الطوابع القديمة وإعادتها إلى المكتب لإعدامها.

ولنا حساب بعد ذلك مع إنجلترا فى الأقاليم الإسلامية التى تحتلها بغير حق، والتى يفرض الإسلام على أهلها وعلينا معهم أن نعمل لإنقاذها وخلاصها.

أما فرنسا التى ادعت صداقة الإسلام حينًا من الدهر فلها مع المسلمين حساب طويل، ولا ننسى لها هذا الموقف المخجل مع سورية الشقيقة، ولا ننسى لها موقفها فى قضية المغرب الأقصى والظهير البربرى، ولا ننسى أن كثيراً من إخواننا الأعزاء، شباب المغرب الأقصى الوطنى الحر المجاهد، فى أعماق السجون وأطراف المنافى، وسيأتى اليوم الذى يصفى فيه هذا الحساب وتلك الأيام نداولها بين الناس.

وليس حسابنا مع إيطاليا بأقل من حسابنا مع فرنسا، فطرابلس، طرابلس العربية المسلمة الجارة القريبة العزيزة، يعمل الدوتشى ورجاله على إفنائها وإبادة أهلها واستئصالها ومحو كل أثر للعروبة والإسلام منها؛ وكيف يكون فيها أثر للعروبة والإسلام وقد اعتبرت جزءاً من إيطاليا؟ ولا يجد الدوتشى بعد ذلك مانعًا يمنعه من أن يدعى أنه حامى الإسلام وأن يطلب بهذا العنوان صداقة المسلمين!!!

أيها الإخوان المسلمون:

هذا الكلام يدمى القلوب ويفتت الأكباد! وحسبى هذه الفواجع فى هذا البيان، فتلك سلسلة لا آخر لها، وأنتم تعرفون هذا. ولكن عليكم أن تبينوه للناس، وأن تعلّموهم أن الإسلام لا يرضى من أبنائه بأقل من الحرية والاستقلال فضلاً عن السيادة وإعلان الجهاد، ولو كلفهم ذلك الدم والمال. فالموت خير من هذه الحياة، حياة العبودية والرق والاستذلال! وأنتم إن فعلتم ذلك وصدقتم الله العزيمة فلابد من النصر إن شاء الله: ﴿كَتَبَ اللَّهُ لأَغْلِبَنَّ أَنَا وَرُسُلِي إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ عَزِيزٌ﴾(١).

(١) سورة المجادلة: ٢١.

خاتمة

أيها الإخوان المسلمون:

تقدمت إليكم فى هذا البيان بخلاصة وافية موجزة عن فكرتكم فى مظهرها الخاص، واليوم كنت أحب أن أستعرض معكم بعض المشاكل الاجتماعية والاقتصادية القائمة فى المجتمع المصرى -وإن شئتم فقولوا الإسلامى فإن الداء يكون واحدًا فى الجميع- لولا ضيق الوقت، ولولا أن ينحصر فى واحدة هى: ضعف الأخلاق وفقدان المثل العليا، وإيثار المصلحة الخاصة على المصلحة العامة، والجبن عن مواجهة الحقائق، والهروب من تبعات العلاج، والفرقة قاتلها الله، هذا هو الداء. والدواء كلمة واحدة أيضًا هى ضد هذه الأخلاق، هى علاج النفوس أيها الإخوان وتقويم أخلاق الشعب: ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَن زَكَّاهَا ۝٩ وَقَدْ خَابَ مَن دَسَّاهَا﴾(١).

أيها الإخوان المسلمون:

لقد قام هذا الدين بجهاد أسلافكم على دعائم قوية من الإيمان بالله، والزهادة فى متعة الحياة الفانية وإيثار دار الخلود، والتضحية بالدم والروح والمال فى سبيل مناصرة الحق، وحب الموت فى سبيل الله والسير فى ذلك كله على هدى القرآن الكريم.

فعلى هذه الدعائم القوية أسسوا نهضتكم وأصلحوا نفوسكم وركزوا دعوتكم وقودوا الأمة إلى الخير، والله معكم ولن يتركم أعمالكم.

أيها الإخوان المسلمون :

لا تيأسوا فليس اليأس من أخلاق المسلمين، وحقائق اليوم أحلام الأمس، وأحلام اليوم حقائق الغد. ولا زال فى الوقت متسع، ولا زالت عناصر السلامة قوية عظيمة فى نفوس شعوبكم المؤمنة رغم طغيان مظاهر الفساد. والضعيف لا

(١) سورة الشمس : ٩، ١٠.

يظل ضعيفًا طوال حياته، والقوى لا تدوم قوته أبد الآبدين: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ ۝ وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ﴾(١).

إن الزمان سيتمخض عن كثير من الحوادث الجسام، وإن الفرص ستسنح للأعمال العظيمة، وإن العالم ينتظر دعوتكم دعوة الهداية والفوز والسلام لتخلصه مما هو فيه من آلام. وإن الدور عليكم فى قيادة الأمم وسيادة الشعوب، وتلك الأيام نداولها بين الناس، وترجون من الله ما لا يرجون، فاستعدوا واعملوا اليوم، فقد تعجزون عن العمل غداً.

لقد خاطبت المتحمسين منكم أن يتريثوا وينتظروا دورة الزمان، وإنى لأخاطب المتقاعدين أن ينهضوا ويعملوا فليس مع الجهاد راحة: ﴿وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا وَإِنَّ اللَّهَ لَمَعَ الْمُحْسِنِينَ﴾(٢). وإلى الأمام دائمًا.

والله أكبر ولله الحمد.

حسن البنا

---

(١) سورة القصص : ٥.

(٢) سورة العنكبوت : ٦٩.

مشكلاتنا فى ضوء النظام الإسلامى

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ ﴾(١).

إلى رئيس الحكومة باعتباره المسئول الأول.

وإلى أعضاء الهيئات النيابية -على اختلافها- باعتبارهم الدعاة الرسميين لنظام الإسلام...

وإلى رؤساء الهيئات الشعبية السياسية والوطنية والاجتماعية باعتبارهم قادة الفكر وموجهى الجماهير.

وإلى كل محب لخير العالم وسيادة بنى الإنسان...

أوجه هذه الكلمات، أداء للأمانة، وقيامًا بحق الدعوة...

ألا قد بلغت، اللهم فاشهد...

(١) سورة الروم : ٤١.

نظرات ثلاث

فأما «النظرة الأولى»: فإلى ما وصلت إليه الحال فى وطننا العزيز، وادى النيل، من فساد تغلغل فى كل المرافق، وشمل كل مظاهر الحياة:

... مطالبنا الوطنية لم نصل فيها إلى شىء...

وروح الشعب المعنوية محطمة أشد تحطيم بسبب هذا الركود. والشقاق والخلاف يملك نفوس القادة والزعماء، حاكمين ومحكومين على السواء...

والجهاز الإدارى أفسدته المطامع الشخصية، والغايات الحزبية، وسوء التصرفات وضعف الأخلاق، والمركزية القاتلة والإجراءات المعقدة، والهرب من تحمل التبعات.

والقانون قد ضعف سلطانه على النفوس والأوضاع لكثرة ما اقتحم عليه من تحايل واستثناءات.

... وشدة الغلاء، وكثرة المتعطلين لقلة الأعمال، وانخفاض مستوى المعيشة -إلى حد لا يكاد يتصوره إنسان- بين الأغلبية العظمى من السكان، مع نضوب معين الرحمة من القلوب واستيلاء القسوة وروح الجبروت والظلم على النفوس، كل ذلك أخذ يتحول إلى حال من السخط تتمثل فى كثرة الإضرابات، وتتجلى فى كثير من المظاهر والعبارات...

والأخلاق قد انتهى أمرها -أو كاد- وعصف بها الجهل والفقر والحاجة والفاقة، وانتشرت الرذائل ومظاهر الانحلال الخلقى فى كل مكان...

والأفكار مبلبلة، والنفوس قلقة لا تكاد تستقر فى شىء على حال.

وكل هذه المعانى تزداد بمرور الأيام، وتتضاعف ساعة بعد ساعة، وتنذر ببلاء محيط وشر مستطير، إن لم يتداركها العقلاء قبل فوات الأوان.

وأما «النظرة الثانية»: فإلى ما وصلت إليه الحال فى أوطاننا الغالية العزيزة من بلاد العروبة وأمم الإسلام:

فلسطين: مهددة بهذا الاجتياح الذى انتهت إليه هذه المؤامرة الدولية من الأمريكان والروس والإنجليز على السواء، بفعل الصهيونية العالمية التى سخرت الحكومات والشعوب الغربية بالمال، مع استعدادها السابق، بكل تعصب ذميم على العرب والمسلمين أينما كانوا.

والباكستان الناشئة: تقاسى الأمرين من هذا العدوان الوثنى المسلح، المؤيد بدسائس الاستعمار وأسلحة الاستعمار على اختلاف دوله، حتى روسيا -التى تتظاهر باحترام إرادات الأمم والشعوب- تتآمر هى الأخرى على الدولة الناشئة إن صح ما وافتنا به اليوم البرقيات والأخبار.

وأندونيسيا: التى تبلغ سبعين مليونًا أكثرهم من المسلمين، تضغط عليها هولندا التى لم تكسر قيد الاحتلال الألمانى إلا بيد غيرها من جنود الحلفاء، وتريد أن تحول بين الشعب المسلم الباسل وبين ما هو حق طبيعى له من حرية واستقلال.

وطرابلس الغرب وبرقة: تجهز لها حبائل الاستفتاء ولا يدرى عواقب هذه اللعنة السياسية إلا الله، وإن غدًا لناظره قريب.

وشمال أفريقيا بأقسامه: تونس، والجزائر، ومراكش، يستغيث ولا مغيث، ويجاهد ما استطاع ليكسر القيود والأغلال التى ضربتها من حوله فرنسا، وحرمته بها حقه فى العيش الحر الكريم، ومن الاستقلال التام.

وقل مثل ذلك فى كل شعب عربى إسلامى، فإنك لن تجد واحدًا منها قد سلم من مناورات الغصب، ودسائس الاستعمار. . . هذا فى أوضاعه السياسية، وكلها من حيث الأوضاع الاجتماعية ليست أحسن حالاً مما تقدم ذكره فى وادى النيل. . . وكلنا فى الهمِّ شرق.

* * *

وأما «النظرة الثالثة»: فإلى ما انحدر إليه التفكير بين زعماء العالم وساسة الشعوب، والذين أتاحت لهم المقادير أن يكونوا قادة الدنيا فى هذه الأيام بعد الحرب العالمية الثانية.

لقد اختفت المثل العليا تمام الاختفاء، وغابت عن الأنظار والقلوب تلك الأهداف الجميلة التى نادى بها هؤلاء الناس ساعة العسرة، وجندوا باسمها قوى الأمم ضد الظلم والطغيان... فالعدالة الاجتماعية، والحريات الأربع، ومبادئ ميثاق الأمم... إلخ. هذه القائمة الطويلة العريضة من المبادئ السامية والأهداف المغرية، أصبحت فى خبر كان، ولم تعد لهؤلاء الساسة والزعماء «فلسفة راقية» يقودون بتوجيهها العالم إلا فلسفة المصالح المادية، والمطامع الاستعمارية، ومناطق النفوذ، والاستيلاء على المواد الخام! وكل ذلك على صورة من الجشع والنهم لم تر الدنيا لها مثيلاً ولا بعد الحرب العالمية الأولى... وأصبحت هذه المعانى وحدها هى محور التنافس بين الدول المنتصرة، روسيا من جانب، وأمريكا وإنجلترا من جانب آخر. وإن حاولت كل منها أن تستر جشعها ومناورتها بستار من دعوى المبادئ الاجتماعية الصالحة، والنظم الإنسانية الفاضلة، باسم الشيوعية أو الديمقراطية. وليس وراء هاتين اللفظتين إلا المطامع الاستعمارية والمصالح المادية فى كل مكان.

ونتيجة هذا الانحراف -الذى هو حقيقة أمره مسخ لإنسانية بنى الإنسان- ليست إلا «الحرب الثالثة» المسلحة بالقنابل الذرية، والغازات الخانقة، والأسلحة المهلكة، وما سمعنا وما لم نسمع عنه بعد من معدات الهلاك والدمار التى تمثل ما جاءت به الكتب السماوية من وصف القارعة وهول القيامة: ﴿يَوْمَ يَكُونُ النَّاسُ كَالْفَرَاشِ الْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ الْمَنفُوشِ﴾(١).

* * *

هذه هى صورة الحال فى وطننا الخاص، وفى وطننا العربى والإسلامى، وفى وطننا الإنسانى العام، وإذا لم تقم فى الدنيا أمة «الدعوة الجديدة» تحمل رسالة الحق والسلام فعلى الدنيا العفاء، وعلى الإنسانية السلام.

---

(١) سورة القارعة : ٤، ٥.

وإن من واجبنا وفى يدنا شعلة النور وقارورة الدواء، أن نتقدم لنصلح أنفسنا وندعو غيرنا، فإن نجحنا فذاك، وإلا فحسبنا أن نكون قد بلغنا الرسالة، وأدينا الأمانة، وأردنا الخير للناس. ولا يصح أبدًا أن نحتقر أنفسنا: فحسب الذين يحملون الرسالات ويقومون بالدعوات من عوامل النجاح أن يكونوا بها مؤمنين، ولها مخلصين، وفى سبيلها مجاهدين، وأن يكون الزمن ينتظرها والعالم يترقبها... فهل من مجيب؟

﴿قُلْ إِنَّمَا أَعِظُكُم بِوَاحِدَةٍ أَن تَقُومُوا لِلَّهِ مَثْنَىٰ وَفُرَادَىٰ ثُمَّ تَتَفَكَّرُوا مَا بِصَاحِبِكُم مِّن جِنَّةٍ إِنْ هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَّكُم بَيْنَ يَدَيْ عَذَابٍ شَدِيدٍ﴾(١).

---

(١) سورة سبأ : ٤٦.

أي لـون نختـار ؟

﴿ صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ ﴾(١) .

تسود مـجتـمعنا اليـوم حيـرة. . . وإذا دامت هذه الحيـرة فليس وراءها إلا الثورة، والثـورة الهوجاء التى لا غـاية لها، ولا ضـابط ولا نظام ولا حدود، ولا تعقـيب إلا الهلاك والدمار والخـسارة البالغـة، وبخاصة فى هذا العـصر الذى لا يرحم، والذى تتـجارى بأهله الأهواء كمـا يتجـارى الكلب بصاحـبه، وفى وطن كمصر تتطلع إليه الأنظار وتتقاذفه المطامع فى الداخل والخارج.

هذا الكلام متفق عليه بين كل من يعنيهم أمر هذا الوطن، وإنك لتسمعه من الزعماء والمفكرين، كما تسمعه من العامـة فى مجالسهم والمجتمعين فى أنديتهم، وذوى الأعمـال فى أماكن عملهم، ومن سـائق العربة إذا ركبت مـعه، ومن بائع الخضـر إذا تحدثت إليه. . . وإذا أنكرنا ذلك، أو تغـافلنا عن أثره، أو استصـغرنا نتائجه كنا كالنعامة التى تدفن رأسها فى الرمل وتظن أنها بذلك تخدع الصياد.

ومن هذه الثغرة، وتطبيـقًا لهذا القانون الاجتـماعى الذى لا يتخلف، تأمل المبادئ الجديدة والدعوات الجديدة أن تنفذ إلى مصـر، وتكافح فى سبيل استيلائها على النفوس المصـرية والقلوب المصرية أشد الكفاح، وتسلك إلى ذلـك كل سبيل مسـتطاعة وغيـر مستطاعـة. ومن هنا سمعنا كـثيرًا من هذه الأصـوات يتردد فى الصحف السيارة وفى المجالس والمنتديات، فالشيوعية جادة فى فرض تعاليمها على أبناء هذا المجتمع، والديمقراطية الاستعمارية الهزيلة تحاول من جانبها أن تقاوم هذا التيـار، ويتوسطهم قوم داعون للاشـتراكية، ويـقف بين هؤلاء جميعًـا وبين أمتنا الإسلام العتيد المستقر فى هذه القلوب أربعة عشر قرنًا، المستولى عليها، المؤثر فيها بجماله وجلاله وسـموه وروعته، يأبى على الجميع أن ينزل عن مـرتبته أو يتخلى عن هذه القلوب التى آمنت بـه وجاهدت أكـرم الجهـاد فى سبـيل إعلائه وبقـائه ورفعـته، وردت عنه بهذا الجـهاد غارات الصليـبيـيـن، وهجمات التـتار، ومكايد الصهيونية: ﴿ وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾(٢).

---

(١) سورة البقرة : ١٣٨.
(٢) سورة يوسف: ٢١.

ولكن إلى متى هذا التطاحن بين هذه الآراء والأوضاع. وهو إن كان اليوم صغيراً فهو لن يظل كذلك؟!

وإلى متى ينظر أهل الرأى فى مصر إلى هذا الصراع فى غفلة وبَلَه وانصراف كأن الأمر لا يعنيهم، وكأنه يتناول بلداً غير بلدهم وأشخاصاً غير أشخاصهم؟! لا مناص لنا من أن نختار.

وإذا لم نختر اليوم ونحن راضون، فسنقبل غداً -بل الغد القريب جداً- ونحن مرغمون، وإنى لأرى الوميض خلال الرماد ويوشك أن يكون له ضرام.

لابد من أن نختار لون الحياة الجديدة التى نحياها. ولم تعد أوضاع الحياة الاجتماعية بكل نواحيها فى مصر صالحة أمام التطور الجديد فى الأخلاق والأفكار وحاجات الناس؛ والعاقل من تدبر الأمر قبل وقوعه وأعد له عدته.

وأمامنا الشيوعية والاشتراكية، وهما معتبرتان فى منطق التحالف الدولى اليوم من معانى الديمقراطية، ولا يستطيع الديمقراطيون أن يقدموا غير هذا. وأمامنا كذلك «نظام الإسلام» وتوجيه الإسلام، وتعاليم الإسلام وأحكام الإسلام.

ونحن فى الحقيقة لسنا مخيرين ولسنا أحراراً فى الاختيار، فإننا جميعاً آمنا بهذا الإسلام الحنيف ديناً ودولة، واعتبرنا مصر دولة إسلامية، بل هى زعيمة دول الإسلام. وقال دستورنا صراحة فى مادته التاسعة والأربعين بعد المائة: «دين الدولة الرسمى الإسلام ولغتها اللغة العربية».

وهذا الشعب -شعب وادى النيل كله فى الشمال وفى الجنوب- يدين بهذا الدين الحنيف، والأقلية غير المسلمة من أبناء هذا الوطن تعلم تمام العلم كيف تجد الطمأنينة والأمن والعدالة والمساواة التامة فى كل تعاليمه وأحكامه، هذا الذى يقول كتابه: ﴿لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾(١)، والكلام فى هذا المعنى مفروغ منه؛ وهذا التاريخ الطويل العريض للصلة الطيبة الكريمة بين أبناء هذا الوطن جميعاً- مسلمين وغير مسلمين- يكفينا مؤونة الإفاضة والإسراف، فإن من الجميل حقًّا أن نسجل لهؤلاء المواطنين الكرام أنهم يقدرون هذه المعانى فى كل المناسبات،

---

(١) سورة الممتحنة : ٨.

ويعتبرون الإسلام معنى من معانى قوميتهم، وإن لم تكن أحكامه وتعاليمه من عقيدتهم.

وإذن فلا مناص للحكومة المصرية، والهيئات المصرية، والأحزاب المصرية، من أن تفى بعهدها الشرعى لله ولرسوله، يوم نطقت بالشهادتين، فالتزمت الإسلام. وبعهدها المدنى الوطنى لهذا الشعب يوم أصدرت الدستور، ونصت فيه على أن الدين الرسمى هو الإسلام. وبغير ذلك تكون قد غدرت بعهدها وخانت أمانة الله والناس عندها، وعليها أن تصارح الشعب ليحدد موقفه منها وموقفها منه، ولا محل اليوم للمداورة والخداع.

وهذا الوفاء سيحمى الوطن مما يهدده من أخطار اجتماعية داهمة، ويعيد الطمأنينة والسكينة إلى النفوس والقلوب؛ لكنه يستلزم حالاً تغيير الاتجاهات والأوضاع كلها والمجاهرة بأن وادى النيل هو حامل رسالة الإسلام ومنفذها ومبلغها فى غير مواربة ولا وهن، ولا يغنى عن العمل الكلام.

فهل تصيخ الآذان المغلقة إلى هذا النذير، فتعود إلى حجر الإسلام قولاً وعملاً وتطبيقًا؟؟ ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١).

يا دولة رئيس الحكومة.

ويا رجال الأزهر الشريف.

ويا رؤساء الهيئات والجماعات والأحزاب.

ويا أيها الغيَّر على مصلحة هذا الوطن العزيز.

ويا أبناء هذا الوطن جميعًا.

إليكم أوجه النداء؛ فإلى تعاليم الإسلام: ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُ عَابِدُونَ﴾(٢).

ألا قد بلغت... اللهم فاشهد.

---

(١) سورة النساء : ٦٥.

(٢) سورة البقرة : ١٣٨.

اعتراضات

﴿فَتَرَى الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يُسَارِعُونَ فِيهِمْ يَقُولُونَ نَخْشَىٰ أَن تُصِيبَنَا دَائِرَةٌ فَعَسَى اللَّهُ أَن يَأْتِيَ بِالْفَتْحِ أَوْ أَمْرٍ مِّنْ عِندِهِ فَيُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا أَسَرُّوا فِي أَنفُسِهِمْ نَادِمِينَ﴾(١).

دعوت قومى إلى أن يختاروا، أو بعبارة أصح وأوضح، إلى أن يبروا بعهدهم مع الله ومع أنفسهم، فيقيموا دعائم حياتنا الاجتماعية فى كل مظاهرها على قواعد الإسلام الحنيف، وبذلك يسلم مجتمعنا من هذا القلق والاضطراب والبلبلة التى شملت كل شىء، والتى وقفت بنا عن كل تقدم، والتى حالت بيننا وبين أن نتعرف الطريق السوى إلى علاج أية قضية من قضايانا الكثيرة المعلقة فى الداخل والخارج. وقلت إنه لا سبيل إلى النجاة إلا هذا الاتجاه عقيدة وعملاً بكل ما نستطيع من حزم وسرعة.

وقد يقال: كيف ذلك والحياة العصرية فى العالم كله لا تقوم على أساس الدين فى أية ناحية من نواحيها، وقد اصطلحت أمم العالم، التى بيدها اليوم مقاليد الأمور وتوجيه مقدرات الأمم والشعوب، على فصل الحياة الاجتماعية عن العقائد الدينية، وإقصاء الدين عن كل مرافق الحياة وحصره بين الضمير والمعبد، وهى وحدها نافذة المؤمن التى يتصل منها بالله.

والذين يقولون هذا القول لم يعرفوا «الإسلام»، ولم يدرسوا تعاليمه وأحكامه، ولم يفقهوه بعد على طبيعته الصحيحة ووضعه السليم.. من أنه دين ومجتمع، ومسجد ودولة، ودنيا وآخرة، وأنه تعرض لشئون الحياة الدنيوية العملية بأكثر مما تعرض به للأعمال التعبدية؛ وإن كان قد أقام الشطرين معًا على دعامة من سلامة القلب، وحياة الوجدان، ومراقبة الله، وطهر النفس. فالدين على هذا جزء من نظام الإسلام، والإسلام ينظمه كما ينظم الدنيا تمامًا. ونحن كمسلمين مطالبون بأن يقوم ديننا ودنيانا على أساس القواعد الإسلامية: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(٢).

---

(١) سورة المائدة : ٥٢.

(٢) سورة المائدة : ٥٠.

ومن هنا فرق الفقهاء فى النظرة التشريعية بين ما هو من قواعد أحكام المعاملات وشئون الحياة الاجتماعية، فأفسح للنظر والاجتهاد فى الثانية ما ليس فى الأولى، حتى لا يكون على الناس فى ذلك حرج ولا مشقة: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ﴾(١)، وتحدث للناس أقضية بقدر ما أحدثوا من الفجور.

وقد يقال: إن هذا جمود ورجوع بالعالم إلى الوراء ألف عام أو تزيد، فكيف يعقل أننا نطبق اليوم نظمًا جاءت لأمة عاشت قبلنا بأربعة عشر جيلاً، فى أرض غير أرضنا، وعلى لون من الحياة غير ألوان حياتنا؟! وأين سنة التطور وقوانين التقدم والارتقاء؟

ونقول لهؤلاء كذلك إنكم أيضًا لم تفهموا طبيعة الإسلام الحنيف، الذى جاء للناس فكرة سامية تحدد الأهداف العليا، وتضع القواعد الأساسية، وتتناول المسائل الكلية ولا تتورط فى الجزئيات؛ وتدع بعد ذلك للحوادث الاجتماعية والتطورات الحيوية أن تفعل فعلها وتتسع لها جميعًا ولا تصطدم بشىء منها.

وهذا تاريخ التشريع الإسلامى يحدثنا أن ابن عمر -رضي الله عنه- كان يفتى فى الموسم فى القضية من القضايا برأى، ثم تعرض عليه فى الموسم التالى من العام القابل فيفتى برأى آخر. فيقال له فى ذلك، فيقول: ذاك على ما علمنا، وهذا على ما نعلم أو كلام هذا نحوه.

كما يحدثنا أن الشافعى -رضي الله عنه- وضع بالعراق مذهبه القديم، فلما تمصر وضع مذهبه الجديد نزولاً على حكم البيئة، وتمشيًا مع مظاهر الحياة الجديدة، من غير أن يخل ذلك بسلامة التطبيق على مقتضى القواعد الإسلامية الكلية الأولى... وأصبحنا نسمع: «قال الشافعى فى القديم، وقال الشافعى فى الجديد». ونرى تغير رأى الرجل الواحد فى القضية الواحدة بحسب الزمان تارة -كما فعل ابن عمر- وبحسب المكان تارة أخرى- كما فعل الشافعى- أو بحسبهما معا كما سمعنا أنَّ عمر -رضي الله عنه- أمرَ بعدم القطع فى السرقة عام المجاعة، وجاءه رجل يشكو سرقة خدمه فأحضرهم فأقروا وذكروا أن سبب ذلك أنه لا يقوم بكفايتهم من طعام ومَلبس... إلخ. فتركهم عمر وتوعد الرجل قائلاً: (إذا سرق

---

(١) سورة البقرة : ١٨٥.

خدمك مرة ثانية قطعت يدك أنت) واعتبرها شبهة تدرأ الحد، ولاحظ الظروف والملابسات . . .

فهل يقال بعد هذا إن فى الرجوع إلى النظام الإسلامى رجعية وجمودًا، وليست فى الدنيا شريعة تقبل التطور، وتساير مقتضيات التقدم، وتتمتع بمعانى المرونة والسلاسة والسعة كشريعة الإسلام الحنيف: ﴿مَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيَجْعَلَ عَلَيْكُم مِّنْ حَرَجٍ وَلَكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمْ وَلِيُتِمَّ نِعْمَتَهُ عَلَيْكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾(١).

وقد يقال إن الجهر بالعودة إلى نظام الإسلام مما يخيف الدول الأجنبية والأمم الغربية، فتتألب علينا وتتجمع ضدنا، ولا طاقة لنا بها، ولا قدرة لنا عليها. وهذا منتهى الوهن، وغاية الفساد فى التقدير وقصر النظر. وها نحن أولاء نرى هذه الدول وقد سايرناها فى نظمها، وأخذنا بألوان حياتها واتبعناها فى تقاليدها، فهل أغنى ذلك عنا شيئًا؟! وهل دفع عنا من كيدها؟ وهل منعها من أن تحتل أرضنا، وتسلب استقلالنا، وتستأثر بخيرات بلادنا، ثم تتجمع فى كل مؤتمر أو مجتمع دولى ضد حقوقنا، وتثير المشكلات والصعاب والعقبات فى وجوهنا، ولا تتأثر إلا بشىء واحد هو ظروفها ومصالحها فقط. ولا يعنيها بعد ذلك إلا أنها نصرانية، فقد رأيناها فى الحرب الماضية يحطم بعضها بعضًا، وكلها مسيحية، وتتملق مع هذا دول الإسلام وأممه وشعوبه وتتزلف إليه بمعسول وحلو الحديث. وها هم أولاء جميعًا يناصرون الصهيونية اليهودية وهى أبغض ما تكون إليهم لارتباط مصالحهم المادية وأغراضهم الاستعمارية بهذه المناصرة. وقد أصبح هذا المعنى معلومًا فى تصرفات كل الساسة الغربيين.

إذن فلن يجدينا شيئًا عندهم أن نتنصل من الإسلام، ولن يزيدهم فينا بغضًا أن نعلن التمسك به والاهتداء بهديه، وبخاصة وهم الآن معسكران مختلفان متنافسان على المصالح المادية وحدها.

ولكن خطر التنصل من الإسلام والتنكر له عظيم على كياننا نحن، فما دمنا بعيدين عن تشرب روحه وتحقيق تعاليمه، فسنظل حائرين فتتحطم معنوياتنا، متفرقين فتضعف قوتنا. ولو أخذنا بالحزم وأعلناها صريحة واضحة: أننا معشر أمم

---

(١) سورة المائدة : ٦.

الإسلام لا شيوعيون ولا ديمقراطيون ولا شيء من هذا الذى يزعمون، ولكننا بحمد الله مسلمون، لارتسمت أمامنا تواً طريق الهداية والنور، ولجمعتنا كلمة الإسلام، ووحدت بيننا وبين إخواننا جميعًا فى أقطار الأرض... وفى ذلك وحده -ولا شيء غيره- القوة والمنقذ أمام هذا العدوان الغربى الاستعمارى الجارف الذى يهددنا فى كل مكان.

وخلاصة هذا الكلام فى إيجاز: أننا إذا لاحظنا غضب الغربيين ورضاهم فى تمسكنا بالإسلام أو بعدنا عنه، فليس لهذا من معنى إلا أننا إن لم نتمسك بالإسلام فلن نكسب رضاهم وسنخسر أنفسنا، فى حين أننا إذا تمسكنا به وتجمعنا من حوله واهتدينا بهديه كسبنا أنفسنا ولا شك، وكان هناك احتمال قوى أن نكسبهم أيضًا بتأثير قوة الوحدة فأى الرأيين أولى بالاتباع يا أولى الألباب؟!

أما اعتراض الأقليات غير المسلمة فقد أشرنا إليه من قبل ولا نريد أن نطيل فيه القول اليوم، فالأمر أوضح من أن يكون موضع مراء.

إنه ليس أمام الأمم الإسلامية اليوم إلا هذه الفرصة، وإن الدول الغربية تدرك هذا تمامًا، فهى تشغلنا بأنفسنا، وتزيدنا حيرة على حيرة، وليس فى الوقت متسع للتردد، وإن تبعة من لا يعلم فى عنق من يعلم، ولا يصلح الناس فوضى لا سراة لهم.

فيا رئيس الحكومة... ويا رجال الأزهر...

ويا أعضاء الجماعات والأحزاب ويا ذوى الغيرة على هذا الوطن.

ويا أبناءه جميعًا... إليكم أوجه القول:

عودوا إلى الإسلام تغنموا وتسلموا:

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾(١).

ألا قد بلغت... اللهم فاشهد.

---

(١) سورة النور: ٥١.

قضيتنا الوطنية
وكيف تحل فى ضوء التوجيه الإسلامى

حقوقنا الوطنية معروفة، أعلنتها الأمة بكل وضوح وجلاء على لسان أحزابها وهيئاتها وجماعاتها وأفرادها فى كل المناسبات، وهى: تحقيق وحدة وادى النيل جنوبه وشماله، وجلاء القوات الأجنبية عنه جميعًا، لتتم بذلك حقيقة حريته واستقلاله.

والإسلام الحنيف يعلن الحرية ويزكيها، ويقررها للأفراد والأمم والجماعات بأفضل معانيها، ويدعوهم إلى الاعتزاز بها والمحافظة عليها، ويقول نبيه -ﷺ-: «**من أعطى الذلة من نفسه طائعًا غير مكره فليس منى**». وهو يحارب هذه اللصوصية الدولية التى يسمونها الاستعمار بكل ما فيه من قوة، ولا ترضى تعاليمه أبدًا بأن تسود أمة أو يرهق شعب شعبًا آخر، ولا تزال كلمة عمر الفاروق -رضي الله عنه- ترن فى الآذان حين قال لعامله عمرو بن العاص: (متى تعبَّدتُم الناس وقد ولدتهم أمهاتُهم أحرارًا).

ويوم حمل الفاتح المسلم سيفه على عاتقه، وانطلق غازيًا فى أرض الله، لم يكن يرجو من وراء ذلك مغانم دنيوية، ولم يكن يتطلع إلى خيرات الأمم والشعوب ليستأثر بها دونها وإن امتلأت يداه منها بغير قصد منه... ولكن كان يؤمن بدعوة ويحمل رسالة، ويحمى فى العالم مبادئ الحق والعدل والسلام، وتاريخ الصدر الأول من أئمة المسلمين الراشدين المهديين -وهم الحجة للإسلام- يعطيك هذه الصورة بينة المعالم، واضحة الحدود.

والإسلام مع هذا يعتبر الأمة الإسلامية أمينة على رسالة الله فى أرضه، ولها فى العالم مرتبة الأستاذية - ولا نقول مرتبة السيادة- بحكم هذه الأمانة، فلا يسمح لها أن تذل لأحد، أو تستعبد لأحد، أو تلين قناتها لغامز أو تخضع لغاصب معتدٍ أثيم: ﴿**وَلَن يَجْعَلَ اللَّهُ لِلْكَافِرِينَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ سَبِيلاً**﴾(١).

(١) سورة النساء : ١٤١.

ويوم قرر الإسلام هذا، قرر الطريق العملى لحماية هذه الحرية. فافترض الجهاد بالنفس والمال، وجعله فرض كفاية لتأمين الدعوة، وفرض عين على كل أبناء الأمة لرد العدوان على الوطن إذا واجهته قوات الغزاة من غير المسلمين، وجعل الشهادة أعلى مراتب الإيمان، ووعد المجاهدين النصر والتأييد فى الدنيا، والخلود والبقاء والنعيم المقيم فى الآخرة، وأعلن أن الجهاد أفضل الأعمال بعد الإيمان: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللَّهِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ﴿٢٠﴾ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ﴿٢١﴾ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللَّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ﴾(١).

ومع هذا فقد رحب الإسلام بالوسائل السلمية وإنهاء الخصومة متى أدت هذه الوسائل إلى الاعتراف بالحق الكامل لأصحابه: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(٢)، وما خُيِّر النبى -ﷺ- بين أمرين إلا اختار أيسرهما ما لم يكن محرمًا. ومن السلم المفاوضة إذا أوصلت إلى الحق الكامل، وقد فاوض رسول الله -ﷺ- فى الحديبية... ومن السلم التحاكم إذا أدى إلى هذا الحق أيضًا، وإن كنا لا نعلم أن رسول الله -ﷺ- -أو أحدًا من الخلفاء الراشدين المهديين- رضى بتحكيم كافر، ولكنه مقتضى عموم الآية، ولازم الاتفاق على الخير، الذى لا يمنعه الإسلام بين المسلمين وغيرهم متى كان فيه مصلحة لهم وليس فيه ضرر عليهم.

فإذا فشلت هذه الجهود السلمية فإن رأى الإسلام صريح فى «النبذ» الذى يتضمن إعلان الخصومة، ثم الأخذ توًا بكل وسيلة من وسائل الجهاد: ﴿وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوْمٍ خِيَانَةً فَانبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَىٰ سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾(٣). وقد وعد الله المجاهدين للحق أن يدافع عنهم، وينصرهم لا محالة على أعدائهم مهما يكن عدوهم كامل الأهبة، عظيم العدد، موفور العدة، قوى الوسائل، وعليهم ألا يعبئوا بذلك، وأن يعتمدوا على

---

(١) سورة التوبة : ٢٠-٢٢.
(٢) سورة الأنفال : ٦١.
(٣) سورة الأنفال: ٥٨-٦٠.

الله وحده: ﴿وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ﴾(١). هذه الأحكام جميعًا مقررة فى الإسلام، يعرفها بتفصيل أوسع واستدلال أقوى وأدق وأحكم كل من نهل من معينه، وأخذ بحظ من الفقه فيه. وعلى ضوئها نستطيع أن نحل قضيتنا الوطنية التى وصلت إلى حد من الارتباك، تبلبلت معه الخواطر، واضطربت الأذهان، وإليك بيان ذلك:

لقد فاوضنا فلم نصل إلى شىء لتعنُّت الإنجليز وتصلبهم ومناورتهم...

واحتكمنا فلم نصل إلى شىء كذلك، أمام تغليب المصالح الدولية والمطامع الاستعمارية، ولقد قال كاتب فاضل: إننا وصلنا إلى كسب أدبى عظيم بالدعاية الواسعة لقضيتنا بطرحها أمام أنظار العالم كله، وإخراجها من حيز التفاهم الثنائى الضيق، إلى حيز التحاكم الدولى الواسع، وذلك صحيح. ولكن هذا الكسب الأدبى لن يغنى عن الحقيقة الواقعة شيئًا، وهى أننا ما زلنا مع الإنجليز حيث كنا لم نتقدم خطوة، بل إن هذا الركود كان مدعاة إلى التساؤل والبلبلة.

لم يبق إذًا إلا «النبذ على سواء» بأن نعلنهم بالخصومة الصريحة السافرة، ونقرر فى صراحة إلغاء ما بيننا وبينهم من معاهدات واتفاقات، ونعلن اعتبار أمة الوادى معهم فى حالة حرب -ولو سلبية- وننظم حياتنا على هذا الاعتبار.

اقتصاديًا: بالاكتفاء والاقتصار على ما عندنا وعند إخواننا من العرب والمسلمين والدول الصديقة إن كانت.

واجتماعيًا: تشجيع روح العزة والكرامة وحب الحرية.

وعمليًا: بتدريب الشعب كله تدريبًا عسكريًا حتى يأتى أمر الله.

وتُهيَّأ نفوس الشعب لذلك بدعاية واسعة تامة كاملة، كما تفعل الأمم إذا واجهت حالة الحرب الحقيقية، وتتغير كل الأوضاع الاجتماعية على هذا الأساس.

وهذا العمل لا يتسنى للأفراد ولا للهيئات ابتداء، ولكن الحكومة هى المسئولة عنه أولاً وآخرًا. والعجيب أن رئيس الحكومة أعلن هذا صراحة فى مجلس الأمن، ثم عاد فلم يعمل شيئًا، ولم يتقدم فى هذا السبيل خطوة... هذا واجب الحكومة قطعًا.

---

(١) سورة الروم: ٤٧.

وأما الشعب، فنحن نقولها فى صراحة ووضوح وثقة، إنه على أتم استعداد لبذل كل شىء لو سلكت الحكومة هذا السبيل، إنه مستعد ليجوع ويعرى. . . وليموت ويناضل، ويكافح بأشد أنواع النضال والكفاح. . . ولكن على شريطة أن يكون ذلك فى سبيل حريته واستقلاله لا فى سبيل ارتباك اللجان الحكومية، وضعف الوسائل الإدارية، والتخبط فى السياسة الاقتصادية، والوقوف أمام مكايد الإنجليز وضغطهم موقف المستسلمين العاجزين.

لقد سمعت عاملاً فقيراً يقول حين صدرت الأوامر بخلط الخبز: إننى مستعد أنا وأولادى أن نأكل كل يوم مرة واحدة، إذا وثقنا من أن هذا فى سبيل الحرية والتخلص من الإنجليز، ولكنى ساخط كل السخط لأنى لا أفهم لماذا نلجأ إلى هذا الخلط ونحن بلد زراعى أعظم محصوله المواد الغذائية؟!

فالشعب على أتم استعداد للبذل، ولكن فى طريق واضحة مرسومة تؤدى إلى الحرية أو الشهادة، بقيادة حكومة حازمة ترسم له فى قوة وإخلاص مراحل هذا الطريق. أما إذا استمرت الحكومة فى ترددها وتراخيها واضطرابها، فلن يؤدى ذلك بالشعب إلا إلى أحد أمرين، إما أن يثور، وإما أن يموت، وكلاهما جريمة وطنية لا يغتفرها أبدًا التاريخ.

فيا دولة رئيس الحكومة. ويا رجال الأزهر الشريف. . . ويا زعماء الهيئات والأحزاب. . . ويا ذوى الغيرة على هذا الوطن ويا أبناء الأمة جميعًا:

هذه هى الطريق فاسلكوها فى ضوء الإسلام، والله معكم. ألا قد بلغت. . . اللهم فاشهد.

وحدتنا فى ضوء التوجيه الإسلامى

﴿ وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ ﴾(١).

بالأمس وضعت بين يدى قومى، فى قضيتنا الوطنية الخاصة، توجيه الإسلام الذى هو أخصر الطرق كلها حلاً حاسمًا كريمًا، والذى لا يعدو النبذ بالخصومة، وإعداد وسائل الجهاد. ومتى فعلنا ذلك، فقد خرجنا ولا شك من هذه الحيرة، ووجدنا الجواب الصحيح لهذا السؤال الذى يتحرك به كل لسان، ويتردد فى خاطر كل مواطن: «ماذا نعمل الآن».

والحق أننا لا نحار لأننا لا نريد أن نفعل شيئًا، ونهرب من تبعات العمل، ونفر من ثقل التضحيات وتكاليف الكفاح، ونلتمس اللين والسهولة دائمًا، ولا نفكر فى سواهما. ونتصور أن الحرية والاستقلال يهبطان من السماء بغير عمل، والسماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة، ولا تفيض بحرية أو استقلال... ولو كنا جادين حقيقة فى الطلب، لسرنا فى الطريق بعد أن عرفناه فى كلمتين اثنتين «ننبذ، ونجاهد»، والنصر بعد ذلك من عند الله.

والآن أعرض لموضوع آخر يتصل بقضيتنا الوطنية العامة، التى تنتظم قضايا الأمة العربية بمختلف شعوبها، والعالم الإسلامى كله، لنرى كيف تحل هى الأخرى فى ضوء توجيه الإسلام الحنيف.

معلوم أن الإسلام رسالة عالمية جاءت لخير الأمم والشعوب جميعًا، لا فرق بين عربى ولا عجمى أو شرقى وغربى: ﴿ تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا ﴾(٢)، ولهذا دعا إلى القضاء على الفوارق الجنسية والعنصرية، وأعلن الأخوة الإنسانية، ورفع لواء العالمية بين الناس لأول مرة فى تاريخ البشر: ﴿ يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيراً وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِى تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا ﴾(٣).

---

(١) سورة المؤمنون : ٥٢.

(٢) سورة الفرقان: ١.

(٣) سورة النساء : ١.

معلوم أن الإسلام كـذلك قد قرر من باب الأولى أقوى مـعانى الأخوة بين المؤمنين به والمنتسبين إليه والمعتقدين لرسـالته، حتى جعل الأخوة معنى من معانى الإيمان، بل هى أكمل معانيه: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(١)، و«المسلمَ أخو المسلم، لا يظلمه ولا يسلمه»، «ومثل المؤمنين فى توادهم وتعاطفهم وتراحـمهم، كالجسد الواحـد، إذا اشتكى منه عضـو تداعى له سـائر الجسـد بالسـهر والحـمى» «المؤمن للمؤمن كالبنيان يشدُّ بعضه بعضًا».

ويوم واجـه المسلمون العـالم كله صـفًا واحـدًا وقلبًا واحـدًا، فى ظل هذه الأخوة الصادقة الحقة، لم تلبث أمامهم ممالك الروابط الإدارية أو السياسية المجردة ساعة من نهـار، وانهزم أمامهم -بغير نظام- الروم والفـرس على السواء. وكوَّنوا إمـبراطورية ضـخمـة تمتـد من المحيط إلى المحـيط، ذات علم وحـضارة، وقـوة وإشراق.

ويوم غفلوا عن سر قوتهم ولم يأخذوا بهدى كتابهم: ﴿وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ﴾(٢). ودب إليـهـم داء الأمـم مـن قبلهم، من تغليب المصـالح المادية الزائلة على الأخوة الإيمانية البـاقية... تمزقت هذه الإمبراطورية أيدى سبأ، ولعبت بها المطامع الداخلية والخارجية، وانتهى أمرها مؤخرًا بعد الحرب العالمية الأولى إلى الانهيـار، والوقوع فى أسر خصومها من غير المسلمين الذين احتلوا أرضها، وملكوا أمرها وتقاسـموها فيما بينهم، وظنوا أنه قد انتهى أمر الإسلام وختمت الحرب الصليبية أفضل ختام.

وكانت الدسيسة الكبرى التى اقتحمت على المسلمين عقولهم وقلوبهم أولاً، ثم أرضهم وبلادهم ثانيًا، هى تأثرهم بالعنصرية والشعوبية، واعتداد كل أمة منهم بجنسهـا، وتناسى ما جاء به الإسلام من القـضاء على عصبـية الجاهلية والتـفاخر بالأجناس والألوان والأنساب.

وقد انتهت الحـرب العالمية الثانية، التى قضت على العنصـريات الحديثة فى أوروبا، عنصرية النازية والفاشية، فرأينا بعدها الدول الأوروبية الكبرى تسعى سعيًا

---

(١) سورة الحجرات: ١٠.

(٢) سورة الأنفال: ٤٦.

حشيئًا إلى التجمع والتكتل، باسم العنصريات تارة، والمصالح تارة أخرى. . . فروسيا تحاول أن تجمع العنصر الصقلبى بكل شعوبه تحت لواء الاتحاد السوفييتى. وإنجلترا وأمريكا تتجمعان باسم الجنس واللغة، ثم تتقاسمان بعد ذلك أمم العالم ومناطق النفوذ فى الأرض باسم المصالح والضرورات الحيوية. وتستر هذا التنافس بينها بتكوين هيئة الأمم المتحدة لتوهم الناس أنها تزكى العالمية، وتعمل لخير بنى الإنسان، كما رأينا هذه الدول نفسها تتجمع ضد حقوقنا الوطنية، وتخذلنا فى كل قضية من قضايانا الجوهرية، سواء عرضت على مجلس الأمن أم فى هيئة الأمم المتحدة، كما حدث فى قضية مصر، وفى قضية فلسطين، وفى قضية أندونيسيا.

نحن أمام كل هذه الأوضاع العالمية الجديدة، وأمام تشابه قضايانا وتشاكلها، فهى كلها قضية واحدة، معناها استكمال الحرية والاستقلال، وتكسير قيود الاستغلال والاستعمار. . . لابد أن نلجأ من جديد إلى ما فرضه الإسلام على أبنائه منذ أول يوم، حين جعل الوحدة معنى من معانى الإيمان. . . يجب أن نتكتل ونتوحد. وقد بدأنا بالجامعة العربية، وهى وإن كانت لم تستقر بعد الاستقرار الكامل، إلا أنها نواة طيبة مباركة على كل حال، فعلينا أن ندعمها ونقويها، ونخلِّصها من كل ما يحيط بها من عوامل الضعف والتخلخل. وعلينا بعد ذلك أن نوسع الدائرة حتى تتحقق رابطة أمم الإسلام -عربية وغير عربية- فتكون نواة (لهيئة الأمم الإسلامية) بإذن الله.

وبهذه الطريقة، التى ستضيف إلى وسائلنا الخاصة بكل أمة، من النبذ والجهاد، معنى آخر من معانى القوة، هو الوحدة والتجمع، نستطيع أن نتخلص، وأن نحفظ التوازن العالمى بين الأمم الطامعة، والدول المتنافسة على المغانم والحطام.

والمسئول عن تحقيق هذه الخطوات، الحكومات العربية والإسلامية جميعًا، وكل دعاة الإصلاح فى هذه الشعوب من رسميين وأهليين.

واليوم أوجِّه النداء: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلا تَفَرَّقُوا﴾(١).

ألا قد بلغت. . . اللهم فاشهد.

---

(١) سورة آل عمران: ١٠٣.

مشكلاتنا الداخلية
فى ضوء النظام الإسلامى

نظام الحكم

١- نظام الحكم

﴿ وَأَنِ احْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ وَاحْذَرْهُمْ أَن يَفْتِنُوكَ عَنْ بَعْضِ مَا أَنزَلَ اللَّهُ إِلَيْكَ ﴾(١).

الحكومة فى الإسلام:

يفترض الإسلام الحنيف الحكومة قاعدة من قواعد النظام الاجتماعى الذى جاء به للناس، فهو لا يقر الفوضى، ولا يدع الجماعة المسلمة بغير إمام، ولقد قال رسول الله -ﷺ- لبعض أصحابه: «**إذا نزلت ببلد وليس فيه سلطان فارحل عنه**»، كما قال فى حديث آخر لبعض أصحابه كذلك: «**وإذا كنتم ثلاثة فأمِّروا عليكم رجلاً**».

فمن ظن أن الدين -أو بعبارة أدق الإسلام- لا يعرض للسياسة، أو أن السياسة ليست من مباحثه، فقد ظلم نفسه، وظلم علمه بهذا الإسلام؛ ولا أقول ظلم الإسلام فإن الإسلام شريعة الله لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه... وجميل قول الإمام الغزالى -رضي الله عنه-: (اعلم أن الشريعة أصل، والملك حارس، وما لا أصل له فمهدوم، وما لا حارس له فضائع) فلا تقوم الدولة الإسلامية إلا على أساس الدعوة، حتى تكون دولة رسالة لا تشكيل إدارة، ولا حكومة مادة جامدة صماء لا روح فيها. كما لا تقوم الدعوة إلا فى حماية تحفظها وتنشرها وتبلغها وتقويها.

وأول خطئنا أننا نسينا هذا الأصل، ففصلنا الدين عن السياسة عمليًا، وإن كنا لم نستطع أن نتنكر له نظريًا، فنصصنا فى دستورنا على أن دين الدولة الرسمى هو الإسلام، ولكن هذا النص لم يمنع رجال السياسة وزعماء الهيئات السياسية أن يفسدوا الذوق الإسلامى فى الرءوس، والنظرة الإسلامية فى النفوس، والجمال الإسلامى فى الأوضاع، باعتقادهم وإعلانهم وعملهم على أن يباعدوا دائمًا بين توجيه الدين ومقتضيات السياسة، وهذا أول الوهن وأصل الفساد.

---

(١) سورة المائدة : ٤٩.

دعائم الحكم الإسلامى

والحكومة فى الإسلام تقوم على قواعد معروفة مقررة، هى الهيكل الأساسى لنظام الحكم الإسلامى. . . فهى تقوم على مسئولية الحاكم ووحدة الأمة واحترام إرادتها ولا عبرة بعد ذلك بالأسماء والأشكال.

مسئولية الحاكم:

فالحاكم مسئول بين يدى الله وبين الناس، وهو أجير لهم وعامل لديهم، ورسول الله -ﷺ- يقول: «**كلكم راع وكلكم مسئول عن رعيته**»، وأبو بكر -رضي الله عنه- يقول عندما ولَىَ الأمرَ وصعد المنبر: (أيها الناس، كنت أحترفُ لعيالى فأكتسب قوتَهم، فأنا الآن أحترف لكم، فافرضوا لى من بيت مالكم). وهو بهذا قد فسر نظرية العقد الاجتماعى أفضل وأعدل تفسير، بل هو وضع أساسه، فما هو إلا تعاقد بين الأمة والحاكم على رعاية المصالح العامة، فإن أحسن فله أجره، وإن أساء فعليه عقابه.

وحدة الأمة:

والأمة الإسلامية واحدة، لأن الأخوة التى جمع الإسلام عليها القلوب أصل من أصول الإيمان لا يتم إلا بها ولا يتحقق إلا بوجودها. ولا يمنع ذلك حرية الرأى وبذل النصح من الصغير إلى الكبير، ومن الكبير إلى الصغير، وذلك هو المعبر عنه فى عرف الإسلام ببذل النصيحة، والأمر بالمعروف والنهى عن المنكر، وقال رسول الله -ﷺ-: «**الدين النصيحة**» قالوا لمن يا رسول الله؟ قال: «**لله ولرسوله ولكتابه ولأئمة المسلمين وعامتهم**» وقال: «**إذا رأيت أمتى تهاب أن تقول للظالم يا ظالم فقد تُوُدِّعَ منها**»، وفى رواية: «**وبطن الأرض خير لهم من ظهرها**»، وقال: «**سيد الشهداء حمزة بن عبدالمطلب ورجل قام إلى إمام جائر فأمره ونهاه فقتله**».

ولا تكون الفرقة فى الشئون الجوهرية فى الأمة الإسلامية، لأن نظام الحياة الاجتماعية الذى يضمها نظام واحد هو الإسلام، معترف به من أبنائها جميعهم. والخلاف فى الفروع لا يضر، ولا يوجب بغضًا ولا خصومة ولا حزبية يدور معها الحكم كما تدور. . . ولكنه يستلزم البحث والتمحيص، والتشاور وبذل النصيحة،

فما كان من المنصوص عليه فلا اجتهاد فيه، وما لا نص فيه فقرار ولى الأمر يجمع الأمة عليه، ولا شىء بعد هذا.

احترام إرادة الأمة :

ومن حق الأمة الإسلامية أن تراقب الحاكم أدق مراقبة، وأن تشير عليه بما ترى فيه الخير. وعليه أن يشاورها وأن يحترم إرادتها، وأن يأخذ بالصالح من آرائها، وقد أمر الله الحاكمين بذلك فقال: ﴿وَشَاوِرْهُمْ فِي الأَمْرِ﴾(١). وأثنى به على المؤمنين خيرًا فقال: ﴿وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ﴾(٢)، ونصت على ذلك سنة رسول الله -ﷺ- والخلفاء الراشدين المهديين من بعده: إذا جاءهم أمر جمعوا أهل الرأى من المسلمين، واستشاروهم ونزلوا عند الصواب من آرائهم، بل إنهم ليندبونهم إلى ذلك ويحثونهم عليه. فيقول أبو بكر -رضي الله عنه-: (فإن رأيتمونى على حق فأعينونى، وإن رأيتمونى على باطل فسددونى أو قومونى)، ويقول عمر بن الخطاب: (من رأى فىَّ اعوجاجًا فليقومه).

و(النظام الإسلامى) فى هذا لا يعنيه الأشكال ولا الأسماء متى تحققت هذه القواعد الأساسية التى لا يكون الحكم صالحًا بدونها، ومتى طبقت تطبيقًا يحفظ التوازن بينها ولا يجعل بعضها يطغى على بعض. ولا يمكن أن يحفظ هذا التوازن بغير الوجدان الحى والشعور الحقيقى بقدسية هذه التعاليم، وإن فى المحافظة عليها وصيانتها الفوز فى الدنيا والنجاة فى الآخرة، وهو ما يعبرون عنه فى الاصطلاح الحديث «بالوعى القومى» أو «النضج السياسى» أو «التربية الوطنية» أو نحو هذه الألفاظ، ومردها جميعًا إلى حقيقة واحدة هى اعتقاد صلاحية النظام، والشعور بفائدة المحافظة عليه... إذ إن النصوص وحدها لا تنهض بأمة كما لا ينفع القانون إذا لم يطبقه قاض عادل نزيه.

ونحن فى حياتنا العصرية قد نقلنا من أوروبا هذا النظام النيابى الذى تعيش فى ظله حكوماتنا الآن، ووضعنا دستورنا على أساسه، وتغير هذا الدستور مرة باسمه كذلك، وجرَّبنا الكثير من آثاره، فإلى أى مدى ينطبق هذا النظام على الإسلام؟ وإلى أى مدى كانت فائدتنا منه طوال هذه المدة؟

ذلك ما سنعرض له إن شاء الله.

---

(١) سورة آل عمران : ١٥٩.

(٢) سورة الشورى: ٣٨.

٢- نظـام الحكـم

﴿أَفَحُكْمَ الْجَاهِلِيَّةِ يَبْغُونَ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾(١).

قدمت فى الكلمة السابقة أن الدعـائم التى يقوم عليها نظام الحكم الإسلامى ثلاث:

(أ) مسئولية الحاكم .

(ب) ووحدة الأمـة.

(جـ) واحترام إرادتها.

ولقد تحقق هذا النظام بأكمل صورة فى عهد الخلفاء الراشدين بعد رسول الله -ﷺ-، فكانوا يشـعرون أتم الـشعـور بالتبعـات الملقاة على كـواهلهم كـحكام مسئوليـن عن رعاياهم، ويظهر ذلك فى كل أقوالهم وتصرفاتهم وحـسبك أن تقرأ ما قـاله عمر بن الخطاب -رضي الله عنه- حـين ولى الخلافة، وعمـر بن عبدالعـزيز حين وليها كذلك. وجاءت سيرتاهما مطابقتين لقولهما: (أيها الناس قد وُلِّيتُ عليكم، ولولا رجاء أن أكون خـيركم لكم، وأقواكم عليكم، وأشـدكم اضطلاعًا بما ينوب من مهم أموركم، مـا توليت ذلك منكم، وكفى عمرَ مُـهِمًا محزنًا انتظار مـوافقة الحساب، يأخذ حقـوقكم كيف أخذها ووضعها أين أضعهـا، وبالسير منكم كيف أسير فربى المسـتعان) فإن عمر أصبح لا يثق بقوة ولا حـيلة إن لم يتداركه الله عز وجل برحمته وعونه وتأييده، وكان يقول: (لو أن جملاً هلك ضيَاعًا بشط الفرات لخشيت أن يسأل الله عنه آل الخطاب).

وقال عمر بن عبدالعزيز فى خطبـته: (أما بعد، فإنه ليس بعد نبيكم -ﷺ- نبىٌّ، ولا بعد الكتاب الذى أُنزل عليه كـتاب. ألا ما أحل الله عز وجل حلال إلى يوم القيامـة، وما حرم الله حرام إلى يوم القيامـة، ألا لست بقاضٍ ولكننى منفذ، ألا وإننى لست بمبتدع ولكنى متبع، ألا إنه ليس لأحـد أن يطاع فى معصية الله عز وجل، ألا إنى لست بخـيـركم ولكنى رجـل منكم غـيـر أن الله جعلـنى أثقلكم حملاً). وقَدِمَتْ إليه مراكب الخلافة بعد دفن سليمان بن عبدالملك فأمر بتأخيرها،

---

(١) سورة المائدة : ٥٠.

وركب بغلته وعاد إلى منزله، فدخل عليه مولاه مُزاحم فقال: يا أمير المؤمنين لعلك مهتم؟! فقال: (بمثل هذا الأمر الذى نزل بى اهتممت، إنه ليس من أمة محمد فى مشرق ولا مغرب أحد إلا له قِبَلى حق يحق علىّ أداؤه إليه، غير كاتب إلىّ فيه ولا طالبه منى).

وكانت الأمة مجتمعة الكلمة باستمساكها بأهداب الدين، واعتقادها فضل ما جاء به من أحكام، ورعايتها لأمر رسول الله -ﷺ- وتشديده فى الوحدة حتى أمر بقتل من فارق الجماعة أو خرج على الطاعة، فقال: **«من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم فاضربوه بالسيف كائنًا من كان»** كما قال: **«من خرج على الطاعة وخالف الجماعة فمات، مات ميتة جاهلية، ومن قاتل تحت راية عِمِّيَّة[(١)] يغضب لعصبَة، أو يدعو إلى عَصَبَة، أو ينصر عَصبَة[(٢)]، فقتل، فقتلة جاهلية. ومن خرج على أمتى يضرب برَّها وفاجرها ولا يتحاشى من مؤمنها، ولا يفى ذا عهد عهده، فليس منى ولست منه»**.

كما كانت إرادتها محترمة مقدورة، فما كان أبو بكر يمضى فى الناس أمراً إلا بعد أن يستشيرهم وخصوصًا فيما لا نص فيه، وكذلك كان عمر بن الخطاب، فقد جعل الخلافة من بعده شورى فى الستة الذين توفى رسول الله -ﷺ- وهو عنهم راض.

وقلت فى الكلمة السابقة أيضًا إننا نقلنا هذا النظام النيابى، الذى تعيش حكومتنا فى ظله، عن أوروبا، فإلى أى مدى ينطبق على الإسلام؟ وما الذى أفدناه منه منذ طبق فى عهده الأخير فى بلادنا إلى الآن، وهى مدة تبلغ ربع قرن من الزمان تقريبًا؟

موقف الإسلام من النظام النيابى والدستور المصرى

يقول علماء الفقه الدستورى إن النظام النيابى يقوم على مسئولية الحاكم، وسلطة الأمة، واحترام إرادتها، وإنه لا مانع فيه يمنع من وحدة الأمة واجتماع

---

(١) عميّة: أى فتنة وجهالة.

(٢) عصبة الرجل: أقاربه. والمعنى: يقاتل ويدعو وينصر لا لنصرة الدين والحق، بل لمحض التعصب لقومه وهواه.

كلمتـها، وليست الفرقة والخلاف شـرطًا فيه، وإن كان بعضهم يقول إن من دعائم النظام النيابى البرلمانى: الحزبية. ولكن هذا إذا كـان عرفًا فليس أصلاً فى قيام هذا النظام، لأنه يمكن تطبيقه بدون هذه الحزبية وبدون إخلال بقواعده الأصلية.

وعلى هذا فليس فى قـواعد هذا النظام النيـابى ما يتنافى مع القـواعد التى وضعها الإسـلام لنظام الحكم، وهو بهذا الاعتبار ليس بعـيدًا عن النظام الإسلامى ولا غـريبًا عنه. وبهـذا الاعتـبـار يمكن أيضًا أن نقـول فى اطمـئنان إن القواعـد الأساسيـة التى قام عليها الدسـتور المصرى لا تتنافى مع قواعـد الإسلام، وليست بعيدة من النظام الإسـلامى ولا غريبة عنه، بل إن واضعى الدسـتور المصرى رغم أنهم وضعـوه على أحدث المبادئ والآراء الدستـورية وأرقاها، فقد توخـوا فيه ألا يصطدم أى نص من نصوصه بالقواعد الإسـلامية، فهى إما متمشية مـعها صراحة كالنص الذى يقـول: (دين الدولة الإسلام)، أو قـابلة للتفسـير الذى يجـعلها لا تتنافى معها كالنص الذى يقول: «حرية الاعتقاد مكفولة».

وأحب أن أنبه هنا إلى الفـرق بين الدستور وبين القـوانين التى تسير عليـها المحاكم، إذ إن كثيرًا من هذه القوانين يتنافى صراحة مع ما جاء به الإسلام، وذلك بحث آخر سنعرض له فى موضعه إن شاء الله.

ومع أن النظام النيابى والدستـور المصرى فى قواعدهما الأساسـية لا يتنافيان مع ما وضعـه الإسلام فى نظام الحكم، فإننا نصرح بأن هناك قصـورًا فى عبارات الدستور، وسوءًا فى التطبيق، وتقصيرًا فى حـماية القواعد الأساسية التى جاء بها الإسلام وقام عليهـا الدستور، أدت جميعًا إلى ما نشكو منه من فـساد، وما وقعنا فيه من اضطراب فى كل هذه الحياة النيابية.

وسنتناول هذا الإيجاز بشىء من البيان.

مسئوليـة الحاكم - الوزارة

فأما عن مسئولية الحاكم فإن الأصل فـيها فى النظام الإسلامى أن المسئول فيها هو رئيس الدولة كـائنًا من كان، له أن يتـصرف، وعليـه أن يقدم حـساب تصـرفه للأمة، فإن أحسن أعانته وإن أساء قومته. ولا مانع فى الإسلام فى أن يفوض رئيس الدولة غيـره فى مبـاشرة هذه السلطة وتحـمل هذه المسئوليـة، كمـا عرف ذلك فى

«وزارات التفويض» فى كثير من العهود الإسلامية، ورخَّص الفقهاء المسلمون فى ذلك وأجازوه ما دام فيه مصلحة، والقاعدة فى مثل هذه الأمور رعاية المصلحة العامة. قال الماوردى فى كتاب الأحكام السلطانية: (والوزارة على ضربين، وزارة تفويض، ووزارة تنفيذ. فأما وزارة التفويض فهو أن يستوزر الإمام من يفوض إليه تدبير الأمور برأيه، وإمضاءها على مقتضى اجتهاده، وليس يمتنع جواز هذه الوزارة. قال تعالى حكاية عن نبيه عليه الصلاة والسلام: ﴿وَاجْعَل لِّي وَزِيرًا مِّنْ أَهْلِي ﴿٢٩﴾ هَارُونَ أَخِي ﴿٣٠﴾ اشْدُدْ بِهِ أَزْرِي ﴿٣١﴾ وَأَشْرِكْهُ فِي أَمْرِي﴾(١). فإذا جاز ذلك فى النبوة كان فى الإمامة أجوز، لأن ما وكل إلى الإمام من تدبير الأمة لا يقدر على مباشرة جميعه إلا بالاستنابة، ونيابة الوزير المشارك له فى التدبير أصح فى تنفيذ الأمور من تفرده بها ليستظهر بها على نفسه، وبها يكون أبعد من الزلل وأمنع من الخلل).

والأصل فى هذه المسئولية فى النظام النيابى، أن المسئول هو الوزارة ولا مسئولية على رئيس الدولة، وقد جرى على هذا الوضع الدستور المصرى والدستور الإنجليزى، فصرح كل منهما بمسئولية الوزارة، وإخلاء رئيس الدولة من كل مسئولية واعتباره لا يخطئ، واعتبار ذاته مصونة لا تمس.

على أنه لا مانع فى النظام النيابى من تحمل رئيس الدولة المسئولية واعتبار الوزارة تابعة له فى ذلك، كما يقرر ذلك دستور الولايات المتحدة، والغريب أن تشير كتب الفقه الإسلامى إلى هذا الوضع أيضًا، وتسمى هذه الوزارة (وزارة التنفيذ) فيقول الماوردى فى كتاب (الأحكام السلطانية) أيضًا: (وأما وزارة التنفيذ فحكمها أضعف، وشروطها أقل، لأن النظر مقصور فيها على رأى الإمام وتدبيره، وهذا الوزير وسط بينه وبين الرعايا والولاة، يؤدى عنه ما أمر، وينفذ ما ذكر ويُمضى ما حكم...) ولا شك أن هذا من سعة مادة الفقه الإسلامى ومرونته وصلاحيته لكل زمان ومكان.

غموض الدستور المصرى

هذه هى قواعد النظام الإسلامى والنيابى معًا فى (مسئولية الحاكم) فماذا

---

(١) سورة طه: ٢٩ - ٣٢.

فعلنا نحن في مصر؟. وقفنا في منتصف الطريق نصًا وتطبيقًا، وجاء دستورنا في هذا المعنى غامضًا مقتضبًا غير واضح ولا مفصل، مع أنها أهم نقطة في تحديد لون الحياة النيابية والإسلامية التي نحياها... وشرحًا لذلك سأسوق ما كتبه الأستاذان الدكتور إبراهيم مدكور عضو مجلس الشيوخ المصري، والأستاذ مريت غالي في مذكرتهما «نظام جديد» قالا تحت عنوان «الدستور وغموضه»:

«فأما العامل الأول فملخصه أن دستورنا على الرغم من دقته وضبط عباراته، قد وقع في نفس الغموض الذي وقعت فيه دساتير أسبق منه، وترك أهم نقطة في الحكم النيابي دون أن يحددها التحديد الكافي، ونعني بها سلطة الوزراء وصلتهم بالشعب ممثلة في نوابه من جهة، وإشرافهم على ما يؤدي إليه من خدمات من طريق المصالح والإدارات من جهة أخرى. كما أجمل إجمالاً مخلاً في بيان موقفهم من رئيس الدولة ومليك البلاد، واكتفى بأن يصوغ هنا في عبارات تصلح لكل ما يراد منها. وواضح أن الوزارة هي العمود الفقري لهيكل النظام النيابي كله، وحلقة الاتصال بين التشريع والتنفيذ، ومبعث الحياة والحركة في نظام يراد به احترام سلطة الشعب مع تصريف شئون الدولة تصريفًا محكمًا سريعًا. وإذا ما رجعنا إلى الدستور وجدنا أن ما جاء به متصلاً بهذه النقطة الحساسة لا يكاد يتجاوز ثلاثة أسطر كلها غموض وعموم، فيقرر في المادة ٢٩: «أن السلطة التنفيذية يتولاها الملك في حدود هذا الدستور» وفي المادة ٤٨: «الملك يتولى سلطته بواسطة وزرائه» وفي المادة ٤٩: «الملك يعين وزراءه ويقيلهم» وفي المادة ٥٧: «مجلس وزرائه هو المهيمن على مصالح الدولة» وفي المادة ٦١: «الوزراء مسئولون متضامنون لدى مجلس النواب عن السياسة العامة للدولة، وكل منهم مسئول عن أعمال وزارته» وفي المادة ٦٣: «أوامر الملك -شفهية أو كتابية- لا تخلي الوزراء من المسئولية على أية حال».

تلك تقريبًا جملة النصوص المتصلة بهذا الموضوع، ولا نظن أن فيها ما يكفي مطلقًا لحل أي مشكل من المشاكل التي أشرنا إليها.

وقد أفاضا بعد ذلك في الشرح والتمثيل بما يفصل ما تقدم من هذه المعاني... والمهم أن هذه النقطة وهي لب الأمر تحتاج إلى إيضاح واستقرار، وهي القاعدة الأولى من قواعد «النظام الإسلامي» أو النيابي على السواء، وبغير ذلك لا يمكن أن تستقيم الأمور أو تسلم.

٣- نظام الحكم

﴿فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلا تَتَّبِعْ أَهْوَاءَهُمْ عَمَّا جَاءَكَ مِنَ الْحَقِّ﴾(١)، ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً﴾(٢).

وحدة الأمة

وأما عن وحدة الأمة فقد أبَنْت أن الإسلام الحنيف يفترضها افتراضًا، ويعتبرها جزءًا أساسيًا فى حياة المجتمع الإسلامى لا يتساهل فيه بحال، إذ إنه يعتبر الوحدة قرين الإيمان: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾(٣)، كما يعتبر الخلاف والفرقة قرين الكفر، كما قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن تُطِيعُوا فَرِيقًا مِّنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ يَرُدُّوكُم بَعْدَ إِيمَانِكُمْ كَافِرِينَ﴾(٤)، أى بعد وحدتكم متفرقين. وكما قال رسول الله -ﷺ-: «**لا ترجعوا بعدى كفارًا يضرب بعضكم وجوه بعض**» فعبر بكلمة الكفر عن الفرقة والخلاف وأن يضرب بعضهم وجوه بعض.

وأعتقد أن الحكم النيابى -برلمانيًا وغير برلمانى- لا يأبى هذه الوحدة، وبخاصة إذا كان لون الحياة الاجتماعية واحدًا فى أصوله واتجاهاته العامة، كما هو شأن الأمم الإسلامية جميعًا فى هذه الأيام. وإنما لازمت الحزبية والفرقة والخلاف هذا النظام النيابى فى أوروبا وغيرها، لأنها نشأت على أنقاضها، وكانت الخلافات المتكررة الدامية بين الشعوب وحكامها هى السبب فى نشأته فعلاً، مع تباين المشارب واختلاف الآراء... أما الأمم الإسلامية، فقد حماها الله من ذلك كله، وعصمها بوحدة الإسلام وسماحته من هذا التبلبل والاضطراب.

ومع هذا فإن الحكم النيابى فى أعرق مواطنه لم يقم على هذه الحزبية المسرفة. فليس فى إنجلترا إلا حزبان هما اللذان يتداولان فيها الأمر، وتكاد تكون حزبيتهما داخلية بحتة، وتجمعهما دائمًا المسائل القومية المهمة، فلا تجد لهذه الحزبية أثرًا البتة. كما أن أمريكا ليس فيها إلا حزبان كذلك لا نسمع عنهما شيئًا إلا فى

(١) سورة المائدة : ٤٨.
(٢) سورة المائدة : ٤٨.
(٣) سورة الحجرات: ١٠.
(٤) سورة آل عمران : ١٠٠.

مواسم الانتخابات. أما فيما عدا هذا، فلا حزبية ولا أحزاب. والبلاد التى تطورت فى الحزبية وأسرفت فى تكوين الأحزاب ذاقت وبال أمرها فى الحرب وفى السلم على السواء، وفرنسا أوضح مثال لذلك.

وإذا كان الأمر كذلك، وكانت وحدة الأمة أساسًا فى النظام الاجتماعى الإسلامى ولا يأباه النظام النيابى، فإن من الواجب أن نتحول سريعًا إلى الوحدة بعد أن أهلكت الحزبية فى مصر الحرث والنسل.

الأحزاب المصرية

لقد انعقد الإجماع على أن الأحزاب المصرية هى سيئة هذا الوطن الكبرى، وهى أساس الفساد الاجتماعى الذى نصطلى بناره الآن، وأنها ليست أحزابًا حقيقية بالمعنى الذى تعرف به الأحزاب فى أى بلد من بلاد الدنيا. فهى ليست أكثر من سلسلة انشقاقات أحدثتها خلافات شخصية بين نفر من أبناء هذه الأمة، اقتضت الظروف فى يوم ما أن يتحدثوا باسمها وأن يطالبوا بحقوقها القومية. كما انعقد الإجماع على أن هذه الأحزاب لا برامج لها ولا مناهج، ولا خلاف بينها فى شىء أبدًا إلا فى الشخصيات؛ وآية ذلك واضحة فيما تعلن من بيانات خارج الحكم وفيما تطلع به من خطب العرش داخل الحكم. وبما أن الأحزاب هى التى تقدم الشيوخ والنواب، وهى التى تُسيِّر دفة الحكم فى الحياة النيابية، فإن من البديهى ألا يستقيم أمر الحكم وهذه حال من يسيرُّون دفته.

وهذا الكلام الذى انعقد إجماع الأمة عليه، أعلنه شيوخ ونواب وفقهاء ودستوريون فى صراحة ووضوح. ومن قرأ ما كتبه علوبة باشا فى كتابه «مبادئ وطنية»، أو الأستاذ حسن الجداوى فى كتاب «عيوب الحكم فى مصر» أو غيرهما من الكتَّاب، رأى صدق ما نقول. وحسبنا أن ننقل هنا فقرة من كتاب الفقيه الدستورى الأستاذ سيد صبرى «مبادئ القانون الدستورى» عن الأحزاب المصرية قال: «والواقع أنه لم يعد لأغلب الأحزاب السياسية فى مصر برنامج يدافع عنه أنصاره، بل أصبح كل حزب عبارة عن وزير سابق له أنصار ومريدون، ولهذه النتيجة أهميتها، فإن الانتخاب لن يقوم على المفاضلة بين البرامج، فقد أصبحت واحدة للجميع، بل سيقوم على الثقة بالأشخاص أو المفاضلة بينهم، وستكون

الانتخابات شخصية لا حزبية بالمعنى المفهوم لدى الشعوب الغربية، وبديهى أن بقاء الأحزاب على هذا المنوال يقسم البلاد شيعًا وأحزابًا ويثير الشقاق والمنازعات بين الأفراد والأسرات بلا سبب مفهوم ولا أساس معقول».

وإذا أضيف إلى هذا أن مصر ما زالت بلدًا محتلاً إلى الآن، وأن الذى يستفيد من هذه الفرقة هم المحتلون الغاصبون فقط، وأنه إذا استسيغ الخلاف -وهو غير مستساغ بحال- فى أمة من الأمم، فإن أمة وادى النيل هى أحوج ما تكون إلى أكمل معانى الوحدة لتتجمع قواها فى نضال الاستقلال وفى عمل الإصلاح الداخلى؛ إذا أضيف هذا كله كان الأمر أخطر من أن يهمل أو يستهان به.

حل الأحزاب المصرية

وإذا كان الأمر كذلك، فلا ندرى ما الذى يفرض على هذا الشعب الطيب المجاهد المناضل الكريم هذه الشيع والطوائف من الناس التى تسمى نفسها الأحزاب السياسية؟ إن الأمر جد خطير، ولقد حاول المصلحون أن يصلوا إلى وحدة ولو مؤقتة لمواجهة هذه الظروف العصيبة التى تجتازها البلاد، فيئسوا وأخفقوا. ولم يعد الأمر يحتمل أنصاف الحلول، ولا مناص بعد الآن من أن تحل هذه الأحزاب جميعًا، وتجمع قوى الأمة فى حزب واحد يعمل لاستكمال استقلالها وحريتها، ويضع أصول الإصلاح الداخلى العام، ثم ترسم الحوادث بعد ذلك للناس طرائق فى التنظيم فى ظل الوحدة التى يفرضها الإسلام.

٤- نظام الحكم

﴿إِنَّمَا كَانَ قَوْلَ الْمُؤْمِنِينَ إِذَا دُعُوا إِلَى اللَّهِ وَرَسُولِهِ لِيَحْكُمَ بَيْنَهُمْ أَن يَقُولُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا﴾(١).

احترام رأى الأمة - نظام الانتخاب

وأما عن احترام رأى الأمة، ووجوب تمثيلها واشتراكها فى الحكم اشتراكًا صحيحًا، فإن الإسلام لم يشترط استبانة رأى أفرادها جميعًا فى كل نازلة، وهو المعبر عنه فى الاصطلاح الحديث بالاستفتاء العام. ولكنه اكتفى فى الأحوال العادية «بأهل الحل والعقد» ولم يعينهم بأسمائهم، ولا بأشخاصهم، والظاهر من أقوال الفقهاء ووصفهم إياهم أن هذا الوصف ينطبق على ثلاث فئات هم:

١- الفقهاء المجتهدون الذين يعتمد على أقوالهم فى الفتيا واستنباط الأحكام.

٢- وأهل الخبرة فى الشئون العامة.

٣- ومن لهم نوع قيادة أو رئاسة فى الناس كزعماء البيوت والأسر وشيوخ القبائل ورؤساء المجموعات.

فهؤلاء جميعًا يصح أن تشملهم عبارة «أهل الحل والعقد».

ولقد رتب النظام النيابى الحديث طريق الوصول إلى أهل الحل والعقد بما وضع الفقهاء الدستوريون من نظم الانتخاب وطرائقه المختلفة. والإسلام لا يأبى هذا التنظيم ما دام يؤدى إلى اختيار أهل الحل والعقد، وذلك ميسور إذا لوحظ فى أى نظام من نظم الانتخاب تحديد صفات أهل الحل والعقد، وعدم السماح لغيرهم بالتقدم للنيابة عن الأمة.

عيوب نظم الانتخاب فى مصر

ونحن فى مصر قد أخذنا بنظام الانتخاب المباشر تارة فى قانون سنة ١٩٢٣، وبنظام الانتخاب على درجتين فى قانون سنة ١٩٣٠، وكلاهما فى الواقع لم

(١) سورة النور : ٥١.

يحقق الغرض المقصود منه، وظهرت له حين التطبيق عيوب يجب أن نعمل على إصلاحها بتعديل شامل، وليس الخطأ عيبًا في ذاته، ولكن الرضا به والاستمرار عليه والدفاع عنه هو الخطأ كل الخطأ. ولقد شعر الجميع بقصور قانون الانتخاب الحالي عن الوفاء بالغرض الذى وضع من أجله وهو الوصول إلى اختيار الصالحين للنيابة عن الأمة، ووجهت إليه انتقادات مرة كشفت عن كثير من العيوب وأهمها ما ذكره الدكتور سيد صبري في كتابه «مبادئ القانون الدستوري»: «أنه أوجد هيئة ناخبة لا يمكنها تحقيق الغرض من الانتخابات على الوجه المطلوب، وأنه لم يحقق فكرة تمثيل الأمة تمثيلاً صحيحًا، وأنه لم يصل إلى إيجاد هيئة تعمل للصالح العام مجردة من كل قيد. . .» وقد أورد بعد ذلك إحصائية دقيقة خلص منها بالأرقام إلى أن قرارات البرلمان المصري في أدواره المختلفة لا تعبر عن رأى الأمة ولا عن رأى أكثريتها، ولا عن رأي أقلية محترمة من أبنائها وإنما تعبر عن رأي نسبة ضئيلة من مجموع من له حق الانتخاب، لم تصل يومًا إلى ١٢٪ وبيان ذلك:

إن مجلس نواب سنة ١٩٣٦ لا تمثل قراراته -مع أنها صحيحة ونافذة بحكم القانون- إلا ٧٥, ١٠٪ من هيئة الناخبين.

ومجلس سنة ١٩٢٩ نسبة التمثيل فيه ٢٥, ٩٪.

مجلس سنة ١٩٣٦ النسبة فيه ٢٥, ٩٪.

ومجلس سنة ١٩٣٨ النسبة فيه ٧٥, ١١٪.

ومجلس سنة ١٩٤٢ النسبة فيه ٧٥, ٩٪.

والمجلس الحالي ليس أفضل مما تقدمه.

فكيف يقال بعد هذا إن ذلك تعبير عن رأى الأمة وتمثيل لها تمثيلاً صحيحًا؟

تعديل وإصلاح

لابد من تعديل وإصلاح لقانون الانتخاب، ومن وجوه هذا الإصلاح الضرورية:

١- وضع صفات خاصة للمرشحين أنفسهم؛ فإذا كانوا ممثلين لهيئات فلابد

أن يكون لهذه الهيئات برامج واضحة وأغراض مفصلة يتقدم على أساسها هذا المرشح. وإذا لم يكونوا ممثلين لهيئات فلابد أن يكون لهم من الصفات والمناهج الإصلاحية ما يؤهلهم للتقدم للنيابة عن الأمة، وهذا المعنى مرتبط إلى حد كبير بإصلاح الأحزاب فى مصر، وما يجب أن يكون عليه أمر الهيئات السياسية فيها.

٢- وضع حدود للدعاية الانتخابية، وفرض عقوبات على من يخالف هذه الحدود، بحيث لا تتناول الأسر ولا البيوت ولا المعانى الشخصية البحتة التى لا دخل لها فى أهلية المرشح وإنما تدور حول المناهج والخطط الإصلاحية.

٣- إصلاح جداول الانتخاب، وتعميم نظام تحقيق الشخصية، فقد أصبح أمر جداول الانتخاب أمرًا عجبًا بعد أن لعبت بها الأهواء الحزبية والأغراض الحكومية طوال هذه الفترات المتعاقبة، وفرض التصويت إجباريًا.

٤- وضع عقوبة قاسية للتزوير من أى نوع كان، وللرشوة الانتخابية كذلك.

٥- وإذا عدل إلى الانتخاب بالقائمة، لا الانتخاب الفردى كان ذلك أولى وأفضل، حتى يتحرر النواب من ضغط ناخبيهم، وتحل المصالح العامة محل المصالح الشخصية فى تقدير النواب والاتصال بهم.

وعلى كل حال فأبواب الإصلاح والتعديل كثيرة، هذه نماذج منها، وإذا صدق العزم وضح السبيل، والخطأ كل الخطأ فى البقاء على هذا الحال والرضا به، والانصراف عن محاولة الإصلاح.

٥- نظام الحكم

﴿إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ لِتَحْكُمَ بَيْنَ النَّاسِ بِمَا أَرَاكَ اللَّهُ وَلا تَكُن لِّلْخَائِنِينَ خَصِيمًا﴾(١).

عرضت فى الكلمات السابقة لدعائم الحكم الصالح الثلاث فى النظام الإسلامى أو النيابى على السواء، وهي:

١- مسئولية الحاكم.

٢- ووحدة الأمة.

٣- واحترام إرادتها.

وأشرت فى إيجاز بالغ إلى نواحى الغموض فى التشريع، والقصور والفساد فى التطبيق، فى أسلوب الحكم الذى جرينا عليه منذ صدور الدستور المصرى إلى الآن. وقد كانت نتيجة هذا الغموض والقصور والفساد... ما نحن عليه الآن من حيرة وقلق وارتباك، وما وصلنا إليه من فرقة وتمزق وشتات.

ضعف الحكومات

لا يجادل أحد فى أن الحكومات المتعاقبة قد ضعفت عن أداء واجبها، وفقدت معظم هيبتها فى النفوس كحكومة، بسبب هذا التجريح بالحق وبالباطل الذى تمليه الروح الحزبية البحتة، وبسبب هذا العجز الناتج عن عدم تحديد المسئولية والاضطلاع بها كاملة غير منقوصة، ولولا أن النفوس فى مصر مطبوعة بطابع الطاعة والاستسلام، والأعمال تسير بطريق روتينى لا تجديد فيه ولا ابتكار... لتعطل كل شيء، ولعجز الدولاب الإدارى المضطرب عن أن ينهض بحاجات الشعب أو أن يؤدى للناس عملاً.

وهيبة القانون

ولا شك أن سلطان القانون قد تزعزع وفقد معظم احترامه كذلك، بسبب

---

(١) سورة النساء : ١٠٥.

هذه الاستثناءات والمحسوبيات والحيل المتكررة، والاعتداء أحيانًا بنسخ القانون لغرض شخصي... ولو أن هذا النسخ بقانون في ظاهر الأمر. ولكن الدوافع تكون معروفة دائمًا ولا تخفى على أحد، فيعمل ذلك عمله في النفوس وينال من هيبة القانون واحترام النظام.

حزبية عمياء

ولا شك أن نار الخصومة والحقد قد اضطربت في نفوس الحاكمين والمحكومين على السواء، بفعل هذه الحزبية الخاطئة، التي لم نفهمها نحن في مصر في يوم من الأيام على أنها خلاف في الرأي لا يفسد للود قضية، بل فهمناها عداوة وبغضاء تتعدى النظر في المصالح العامة إلى المقاطعة في كل الشئون عامة وخاصة، وإلى أن نرى الحق في جانب خصومنا الحزبيين باطلاً، والباطل في جانب أنصارنا الحزبيين حقًا، ونصدر من هذا الشعور في كل تصرفاتنا وصلاتنا، ويستفحل الداء ويستشري حتى في أحرج المواقف، فلا نستطيع أن نوحد صفوفنا في أي موقف قومي مهما يكن يتوقف عليه إصلاح أمرنا ومستقبل بلادنا.

وهذا الشعور البغيض، والفهم الخاطئ للحزبية الذي تحول إلى عداوة متأصلة، قد كان من نتائجه: أن انصرفت معظم الجهود الفكرية والعملية إلى أمرين استغرقا كل اهتمام رجالنا، وهما: الإيقاع بالخصوم الحزبيين واتقاء مكائدهم، فالحاكم يصرف جل همه في هاتين الناحيتين، والمعارضة لا تقل عن الحاكم اهتمامًا بهما، وفي سبيل ذلك تضيع الحقوق وتتعطل المصالح، ويرثى الأصدقاء ويشمت الأعداء، ويستفيد الخصم الجاثم على صدر البلاد.

هذه الحال قد أنتجت التحطم في المعنويات، والفساد والاضطراب في الماديات، وقد بلغ الأمر منتهاه ولم يعد في قوس الصبر منزع، ولابد من تغيير حازم حاسم سريع... فإما أن يفقه أولو الأمر هذه الحقيقة ويقدروها، فيبادروا في سرعة إلى إجراء التغيير الصالح برأيهم وعلى أيديهم، وفي ذلك السلامة والاستقرار، وما زال في الوقت متسع للإصلاح، وإما أن يظلوا في

هذا الانصراف فتسبقهم الحوادث، ويفلت من يدهم الزمام، ولا يدرى عاقبة ذلك إلا الله.

يا أولى الأمر فى هذا البلد. . . ويا دولة رئيس الحكومة. . . ويارجال الأزهر. . . ويا زعماء الأحزاب والهيئات والجماعات. . .

ويا ذوى الغيرة على هذا الوطن الأسيف:

تداركوا الأمر قبل الفوات. . . وأمامكم سفينة النجاة من نظام الإسلام. . . ولله عاقبة الأمور.

ألا هل بلغت. . . اللهم فاشهد.

مشكلاتنا الداخلية
فى ضوء النظام الإسلامى

النظام الاقتصادى

بسم الله الرحمن الرحيم

كتبت تحت عنوان «مشكلاتنا الداخلية فى ضوء النظام الإسلامى» عدة كلمات سالفة بينت فيها أن نظام الحكم الإسلامى يقوم على قواعد ثلاث:

(أ) مسئولية الحاكم.

(ب) احترام إرادة الأمة.

(جـ) والمحافظة على وحدتها.

وإن من حسن الحظ أن هذه هى أيضًا دعائم النظام النيابى الحديث الذى اخترناه لأنفسنا. كما بينت أننا لم نطبق هذا النظام ولا ذاك تطبيقًا صحيحًا، وبذلك اضطربت كل الأمور تبعًا لذلك، فإن هذا الأمر أصل وكل ما عداه تبع له: **«ألا وإن فى الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله؛ ألا وهى القلب»** الحكومة ولا شك قلب الإصلاح الاجتماعى كله، فإذا فسدت أوضاعها فسد الأمر كله وإذا صلحت صلح الأمر كله... وقد أهبت بالقائمين أن يبادروا بالإصلاح، وأن يعودوا إلى الإسلام الحنيف جماع الخير ليهتدوا بهديه ويسيروا على ضوئه وبغير ذلك لا يمكن أن نظفر بالإصلاح الحقيقى المنشود.

وهنا أتناول «وضعنا الاقتصادى» بمثل هذا البيان، رجاء أن تجد هذه الكلمات المخلصة آذانًا مصغية، وقلوبًا واعية، تستشعر الخطر وتعمل على تلافيه، من قبل أن يستشرى الداء، ويعز الدواء، ويتسع الخرق على الراقع... ولا يحرك النفوس ويثير الخواطر، ويؤلم المشاعر شىء كالضائقة المالية، تأخذ بخناق الجماهير فتحول بينهم وبين الحصول على ضروريات الحياة فضلاً عن كمالياتها... ولا أزمة أعنف من أزمة الرغيف، ولا عضة أقوى من عضة الجوع والمسغبة... ولا حاجة أشد من حاجة القوت، وطالب القوت ما تعدى. دخلت الجارية على محمد بن الحسن

الشيباني صاحب أبي حنيفة، فقالت: يا سيدى فنى الدقيق. فقال: قاتلك الله! أذهَبْتِ من رأسى أربعين مسألة.

وهناك حقائق لا يستطيع أحد أن ينكرها، أو يتجاهلها منها:

غنى طبيعى

إن هذا البلد ليس فقيراً، بل لعله أغنى بلاد الله تبارك وتعالى بخيراته الطبيعية، وثرواته المختلفة، من زراعية ومائية وحيوانية ومعدنية، ونيله العجيب، وواديه الخصيب، وما شئت من فضل الله تبارك وتعالى على مصر وأهل مصر منذ القدم: ﴿اهْبِطُوا مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ﴾(١).

استغلال أجنبى

ومنها أن الأجانب الذين احتلوا هذا الوطن بغفلة من أهله، وتساهل من حكامه، وظلم من غاصبيه، أسعد حالاً من أهله وبنيه، وأنهم قد وضعوا أيديهم على أفضل منابع الثروات فيه، شركات أو أفرادًا، فالصناعة والتجارة، والمنافع العامة، والمرافق الرئيسية، كلها بيد هؤلاء الأجانب حقيقة، أو الأجانب الذين اتخذوا من الجنسية المصرية شعاراً وما زالوا يحنون بعد إلى أوطانهم ويؤثرونها بأكبر أرباحهم... وإن كثيراً من هؤلاء الأجانب ما زال ينظر إلى المواطن المصرى، والعامل المصرى، والحاكم المصرى، نظرة لا تقدير فيها ولا إنصاف.

ثراء فاحش وفقر مُدقع

ومنها أن التفاوت عظيم، والبون شاسع، والفرق كبير، بين الطبقات المختلفة فى هذا الشعب، فثراء فاحش وفقر مدقع، والطبقة المتوسطة تكاد تكون معدومة، والذى نسميه نحن الطبقة المتوسطة ليس إلا من الفقراء المعوزين وإن كنا نسميهم متوسطين، على قاعدة: بعض الشر أهون من بعض. ورحم الله فقهاءنا الذين حبَّروا البحوث الطويلة فى الفرق بين الفقراء والمساكين وإن كان كلاهما من المحتاجين البائسين.

---

(١) سورة البقرة : ٦١.

تخبط اقتصادى

ومنها وهو الأهم، أننا فى وسط هذا المعترك الحاد الصاخب العنيف، بين المبادئ الاقتصادية، من رأسمالية أو اشتراكية أو شيوعية لم نحدد لونًا نصبغ به حياتنا الاقتصادية؛ فى وقت تحتم فيه التحديد، وتعقدت فيه الأمور، بحيث لم تعد تنفع فيها أنصاف الحلول، ولم يعد يجدى إلا الوضوح الكامل، وتحديد الأهداف تحديداً دقيقًا، والسير إليها فى قوة وعزيمة.

وهذه الأوضاع، وإن امتزجت بها المعانى السياسية، إلا أنها فى أغلب صورها ودوافعها ونتائجها تعاليم وأوضاع اقتصادية، ولهذا كان لابد لنا من أن نختار لونًا من هذه الألوان أو من غيرها إن استطعنا، لنعيش فى حدود وضع معلوم له خصائصه ومميزاته، يحدد أهدافنا الرئيسية، ويرسم لنا طريق العمل للوصول إلى هذه الأهداف.

إلى الإسلام

وأعتقد أنه لا خير لنا فى واحد من هذه النظم جميعًا، فلكل منها عيوبه الفاحشة، كما له حسناته البادية. وهى نظم نبتت فى غير أرضنا لأوضاع غير أوضاعنا، ومجتمعات فيها غير ما فى مجتمعنا. . . فضلاً عن أن بين أيدينا النظام الكامل الذى يؤدى إلى الإصلاح الشامل فى توجيهات الإسلام الحنيف، وما وضع للاقتصاد قواعد كلية أساسية لو علمناها وطبقناها تطبيقًا سليمًا، لانحلت مشكلاتنا، ولظفرنا بكل ما فى هذه النظم من حسنات، وتجنبنا كل ما فيها من سيئات، وعرفنا كيف يرتفع مستوى المعيشة وتستريح كل الطبقات، ووجدنا أقرب الطرق إلى الحياة الطيبة.

قواعد النظام الاقتصادى فى الإسلام

قدمت فى الكلمة السابقة أن مصر تتقاذفها الألوان الاقتصادية وتتضارب فيها النظم والآراء العصرية، من رأسمالية واشتراكية وشيوعية، وأن من الخير كل الخير أن تبرأ من هذه الألوان كلها، وأن تركز حياتها الاقتصادية على قواعد الإسلام وتوجيهاته العليا؛ وتستمد منه وتعتمد عليه، وبذلك تسلم من كل ما يصحب هذه الآراء من أخطاء، وما يلصق بها من عيوب، وتنحل مشاكلنا الاقتصادية من أقصر طريق.

ويتلخص نظام الإسلام الاقتصادى فى أهمها:

١- اعتبار المال الصالح قوام الحياة، ووجوب الحرص عليه، وحسن تدبيره وتثميره.
٢- إيجاب العمل والكسب على كل قادر.
٣- الكشف عن منابع الثروات الطبيعية، ووجوب الاستفادة من كل ما فى الوجود من قوى ومواد.
٤- تحريم موارد الكسب الخبيث.
٥- تقريب الشقة بين مختلف الطبقات، تقريبًا يقضى على الثراء الفاحش والفقر المدقع.
٦- الضمان الاجتماعى لكل مواطن، وتأمين حياته، والعمل على راحته وإسعاده.
٧- الحث على الإنفاق فى وجوه الخير، وافتراض التكافل بين المواطنين، ووجوب التعاون على البر والتقوى.
٨- تقرير حرمة المال، واحترام الملكية الخاصة ما لم تتعارض مع المصلحة العامة.
٩- تنظيم المعاملات المالية بتشريع عادل رحيم، والتدقيق فى شئون النقد.
١٠- تقرير مسئولية الدولة فى حماية هذا النظام.

والذى ينظر فى تعاليم الإسلام، يجد فيه هذه القواعد مبيَّنة فى القرآن الكريم والسنة المطهرة وكتب الفقه الإسلامى بأوسع بيان.

المال الصالح قوام الحياة

فقد امتدح الإسلام المال الصالح، وأوجب الحرص عليه وحسن تدبيره وتثميره، وأشاد بمنزلة الغنى الشاكر الذى يستخدم ماله فى نفع الناس ومرضاة الله.

وليس فى الإسلام هذا المعنى الذى يدفع الناس إلى الفقر والفاقة من فهم الزهد على غير معناه. وما ورد فى ذم الدنيا والمال والغنى والثروة إنما يراد به ما يدعو إلى الطغيان والفتنة والإسراف، ويستعان به على الإثم والمعصية والفجور وكفران نعمة الله، وفى الحديث: «**نعمَ المالُ الصالح للرجل الصالح**». وفى الآية الكريمة: ﴿**وَلا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا**﴾(١).

وفى ذلك الإشارة إلى أن الأموال قوام الأعمال، وقد نهى رسول الله -ﷺ- عن إضاعة المال فى غير وجهه؛ فقال: «**إن الله ينهاكم عن قيل وقال، وكثرة السؤال، وإضاعة المال**». كما أن من مات مدافعًا عن ماله فهو شهيد كما جاء فى الحديث: «**من مات دون عرضه فهو شهيد، ومن مات دون ماله فهو شهيد...**» الحديث.

العمل على كل قادر

وفى الإسلام الحث على العمل والكسب، واعتبار الكسب واجبًا على كل قادر عليه، والثناء كل الثناء على العمال المحترفين، وتحريم السؤال، وإعلان أن من أفضل العبادة العمل، وأن العمل من سنة الأنبياء، وأن أفضل الكسب ما كان من عمل اليد، والزراية على أهل البطالة، والذين هم عالة على المجتمع مهما كان سبب تبطلهم، ولو كان الانقطاع لعبادة الله، فإن الإسلام لا يعرف هذا الضرب من التبطل... والتوكل على الله إنما هو بالأخذ فى الأسباب وأيضًا بالنتائج، فمن فقد أحدهما فليس بمتوكل... والرزق المقدور مقرون بالسعي الدائب، والله تبارك وتعالى يقول: ﴿**وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**﴾(٢)، ويقول رسول الله -ﷺ-: «**ما أكل أحد طعامًا قط خيرًا من أن يأكل من عمل يده، وإن نبى الله داود عليه السلام كان يأكل من عمل يده**»، ويقول عمر: (لا يقعد أحدكم عن طلب الرزق وهو يقول اللهم ارزقنى، وقد علم أن السماء لا تمطر ذهبًا ولا فضة)، وفى الحديث: «**لا يزال الرجل يسأل الناس حتى يأتي يوم القيامة وليس فى وجهه مزعة لحم**».

---

(١) سورة النساء: ٥.

(٢) سورة التوبة: ١٠٥.

الكشف عن منابع الثروات

كما أن فيه لفت النظر إلى ما فى الوجود من منابع الثروة ومصادر الخير، والحث على العناية بها، ووجوب استغلالها، وأن كل ما فى هذا الكون العجيب مسخر للإنسان ليستفيد منه وينتفع به: ﴿أَلَمْ تَرَوْا أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾[1]، ﴿وَسَخَّرَ لَكُم مَّا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مِّنْهُ إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾[2]. ومن قرأ آيات القرآن الكريم، علم تفصيل ذلك بأوسع بيان وأوفاه.

تحريم الكسب الخبيث

ومن تعاليمه: تحريم موارد الكسب الخبيثة، وتحديد الخبث فى الكسب بأنه ما كان بغير مقابل من عمل: كالربا والقمار، واليانصيب ونحوها. أو كان بغير حق: كالنصب والسرقة والغش ونحوها. أو كان عوضًا لما يضر: كثمن الخمر والخنزير والمخدر ونحوها. فكل هذه موارد للكسب لا يبيحها الإسلام ولا يعترف بها.

التقريب بين الطبقات

وقد عمل الإسلام على التقريب بين الطبقات بتحريم الكنز ومظاهر الترف على الأغنياء، والحث على رفع مستوى المعيشة بين الفقراء، وتقرير حقهم فى مال الدولة ومال الأغنياء، ووصف الطريق العملى لذلك.

وأكثر من الحث على الإنفاق فى وجوه الخير والترغيب فى ذلك، وذم البخل والرياء والمن والأذى، وتقرير طريق التعاون والقرض الحسن ابتغاء مرضاة الله تبارك وتعالى ورجاء ما عنده: ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى وَلا تَعَاوَنُوا عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾[3].

---

(١) سورة لقمان: ٢٠.
(٢) سورة الجاثية: ١٣.
(٣) سورة المائدة: ٢.

حرمة المال واحترام الملكيات

وقرر حرمة المال، واحترام الملكية الخاصة ما دامت لا تتعارض مع المصلحة العامة: «كل المسلم على المسلم حرام: دمه وعرضه وماله»، و«لا ضَرَرَ ولا ضرار».

تنظيم المعاملات المالية

وشرع تنظيم المعاملات المالية فى حدود مصلحة الأفراد والمجتمع، واحترام العقود والالتزامات، والدقة فى شئون النقد والتعامل به، حتى أفردت له أبواب فى الفقه الإسلامى تحرم التلاعب فيه كالصرف[١] ونحوه، ولعل هنا موضعًا من مواضع الحكمة فى تحريم استخدام الذهب والفضة باعتبارهما الرصيد العالمى للنقد[٢].

الضمان الاجتماعى

وقرر الضمان الاجتماعى لكل مواطن، وتأمين راحته ومعيشته كائنًا من كان، ما دام مؤديًا لواجبه، أو عاجزًا عن هذا الأداء بسبب قهرى لا يستطيع أن يتغلب عليه. ولقد مر عمر على يهودى يتكفف الناس، فزجره واستفسر عما حمله على السؤال، فلما تحقق من عجزه رجع إلى نفسه باللائمة وقال له: «ما أنصفناك يا هذا، أخذنا منك الجزية قويًا وأهملناك ضعيفًا، افرضوا له من بيت المال ما يكفيه».

وهذا مع إشاعة روح الحب والتعاطف بين الناس جميعًا.

مسئولية الدولة

وأعلن مسئولية الدولة عن حماية هذا النظام، وعن حسن التصرف فى المال

(١) الصرف مبادلة تجرى بين النقدين وتخضع لشروط خاصة تعرف فى مراجعها من كتب الفقه.
(٢) يحرِّم الإسلام استخدام الذهب والفضة مطلقًا فى الأوانى والأدوات الخاصة، ويحرِّم الذهب كزينة للرجال وكذا الإسراف فيه للنساء، ولعل ذلك لأن حاجة الدولة إلى رصيد ضخم من هذه المعادن أولى بالاعتبار من الاستعمال الفردى.

العام، تأخذه بحقه وتصرفه بحقه، وتعدل فى جبايته. ولقد قال عمر ما معناه: إن هذا المال مال الله، وأنتم عباده، وليصلنَّ الراعى بأقصى الأرض قسمه من هذا المال وإنه ليرعى فى غنمه، ومن غَلَّ غُلَّ فى النار.

استغلال النفوذ... من أين لك هذا؟

كما حظر الإسلام استخدام السلطة والنفوذ، ولعن الراشى والمرتشى والرائش، وحرم الهدية على الحكام والأمراء، وكان عمر يقاسم عماله ما يزيد عن ثرواتهم، ويقول لأحدهم: (من أين لك هذا؟ إنكم تجمعون النار وتورثون العار)، وليس للوالى من مال الأمة إلا ما يكفيه. وقد قال أبو بكر لجماعة المسلمين حين ولى عليهم: (كنت أحترف لعيالى فأكسب قوتهم، وأنا الآن أحترف لكم، فافرضوا لى من بيت مالكم) ففرض له أبو عبيدة قوت رجل من المسلمين ليس بأعلاهم ولا بأوكسهم، وكسوة الشتاء وكسوة الصيف، وراحلة يركبها ويحج عليها، وقُوِّمت هذه الفريضة بألفىْ درهم... ولما قال أبو بكر لا يكفينى، زادها له خمسمائة وقضى الأمر.

تلك هى روح النظام الاقتصادى فى الإسلام، وخلاصة قواعده أوجزناها منتهى الإيجاز، ولكل واحدة منها تفصيل يستغرق مجلدات ضخامًا، ولو اهتدينا بهديها وسرنا على ضوئها لوجدنا فى ذلك الخير الكثير.

استقلال النقد

ذكرنا بعض الأصول التى يقوم عليها النظام الاقتصادى الإسلامى، والروح التى تمليها علينا تلك الأصول، التى تنتج مع التطبيق الصحيح وضعًا اقتصاديًا سليمًا ليس أفضل منه، فهى توجب استقلال نقدنا، واعتماده على رصيد ثابت من مواردنا ومن ذهبنا، لا على أذونات الخزانة البريطانية ودار الضرب البريطانية والبنك الأهلى البريطانى - وإن كان مقره مصر- وتأمل الآية الكريمة: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا﴾(١).

ومن أفظع التغرير بهذا الشعب، أن يسلم جهوده ومنتجاته نظير أوراق لا قيمة لها إلا بالضمان الإنجليزى، وإن مصر إذا حزمت أمرها، وأحكمت تصرفاتها، ستصل ولا شك إلى هذا الاستقلال... ولقد انفصلنا عن الكتلة الإسترلينية، وفكرنا فى تأميم البنك الأهلى، وطالبنا بالديون الكثيرة التى لنا على الإنجليز، وكل هذه ونحوها مشروعات تؤمن النقد المصرى... فماذا فعل الله بها، وماذا أعددنا من العدة لإنقاذها.

... ولعل من المفارقات أن أكتب هذه الكلمات فى الوقت الذى يذاع فيه أن المفاوضات بين مصر وإنجلترا حول الأرصدة الإسترلينية باءت أو قاربت أن تبوء بالفشل، لتعنت الإنجليز وتمسكهم بألا يدفعوا لمصر عن سنة ١٩٤٨ أكثر من ١٢ مليونًا، فى الوقت الذى تطلب فيه مصر طلبًا متواضعًا هو ١٨ مليونًا.

... ولقد أنتج ضعف الرقابة على النقد، والاستهانة بأمره استهانة بلغت حد الاستهتار، هذه المآسى التى نصطلى بنارها من التضخم الذى استتبع غلاء المعيشة، وصعوبة الاستيراد والتصدير.

ولم يحدث فى تاريخ الدول الراقية فيما نعلم أن بنكًا يستغل قرارًا من وزير، هذا الاستغلال الشائن، كما فعل ذلك البنك الأهلى بقرار وزارة المالية غير الموقع عليه من أحد فى يونيو سنة ١٩١٦، فيصدر بمقتضاه من الأوراق ما يشاء.

---

(١) سورة النساء: ٥.

تمصير الشركات

كما توجب هذه الأصول الاهتمام الكامل بتمصير الشركات، وإحلال رءوس الأموال الوطنية محل رءوس الأموال الأجنبية كلما أمكن ذلك، وتخليص المرافق العامة -وهى أهم شىء للأمة- من يد غير أبنائها، فلا يصح بحال أن تكون الأرض والبناء، والنقل والماء والنور والمواصلات الداخلية، والنقل الخارجى، حتى الملح والصودا. . . فى يد شركات أجنبية تبلغ رءوس أموالها وأرباحها الملايين من الجنيهات، لا يصيب الجمهور الوطنى ولا العامل الوطنى منها إلا البؤس والشقاء والحرمان.

استغلال منابع الثروة

واستغلال منابع الثروة الطبيعية استغلالاً سريعًا منتجًا، أمر يوجبه الإسلام، الذى لفت كتابه أنظارنا إلى آثار رحمة الله فى الوجود، وما أودع فى الكون من خيرات فى الأرض وفى السماء، وأفاض فى أحكام الرِّكاز، وحث على طلب الخير أينما كان. فى الماء عندنا ثروات، وفى الصحارى ثروات، وفى كل مكان ثروات، لا ينقصها إلا فكر يوجه، وعزيمة تدفع، ويد تعمل، وخذ بعد ذلك من الخير ما تشاء: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ ثَمَرَاتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا وَمِنَ الْجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾ وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾[1]، والعلماء هنا فيما أظن الذين يعلمون علم الكائنات وما فيها للناس من خير، وما يتجلى فى دقيق صنعها من واسع علم الله خالق الأرض والسموات.

والعناية بالمشروعات الوطنية الكبرى المهملة التى طال عليها الأمد، وقعد بها التراخى والكسل أو أحبطتها الخصومة الحزبية أو طمرتها المنافع الشخصية، أو قضت عليها الألاعيب السياسية والرشوة الحرام، كل هذه يجب أن تتوجه إليها الهمم من جديد: «**إن الله يحب من أحدكم إذا عمل عملاً أن يتقنه**».

كم كنا نربح لو أن مشروع خزان أسوان تحقق فعلاً منذ سنة ١٩٣٧، وكم كنا نحتاج ونعرى لو لم يلهم الله طَلْعَت حرب -عليه الرضوان- أن يتقدم بمشروعات (المحلة) هناك مشروعات كثيرة درست وبحثت، ثم وضعت على الرف وطال عليها الأمد قبل الحرب، ولا موجب لهذا الإهمال، والضرورة قاسية والحاجة مُلحَّة، والأمر لا يحتمل التأخير.

انفضوا الغبار عن ملفات هذه المشروعات واستذكروها من جديد ونفذوا: ﴿فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ﴾[2].

---

(١) سورة فاطر: ٢٧، ٢٨.

(٢) سورة التوبة: ١٠٥.

الصناعة

والتحول إلى الصناعة فوراً من روح الإسلام الذى يقول نبيه -ﷺ-: «إن الله يحبُّ المؤمنَ المحترف» «من أمسى كالاً من عمل يده أمسى مغفوراً له». والذى أثنى كتابه على داود وسليمان بهذا التقدم الصناعى، وذكر لنا من دقائق الرقىِّ فيه ما أعجز البشر، واستغل قوى الجن والشياطين.

حرام على الأمة التى تقرأ فى كتابها من الثناء على داود عليه السلام: ﴿وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ ﴿١٠﴾ أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾(١). وتقرأ: ﴿وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنْ بَأْسِكُمْ فَهَلْ أَنتُمْ شَاكِرُونَ﴾(٢). ثم لا يكون فيها مصنع للسلاح؟ ثم تقرأ فى كتابها: ﴿وَلِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ غُدُوُّهَا شَهْرٌ وَرَوَاحُهَا شَهْرٌ وَأَسَلْنَا لَهُ عَيْنَ الْقِطْرِ وَمِنَ الْجِنِّ مَن يَعْمَلُ بَيْنَ يَدَيْهِ بِإِذْنِ رَبِّهِ وَمَن يَزِغْ مِنْهُمْ عَنْ أَمْرِنَا نُذِقْهُ مِنْ عَذَابِ السَّعِيرِ ﴿١٢﴾ يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِن مَّحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَّاسِيَاتٍ اعْمَلُوا آلَ دَاوُدَ شُكْرًا﴾(٣). ثم لا يكون فيها مسبك عظيم، ولا مصنع كامل للأدوات المعدنية.

ثم تقرأ: ﴿وَأَنزَلْنَا الْحَدِيدَ فِيهِ بَأْسٌ شَدِيدٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ﴾(٤). ثم تهمل ما عندها من هذا المعدن هذا الإهمال، وهو من أجود الأنواع ويكفى العالم مائتى عام كما قدر الخبراء...

حرام هذا كله!!

---

(١) سورة سبا: ١٠، ١١

(٢) سورة الأنبياء: ٨٠.

(٣) سورة سبأ: ١٢، ١٣.

(٤) سورة الحديد: ٢٥.

نظام الملكيات فى مصر

عرضت فى الكلمة السابقة لبعض صور التطبيق التى تمليها علينا قواعد النظام الإسلامى الاقتصادى، وأعرض فى هذه الكلمة لبعض الصور التى تمليها هذه القواعد أيضًا فى صميم الإصلاح الاقتصادى القومى.

توجب علينا روح الإسلام الحنيف، وقواعده الأساسية فى الاقتصاد القومى، أن نعيد النظر فى نظام الملكيات فى مصر، فنختصر الملكيات الكبيرة، ونعوِّض أصحابها عن حقهم بما هو أجدى عليهم وعلى المجتمع، ونشجع الملكيات الصغيرة، حتى يشعر الفقراء المعدمون بأنه قد أصبح لهم فى هذا الوطن ما يعنيهم أمره، ويهمهم شأنه... وأن نوزع أملاك الحكومة حالاً على هؤلاء الصغار كذلك حتى يكبروا.

تنظيم الضرائب

وتوجب علينا روح الإسلام فى تشريعه الاقتصادى، أن نبادر بتنظيم الضرائب الاجتماعية، وأولّها الزكاة. وليس فى الدنيا تشريع فرض الضريبة على رأس المال لا على الربح وحده كالإسلام؛ وذلك لحكم جليلة منها: محاربة الكنز وحبس الأموال عن التداول، وما جعلت الأموال إلا وسيلة لهذا التداول الذى يستفيد من ورائه كل الذين يقع فى أيديهم هذا المال المتداول.

وإنما جعل الإسلام مصارف الزكاة اجتماعية بحتة، لتكون سببًا فى جبر النقص والقصور الذى لا تستطيع المشاعر الإنسانية والعواطف الطيبة أن تجبره، فيطهر بذلك المجتمع ويزكو، وتصفو النفوس وتسمو: ﴿خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِم بِهَا﴾(١).

فلابد من العناية بفرض ضرائب اجتماعية على النظام التصاعدى -بحسب المال لا بحسب الربح- يعفى منها الفقراء طبعًا، وتجبى من الأغنياء الموسرين وتنفق فى رفع مستوى المعيشة بكل الوسائل المستطاعة... ومن لطائف عمر -رضي الله عنه-، أنه كان يفرض الضرائب الثقيلة على العنب لأنه فاكهة الأغنياء، والضريبة التى لا

(١) سورة التوبة : ١٠٣.

تذكر على التمر لأنه طعام الفقراء. فكان أول من لاحظ هذا المعنى الاجتماعى فى الحكام والأمراء -رضي الله عنه-.

محاربة الربا

ويوجب علينا روح الإسلام أن نحارب الربا حالاً. ونحرمه ونقضى على كل تعامل على أساسه: **«ألا وإنَّ الربا موضوع، وأول ربا أبدأ به ربا عمى العباس ابن عبدالمطلب»** وصدق رسول الله.

ولقد كان المصلحون يتجنبون أن يقولوا فى الماضى هذا الكلام حتى لا يقال لهم إن ذلك مستحيل وعليه دولاب الاقتصاد العالمى كله. أما اليوم... فقد أصبحت هذه الحجة واهية ساقطة لا قيمة لها بعد أن حرمت روسيا الربا وجعلته أفظع المنكرات فى دارها، وحرام أن تسبقنا روسيا الشيوعية إلى هذه المنقبة الإسلامية، فالربا حرام... حرام... حرام وأولى الناس بتحريمه أمم الإسلام ودول الإسلام.

تشجيع الصناعات المنزلية

وتوجب علينا روح الإسلام تشجيع الصناعات اليدوية المنزلية، وهذا هو باب الإسعاف السريع لهذه العائلات المنكوبة، وباب التحول إلى الروح الصناعى والوضع الصناعى... وأول ما تفعله هذه الأيدى العاطلة، الغزل والنسيج بالأنوال الصغيرة، وصناعة الصابون، وصناعة العطور والمربيات، وأنواع كثيرة وصنوف كبيرة تستطيع النساء والبنات والأولاد أن يشغلوا الوقت فيها، فتعود بالربح الوفير، وتمنعهم بؤس الحاجة وذل السؤال.

وقد رأينا هذا بأعيننا منذ زمن فى فوه غربية، وبنى عدى منفلوط، وغيرها من بلدان القطر المصرى، ورأينا فى هذه البلاد الثروة والغنى ويسر الحال. ولقد كانت وزارة الشئون قد فكرت فى هذا المشروع الحيوى، واستحضرت أصنافًا من المغازل، ولا ندرى ماذا فعل الله بها... ويوم الحكومة بسنة كما يقولون، ولكن الأمر لم يعد يحتمل الانتظار.

تقليل الكماليات والاكتفاء بالضروريات

وإرشاد الشعب إلى التقليل من الكماليات والاكتفاء بالضروريات، وأن يكون الكبار فى ذلك قدوة للصغار، فتبطل هذه الحفلات الماجنة، ويحرم هذا الترف والإسراف الفاسد، وظهور الجسد بخشونته وعبوسته ووقاره وهيبته على الدور والقصور، والوجوه والمنتديات... أمر يحتمه الإسلام الحنيف، وكل ذلك يحتاج إلى إعداد.

هذه كلها واجبات لابد أن ننهض بأعبائها حالاً... فإلى العمل.

وبعد...

فها نحن قد رأينا مما تقدم كيف أننا لم نسر على نظام اقتصادى معروف لا نظريًا ولا عمليًا، وأن هذا الغموض والارتجال قد أديًا بنا إلى ضائقة أخذت بمخانق الناس جميعًا.

وليس الشأن أن نرتجل الحلول، ونواجه الظروف، بالمخدرات والمسكنات التى يكون لها من رد الفعل ما ينذر بأخطر العواقب... ولكن المهم فى أن ننظر إلى الأمور نظرة شاملة محيطة، وأن نردها إلى أصل ثابت تستند إليه، وترتكز عليه. وليس ذلك الأمر إلا «النظام الإسلامى» الشامل الدقيق، وفيه خير السداد.

لقد أتاح الله لنا من أسباب اليسر الاقتصادى، والنجاح المادى ما لم يتحه لغيرنا من الأمم والشعوب، فهذه الرابطة الوثيقة من اللغة والعقيدة والمصلحة والتاريخ بيننا وبين أمم العروبة والإسلام، وهى بحمد الله أغنى بلاد الله فى أرضه، أخصبها تربة، وأعدلها جوًا، وأكثرها خيرات، وأثراها بالمواد الأولية وبالخامات من كل شيء.

هذه الرابطة تمهد لنا -لو أحسنا الانتفاع بها- سبيل الاكتفاء الذاتى والاستقلال الاقتصادى، وتنقذنا من هذا التحكم الغربى فى التصدير والاستيراد وما إليهما...

ولا يكلفنا الأمر أكثر من أن نعزم ونقدم، ونقوى الصلة، ونحكم الرابطة،

ونوالى البعثات والدراسات، ونحاول بكل سبيل إنشاء أسطول تجارى، ونشيع روح الوحدة والتعاون بيننا وبين أمم العروبة وشعوب الإسلام.

لقد صبر الشعب المصرى صبراً طويلاً على هذه الحياة الجافية القاسية، وهذا الحرمان العجيب الذى لا يصبر عليه آدمى إلا بمعجزة من معجزات الإيمان. ومن نظر إلى العامل المصرى والفلاح المصرى ومن إليهما من عامة الشعب المصرى، أخذه العجب مما يشاهد من فاقة وصبر..

لقد أخجلنى أحد الإخوان الهنود وقد قدم من إنجلترا حديثًا، حين عاد من جولة قصيرة فى القاهرة، يقول لى: لقد كنا نظن أن ما تنشره الصحف فى إنجلترا من سوء حالة الشعب المصرى، وانخفاض مستوى معيشته، مجرد دعاية يراد بها الحط من كرامته، ولكنى قضيت هذه الفترة القصيرة فى القاهرة وزرت بعض أحياء عامتها فأسفت لما رأيت. فخجلت لقوله هذا، ولكننى رددت عن نفسى وعن الشعب بقولى له: سل هذه الجرائد التى تنشر، أليس هذا البؤس من مظالم الاحتلال؟.

وتألمت مرة ثانية حين وجه إلىّ مدير شركة أجنبى قوله: أأنت راض عن حال هؤلاء العمال المساكين؟! ولكنى رددت عليه أيضًا: أو لست تعلم أن السبب فى هذه المسكنة استئثار هذه الشركات وبخلها على هؤلاء العمال بما يوازى ضروريات الحياة؟!

إن الأمر جدٌّ لا هزل فيه، وقد بلغ غايته، ووصل إلى مداه، ولابد من علاج حاسم وسريع، ولن نجده كما قلت إلا فى طب الإسلام الحنيف وعلاجه.

فيا دولة رئيس الحكومة، ويا رؤساء الهيئات والجماعات، ويا من يعنيهم أمر الطمأنينة والسلام فى هذا الوطن.

تداركوا الأمر بحزم... وعودوا إلى نظام الإسلام...

ألا قد بلغت... اللهم فاشهد...

حسن البنا

رسالة الجهاد

﴿وَجَاهِدُوا فِى اللهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيـدنا محمد سيد المجاهدين وإمام المتقين وقائد الغر المحجلين، وعلى آله وصحبه ومن جاهد فى سبيل شريعته إلى يوم الدين.

الجهـاد فريضة على كل مسلم

فرض الله الجهاد على كل مسلم فريضة لازمة حازمة لا مناص منها ولا مفر معها، ورغّب فيه أعظم الترغيب، وأجزل ثواب المجاهدين والشهداء، فلم يلحقهم فى مثوبتـهم إلا من عمل بمثل عملهم ومن اقتدى بهم فى جـهادهم. ومنحهم من الامتيازات الروحية والعملية فى الدنيا والآخرة ما لم يمنح سواهم، وجعل دماءهم الطاهرة الزكية عـربون النصر فى الدنيا وعنوان الفوز والفلاح فى العـقبى، وتوعد المخلفين القـاعدين بأفظع العقوبـات، ورماهم بأبشع النعوت والصفـات ووبخهم على الجبن والقعود، ونعى عليهم الضعف والتخلف، وأعد لهم فى الدنيا خزيًا لا يرفع إلا إن جـاهدوا، وفى الآخرة عـذابًا لا يفلتون منه ولو كـان لهم مثـل أُحد ذهبًا، واعـتبـر القعود والفـرار كبـيرة من أعظم الكبـائر وإحدى السبـع الموبقات المهلكات.

ولست تجد نظامًا قديمًا أو حديثًا دينـيًا أو مدنيًا، عنى بشأن
واستنفار الأمة، وحـشدها كلها صفًا واحدًا للدفاع بكل
ذلك فى دين الإسـلام وتـعـاليمه، وآيات القرآن
-ﷺ- فياضة بكل هذه المعانى ال
الجهاد والقتال والجندية
وغيرها على كل

والحصر، وسوف لا نتناول شيئًا من الآيات والأحاديث بشرح أو تعليق طويل. فسترى في جزالة ألفاظها ونصاعة بيانها ووضوح معانيها وقوة الروحانية فيها ما يغنيك عن ذلك كله.

بعض آيات الجهاد في كتاب الله

فمن القرآن الكريم قوله تعالى:

١- ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ وَعَسَىٰ أَن تُحِبُّوا شَيْئًا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لا تَعْلَمُونَ﴾(١).

ومعنى كتب: فرض. كما قال تعالى: ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ﴾ في نفس السورة وبنفس العبارة والتركيب.

٢- ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَكُونُوا كَالَّذِينَ كَفَرُوا وَقَالُوا لِإِخْوَانِهِمْ إِذَا ضَرَبُوا فِي الأَرْضِ أَوْ كَانُوا غُزًّى لَّوْ كَانُوا عِندَنَا مَا مَاتُوا وَمَا قُتِلُوا لِيَجْعَلَ اللَّهُ ذَلِكَ حَسْرَةً فِي قُلُوبِهِمْ وَاللَّهُ يُحْيِي وَيُمِيتُ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١٥٦﴾ وَلَئِن قُتِلْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوْ مُتُّمْ لَمَغْفِرَةٌ مِّنَ اللَّهِ وَرَحْمَةٌ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿١٥٧﴾ وَلَئِن مُّتُّمْ أَوْ قُتِلْتُمْ لَإِلَى اللَّهِ تُحْشَرُونَ﴾(٢).

ومعنى ضربوا في الأرض: خرجوا فيها مجاهدين، وغزًّى: غزاة محاربين.

وانظر إلى مقارنة المغفرة والرحمة للقتل أو الموت في سبيل الله في الآية الأولى، وإلى خلوِّ الآية الثانية من ذلك لخلوها من معنى الجهاد، وفي الآية إشارة إلى أن الجبن من أخلاق الكافرين لا المؤمنين، فانظر كيف ... كت الآية.

... تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ... فَضْلِهِ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِالَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُوا بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلاَّ ... إلى تمامها في المصحف.

... الدُّنْيَا بِالآخِرَةِ وَمَن يُقَاتِلْ فِي

سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾(١). فارجع إليها فى المصحف الكريم لترى كيف يحض الله المسلمين على الحذر، وممارسة القتال فى جيوش أو عصابات أو فرادى كما يقتضيه الحال، وكيف يوبخ القاعدين والجبناء والمخلفين والنفعيين، وكيف يستثير الهمم لحماية الضعفاء وتخليص المظلومين، وكيف يقرن القتال بالصلاة والصوم ويبين أنه مثلهما من أركان الإسلام، وكيف يفند شبهات المترددين ويشجع الخائفين أكبر تشجيع على خوض المعامع ومقابلة الموت بصدر رحب وجنان جرىء، مبينًا لهم أن الموت سيدركهم لا محالة وأنهم إن ماتوا مجاهدين فسيعوضون عن الحياة أعظم العوض ولا يظلمون فتيلاً من نفقة أو تضحية.

٥- سورة الأنفال كلها حث على القتال وحض على الثبات فيه، وبيان لكثير من أحكامه. ولهذا اتخذها المسلمون الأولون رضوان الله عليهم نشيدًا حربيًا يتلونه إذا اشتد الكرب وحمى الوطيس، وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى: ﴿وَأَعِدُّوا لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ﴾ إلى قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفًا مِّنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لَّا يَفْقَهُونَ﴾(٢).

٦- سورة التوبة وكلها كذلك حثٌّ على القتال وبيانٌ لأحكامه، وحسبك منها قول الله تبارك وتعالى فى قتال المشركين الناكثين: ﴿قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمُ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ ﴿١٤﴾ وَيُذْهِبْ غَيْظَ قُلُوبِهِمْ وَيَتُوبُ اللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾(٣).

وقوله تبارك وتعالى فى قتال أهل الكتاب: ﴿قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّىٰ يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَن يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾(٤)، ثم إعلان النفير العام فى آيات داوية صارخة ختامها قوله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالًا وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ

---

(١) سورة النساء: ٧١-٧٨.
(٢) سورة الأنفال: ٦٠، ٦٥.
(٣) سورة التوبة: ١٤، ١٥.
(٤) سورة التوبة : ٢٩.

فِي سَبِيلِ اللَّهِ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾(١)، ثم تنديد صارخ بموقف القاعدين الجبناء الأنذال، وحرمان لهم من شرف الجهاد أبد الآبدين فى قوله تعالى: ﴿فَرِحَ الْمُخَلَّفُونَ بِمَقْعَدِهِمْ خِلافَ رَسُولِ اللَّهِ وَكَرِهُوا أَن يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَقَالُوا لا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ قُلْ نَارُ جَهَنَّمَ أَشَدُّ حَرًّا لَّوْ كَانُوا يَفْقَهُونَ ﴿٨١﴾ فَلْيَضْحَكُوا قَلِيلاً وَلْيَبْكُوا كَثِيرًا جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ ﴿٨٢﴾ فَإِن رَّجَعَكَ اللَّهُ إِلَىٰ طَائِفَةٍ مِّنْهُمْ فَاسْتَأْذَنُوكَ لِلْخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخْرُجُوا مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَاتِلُوا مَعِيَ عَدُوًّا إِنَّكُمْ رَضِيتُم بِالْقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَاقْعُدُوا مَعَ الْخَالِفِينَ﴾(٢).

ثم إشادة بموقف المجاهدين وعلى رأسهم سيدهم الكريم -ﷺ- وبيان أن هذه هى مهمته المطهرة وسنة أصحابه الغر الميامين فى قوله تعالى: ﴿لَكِنِ الرَّسُولُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ جَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ وَأُوْلَئِكَ لَهُمُ الْخَيْرَاتُ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴿٨٨﴾ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٣).

ثم بيعة بعد ذلك جامعة مانعة لا تدع عذراً لمعتذر فى قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيَقْتُلُونَ وَيُقْتَلُونَ وَعْدًا عَلَيْهِ حَقًّا فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنجِيلِ وَالْقُرْآنِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُم بِهِ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ﴾(٤).

٧- سورة القتال، وتصور كيف أن سورة بأكملها تسمى «سورة القتال» فى كتاب الله الحكيم، وأن أساس الروح العسكرية كما يقولون أمران: الطاعة والنظام. وقد جمع الله هذا الأساس فى آيتين من كتابه، فأما الطاعة ففى هذه السورة فى قوله تعالى: ﴿وَيَقُولُ الَّذِينَ آمَنُوا لَوْلا نُزِّلَتْ سُورَةٌ فَإِذَا أُنزِلَتْ سُورَةٌ مُّحْكَمَةٌ وَذُكِرَ فِيهَا الْقِتَالُ رَأَيْتَ الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ يَنظُرُونَ إِلَيْكَ نَظَرَ الْمَغْشِيِّ عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ فَإِذَا عَزَمَ الأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾(٥)، وأما

---

(١) سورة التوبة : ٤١.

(٢) سورة التوبة : ٨١-٨٣.

(٣) سورة التوبة : ٨٨، ٨٩.

(٤) سورة التوبة : ١١١.

(٥) سورة محمد : ٢٠، ٢١

النظام ففي سورة الصف في قوله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ﴾(١).

٨- سورة الفتح، وهي أيضًا كلها في غزوة من غزوات رسول الله -ﷺ-، وفي الإشادة بموقف رائع من مواقف الجهاد العزيز، تحت ظل الشجرة المباركة، حيث أعطيت بيعة الثبات والموت، فأثمرت السكينة والفتح فذلك قوله تعالى: ﴿لَقَدْ رَضِيَ اللَّهُ عَنِ الْمُؤْمِنِينَ إِذْ يُبَايِعُونَكَ تَحْتَ الشَّجَرَةِ فَعَلِمَ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَنزَلَ السَّكِينَةَ عَلَيْهِمْ وَأَثَابَهُمْ فَتْحًا قَرِيبًا ﴿١٨﴾ وَمَغَانِمَ كَثِيرَةً يَأْخُذُونَهَا وَكَانَ اللَّهُ عَزِيزًا حَكِيمًا﴾(٢).

هذه يا أخي بعض المواضع التي ورد فيها ذكر الجهاد، وبيان فضله وحث المؤمنين عليه وتبشير أهله بالثواب الجزيل والجزاء الجميل، وكتاب الله مملوء بمثلها فتصفحه وتدبر ما جاء فيه من هذا الباب، تر العجب العجيب، وتدهش لغفلة المسلمين عن اغتنام هذا الثواب.

وإليك بعض الأحاديث النبوية الشريفة في ذلك:

نماذج من الأحاديث النبوية في الجهاد

١- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال سمعت النبي -ﷺ- يقول: **«والذي نفسي بيده لولا أن رجالاً من المؤمنين لا تَطيب أنفسهم أن يتخلفوا عني ولا أجد ما أحملهم عليه ما تخلفت عن سرية تغزو في سبيل الله، والذي نفسي بيده لَوَددت أني أُقتل في سبيل الله ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل ثم أحيا ثم أقتل»** رواه البخاري ومسلم.

السرية: القطعة من الجيش لا يكون فيها القائد العام.

٢- عن أبي هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: **«والذي نفسي بيده لا يُكْلَمُ أحد في سبيل الله والله أعلم من يُكْلَم في سبيله إلاّ جاء يوم القيامة اللون لون الدم والريح ريح المسك»**.

الكلم: الجرح. ويكلم: يجرح.

---

(١) سورة الصف : ٤.

(٢) سورة الفتح : ١٨، ١٩.

٣- وعن أنس -رضي الله عنه- قال: غاب عمي أنس بن النضر عن قتال بدر فقال: يا رسول الله، غبت عن أول قتال قاتلت المشركين، لئن الله أشهدني قتال المشركين لَيَرَيَنَّ اللهُ ما أصنع. فلما كان يوم أحدُ وانكشف المسلمون، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء (يعني أصحابه) وأبرأُ إليك مما صنع هؤلاء (يعني المشركين) ثم تقدم فاستقبله سعد بن معاذ فقال: يا سعد بن معاذ، الجنةَ وربِّ النضر إني أجد ريحها من دون أحد، قال سعد: فما استطعت يا رسول الله ما صنع. قال أنس: فوجدنا به بضعًا وثمانين ضربة بالسيف أو طعنة بالرمح أو رمية بسهم، ووجدناه قد قتل وقد مثَّل به المشركون، فما عرَفه أحد إلا أخته ببنانه، قال أنس: كنا نرى أو نظن أن هذه الآية نزلت فيه وفي أشباهه: ﴿مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلًا﴾(١). رواه البخاري.

من دون أحد: أي من جهة جبل أحد.

٤- وعن أم حارثة بنت سراقة، أنها أتت النبي -ﷺ- فقالت: يا نبي الله ألا تحدثني عن حارثة -وكان قبل يوم بدر أصابه سهم غَرْبٌ- فإن كان في الجنة صبرت، وإن كان غير ذلك اجتهدت عليه في البكاء. قال: **«يا أم حارثة إنها جنان في الجنة، وإن ابنك أصاب الفردوس الأعلى»** أخرجه البخاري.

السهم الغَرب: الذي لا يُعرف راميه.

اجتهدت عليه في البكاء: بكيت بكاء شديداً.

فانظر يا أخي كيف كانت الجنة تنسيهم الهموم والمصائب وتحملهم على الصبر عند المكاره.

٥- وعن عبدالله بن أبي أوفى -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: **«اعلموا أن الجنةَ تحت ظلال السيوف»** أخرجه الشيخان(٢) وأبو داود.

٦- وعن زيد بن خالد الجهني -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: **«مَنْ جَهَّزَ غازيًا في سبيل الله تعالى فقد غزا، ومن خَلَفَ غازيًا في سبيل الله بخير فقد غزا»** رواه البخاري ومسلم وأبو داود والترمذي.

أي: له أجره.

---

(١) سورة الأحزاب: ٢٣.

(٢) البخاري ومسلم وهما أوثق كتابين في الحديث.

٧- وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من احتبس فرسًا فى سبيل الله إيمانًا بالله وتصديقًا بوعده، فإن شبعه وريَّه وروثه فى ميزانه يوم القيامة» رواه البخارى.

ومثل الفرس كل عدة فى سبيل الله.

٨- وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قيل: يا رسول الله ما يعدل الجهاد فى سبيل الله؟ قال: «لا تستطيعونه»، فأعادوا عليه مرتين أو ثلاثًا كل ذلك يقول: «لا تستطيعونه». ثم قال: «مثل المجاهد فى سبيل الله كمثَل الصائم القائم القانت بآيات الله لا يَفْتُرُ من صيام ولا صلاة حتى يرجع المجاهد» الستة(١) إلا أبو داود.

٩- وعن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ألا أُخْبركم بخير الناس وشر الناس؟ إن من خير الناس رجلاً عمل فى سبيل الله على ظهر فرسه أو ظهر بعيره أو على قدمه حتى يأتيه الموت، وإن من شر الناس رجلاً يقرأ كتاب الله تعالى لا يرعوى بشىء منه» رواه النسائى.

لا يرعوى: أى لا ينكف ولا يتعظ ولا ينزجر.

١٠- وعن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «عينان لا تمسُّهما النار: عين بكت من خشية الله وعين باتت تحرس فى سبيل الله تعالى» الترمذى.

١١- وعن أبى عميرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «لأن أُقتلَ فى سبيل الله أحب إلىَّ من أن يكون لى أهل المدَر والوبَر» أخرجه النسائى.

أهل المدر والوبر: أى أهل الحواضر والبوادى.

١٢- وعن راشد بن سعد -رضي الله عنه- عن رجل من الصحابة أن رجلاً قال: يا رسول الله ما بال المؤمنين يُفتنون فى قبورهم إلا الشهيد؟ فقال: «كفاه ببارقة السيوف على رأسه فتنة» أخرجه النسائى.

وهذه من امتيازات الشهيد فى الموقعة، وكم له من امتيازات كهذه ستأتى بعد...

---

(١) كتب الحديث الستة هى: البخارى ومسلم والنسائى وابن ماجه والترمذى وأبو داود.

١٣- وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: «**ما يجد الشهيد من مسِّ القتل إلا كما يجد أحدكم من مس القرصة**» الترمذى والنسائى والدارمى، وقال الترمذى حسن غريب.

وهذا امتياز آخر للشهيد.

١٤- وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**عجب ربنا تبارك وتعالى من رجل غزا فى سبيل الله فانهزم أصحابه، فعلم ما عليه فرجع حتى أريق دمه، فيقول الله للملائكة: انظروا إلى عبدى رجع رغبة فيما عندى وشفقًا مما عندى حتى أريق دمه، أُشهدكم أنى قد غفرت له**».

شفقًا: خوفًا، وأريق دمه: سال دمه.

١٥- وعن عبدالخير بن ثابت بن قيس بن شماس عن أبيه عن جده قال: جاءت امرأة إلى رسول الله -ﷺ- يقال لها أم خَلاَّد وهى متنقبة تسأل عن ابن لها قتل فى سبيل الله تعالى، فقال لها بعض أصحابه: جئت تسألين عن ابنك وأنت متنقبة. فقالت: إن أرزأ ابنى فلن أرزأ حيائى. فقال لها النبى -ﷺ-: «**إن ابنك له أجرُ شهيدين**» قالت ولم؟ قال: «**لأنه قتله أهل الكتاب**» أخرجهما أبو داود.

أرزأ ابنى: أفقده وأصاب فيه.

وفى هذا الحديث إشارة إلى وجوب قتال أهل الكتاب، وأن الله يضاعف أجر من قاتلهم، فليس الجهاد للمشركين فقط ولكنه لكل من لم يسلم.

١٦- وعن سهل بن حنيف -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: «**من سأل الله تعالى الشهادة بصدق بلَّغَه الله منازل الشهداء وإن مات على فراشه**» أخرجه الخمسة(١) إلا البخارى.

١٧- وعن خُرَيم بن فاتك قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**من أنفق نفقة فى سبيل الله تعالى كُتِبتْ له بسبعمائة ضعف**» رواه الترمذى وحسنه، والنسائى.

١٨- وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: مرَّ رجل من أصحاب رسول الله

---

(١) مسلم وأبو داود والترمذى والنسائى وابن ماجه.

-ﷺ- بشعْب فيه عيينة من ماء عذْبة فأعجبته فقال: لو اعتزلت الناس فأقمت فى هذا الشِّعب. فذكر ذلك لرسول الله -ﷺ- فقال: **«لا تفعل فإن مقام أحدكم فى سبيل الله أفضلُ من صلاته فى بيته سبعين عامًا، ألا تحبون أن يغفرَ الله لكم ويدخلكم الجنة، اغزوا فى سبيل الله، من قاتل فى سبيل الله فواق ناقة وجبت له الجنة»** رواه الترمذى.

عيينة: عين صغيرة تفيض بالماء.

١٩- وعن المقدام بن معد يكرب قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«للشهيد عند الله ستُ خصال: يغفر له فى أول دفعة، ويُرى مقعده من الجنة، ويجار من عذاب القبر، ويأمن من الفزع الأكبر، ويوضع على رأسه تاج الوقار الياقوتة منه خير من الدنيا وما فيها، ويزوج اثنتين وسبعين زوجة من الحور العين، ويشفع فى سبعين من أقربائه»** رواه الترمذى وابن ماجه.

٢٠- وعن أبى هريرة -رضى الله تعالى عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«من لقىَ الله بغير أثر من جهاد لقى الله وفيه ثُلْمة»** رواه الترمذى وابن ماجه.

٢١- وعن أنس -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: **«من طلب الشهادة صادقًا أُعطيها ولو لم تُصبه»** رواه مسلم.

٢٢- وعن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال: **«من رابط ليلة فى سبيل الله سبحانه وتعالى كانت كألف ليلة صيامها وقيامها»** رواه ابن ماجه.

٢٣- وعن أبى الدرداء -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: **«غزوة فى البحر مثل عشر غزوات فى البر، والذى يسدر فى البحر كالمتشحِّط فى دمه فى سبيل الله سبحانه»** رواه ابن ماجه.

يسدر: يميل ويهتز وترتج به السفينة. وفيه الإشارة لغزو البحر ولفت نظر الأمة إلى وجوب العناية بحفظ سواحلها وتقوية أسطولها، ويقاس عليه الجو فيضاعف الله للغزاة فى الجو فى سبيله أضعافًا مضاعفة.

٢٤- وعن جابر بن عبدالله -رضى الله تعالى عنه- يقول: لما قُتل عبدالله

ابن عمرو بن حزام يوم أحد قال رسول الله -ﷺ-: «**يا جابر ألا أخبرك ما قال الله عز وجل لأبيك؟**» قلت: بلى، قال: «**ما كلَّم الله أحداً إلا من وراء حجاب وكلم أباك كفاحًا، فقال: يا عبدى تمنَّ على أعطكَ. قال يا رب تحيينى فأقتل فيك ثانية. قال: إنه سبق منى أنهم إليها لا يُرجعونَ. قال: يا رب فأَبلغْ مَنْ ورائى. فأنزل الله عز وجل هذه الآية: ﴿وَلا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا بَلْ أَحْيَاءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ﴾**»(١). رواه ابن ماجه.

٢٥- وعن أنس عن أبيه -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال: «**لئن أشيِّع مجاهداً فى سبيل الله فأكـفِّفه على رحله غدوَة أو رَوْحة أحب إلى من الدنيا وما فيها**» رواه ابن ماجه.

فأكففه على رحله: فأساعده عليه. غدوة بالغدو وهو الصباح. روحة: فى الرواح وهو المساء.

٢٦- وعن أبى هريرة قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**وَفْدُ الله ثلاثة: الغازى والحاج والمعتمر**» رواه مسلم.

٢٧- عن أبى الدرداء قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**يُشفَّع الشهيد فى سبعين من أهل بيته**» رواه أبو الدرداء.

٢٨- عن عبدالله بن عمر قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**إذا تبايعتم بالنسيئة وأخذتم أذناب البقر ورضيتم بالزرع وتركتم الجهاد سلط الله عليكم ذلاً لا يَنْزعه عنكم حتى ترجعوا إلى دينكم**» رواه أحمد وأبو داود وصححه الحاكم.

٢٩- وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: انطلق رسول الله -ﷺ- وأصحابه حتى سبقوا المشركين إلى بدر وجاء المشركون، فقال رسول الله -ﷺ-: «**قوموا إلى جنة عرضها السموات والأرض**» قال عمير بن الحمام: بخ بخ، فقال رسول الله -ﷺ-: «**ما يحملك على قولك بَخ بخ**» قال: لا والله يا رسول الله إلا رجاء أن أكون من أهلها، قال: «**فإنك من أهلها**» قال: فأخرج تمرات من قرنه فجعل يأكل منهن ثم قال: لئن أنا حييت حتى آكل

---

(١) سورة آل عمران: ١٦٩.

تمراتى إنـها لحيـاة طويلة، فـرمى مـا كان معـه من التمر، ثم قاتلهم حـتى قتل. رواه مسلم.

٣٠- عن أبى عمران قـال: كنا بمدينة الروم فأخرجوا إلينا صفًـا عظيمًا من الروم، فخرج إليـهم من المسلمين مثلهم وأكثـر، وعلى أهل مصر عُقْبـة بن عامر وعلى الجماعة فـضالة بن عبيد، فحـمل رجل من المسلمين على صف الروم حتى دخل بينهم فصاح الناس وقالوا سبحـان الله يلقى بيده إلى التهلكة، فقام أبو أيوب الأنصارى فقـال: أيها الناس أنتم تتأوَّلون هذه الآية هذا التـأويل، وإنما نزلت فينا معـشر الأنصار لما أعز الله الإسلام وكـثر ناصروه، قـال بعضنا لبـعض سراً دون رسول الله -ﷺ-، إن أموالنا قد ضاعت وإن الله تعالى أعز الإسلام وكثر ناصروه فلو أقمنا فى أموالنا وأصلحنا ما ضاع منها، فأنزل الله تعالى على نبيه ما يرد علينا ما قلناه: ﴿وَلا تُلْقُوا بِأَيْدِيكُمْ إِلَى التَّهْلُكَةِ﴾(١)، وكـانت التهلـكة الإقامـة على الأموال وإصلاحهـا وتركنا الغزو، فما زال أبو أيوب شاخصًـا فى سبيل الله حتى دفن بأرض الروم. رواه الترمذى.

ولاحظ يا أخى أن أبا أيوب حين يقـول هذا كان فى سن كبيـرة قد جاوزت الشبـاب والكهولة، ومع هذا فقلبه وروحـه وإيمانه مثـال للفتوة القوية بتـأييد الله وعزة الإسلام.

٣١- وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- عن رسـول الله -ﷺ- أنه قال: «**من مات ولم يغزُ ولـم يحدِّث به نفسـه مات على شُـعبة مـن النفاق**» رواه مسلم وأبو داود ونظائره كثيرة.

والأحاديث الشريفـة فى ذلك وأمثاله، وفى غزو البحر وتفـضيله على غزو البر بمرات وفى غزو أهل الكتاب.

كذلك وفى تفصيل أحكام القتال، أكثر من أن يحيط به مجلد كبير، وندلك على كتاب «العـبرة فيما ورد عن الله ورسـوله فى الغزو والجهاد والهجـرة» للسيد حسن صديق خان وهو خاص بذلك البحث، وكتاب «مشارع الأشواق إلى مصارع العشـاق ومثيـر الغرام إلى دار السلام» ومـا جاء فى كتب الحـديث كلها فى باب الجهاد ترى الكثير الطيب.

---

(١) سورة البقرة: ١٩٥.

حكم الجهاد عند فقهاء الأمة

مرت بك الآيات الكريمة والأحاديث الشريفة فى فضل الجهاد، وأحب أن أنقل إليك طرفًا مما قاله فقهاء المذاهب، حتى المتأخرين منهم فى أحكام الجهاد ووجوب الاستعداد، لتعلم إلى أى حد ضيعت الأمة الإسلامية أحكام دينها فى قضية الجهاد بإجماع آراء المسلمين فى كل عصر من أعصارهم فاسمع:

١- قال صاحب «مجمع الأنهر فى شرح ملتقى الأبحر» مقررًا أحكام الجهاد فى مذهب الأحناف: «الجهاد فى اللغة بذل ما فى الوسع من القول والفعل، وفى الشريعة قتل الكفار ونحوه من ضربهم ونهب أموالهم وهدم معابدهم وكسر أصنامهم، والمراد الاجتهاد فى تقوية الدين بنحو قتال الحربيين والذميين إذا نقضوا والمرتدين الذين هم أخبث الكفار، للنقض بعد الإقرار والباغين. بدءًا منا فرض كفاية، يعنى يفرض علينا أن نبدأهم بالقتال بعد بلوغ الدعوة، وإن لم يقاتلونا، فيجب على الإمام أن يبعث سرية إلى دار الحرب كل سنة مرة أو مرتين وعلى الرعية إعانته وإذا قام به بعض سقط عن الباقين، فإذا لم تقع الكفاية بذلك البعض وجب على الأقرب فالأقرب، فإن لم تقع الكفاية إلا بجميع الناس فحينئذ صار فرض عين كالصلاة، أما الفريضة فلقوله تعالى: ﴿**فاقتلوا المشركين**﴾ ولقوله عليه الصلاة والسلام: «**الجهاد ماض إلى يوم القيامة**» وإن تركه الكل أثموا... إلى أن قال: فإن غَلَب العدو على بلد من بلاد الإسلام أو ناحية من نواحيها ففرض عين، فتخرج المرأة والعبد بلا إذن الزوج والمولى، وكذا يخرج الولد من غير إذن والديه، والغريم بغير إذن دائنه.

وفى كتاب البحر: «امرأة مسلمة سبيت بالشرق وجب على أهل المغرب تخليصها ما لم تدخل حصونهم وحرزهم» اهـ.

٢- وقال صاحب «بلغة السالك لأقرب المسالك فى مذهب الإمام مالك»: الجهاد فى سبيل الله لإعلاء كلمة الله تعالى كل سنة فرض كفاية إذا قام به البعض سقط عن الباقى، ويتعين (أى يصير فرض عين كالصلاة والصوم) بتعيين الإمام وبهجوم العدو على محلة قوم، فيتعين عليهم وعلى من بقربهم إن عجزوا، ويتعين على المرأة والرقيق مع هذه الحالة ولو منعهم الولى والزوج والسيد ورب

الدَّيْن إن كان مدينًا، ويتعين أيضًا بالنذر، وللوالدين المنع فى فرض الكفاية فقط، وفك الأسير من الحربيين إن لم يكن له مال يفك منه فرض كفاية وإن أتى على جميع أموال المسلمين. اهـ.

٣- وفى متن المنهاج للإمام النووى الشافعى: كان الجهاد فى عهد رسول الله -ﷺ- فرض كفاية وقيل عين، وأما بعده فللكفار حالان:

أحدهما - يكونون ببلادهم ففرض كفاية، إذا فعله من فيهم الكفاية من المسلمين سقط الحرج عن الباقين.

والثانى - يدخلون بلدة لنا فيلزم أهلها الدفع بالممكن وإن أمكن تأهب لقتال وجب الممكن حتى على فقير وولد ومدين وعبد بلا إذن.

٤- وفى «المغنى» لابن قدامة الحنبلى قال: مسألة -والجهاد فرض على الكفاية إذا قام به قوم سقط عن الباقين، ويتعين فى ثلاثة مواضع:

١- إذا التقى الزحفان وتقابل الصفان حرم على من حضر الانصراف ويتعين عليه المقام.

٢- إذا نزل الكفار ببلدة تعيَّن على أهله قتالهم ودفعهم.

٣- إذا استنفر الإمام قومًا لزمهم النفير معه.

وأقل ما يفعل مرة كل عام.

قال أبو عبدالله يعنى الإمام أحمد بن حنبل لا أعلم شيئًا من العمل بعد الفرائض أفضل من الجهاد، وغزوة البحر أفضل من غزو البر. قال أنس بن مالك -رضي الله عنه-: نام رسول الله -ﷺ- ثم استيقظ وهو يضحك، قالت أم حرام: فقلت: ما يضحكك يا رسول الله؟ قال: **«ناس من أمتى عرضوا علىَّ غُزاة فى سبيل الله، يركبون ثبج هذا البحر ملوكًا على الأسرة أو مثل الملوك على الأسرة»** متفق عليه، ومن تمام الحديث أن أم حرام سألت النبى -ﷺ- أن يدعو الله لها لتكون من هؤلاء فدعا لها، فعمِّرت حتى ركبت البحر فى أسطول المسلمين الذى فتح جزيرة قبرص وماتت بها ودفنت فيها، وهناك مسجد ومشهد ينسب إليها رحمها الله ورضى عنها.

٥- وقال فى «المحلى» لابن حزم الظاهرى: مسألة -والجهاد فرض على المسلمين، فإذا قام به من يدفع العدو ويغزوهم فى عقر دارهم ويحمى ثغور المسلمين سقط فرضه عن الباقين، وإلا فلا قال الله تعالى: ﴿انفِرُوا خِفَافًا وَثِقَالاً وَجَاهِدُوا بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ﴾(١)، ولا يجوز إلا بإذن الأبوين، إلا أن ينزل العدو بقوم من المسلمين ففرض على كل من يمكنه إعانتهم أن يقصدهم مغيثًا لهم، أذن الأبوان أم لم يأذنا، إلا أن يضيعا أو أحدهما بعده، فلا يحل له ترك من يضيع منهما.

٦- وقال الشوكانى فى «السيل الجرار»: الأدلة الواردة فى فَرضيَّة الجهاد كتابًا وسنة أكثر من أن تكتب ههنا، ولكن لا يجب ذلك إلا على الكفاية، فإذا قام به البعض سقط عن الباقين. وقبل أن يقوم به البعض هو فرض عَين على كل مكلف، وهكذا يجب على من استنفره الإمام أن ينفر ويتعيَّن ذلك عليه.

فها أنت ذا ترى من ذلك كله كيف أجمع أهل العلم مجتهدين ومقلدين، سلفيين وخلفيين، على أن الجهاد فرض كفاية على الأمة الإسلامية، لنشر الدعوة، وفرض عين لدفع هجوم الكفار عليها، والمسلمون الآن كما تعلم مستذلون لغيرهم محكومون بالكفار، قد ديست أرضهم وانتهكت حرماتهم، وتحكم فى شئونهم خصومهم وتعطلت شعائر دينهم فى ديارهم، فضلاً عن عجزهم عن نشر دعوتهم. فوجب وجوبًا عينيًا لا مناص منه أن يتجهز كل مسلم وأن ينطوى على نية الجهاد وإعداد العدة له حتى تحين الفرصة ويقضى الله أمرًا كان مفعولاً.

ولعل من تمام هذا البحث أن أذكر لك أن المسلمين فى أى عصر من عصورهم، قبل هذا العصر المظلم الذى ماتت فيه نخوتهم، لم يتركوا الجهاد ولم يفرطوا فيه حتى علماؤهم والمتصوفة منهم والمحترفون وغيرهم، فكانوا جميعًا على أهبة الاستعداد، كان عبدالله بن المبارك الفقيه الزاهد متطوعًا فى أكثر أوقاته بالجهاد، وكان عبدالواحد بن زيد الصوفى الزاهد كذلك، وكان شقيق البلخى شيخ الصوفية فى وقته يحمل نفسه وتلامذته على الجهاد.

---

(١) سورة التوبة: ٤١.

وكان البدر العينى شارح البخارى الفقيه المحدث يغزو سنة ويدرس العلم سنة ويحج سنة، وكان القاضى أسد بن الفرات المالكى أميرًا للبحر فى وقته، وكان الإمام الشافعى يرمى عشرة ولا يخطئ.

كذلك كان السلف رضوان الله عليهم، فأين نحن من هذا التاريخ؟

لماذا يقاتل المسلم؟

أتى على الناس حين من الدهر وهم يغمزون الإسلام بفرضية الجهاد وإباحة القتال، حتى تحققت الآية الكريمة: ﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ﴾(١)، فهاهم الآن يعترفون بأن الاستعداد هو أضمن طريق للسلام. فرض الله الجهاد على المسلمين لا أداة للعدوان ولا وسيلة للمطامع الشخصية ولكن حماية للدعوة وضمانًا للسلم وأداء للرسالة الكبرى التى حمل عبئها المسلمون، رسالة هداية الناس إلى الحق والعدل، وإن الإسلام كما فرض القتال شاد بالسلام فقال تبارك وتعالى: ﴿وَإِن جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ﴾(٢).

كان المسلم يخرج للقتال وفى نفسه أمر واحد أن يجاهد لتكون كلمة الله هى العليا، وقد فرض دينه عليه ألا يخلط بهذا المقصد غاية أخرى، فحب الجاه عليه حرام، وحب الظهور عليه حرام، وحب المال عليه حرام، والغلول من الغنيمة عليه حرام، وقصد الغلب بغير الحق عليه حرام. والحلال أمر واحد أن يقدم دمه وروحه فداء لعقيدته وهداية للناس.

عن الحارث بن مسلم بن الحارث عن أبيه قال: (بعثنا رسول الله -ﷺ- فى سرية، فلما بلغنا المغار استحثثت فرسى فسبقت أصحابى، فتلقانى أهل الحى بالرنين، فقلت لهم: قولوا لا إله إلا الله تحرزوا، فقالوها، فلامنى أصحابى وقالوا: حرمتنا الغنيمة، فلما قدمنا على رسول الله -ﷺ- أخبروه بالذى صنعت، فدعانى فحسّن لى ما صنعت ثم قال لى: «**ألا إن الله تعالى قد كتب لك بكل إنسان كذا وكذا من الأجر**»، وقال: «**أما إنى سأكتب لك بالوصاية بعدى**»، ففعل وختم عليه ودفعه إلىّ) أخرجه أبو داود.

---

(١) سورة فصلت: ٥٣.

(٢) سورة الأنفال: ٦١.

وعن شداد بن الهادى -رضي الله عنه-: أن رجلاً من الأعراب جاء فآمن بالنبى -ﷺ-، ثم قال: أهاجر معك، فأوصى به النبى -ﷺ- بعض أصحابه، فكانت غزاة غنم فيها النبى -ﷺ- شيئًا فقسم وقسم له. فقال: ما هذا: فقال: **«قسمته لك»**. فقال: ما على هذا اتبعتك، ولكنى اتبعتك على أن أُرْمى إلى ههنا -وأشار بيده إلى حلقه- بسهم فأموت فأدخل الجنة. قال: **«إن تصدق الله يصدُقْك»**. فلبثوا قليلاً ثم نهضوا فى قتال العدو فأتى به النبى محمولاً قد أصابه سهم حيث أشار، فقال النبى -ﷺ-: **«أهو هو؟»** قالوا: نعم. قال: **«صدق الله فصدقه»**. ثم كفن فى جبة النبى -ﷺ- ثم قدَّمه فصلى عليه. فكان مما ظهر من صلاته: **«اللهم هذا عبدك خرج مهاجرًا فى سبيلك فقتل شهيدًا وأنا شهيد على ذلك»** أخرجه النسائى.

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن رجلاً قال: يا رسول الله رجل يريد الجهاد فى سبيل الله وهو يبتغى عَرَضًا من الدنيا فقال: **«لا أجر له»** فأعادها عليه ثلاثًا كل ذلك يقول: **«لا أجر له»** أخرجه أبو داود.

وعن أبى موسى -رضي الله عنه- قال: سئل رسول الله -ﷺ- عن الرجل يقاتل شجاعة ويقاتل حميَّة ويقاتل رياء أى ذلك فى سبيل الله؟ قال: **«من قاتل لتكون كلمة الله هى العليا فهو فى سبيل الله»** أخرجه الخمسة.

وأنت إذا قرأت وقائع الصحابة رضوان الله عليهم ومسالكهم فى البلاد التى فتحوها، رأيت مبلغ عزوفهم عن المطامع والأهواء وانصرافهم لغايتهم الأساسية الأصلية، وهى إرشاد الخلق إلى الحق حتى تكون كلمة الله هى العليا، ورأيت مبلغ الخطأ فى اتهامهم رضوان الله عليهم بأنهم إنما كانوا يريدون الغلب على الشعوب والاستبداد بالأمم والحصول على الأرزاق.

الرحمة فى الجهاد الإسلامى

لما كانت الغاية فى الجهاد الإسلامى أنبل الغايات، كانت وسيلته كذلك أفضل الوسائل فقد حرّم الله العدوان، فقال تعالى: ﴿**وَلَا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ**﴾(١)، وأمر بالعدل حتى مع الأعداء والخصوم فقال تعالى:

(١) سورة البقرة : ١٩٠.

﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾(١) وأرشد المسلمين إلى منتهى الرحمة.

فهم حينما يقاتلون لا يعتدون ولا يفجرون ولا يمثلون ولا يسرقون ولا ينتهبون الأموال، ولا ينتهكون الحرمات ولا يتقدمون بالأذى، فهم فى حربهم خير محاربين كما أنهم فى سلمهم أفضل مسالمين.

عن بريدة -رضي الله عنه- قال: (كان رسول الله -ﷺ- إذا أمَّر الأمير على جيش أو سرية أوصاه فى خاصته بتقوى الله تعالى ومن معه من المسلمين خيرًا ثم قال: «**اغزوا باسم الله فى سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تَغُلّوا ولا تَغْدُروا ولا تمثِّلوا ولا تقتلوا وليدًا**» رواه مسلم.

وعن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**إذا قاتل أحدكم فليجتنب الوجه**» أخرجه الشيخان.

وعن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «**أعَفُّ الناس قِتْلة أهلُ الإيمان**» أخرجه أبو داود.

وعن عبدالله بن يزيد الأنصارى -رضي الله عنه- قال: نهى رسول الله -ﷺ- عن النهب والمُثْلة. أخرجه البخارى.

كما ورد النهى عن قتل النساء والصبيان والشيوخ والإجهاز على الجرحى وإهاجة الرهبان والمنعزلين ومن لا يقاتل من الآمنين، فأين هذه الرحمة من غارات المتمدينين الخانقة وفظائعهم الشنيعة؟ وأين قانونهم الدولى من هذا العدل الربانى الشامل؟

اللهم فقه المسلمين فى دينهم وأنقذ العالم من هذه الظلمات بأنوار الإسلام.

ما يلحق بالجهاد

شاع بين كثير من المسلمين أن قتال العدو هو الجهاد الأصغر وأن هناك جهادًا أكبر هو جهاد النفس، وكثير منهم يستدل لذلك بما يروى: «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر» قالوا: وما الجهاد الأكبر؟ قال: «جهاد القلب أو جهاد النفس».

وبعضهم يحاول بهذا أن يصرف الناس عن أهمية القتال والاستعداد له ونية الجهاد والأخذ فى سبيله. فأما هذا الأثر فليس بحديث على الصحيح، قال أمير

(١) سورة المائدة: ٨.

المؤمنين فى الحديث الحافظ ابن حجر فى تسديد القوس: هو مشهور على الألسنة وهو من كلام إبراهيم بن عبلة.

وقال العراقى فى تخريج أحاديث الإحياء: رواه البيهقى بسند ضعيف عن جابر، ورواه الخطيب فى تاريخه عن جابر؛ على أنه لو صح فليس يعطى أبداً الانصراف عن الجهاد والاستعداد لإنقاذ بلاد المسلمين ورد عادية أهل الكفر عنها، وإنما يكون معناه وجوب مجاهدة النفس حتى تخلص لله فى كل عملها، فليعلم. وهناك أمور تلحق بالجهاد منها: الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر فقد جاء فى الحديث: «**إن من أعظم الجهاد كلمة حق عند سلطان جائر**».

ولكن شيئًا منها لا يوجب لصاحبه الشهادة الكبرى وثواب المجاهدين إلا أن يَقتل أو يُقتل فى سبيل الله.

خاتمة

أيها الإخوان: إن الأمة التى تحسن صناعة الموت، وتعرف كيف تموت الموتة الشريفة، يهب لها الله الحياة العزيزة فى الدنيا والنعيم الخالد فى الآخرة. وما الوهم الذى أذلنا إلا حب الدنيا وكراهية الموت، فأعدوا أنفسكم لعمل عظيم واحرصوا على الموت توهب لكم الحياة.

واعلموا أن الموت لابد منه وأنه لا يكون إلا مرة واحدة، فإن جعلتموها فى سبيل الله كان ذلك ربح الدنيا وثواب الآخرة، وما يصيبكم إلا ما كتب الله لكم، وتدبروا جيداً قول الله تبارك وتعالى: ﴿ **ثُمَّ أَنزَلَ عَلَيْكُم مِّنْ بَعْدِ الْغَمِّ أَمَنَةً نُّعَاسًا يَغْشَىٰ طَائِفَةً مِّنكُمْ وَطَائِفَةٌ قَدْ أَهَمَّتْهُمْ أَنفُسُهُمْ يَظُنُّونَ بِاللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ ظَنَّ الْجَاهِلِيَّةِ يَقُولُونَ هَل لَّنَا مِنَ الأَمْرِ مِن شَيْءٍ قُلْ إِنَّ الأَمْرَ كُلَّهُ لِلَّهِ يُخْفُونَ فِي أَنفُسِهِم مَّا لا يُبْدُونَ لَكَ يَقُولُونَ لَوْ كَانَ لَنَا مِنَ الأَمْرِ شَيْءٌ مَّا قُتِلْنَا هَا هُنَا قُل لَّوْ كُنتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ لَبَرَزَ الَّذِينَ كُتِبَ عَلَيْهِمُ الْقَتْلُ إِلَىٰ مَضَاجِعِهِمْ وَلِيَبْتَلِيَ اللَّهُ مَا فِي صُدُورِكُمْ وَلِيُمَحِّصَ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**﴾(١).

فاعملوا للموتة الكريمة تظفروا بالسعادة الكاملة. رزقنا الله وإياكم كرامة الاستشهاد فى سبيله.

حسن البنا

---

(١) سورة آل عمران: ١٥٤.

رسالة التعاليم

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على إمام المتقين وقائد المجاهدين سيدنا محمد النبى الأمين وعلى آله وصحبه ومن تبع هداهم إلى يوم الدين.

أما بعد :

فهذه رسالتى إلى الإخوان المجاهدين من الإخوان المسلمين، الذى آمنوا بسموّ دعوتهم وقدسية فكرتهم، وعزموا صادقين على أن يعيشوا بها أو يموتوا فى سبيلها، إلى هؤلاء الإخوان فقط أوجه هذه الكلمات الموجزة، وهى ليست دروسًا تحفظ لكنها تعليمات تنفذ، فإلى العمل أيها الإخوة الصادقون: ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾[1]، ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُم بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[2].

أما غير هؤلاء فلهم دروس ومحاضرات، وكتب ومقالات، ومظاهر وإداريات، ولكل وجهة هو موليها، فاستبقوا الخيرات، وكلاً وعد الله الحسنى.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

حسن البنا

(١) سورة التوبة : ١٠٥.
(٢) سورة الأنعام : ١٥٣.

أيها الإخوان الصادقون

أركان بيعتنا عشرة فاحفظوها :

«الفهم، والإخلاص، والعمل، والجهاد، والتضحية، والطاعة، والثبات، والتجرد، والأخوة، والثقة».

أيها الأخ الصادق :

الفهم

إنما أريد بالفهم :

أن توقن بأن فكرتنا «إسلامية صميمة» وأن تفهم الإسلام كما نفهمه، فى حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز :

١- الإسلام نظام شامل يتناول مظاهر الحياة جميعًا فهو دولة ووطن أو حكومة وأمة، وهو خُلُق وقوة أو رحمة وعدالة، وهو ثقافة وقانون أو علم وقضاء، وهو مادة وثروة أو كسب وغنى، وهو جهاد ودعوة أو جيش وفكرة، كما هو عقيدة صادقة وعبادة صحيحة، سواء بسواء.

٢- والقرآن الكريم والسنة المطهرة مرجع كل مسلم فى تعرُّف أحكام الإسلام، ويفهم القرآن طبقًا لقواعد اللغة العربية من غير تكلف ولا تعسف، ويرجع فى فهم السنة المطهرة إلى رجال الحديث الثقات.

٣- وللإيمان الصادق والعبادة الصحيحة والمجاهدة نور وحلاوة يقذفها الله فى قلب من يشاء من عباده، ولكن الإلهام والخواطر والكشف والرؤى ليست من أدلة الأحكام الشرعية، ولا تعتبر إلا بشرط عدم اصطدامها بأحكام الدين ونصوصه.

٤- والتمائم والرُّقى والوَدعُ والرَمْلُ والمعرفة والكهانة وادعاء معرفة الغيب، وكل ما كان من هذا الباب منكر تجب محاربته «إلا ما كان آية من قرآن أو رقية مأثورة».

٥- ورأى الإمام ونائبه فيما لا نص فيه، وفيما يحتمل وجوهًا عدة وفى المصالح المرسلة، معمول به ما لم يصطدم بقاعدة شرعية، وقد يتغير بحسب الظروف والعرف والعادات. والأصل فى العبادات التعبد دون الالتفات إلى المعانى، وفى العاديات الالتفات إلى الأسرار والحكم والمقاصد.

٦- وكل أحد يؤخذ من كلامه ويترك إلا المعصوم -ﷺ-، وكل ما جاء عن السلف رضوان الله عليهم موافقًا للكتاب والسنة قبلناه، وإلا فكتاب الله وسنة رسوله أولى بالاتباع، ولكنا لا نعرض للأشخاص -فيما اختلف فيه- بطعن أو تجريح، ونكلهم إلى نياتهم، وقد أفضوا إلى ما قدموا.

٧- ولكل مسلم لم يبلغ درجة النظر فى أدلة الأحكام الفرعية أن يتبع إمامًا من أئمة الدين، ويحسن به مع هذا الاتباع أن يجتهد ما استطاع فى تعرف أدلته، وأن يتقبل كل إرشاد مصحوب بالدليل متى صح عنده صلاح من أرشده وكفايته. وأن يستكمل نقصه العلمى إن كان من أهل العلم حتى يبلغ درجة النظر.

٨- والخلاف الفقهى فى الفروع لا يكون سببًا للتفرق فى الدين، ولا يؤدى إلى خصومة ولا بغضاء ولكل مجتهد أجره، ولا مانع من التحقيق العلمى النزيه فى مسائل الخلاف فى ظل الحب فى الله والتعاون على الوصول إلى الحقيقة، من غير أن يجر ذلك إلى المراء المذموم والتعصب.

٩- وكل مسألة لا ينبنى عليها عمل فالخوض فيها من التكلف الذى نهينا عنه شرعًا، ومن ذلك كثرة التفريعات للأحكام التى لم تقع، والخوض فى معانى الآيات القرآنية الكريمة التى لم يصل إليها العلم بعد، والكلام فى المفاضلة بين الأصحاب رضوان الله عليهم وما شجر بينهم من خلاف، ولكل منهم فضل صحبته وجزاء نيته، وفى التأول مندوحة.

١٠- معرفة الله تبارك وتعالى وتوحيده وتنزيهه أسمى عقائد الإسلام، وآيات الصفات وأحاديثها الصحيحة وما يليق بذلك من التشابه، نؤمن بها كما جاءت من غير تأويل ولا تعطيل، ولا نتعرض لما جاء فيها من خلاف بين العلماء؛ ويسعنا ما وسع رسول الله -ﷺ- وأصحابه: ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا﴾(١).

(١) سورة آل عمران: ٧.

١١- وكل بدعة فى دين الله لا أصل لها -استحسنها الناس بأهوائهم- سواء بالزيادة فيه أو بالنقص منه- ضلالة تجب محاربتها والقضاء عليها بأفضل الوسائل التى لا تؤدى إلى ما هو شر منها.

١٢- والبدعة الإضافية والتَّرْكِيَّة والالتزام فى العبادات المطلقة خلاف فقهى، لكل فيه رأيه؛ ولا بأس بتمحيص الحقيقة بالدليل والبرهان.

١٣- ومحبة الصالحين واحترامهم والثناء عليهم بما عرف من طيب أعمالهم قربة إلى الله تبارك وتعالى، والأولياء هم المذكورون فى قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ﴾ والكرامة ثابتة لهم بشرائطها الشرعية مع اعتقاد أنهم رضوان الله عليهم لا يملكون لأنفسهم نفعًا ولا ضرًا فى حياتهم أو بعد مماتهم فضلاً عن أن يهبوا شيئًا من ذلك لغيرهم.

١٤- وزيارة القبور أيًا كانت سنة مشروعة بالكيفية المأثورة، ولكن الاستعانة بالمقبورين أيًا كانوا ونداءهم لذلك وطلب قضاء الحاجات منهم عن قرب أو بعد والنذر لهم وتشييد القبور وسترها وإضاءتها والتمسح بها والحلف بغير الله وما يلحق بذلك من المبتدعات كبائر تجب محاربتها، ولا نتأول لهذه الأعمال سدًا للذريعة.

١٥- والدعاء إذا قرن بالتوسل إلى الله بأحد من خلقه خلاف فرعى فى كيفية الدعاء وليس من مسائل العقيدة.

١٦- والعرف الخاطئ لا يغير حقائق الألفاظ الشرعية، بل يجب التأكد من حدود المعانى المقصود بها، والوقوف عندها. كما يجب الاحتراز من الخداع اللفظى فى كل نواحى الدنيا والدين، فالعبرة بالمسميات لا بالأسماء.

١٧- والعقيدة أساس العمل، وعمل القلب أهم من عمل الجارحة، وتحصيل الكمال فى كليهما مطلوب شرعًا، وإن اختلفت مرتبتا الطلب.

١٨- والإسلام يحرر العقل، ويحث على النظر فى الكون، ويرفع قدر العلم والعلماء، ويرحب بالصالح النافع من كل شىء، و«**الحكمة ضالة المؤمن أنَّى وجدها فهو أحق الناس بها**».

١٩- وقد يتناول كل من النظر الشرعى والنظر العقلى ما لا يدخل فى دائرة الآخر، ولكنهما لن يختلفا فى القطعى. فلن تصطدم حقيقة علمية صحيحة بقاعدة شرعية ثابتة؛ ويؤوَّل الظنى منهما ليتفق مع القطعى، فإن كانا ظنّيين فالنظر الشرعى أولى بالاتباع حتى يثبت العقلى أو ينهار.

٢٠- لا نكفِّر مسلمًا أقر بالشهادتين وعمل بمقتضاهما وأدى الفرائض -برأى أو معصية- إلا إن أقر بكلمة الكفر، أو أنكر معلومًا من الدين بالضرورة، أو كذَّب صريح القرآن، أو فسره على وجه لا تحتمله أساليب اللغة العربية بحال، أو عمل عملاً لا يحتمل تأويلاً غير الكفر.

وإذا علم الأخ المسلم «دينه» فى هذه الأصول، فقد عرف معنى هتافه دائمًا «القرآن دستورنا والرسول قدوتنا».

الإخلاص

وأريد بالإخلاص :

أن يقصد الأخ المسلم بقوله وعمله وجهاده كله وجه الله، وابتغاء مرضاته وحسن مثوبته من غير نظر إلى مغنم أو مظهر أو جاه أو لقب أو تقدم أو تأخر، وبذلك يكون جندى فكرة وعقيدة، لا جندى غرض ومنفعة ﴿قُلْ إِنَّ صَلاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ (١٦٢) لا شَرِيكَ لَهُ وَبِذَلِكَ أُمِرْتُ﴾(١)، وبذلك يفهم الأخ المسلم معنى هتافه الدائم: «الله غايتنا» و«الله أكبر ولله الحمد».

العمل

وأريد بالعمل :

ثمرة العلم والإخلاص ﴿وَقُلِ اعْمَلُوا فَسَيَرَى اللَّهُ عَمَلَكُمْ وَرَسُولُهُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَسَتُرَدُّونَ إِلَىٰ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(٢)، ومراتب العمل المطلوبة من الأخ الصادق:

---

(١) سورة الأنعام: ١٦٢، ١٦٣.

(٢) سورة التوبة : ١٠٥.

١- إصلاح نفسه حتى يكون: قوى الجسم، متين الخلق، مثقف الفكر، قادراً على الكسب، سليم العقيدة، صحيح العبادة، مجاهداً لنفسه، حريصًا على وقته، منظمًا فى شئونه، نافعًا لغيره، وذلك واجب كل أخ على حدته.

٢- وتكوين بيت مسلم، بأن يحمل أهله على احترام فكرته، والمحافظة على آداب الإسلام فى كل مظاهر الحياة المنزلية، وحسن اختيار الزوجة، وتوقيفها على حقها وواجبها، وحسن تربية الأولاد والخدم وتنشئتهم على مبادئ الإسلام. وذلك واجب كل أخ على حدته كذلك.

٣- وإرشاد المجتمع، بنشر دعوة الخير فيه، ومحاربة الرذائل والمنكرات، وتشجيع الفضائل، والأمر بالمعروف، والمبادرة إلى فعل الخير، وكسب الرأى العام إلى جانب الفكرة الإسلامية، وصبغ مظاهر الحياة العامة بها دائمًا. وذلك واجب كل أخ على حدته، وواجب الجماعة كهيئة عاملة.

٤- وتحرير الوطن بتخليصه من كل سلطان أجنبى -غير إسلامى- سياسى أو اقتصادى أو روحى.

٥- وإصلاح الحكومة حتى تكون إسلامية بحق، وبذلك تؤدى مهمتها كخادم للأمة وأجير عندها وعامل على مصلحتها. والحكومة إسلامية ما كان أعضاؤها مسلمين مؤدين لفرائض الإسلام غير متجاهرين بعصيان، وكانت منفذة لأحكام الإسلام وتعاليمه.

ولا بأس بأن تستعين بغير المسلمين عند الضرورة فى غير مناصب الولاية العامة ولا عبرة بالشكل الذى تتخذه ولا بالنوع، ما دام موافقًا للقواعد العامة فى نظام الحكم الإسلامى.

ومن صفاتها: الشعور بالتبعة، والشفقة على الرعية، والعدالة بين الناس، والعفة عن المال العام، والاقتصاد فيه.

ومن واجباتها: صيانة الأمن، وإنفاذ القانون، ونشر التعليم، وإعداد القوة، وحفظ الصحة، ورعاية المنافع العامة، وتنمية الثروة وحراسة المال، وتقوية الأخلاق، ونشر الدعوة.

ومن حقها -متى أدت واجبها-: الولاء والطاعة، والمساعدة بالنفس والأموال.

فإذا قصَّرت، فالنصح والإرشاد، ثم الخلع والإبعاد، ولا طاعة لمخلوق فى معصية الخالق.

٦- وإعادة الكيان الدولى للأمة الإسلامية، بتحرير أوطانها وإحياء مجدها وتقريب ثقافاتها وجمع كلمتها، حتى يؤدى ذلك كله إلى إعادة الخلافة المفقودة والوحدة المنشودة.

٧- وأستاذية العالم بنشر دعوة الإسلام فى ربوعه ﴿حَتَّىٰ لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ﴾(١)، ﴿وَيَأْبَى اللَّهُ إِلاَّ أَن يُتِمَّ نُورَهُ﴾(٢).

وهذه المراتب الأربعة الأخيرة تجب على الجماعة متحدة وعلى كل أخ باعتباره عضواً فى الجماعة، وما أثقلها تبعات وما أعظمها مهمات، يراها الناس خيالاً ويراها الأخ المسلم حقيقة، ولن نيأس أبدًا، ولنا فى الله أعظم الأمل ﴿وَاللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰ أَمْرِهِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لا يَعْلَمُونَ﴾(٣).

الجهاد

وأريد بالجهاد:

الفريضة الماضية إلى يوم القيامة. والمقصود بقول رسول الله -ﷺ-: «**من مات ولم يغز ولم ينو الغزو مات ميتة الجاهلية**». وأول مراتبه إنكار القلب، وأعلاها القتال فى سبيل الله، وبين ذلك: جهاد اللسان والقلم واليد وكلمة الحق عند السلطان الجائر. ولا تحيا الدعوة إلا بالجهاد، وبقدر سمو الدعوة وسعة أفقها تكون عظمة الجهاد فى سبيلها، وضخامة الثمن الذى يطلب لتأييدها، وجزالة الثواب للعاملين ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾(٤).

وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم «الجهاد سبيلنا».

---

(١) سورة البقرة: ١٩٣.
(٢) سورة التوبة: ٣٢.
(٣) سورة يوسف: ٢١.
(٤) سورة الحج: ٧٨.

التضحية

وأريد بالتضحية :

بذل النفس والمال والوقت والحياة وكل شيء فى سبيل الغاية، وليس فى الدنيا جهاد لا تضحية معه. ولا تضيع فى سبيل فكرتنا تضحية، وإنما هو الأجر الجزيل والثواب الجميل ومن قعد عن التضحية معنا فهو آثم: ﴿إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم﴾(١)، ﴿قُلْ إِن كَانَ آبَاؤُكُمْ وَأَبْنَاؤُكُمْ﴾(٢)، ﴿ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ﴾(٣)، ﴿فَإِن تُطِيعُوا يُؤْتِكُمُ اللَّهُ أَجْرًا حَسَنًا﴾(٤)، وبذلك تعرف معنى هتافك الدائم «والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا».

الطاعة

وأريد بالطاعة :

امتثال الأمر وإنفاذه توًا فى العسر واليسر والمنشط والمكره، وذلك أن مراحل هذه الدعوة ثلاث:

التعريف: بنشر الفكرة العامة بين الناس، ونظام الدعوة فى هذه المرحلة نظام الجمعيات الإدارية، ومهمتها العمل للخير العام ووسيلتها الوعظ والإرشاد تارة وإقامة المنشآت النافعة تارة أخرى، إلى غير ذلك من الوسائل العملية. وكل شُعَب الإخوان القائمة الآن تشمل هذه المرحلة من حياة الدعوة، وينظمها «القانون الأساسى» وتشرحها وسائل الإخوان وجريدتهم، والدعوة فى هذه المرحلة «عامة».

ويتصل بالجماعة فيها كل من أراد من الناس متى رغب المساهمة فى أعمالها ووعد بالمحافظة على مبادئها. وليست الطاعة التامة لازمة فى هذه المرحلة بقدر ما يلزم فيها احترام النظم والمبادئ العامة للجماعة.

التكوين: باستخلاص العناصر الصالحة لحمل أعباء الجهاد وضم بعضها إلى

---

(١) سورة التوبة : ١١١.
(٢) سورة التوبة : ٢٤.
(٣) سورة التوبة : ١٢٠.
(٤) سورة الفتح : ١٦.

بعض، ونظام الدعـوة -فى هذه المرحلة- صـوفى بحت من الناحيـة الروحيـة، وعسكرى بحت من الناحية العملية، وشعار هاتين الناحيتين دائمًا (أمر وطاعة) من غير تردد ولا مـراجعة ولا شك ولا حرج، وتمثل الكتائـب الإخوانية هذه المرحلة من حياة الدعوة، وتنظمها رسالة المنهج سابقًا، وهذه الرسالة الآن.

والدعوة فيها «خاصة» لا يتصـل بها إلا من استعد استعدادًا حقيـقيًّا لتحمل أعباء جهاد طويل المدى كثير التبعات، وأول بوادر هذا الاستعداد «كمال الطاعة».

التنفيذ: والدعوة فى هذه المرحلة جهاد لا هوادة مـعه، وعمل متواصل فى سبيل الوصـول إلى الغاية، وامتحان وابتـلاء لا يصبر عليهمـا إلا الصادقون، ولا يكفل النجـاح فى هذه المرحلة إلا «كمـال الطاعة كـذلك» وعلى هذا بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين فى يوم ٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ.

وأنت بانضمـامك إلى هذه الكتيبة، وتقـبلك لهذه الرسالة، وتعهـدك بهذه البيـعة، تكون فى الدور الثـانى. وبالقرب من الدور الثـالث. فقـدر التبـعة التى التزمتها وأعِدَّ نفسك للوفاء بها.

الثبـات

وأريد بالثبات :

أن يظل الأخ عامـلاً مجاهدًا فى سبيل غـايته، مهمـا بعدت المدة وتطاولت السنوات والأعوام، حتى يلقى الله على ذلك وقد فاز بإحدى الحسنَيين، فإما الغاية وإما الشهـادة فى النهاية ﴿**مِنَ الْمُؤْمِنِينَ رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ وَمَا بَدَّلُوا تَبْدِيلاً**﴾(١)، والوقت عندنا جزء من العلاج، والطريق طويلة المدى بعيدة المراحل كثيـرة العقبات، ولكنها وحدها التى تؤدى إلى المقصود مع عظيم الأجر وجميل المثوبة.

وذلك أن كل وسيلـة من وسائلنا (الست) تحتـاج إلى حسن الإعـداد وتحين الفرص ودقـة الإنفاذ، وكل ذلـك مرهون بوقـته: ﴿**وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هُوَ قُلْ عَسَىٰ أَن يَكُونَ قَرِيبًا**﴾(٢).

---

(١) سورة الأحزاب : ٢٣.

(٢) سورة الإسراء : ٥١.

التجرد

وأريد بالتجرد :

أن تتخلص لفكرتك مما سواها من المبادىء والأشخاص، لأنها أسمى الفكر وأجمعها وأعلاها ﴿صِبْغَةَ اللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ صِبْغَةً﴾(١)، ﴿قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَآءُ مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا حَتَّىٰ تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ﴾(٢)، والناس عند الأخ الصادق واحد من ستة أصناف: مسلم مجاهد، أو مسلم قاعد، أو مسلم آثم، أو ذمي معاهد، أو محايد، أو محارب. ولكلٍّ حكمه في ميزان الإسلام، وفي حدود هذه الأقسام توزن الأشخاص والهيئات ويكون الولاء أو العداء.

الأخوة

وأريد بالأخوة :

أن ترتبط القلوب والأرواح برباط العقيدة، والعقيدة أوثق الروابط وأغلاها؛ والأخوة أخوة الإيمان والتفرق أخو الكفر؛ وأول القوة قوة الوحدة، ولا وحدة بغير حب، وأقل الحب سلامة الصدر، وأعلاه مرتبة الإيثار ﴿وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٣). والأخ الصادق يرى إخوانه أولى بنفسه من نفسه، لأنه إن لم يكن بهم فلن يكون بغيرهم، وهم إن لم يكونوا به كانوا بغيره، وإنما يأكل الذئب من الغنم القاصية، والمؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ﴾(٤)، وهكذا يجب أن نكون.

الثقة

وأريد بالثقة :

اطمئنان الجندي إلى القائد في كفاءته وإخلاصه اطمئنانًا عميقًا ينتج

(١) سورة البقرة : ١٣٨.
(٢) سورة الممتحنة : ٤.
(٣) سورة الحشر: ٩.
(٤) سورة التوبة: ٧١.

الحب والتقدير والاحترام والطاعة ﴿فَلا وَرَبِّكَ لا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾(١)، والقائد جزء من الدعوة ولا دعوة بغير قيادة، وعلى قدر الثقة المتبادلة بين القائد والجنود تكون قوة نظام الجماعة، وإحكام خططها، ونجاحها فى الوصول إلى غايتها، وتغلبها على ما يعترضها من عقبات وصعاب ﴿فَأَوْلَىٰ لَهُمْ ﴿٢٠﴾ طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ﴾(٢)، وللقيادة فى دعوة الإخوان حق الوالد بالرابطة القلبية، والأستاذ بالإفادة العلمية، والشيخ بالتربية الروحية، والقائد بحكم السياسة العامة للدعوة؛ ودعوتنا تجمع هذه المعانى جميعًا، والثقة بالقيادة هى كل شىء فى نجاح الدعوات. ولهذا يجب أن يسأل الأخ الصادق نفسه هذه الأسئلة ليتعرف مدى ثقته بقيادته:

١- هل تعرف إلى قائده من قبل ودرس ظروف حياته؟

٢- هل اطمأن إلى كفايته وإخلاصه؟

٣- هل هو مستعد لاعتبار الأوامر التى تصدر إليه من القيادة فى غير معصية طبعًا قاطعة لا مجال فيها للجدل ولا للتردد ولا للانتقاص ولا للتحوير؟ من إبداء النصيحة والتنبيه إلى الصواب؟

٤- هل هو مستعد لأن يفترض فى نفسه الخطأ وفى القيادة الصواب، إذا تعارض ما أمر به مع ما تعلم فى المسائل الاجتهادية التى لم يرد فيها نص شرعى؟

٥- هل هو مستعد لوضع ظروفه الحيوية تحت تصرف الدعوة؟ وهل تملك القيادة فى نظره حق الترجيح بين مصلحته الخاصة ومصلحة الدعوة العامة.

وبالإجابة على هذه الأمثلة وأشباهها يستطيع الأخ أن يطمئن على مدى صلته بالقائد، وثقته به، والقلوب بيد الله يصرفها كيف يشاء ﴿لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾(٣).

---

(١) سورة النساء: ٦٥.
(٢) سورة محمد: ٢٠، ٢١.
(٣) سورة الأنفال: ٦٣.

أيها الأخ الصادق :

إن إيمانك بهذه البيعة يوجب عليك أداء هذه الواجبات حتى تكون لبنة قوية في البناء:

١- أن يكون لك «ورد» يومي من كتاب الله لا يقل عن جزء، واجتهد ألا تختم في أكثر من شهر ولا في أقل من ثلاثة أيام.

٢- أن تحسن تلاوة القرآن والاستماع إليه والتدبر في معانيه، وأن تدرس السيرة المطهرة وتاريخ السلف بقدر ما يتسع له وقتك، وأقل ما يكفي في ذلك كتاب «حماة الإسلام» وأن تكثر من القراءة في حديث رسول الله -ﷺ-، وأن تحفظ أربعين حديثًا على الأقل ولتكن الأربعين النووية، وأن تدرس رسالة في أصول العقائد ورسالة في فروع الفقه.

٣- أن تبادر بالكشف الصحي العام وأن تأخذ في علاج ما يكون فيك من أمراض، وتهتم بأسباب القوة والوقاية الجسمانية وتبتعد عن أسباب الضعف الصحي.

٤- أن تبتعد عن الإسراف في قهوة البن والشاي ونحوها من المشروبات المنبهة، فلا تشربها إلا لضرورة، وأن تمتنع بتاتًا عن التدخين.

٥- أن تعنى بالنظافة في كل شيء في المسكن والملبس والمطعم والبدن ومحل العمل، فقد بني الدين على النظافة.

٦- أن تكون صادق الكلمة فلا تكذب أبدًا.

٧- أن تكون وفيًا بالعهد والكلمة والوعد، فلا تخلف مهما كانت الظروف.

٨- أن تكون شجاعًا عظيم الاحتمال، وأفضل الشجاعة الصراحة في الحق وكتمان السر، والاعتراف بالخطأ والإنصاف من النفس وملكها عند الغضب.

٩- أن تكون وقورًا تؤثر الجد دائمًا، ولا يمنعك الوقار من المزاح الصادق والضحك في تبسم.

١٠- أن تكون شديد الحياء دقيق الشعور، عظيم التأثير بالحسن والقبح تسر

للأول وتتألم للثانى، وأن تكون متواضعًا فى غير ذلة ولا خنوع ولا ملق، وأن تطلب أقل من مرتبتك لتصل إليها.

١١- أن تكون عادلاً صحيح الحكم فى جميع الأحوال، لا ينسيك الغضب الحسنات ولا تغضى عين الرضا عن السيئات، ولا تحملك الخصومة على نسيان الجميل، وتقول الحق ولو كان على نفسك أو على أقرب الناس إليك وإن كان مرًا.

١٢- أن تكون عظيم النشاط مدربًا على الخدمات العامة، تشعر بالسعادة والسرور إذا استطعت أن تقدِّم خدمة لغيرك من الناس، فتعود المريض وتساعد المحتاج وتحمل الضعيف وتواسى المنكوب ولو بالكلمة الطيبة، وتبادر دائمًا إلى الخيرات.

١٣- أن تكون رحيم القلب كريمًا سمحًا تعفو وتصفح وتلين وتحلم وترفق بالإنسان والحيوان، جميل المعاملة حسن السلوك مع الناس جميعًا، محافظًا على الآداب الإسلامية الاجتماعية فترحم الصغير وتوقر الكبير وتفسح فى المجلس، ولا تتجسس ولا تغتاب ولا تصخب، وتستأذن فى الدخول والانصراف، إلخ.

١٤- أن تجيد القراءة والكتابة، وأن تكثر من المطالعة فى رسائل الإخوان وجرائدهم ومجلاتهم ونحوها، وأن تكوّن لنفسك مكتبة خاصة مهما كانت صغيرة، وأن تتبحر فى علمك وفنك إن كنت من أهل الاختصاص، وأن تلم بالشئون الإسلامية العامة إلمامًا يمكنك من تصورها والحكم عليها حكمًا يتفق مع مقتضيات الفكرة.

١٥- أن تزاول عملاً اقتصاديًا مهما كنت غنيًا، وأن تقدم على العمل الحر مهما كان ضئيلاً، وأن تزج بنفسك فيه مهما كانت مواهبك العلمية.

١٦- ألا تحرص على الوظيفة الحكومية، وأن تعتبرها أضيق أبواب الرزق ولا ترفضها إذا أتيحت لك، ولا تتخل عنها إلا إن تعارضت تعارضًا تامًا مع واجبات الدعوة.

١٧- أن تحرص كل الحرص على أداء مهنتك من حيث الإجادة والإتقان وعدم الغش وضبط الموعد.

١٨- أن تكون حسن التقاضى لحقِّك، وأن تؤدى حقوق الناس كاملة غير منقوصة بدون طلب، ولا تماطل أبدًا.

١٩- أن تبتعد عن الميسر بكل أنواعه مهما كان المقصد من ورائها، وتتجنب وسائل الكسب الحرام مهما كان وراءها من ربح عاجل.

٢٠- أن تبتعد عن الربا في جميع المعاملات وأن تطهر منه تمامًا.

٢١- أن تخدم الثروة الإسلامية العامة بتشجيع المصنوعات والمنشآت الاقتصادية الإسلامية، وأن تحرص على القرش فلا يقع فى يد غير إسلامية مهما كانت الأحوال، ولا تلبس ولا تأكل إلا من صنع وطنك الإسلامى.

٢٢- أن تشترك فى الدعوة بجزء من مالك، تؤدى الزكاة الواجبة فيه، وأن تجعل منه حقًا معلومًا للسائل والمحروم مهما كان دخلك ضئيلاً.

٢٣- أن تدخر للطوارئ جزءًا من دخلك مهما قلّ، وألا تتورط فى الكماليات أبدًا.

٢٤- أن تعمل ما استطعت على إحياء العادات الإسلامية وإماتة العادات الأعجمية فى كل مظاهر الحياة، ومن ذلك التحية واللغة والتاريخ والزى والأثاث، ومواعيد العمل والراحة، والطعام والشراب، والقدوم والانصراف، والحزن والسرور. . . إلخ، وأن تتحرى السنة المطهرة فى كل ذلك.

٢٥- أن تقاطع المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامى، والأندية والصحف والجماعات والمدارس والهيئات التى تناهض فكرتك الإسلامية مقاطعة تامة.

٢٦- أن تديم مراقبة الله تبارك وتعالى، وتذكر الآخرة وتستعد لها، وتقطع مراحل السلوك إلى رضوان الله بهمّة وعزيمة، وتتقرب إليه سبحانه بنوافل العبادة ومن ذلك صلاة الليل وصيام ثلاثة أيام من كل شهر على الأقل، والإكثار من الذكر القلبى واللسانى، وتحرِّى الدعاء المذكور على كل الأحوال.

٢٧- أن تحسن الطهارة وأن تظل على وضوء فى غالب الأحيان.

٢٨- أن تحسن الصلاة وتواظب على أدائها فى أوقاتها، وتحرص على الجماعة والمسجد ما أمكن ذلك.

٢٩- أن تصوم رمضان وتحج البيت إن استطعت إليه سبيلاً، وتعمل على ذلك إن تكن مستطيعًا الآن ذلك.

٣٠- أن تستصحب دائمًا نية الجهاد وحب الشهادة وأن تستعد لذلك ما وسعك الاستعداد.

٣١- أن تجدد التوبة والاستغفار دائمًا وأن تتحرز من صغائر الآثام فضلاً عن كبارها، وأن تجعل لنفسك ساعة قبل النوم تحاسبها فيها على ما عملت من خير أو شر، وأن تحرص على الوقت فهو الحياة فلا تصرف جزءًا منه فى غير فائدة، وأن تتورع عن الشبهات حتى لا تقع فى الحرام.

٣٢- أن تجاهد نفسك جهادًا عنيفًا حتى يسلس قيادها لك، وأن تغض طرفك وتضبط عاطفتك وتقاوم نوازع الغريزة فى نفسك، وتسمو بها دائمًا إلى الحلال الطيب، وتحول بينها وبين الحرام من ذلك أيًا كان.

٣٣- أن تتجنب الخمر والمسكر والمفتر وكل ما هو من هذا القبيل كل الاجتناب.

٣٤- أن تبتعد عن أقران السوء وأصدقاء الفساد وأماكن المعصية والإثم.

٣٥- أن تحارب أماكن اللهو فضلاً عن أن تقربها، وأن تبتعد عن مظاهر الترف والرخاوة جميعًا.

٣٦- أن تعرف أعضاء كتيبتك فردًا فردًا معرفة تامة، وتعرفهم نفسك معرفة تامة كذلك، وتؤدى حقوق أخوتهم كاملة من الحب والتقدير والمساعدة والإيثار، وأن تحضر اجتماعاتهم فلا تتخلف عنها إلا بعذر قاهر، وتؤثرهم بمعاملتك دائمًا.

٣٧- أن تتخلى عن صلتك بأية هيئة أو جماعة لا يكون الاتصال بها فى مصلحة فكرتك وبخاصة إذا أمرت بذلك.

٣٨- أن تعمل على نشر دعوتك فى كل مكان وأن تحيط القيادة علمًا بكل ظروفك ولا تقدم على عمل يؤثر فيها تأثيرًا جوهريًا إلا بإذن، وأن تكون دائم الاتصال الروحى والعملى بها، وأن تعتبر نفسك دائمًا جنديًا فى الثكنة تنتظر الأمر.

أيها الأخ الصادق:

هذا مجمل لدعوتك، وبيان موجز لفكرتك، وتستطيع أن تجمع هذه المبادئ في خمس كلمات:

الله غايتنا. والرسول قدوتنا. والقرآن شرعتنا. والجهاد سبيلنا. والشهادة أمنيتنا.

وأن تجمع مظاهرها في خمس كلمات أخرى:

البساطة. والتلاوة. والصلاة. والجندية. والخلق. فخذ نفسك بشدة بهذه التعاليم، وإلا ففي صفوف القاعدين متسع للكسالى والعابثين.

وأعتقد أنك إن عملت بها وجعلتها أمل حياتك وغاية غاياتك، كان جزاؤك العزة في الدنيا والخير والرضوان في الآخرة، وأنت منا ونحن منك، وإن انصرفت عنها وقعدت عن العمل لها فلا صلة بيننا وبينك، وإن تصدرت فينا المجالس وحملت أفخم الألقاب وظهرت بيننا بأكبر المظاهر، وسيحاسبك الله على قعودك أشد الحساب، فاختر لنفسك ونسأل الله لنا ولك الهداية والتوفيق.

﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿١٠﴾ تُؤْمِنُونَ
بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ
﴿١١﴾ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي
جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَٰلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ﴿١٢﴾ وَأُخْرَىٰ تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ
الْمُؤْمِنِينَ ﴿١٣﴾ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُونُوا أَنصَارَ اللَّهِ كَمَا قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ لِلْحَوَارِيِّينَ
مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللَّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللَّهِ فَآمَنَت طَّائِفَةٌ مِّن بَنِي إِسْرَائِيلَ وَكَفَرَت
طَّائِفَةٌ فَأَيَّدْنَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَىٰ عَدُوِّهِمْ فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ ﴾(١).

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

---

(١) سورة الصف: ١٠-١٤.

نظام الأسر

بسم الله الرحمن الرحيم

والحمد لله والصلاة والسلام على رسوله ومن والاه

الأسرة

يحرص الإسلام على تكوين أسر من أهله يوجههم إلى المثل العليا ويقوِّى روابطهم، ويرفع أخوتهم من مستوى الكلام والنظريات إلى مستوى الأفعال والعمليات. فاحرص يا أخى أن تكون لبنة صالحة فى هذا البناء (الإسلام).

وأركان هذا الرباط ثلاثة فاحفظها واهتم بتحقيقها حتى لا يكون هذا تكليفًا لا روح فيه:

١- **التعارف**: هو أول هذه الأركان، فتعارفوا وتحابوا بروح الله، واستشعروا معنى الأخوة الصحيحة الكاملة فيما بينكم، واجتهدوا ألا يعكر صفو علاقتكم شيء، وتمثلوا الآيات الكريمة دائمًا والأحاديث الشريفة، اجعلوها نصب أعينكم وتذاكروا قول الله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ وقوله تعالى: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ وقول رسول الله -ﷺ-: **«المؤمن للمؤمن كالبنيان يشد بعضه بعضًا» «المسلم أخو المسلم لا يظلمه ولا يسلمه» «مثل المؤمنين فى توادِّهم وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد»**.

ولقد ظلت هذه الأوامر الربانية والتوجيهات المحمدية بعد الصدر الأول كلامًا على ألسنة المسلمين، وخيالاً فى نفوسهم، حتى جئتم معشر الإخوان المتعارفين، تحاولون تطبيقها فى مجتمعكم، وتريدون تأليف الأمة، المتآخية بروح الله وأخوَّة الإسلام من جديد، فهنيئًا لكم إن كنتم صادقين، وأرجو أن تكونوا كذلك، والله ولى توفيقكم.

٢- **والتفاهم**: وهو الركن الثانى من أركان هذا النظام. فاستقيموا على

منهج الحق، وافعلوا ما أمركم الله به واتركوا ما نهاكم عنه. وحاسبوا أنفسكم حسابًا دقيقًا على الطاعة والمعصية. ثم بعد ذلك لينصح كل منكم أخاه، متى رأى فيه عيبًا. وليقبل الأخ نصح أخيه بسرور وفرح، وليشكر له ذلك وليحذر الناصح أن يتغير قلبه على أخيه المنصوح بمقدار شعرة، وليحذر أن يشعره بانتقاصه، أو بتفضيل نفسه عليه، ولكنه يتستر عليه شهرًا كاملاً، ولا يخبر بما لاحظه أحدًا إلا رئيس الأسرة وحده إذا عجز عن الإصلاح، ثم لا يزال بعد ذلك على حبه لأخيه وتقديره إياه ومودته له، حتى يقضى الله أمرًا كان مفعولاً. وليحذر المنصوح من العناد والتصلب وتغير القلب على أخيه الناصح قيد شعرة، فإن مرتبة الحب فى الله هى أعلى المراتب، والنصيحة ركن الدين: **«الدين النصيحة»** والله يعصمكم من بعض، ويعزكم بطاعته، ويصرف عنا وعنكم كيد الشيطان.

٣- **التكافل**: هو الركن الثالث، فتكافلوا، وليحمل بعضكم عبء بعض، وذلك صريح الإيمان ولب الأخوة، فليتعهد بعضكم بعضًا بالسؤال والبر، وليبادر إلى مساعدته ما وجد إلى ذلك سبيلاً. وتصوروا قول رسول الله -ﷺ- **«لأن يمشى أحدكم فى حاجة أخيه خير له من أن يعتكف فى مسجدى هذا شهرًا»** **«من أدخل السرور على أهل بيت من المسلمين لم يرَ الله له جزاء دون الجنة»** والله يؤلف بين قلوبكم بروحه إنه نعم المولى ونعم النصير.

أيها الإخوان: فى الواجبات التى بين أيديكم -إن وعيتموها- والأعمال التى بين أيديكم -إن اتبعتموها- ما يكفل تحقيق هذه الأركان. فراجعوا دائمًا واجبات الأخ التعاونى، وليحاسب كل منكم نفسه على إنفاذها، ثم ليحرص كل أخ على الاجتماعات المحددة مهما كانت أعذاره، ثم ليبادر كل منكم إلى تسديد ما عليه لصندوق أسرته، حتى لا يتخلف عن الواجبات متخلف؛ فإذا أديتم هذه الواجبات الفردية والاجتماعية والمالية، فإن أركان هذا النظام ستتحقق ولا شك. وإذا قصرتم فيها فسيتضاءل حتى يموت، وفى موته أكبر خسارة لهذه الدعوة، وهى اليوم أمل الإسلام والمسلمين. ويسأل كثير منكم عما يشغلون به وقت اجتماعهم الأسبوعى كأسرة، وذلك أمر سهل ميسور وما أكثر الواجبات وأقل الأوقات، فليكن ما تشغل الأسرة به اجتماعاتها:

١- يعرض كل أخ مشاكله ويشاركه إخوانه فى دراسة حلولها فى جو من

صدق الأخوة وإخلاص التوجه إلى الله. وفى ذلك توطيد للثقة، وتوثيق للرابطة «المؤمن مرآة أخيه» وحتى يتحقق فينا شىء من مأثور قوله عليه الصلاة والسلام **«مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم وتعاطفهم، كمثل الجسد الواحد، إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى»**.

٢- مذاكرة حول شئون الإسلام. وتلاوة الرسائل والتوجيهات الواردة من القيادة العامة للأسر، ولا محل فى الأسرة للجدل أو الحدة أو رفع الصوت؛ فذلك حرام فى فقه الأسرة، ولكنه بيان واستيضاح فى حدود الأدب الكامل والتقدير المتبادل من الجميع. فإذا أغلق شىء أو أريد اقتراح شىء أو استيضاحه، احتفظ به النقيب حتى يرجع إلى القيادة، قد عاب الله أقوامًا فقال: ﴿وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ﴾ ثم أرشدهم إلى ما يجب أن يكون فقال: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَىٰ أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾[1].

٣- مدارسة نافعة فى كتاب من الكتب القيمة. وليحرص الإخوان بعد هذا على تحقيق معنى الأخوَّة فى المجاملات الطارئة، التى لا تحصرها الكتب ولا تحيط بها التوجيهات، وأشار إليها الصادق الأمين -ﷺ-: عيادة المريض، ومواساة المحتاج ولو بالكلمة الطيبة، وتفقد الغائب، وتعهد المنقطع... كلها تزيد رابطة الإخاء، وتضاعف فى النفوس الشعور بالحب والصلة.

ولزيادة الترابط بين الإخوان عليهم أن يحرصوا على:

١- القيام برحلات ثقافية لزيارة الآثار والمصانع وغير ذلك.
٢- القيام برحلات قمرية رياضية.
٣- القيام برحلات نهرية للتجديف.
٤- القيام برحلات جبلية أو صحراوية أو حقلية.
٥- القيام برحلات متنوعة بالدراجة.
٦- صيام يوم فى الأسبوع أو كل أسبوعين.
٧- صلاة الفجر جماعة مرة كل أسبوع على الأقل فى المسجد.
٨- الحرص على مبيت الإخوان مع بعضهم مرة كل أسبوع أو أسبوعين.

---

(١) سورة النساء: ٨٣.

العقائد

مقدمـات

١- تعريف العقائد:

العقائد: هي الأمورُ التي يجبِ أن يُصدِّق بها قلبُك، وتطمئنّ إليها نفسُك، وتكون يقينًا عندك، لا يمازجُه ريب، ولا يخالطه شك.

٢- الناس في درجات الاعتقاد:

والناس في قوةِ العقيدة وضعفها أقسام كثيرة، بحسب وضوح الأدلة، وتمكنها من نفوس كل قسم. ولنوضح لك هذا المقام بضرب المثال الآتي:

لو أن رجلاً سمع بوجود بلد لم يرَه، كاليمن مثلاً، من رجل آخر غير معروف بالكذب فإنه يصدقه بوجود هذا البلد ويعتقدُه، فإذا سمع هذا الخبر من عدّة رجال زاد به ثقةً، وإن كان لا يمنعه ذلك من أن يشك في اعتقاده إذا عرضت له الشُّبهات، فإذا رأى صورته الفوتوغرافية زاد اعتقادُه بوجوده، وأصبح الشك متعسرًا عليه أمامَ قوة هذا الدليل، فإذا سافر وبدت له أعلامُه وبشائرُه زاد إيقانُه وزالَ شكه، فإذا نزله ورآه رأى العين، لم يعد هناك مجالٌ للريبة، ورسخت في نفسه هذه العقيدة رسوخًا قويًّا حتى يكون من المستحيلِ رجوعه عنها ولو أجمع الناس على خلافها، فإذا سار في طرقه وشوارعه، ودرس شئونَه وأحوالهَ ازداد به خبرةً ومعرفةً، وكان ذلك أمرًا موضحًا لاعتقاده زائدًا عليه.

إذا علمت هذا فاعلم أن الناسَ أمامَ العقائد الدينية أقسامٌ كذلك: منهم من تلقاها تلقينًا، واعتقدها عادة، وهذا لا يؤمن عليه من أن يتشكك إذا عرضت له الشُّبهات، ومنهم من نظر وفكّر فازداد إيمانُه، وقوى يقينُه، ومنهم من أدام النّظَر وأعملَ الفكرْ، واستعان بطاعة الله تعالى وامتثال أمره، وإحسان عبادته، فأشرقت مصابيحُ الهداية في قلبه، فرأى بنور بصيرته ما أكملَ إيمانَه وأتّم يَقينَه، وثَّبت فؤادَه: ﴿وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدًى وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ﴾(١).

---

(١) سورة محمد: ١٧.

وإنما ضربنا لك هذا المثل لترقى بنفسك عن مواطن التقليد فى التوحيد، وتُعْملَ الفكْرة فى تَفَهُّمِ عقيدتك، وتستعين بطاعة مولاك فى معرفة أصول دينك حتى تصلَ إلى مراتب الرجال. وتترقّى فى مدارج الكمال:

قد رشَّحوك لأمرٍ لو فَطِنْتَ له فاربأ بنفسك أن ترعى مع الهَمَلِ

٣- تقدير الإسلام للعقل وحثه على التفكير والنظر:

أساسُ العقائد الإسلاميّة. ككل الأحكام الشرعية. كتابُ الله تعالى، وسنة رسوله -ﷺ-.

ويجب أن تعلم، مع ذلك، أن كل هذه العقائد يؤيِّدُها العقل، ويثبِّتُها النظرُ الصحيحُ. ولهذا شرف الله تعالى العقلَ بالخطاب، وجعلَه مناطَ التكليف. وندبَه إلى البحث والنظر والتفكير. قال الله تعالى: ﴿قُلِ انظُرُوا مَاذَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ(١) وَمَا تُغْنِي الآيَاتُ وَالنُّذُرُ عَنْ قَوْمٍ لاَّ يُؤْمِنُونَ﴾(٢)، وقال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَنظُرُوا إِلَى السَّمَاءِ فَوْقَهُمْ (٣) كَيْفَ بَنَيْنَاهَا وَزَيَّنَّاهَا وَمَا لَهَا مِن فُرُوجٍ ﴿٦﴾ وَالأَرْضَ مَدَدْنَاهَا وَأَلْقَيْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴿٧﴾ تَبْصِرَةً وَذِكْرَىٰ لِكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٨﴾ وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُّبَارَكًا فَأَنبَتْنَا بِهِ جَنَّاتٍ وَحَبَّ الْحَصِيدِ ﴿٩﴾ وَالنَّخْلَ بَاسِقَاتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ رِّزْقًا لِّلْعِبَادِ وَأَحْيَيْنَا بِهِ بَلْدَةً مَّيْتًا كَذَٰلِكَ الْخُرُوجُ﴾(٤). وذم الذين لا يتفكرون ولا ينظرون فقال تعالى: ﴿وَكَأَيِّن مِّنْ آيَةٍ(٥) فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ

---

(١) ﴿قل انظروا ماذا في السموات والأرض﴾ أى من الآيات الدالة على وحدانية الله تعالى. ﴿وما تغنى الآيات﴾ أى الدلالات. ﴿والنذر﴾ أى الرسل صلوات الله وسلامه عليهم.

(٢) سورة يونس: ١٠١.

(٣) أى نظر اعتبار وتفكر ﴿كيف بنيناها﴾ أى رفعناها بلا عمد. ﴿وزيناها﴾ بالنجوم ﴿ومالها من فروج﴾ أى شقوق تعيبها ﴿والأرض مددناها﴾ أى دحوناها ﴿وألقينا فيها رواسى﴾ جبالاً تثبتها ﴿من كل زوج﴾ أى صنف من النبات ﴿بهيج﴾ أى حسن يسر الناظرين ﴿تبصرة﴾ أى فعلنا ذلك تبصيراً منا ﴿وذكرى﴾ تذكيراً ﴿لكل عبد منيب﴾ رجاع إلى طاعتنا ﴿فأنبتنا به جنات﴾ أى بساتين ﴿وحب الحصيد﴾ أى وحب النبت المحصود ﴿والنخل باسقات﴾ أى طوالا ﴿لها طلع نضيد﴾ متراكب بعضه فوق بعض ﴿كذلك الخروج﴾ أى من القبور.

(٤) سورة ق: ٦-١١.

(٥) ﴿وكأين من آية﴾ أى وكم من آية دالة على وحدانية الله تعالى ﴿يمرون عليها﴾ أى يشاهدونها ﴿وهم عنها معرضون﴾ أى لا يتفكرون فيها.

يَمُرُّونَ عَلَيْهَا وَهُمْ عَنْهَا مُعْرِضُونَ﴾(١)، وطالب الخصوم بالدليل والبرهان حتى فيما هو ظاهر البطلان؛ تقديرًا للأدلة، وإظهارًا لشرف الحجة. وقد ورد في الحديث أن بلالاً جاءَ يؤذنُ النبيَّ -ﷺ- بصلاة الصبح، فرآه يبكي فسأله عن سبب بكائه، فقال: «ويحكَ يابلالُ! وما يمنعني أن أبكيَ وقد أنزلَ اللهُ عليَّ في هذه الليلة» ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لأُولِي الأَلْبَابِ﴾(٢)، ثم قال: «وَيْلٌ لمن قرأها ولم يَتفكَّرْ فيها» رواه ابن أبي الدنيا في كتاب (التفكر).

ومن هنا تعلم أن الإسلام لم يَحْجُرْ على الأفكار ولم يحبس العقول، وإنما أرشدها إلى التزام حدِّها، وعرَّفها قلَّةَ علمها، وندَبها إلى الاستزادة من معارفها، فقال تعالى: ﴿وَمَا أُوتِيتُم مِّنَ الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً﴾(٣)، وقال تعالى: ﴿وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾(٤).

٤- أقسام العقائد الإسلامية:

العقائد الإسلاميةُ تنقسمُ إلى أربعةِ أقسامٍ رئيسيةٍ، تحت كل قسم منها فروع عِدّة.

القسم الأول: الإلهيات، وتبحث فيما يتعلق بالإله سبحانه وتعالى من حيث صفاته وأسماؤه وأفعاله. ويلحق بها ما يستلزمه اعتقادهُ من العبد لمولاه.

القسم الثاني: النبوَّات، وتبحث في كل ما يتعلق بالأنبياء صلوات الله وسلامه عليهم من حيث صفاتهم وعصمتهم ومهمتهم والحاجة إلى رسالتهم.

---

(١) سورة يوسف: ١٠٥.

(٢) ﴿لآيات لأولي الألباب﴾ الذين يستعملون عقولهم في تأمل الدلائل. قال القرطبي: ختم تعالى هذه السورة بالأمر بالنظر والاستدلال في آياته إذ لا تصدر إلا عن حيّ قيوم قدير قدوس سلام غني عن العالمين حتى يكون إيمانهم مستندًا إلى اليقين لا إلى التقليد. سورة آل عمران: ١٩٠.

(٣) سورة الإسراء: ٨٥.

(٤) سورة طه: ١١٤.

ويلحق بهذا القسم ما يتعلق بالأولياء رضوان الله عليهم، والمعجزةِ والكرامةِ، والكتب السماويةِ.

القسم الثالث: الرُّوحانيَّات، وتبحث فيما يتعلق بالعالم غير المادى: كالملائكة عليهم السلام، والجن، والروح.

القسم الرابع: السَّمْعيّات، فيما يتعلق بالحياة البَرْزَخيَّةِ، والحياة الأخروية: كأحوال القبر، وعلاماتِ القيامةِ، والبعثِ، والموقفِ، والحسابِ، والجزاءِ.

القسم الأول - الإلهيات

١- ذات الله تبارك وتعالى:

اعلم يا أخى، هدانا الله وإياك إلى الحق، أن ذات الله تبارك وتعالى أكبر من أن تحيط بها العقولُ البشريةُ، أو تدركها الأفكارُ الإنسانيةُ، لأنها مهما بلغت من العلوّ والإدراك محدودة القوةِ، محصورة القدرةِ. وسنفرد لك بحثًا خاصًا إن شاء الله تعالى تعلم منه مبلغ قصور العقل البشرى عن إدراك حقائق الأشياء، ولكن يكفى أن أذكرك بما نلمسه الآن من أن عقولنا، من أكبرها إلى أصغرها، تنتفع بكثير من الأشياء ولا تعلم حقائقها. فالكهرباء والمغناطيس وغيرهما، قوى نستخدمها وننتفع بها ولا نعلم شيئًا من حقيقتها. ولا يستطيع أكبرُ عالم الآن أن يفيدك عنها بشىء، على أن معرفة حقائق الأشياء وذواتها لا يفيدنا بشىء، ويكفينا أن نعرفَ من خواصها ما يعود بالفائدة علينا.

فإذا كان هذا شأننا فى الأمور التى نلمسها ونحسها فما بالك بذات الله تبارك وتعالى؟! وقد ضل أقوام تكلموا فى ذات الله تبارك وتعالى فكان كلامهم سببًا لضلالهم وفتنتهم واختلافهم لأنهم يتكلمون فيما لا يدركون تحديده. ولا يقدرون على معرفة كُنْهه؛ ولهذا نهى رسولُ الله -ﷺ- عن التفكر فى ذات الله، وأمر بالتفكر فى مخلوقاته.

عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن قومًا تفكَّروا فى الله عز وجل فقال النبىُّ -ﷺ-: **«تَفكَّروا فى خَلق الله، ولا تَتَفكَّروا فى الله، فإنكم لن تَقْدُروا قَدْرَهُ»** قال العراقى: رواه أبو نُعَيم فى الحِلْية بإسنادٍ ضعيفٍ، ورواه الأصبهانى فى الترغيب والترهيب بإسنادٍ أصح منه، ورواه أبو الشيخ كذلك وهو على كل حال صحيح المعنى.

وليس ذلك حجرًا على حرية الفكْر، ولا جمودًا فى البحث، ولا تضييقًا على العقل، ولكنه عصمةٌ له من التردى فى مهاوى الضلالة، وإبعادٌ له عن معالجة أبحاث لم تتوفر له وسائلُ بحثها، ولا تحتمل قوتُه -مهما عظمت- علاجَها. وهذه هى طريقة الصالحين من عباد الله العارفين بعظمةِ ذاته، وجلالِ قدرِه. سئل

الشبلى[١] رحمه الله تعالى عن الله تبارك وتعالى فقال: هو الله الواحدُ المعروف، قبل الحدود وقبل الحروف. وقيل ليحيى بن مُعاذ[٢]: أخبرنى عن الله عز وجل فقال: إلهٌ واحدٌ. فقيل له: كيف هو فقال: ملكٌ قادرٌ. فقيل له: أين هو؟ فقال: إنه لبالمرصاد. فقال السائل: لم أسألْك عن هذا. فقال: ما كان غير هذا كان صفة المخلوق، فأما صفته فما أخبرتك عنه.

فاحصر همتك فى إدراك عظمةِ ربّك بالتفكرِ فى مخلوقاتهِ والتمسك بلوازم صفاتِه.

٢- أسماء الله تبارك وتعالى:

إن الخالق المتصرف جل وعلا تعرَّف إلى خلقه بأسماء وصفات تليق بجلاله، يحسن بالمؤمن حفظها تبركًا بها، وتلذذًا بذكرها، وتعظيمًا لقدرها. وإليك الحديث الصحيح الذى جمعها، فَنعم المعلِّم رسولِ اللهِ -ﷺ- ونعم المرشدُ والهادى لسانُ الوحى، ومشكاةُ النبوّة.

عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قالَ: قالَ رسولُ الله -ﷺ-: **«لله تسعةُ وتسعونَ اسمًا مائةٌ إلاَّ واحدًا[٣] لا يحفظها أحدٌ إلاَّ دَخلَ الجنَّةَ، وهَو وتْر[٤]**

(١) هو أبو بكر دلف بن جحدر الشبلى. قال أبو القاسم القشيرى: بغدادى المولد والمنشأ، وأصله من أسر وشنة، صحب الجنيد ومن فى عصره وكان نسيج وحده حالاً وظرفًا وعلمًا، مالكى المذهب، عاش سبعًا وثمانين سنة، ومات سنة أربع وثلاثين وثلثمائة، وقبره ببغداد، ولما تاب الشبلى فى مجلس «خبر» النساج أتى دماوند وقال: كنت والى بلدكم فاجعلونى فى محل. ومجاهداته فى بدايته فوق الحد.

(٢) هو أبو زكريا يحيى بن معاذ الرازى. قال القشيرى: نسيج وحده فى وقته، له لسان فى الرجاء خصوصًا، وكلام فى المعرفة، خرج إلى بلخ وأقام بها مدة ورجع إلى نيسابور، ومات بها سنة ثمان وخمسين ومائتين. قال أحمد بن عيسى: سمعت يحيى بن معاذ يقول: كيف يكون زاهدًا من لا ورع له، تورع عما ليس لك ثم ازهد فيما لك. وقال يحيى: لا تربح على نفسك بشىء أجل من أن تشغلها فى كل وقت بما هو أولى بها.

(٣) قوله -ﷺ- «مائة إلا واحدًا» قال الحافظ العسقلانى فى شرح البخارى: قال جماعة من العلماء الحكمة فى قوله: «مائة إلا واحدًا» بعد قوله «تسعة وتسعون» أن يتقرر ذلك فى نفس السامع جمعًا بين جهتى الإجمال والتفصيل، أو دفعًا للتصحيف الخطى والسمعى.

(٤) قوله -ﷺ- «وهو وتر»: أى أنه تبارك وتعالى الواحد الذى لا نظير له فى ذاته ولا =

يحبُّ الوِتْرَ» رواه البخاريُّ ومسلمٌ. وفى رواية للبخارى «من أحصاها» ورواه الترمذىُّ وزاد: هو الله الذى لا إله إلاَّ هو، الرحمنُ الرحيمُ، الملكُ، القُدوسُ، السلامُ، المؤمنُ، المُهَيْمنُ، العزيزُ، الجبّار، المتكبّرُ، الخالقُ، البارئ، المصوِّرُ، الغفارُ، القهّار، الوهّابُ، الرزَّاقُ، الفتّاحُ، العليمُ، القابضُ، الباسطُ، الخافضُ، الرافعُ، المعزُّ، المذلُ، السميعُ، البصيرُ، الحكَمُ، العدلُ، اللطيفُ، الخَبيرُ، الحَليمُ، العظيمُ، الغَفورُ، الشكورُ، العلىُّ، الكبيرُ، الحفيظ، المُقيتُ، الحسيبُ، الجليلُ، الكريمُ، الرّقيبُ، المجيبُ، الواسعُ، الحكيمُ، الودُودُ، المجيدُ، الباعثُ، الشَّهيدُ، الحقُّ، الوكيلُ، القوىُّ، المتينُ، الولىُّ، الحميدُ، المحصى، المبدئُ، المُعيدُ، المحيى، المميتُ، الحىُّ، القيّومُ، الواجدُ، الماجدُ، الواحدُ، الصَّمَدُ، القادرُ، المقتدرُ، المقدِّمُ، المؤخِّرُ، الأولُ، الآخرُ، الظاهرُ، الباطنُ، الوالى، المتعالى، البَرُّ، التوابُ، المنتقمُ، العفوُّ، الرَّءُوفُ، مالكُ الملك، ذو الجلالِ والإكرامِ، المقْسط، الجامعُ، الغنىُّ، المغنى، المانعُ، الضارُّ، النافعُ، النورُ، الهادى، البديعُ، الباقى، الوارثُ، الرَّشيدُ، الصَّبورُ».

معانى بعض أسماء الله:

(القُدُّوسُ) المطهَّرُ من العيوبِ. (السلامُ) الأمان لخلقه، أو هو السالمُ من العيوب. (المُؤْمنُ) المصدِّقُ وعدَه لخلقه والمؤمِّنُ لهم من عذابه. (المهيْمن) المسيطرُ المتصرِّفُ، أو الشهيدُ الرقيبُ. (العزَيزُ) القاهرُ الغالبُ. (الجبَّارُ) المنفذ لأوامره. (المتكبِّرُ) العالى عن صفات الخلق المتفرِّد بصفات عظمته (البارئُ) الخالقُ وهو فى خلق ذى الروحِ أظهر. يقال: بارئُ النّسَم وخالق السموات والأرض. (المقيتُ) العالمُ العارفُ (الحَسيبُ) الكافى لخلقِه. (المحْصى) هو الذى أحصى كل شىء

= انقسام. وقوله -ﷺ- «يحب الوتر» قال القرطبى: الظاهر أن الوتر هنا للجنس؛ إذ لا معهود جرى ذكره حتى يحمل عليه، فيكون معناه أنه يحب كل وتر شرعه، ومعنى محبته له أنه أمر به وأثاب عليه، ويصلح ذلك لعموم ما خلقه وترًا من مخلوقاته، أو معنى محبته له أنه خصصه بذلك لحكمة يعلمها، ويحتمل أن يريد بذلك وترًا يعينه وإن لم يجر له ذكر. ثم قال بعد كلام: ويظهر لى وجه آخر وهو أن الوتر يراد به التوحيد، فيكون المعنى أن الله فى ذاته وكماله وأفعاله، واحد يحب التوحيد؛ أى أن يوحد ويعتقد انفراده بالألوهية دون خلقه، فيلتئم أول الحديث وآخره، والله أعلم.

بعلمــه فلا يفــوته شيء من الأشــياء. (البَــرُّ) المتعطِّفُ عــلى عبــاده ببرِّه ولطفــه. (المقْسِطُ) العادلُ في حكمه. (الرشيدُ) الذى يُرشِدُ الخلق إلى مصالحهم. (الصَبورُ) هو الذى لا يعاجلُ العُصاةَ بالانتقامِ منهم.

بحوث تتعلق بأسماء الله الحسنى

١- الأسماء الزائدة عن التسعة والتسعين:

هذه التسعة والـتسعون ليست كل ما ورد فى أسمــاء الله تبارك وتعالى، بل وردت الأحاديث بغيــرها من الأسماء. فقد ورد فــى هذا الحديث من رواية أخرى (الحنَّانُ) (المنان) (البديع)، وورد كــذلك فى أسمائه تعالى (المغــيثُ)، و(الكفيلُ)، و(ذو الطَّوْل) و(ذو المعارج) و(ذو الفضْلِ)، و(الخلاقُ).

قال أبو بكر بنُ العــربىِّ فى شرح الترمذىِّ حاكــيًا عن بعضِ أهلِ العلم: إنه جمع من الكتاب والسنة من أسمائه تعــالى ألف اسم. وفى كلام صاحب «القَصد المجرد» مــا يفيد ذلك، وأشــار إلى ذلك الشوكانــى فى «تحفة الذاكــرين» ثم قال: وأنهضُ ما ورد في إحصائها الحديثُ المذكور وفيه الكفاية.

٢- الأحاديث التى وردت فيها ألفاظ على أنها أسماء لله تعالى على المجاز:

ثم اعلم أن بعضَ الأحاديثِ وردتْ فــيها ألفاظ على أنها أســماء لله تعالى، ولكن قــرائن الحالِ وأصل الوضع يدل على غــير ذلك، فــاعلم أن ذلك من قبــيل المجاز لا الحــقــيقــة، ومن قبيل تســمية الشىء باسم غيــره لعلاقة بينهــما أو على تقــدير بعض المحذوفــات. مثــال ذلك الحــديث الذى رواه أبو هريرة -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «لا تَسُبُّوا الدَّهرَ فإنَّ الله هو الدَّهْرُ» رواه مسلم، وحديث عائشة -رضي الله عنها-: «دَعُــوهُ يَئن فَــإنَّ الأنينَ اسْمٌ منْ أسْمَــاء الله تَعَــالىَ يَرْتَاح إلَيْـه المريضُ»، ذكره الجلالُ السيوطىُّ فى الجامع الصغير عن الرافعى وحسّنه، وليس هو من رواية مــسلم، ولا من حــديث أبى هريرة كــمــا يخطئ بعض الناس، ومنه مــا ورد فى إطلاق اسم رمضان على الحق تبارك وتعالى فى بعض الآثار.

فكل هذه لا يُراد منهــا ظواهرُها وحقيــقةُ الإطلاق، بل المقــصودُ فى الأول

مثـلا: فإن الله هو المسبب لحوادث الدهر فـلا يصح أن ينسب إلى الدهر شيء ولا أن يسب ويذم[(١)]؛ وفي الثاني: فـإن الأنين أثر قهر الله يرتـاح إليه المريض وهكذا في المعاني التي تدل عليها قرائن الأحوال.

٣- التوقيف في أسماء الله تعالى وصفاته:

واعلم أن جمهورَ المسلمين على أنه لا يصح أن نطلق على الله تبارك وتعالى اسمًـا أو وصفًا لم يرد به الشـرعُ، بقصد اتـخاذه اسمًـا له تعالى وإن كان يشـعر بالكمال، فـلا يصح أن نقولَ: مهندسُ الكون الأعظم، ولا أن نقولَ مـثلاً: المديرُ العام لشئونِ الخلقِ، على أن تكون هذه أسماء أو صفات له تعالى يصطلح عليها، ويتفق على إطلاقها عليه تعالى، ولكنهـا إن جاءت في عرض الكلام لبيانِ تصرفه تعالىِ من باب التقريب للأفهام فلا بأسِ، والأولى العدولُ عن ذلك تأدبًا مع الحق تبارك وتعالى.

٤- العلمية والوصفية في هذه الأسماء:

وهذه الأسمـاء المتقـدمةُ منهـا علَم واحد وُضع للذات الـقُدسيـة وهو لفظ الجلالة: الله، وباقـيها كـلها ملاحظ فـيها مـعنى الصفـات؛ ولهذا صح أن تكون أخبارًا لـلفظ الجلالة. وهل هو مشتَقٌ أو غـير مشتق؟ مـسألةٌ خلافيـةٌ، لا يترتب عليـها أمـرٌ عمليٌّ، وحـسبنا أنْ نعلمَ أنَّ اسمَ الذاتِ هو هذا الاسم المـفرد وبقـية الأسماء مشربةٌ بالوصفيةِ، وفي هذا الكفاية.

٥- خواص أسماء الله الحسنى:

يذكر البـعضُ أنَّ لكلٍّ اسمٍ من أسمـاء الله تعالى خواصَّ وأسـرارًا تتعلق به على إفاضة فيها أو إيجاز، وقد يتغالى البعضُ فيتجاوزُ هذا القدر إلى زعمِ أن لكلِّ اسمٍ خادمًا روحـانيًا يخدم من يواظب على الذكـر به، وهكذا؛ والذى أعلمُه في

---

(١) وقال النووي في شـرح مسلم: أي لا تسبـوا فاعل النوازل فإنكم إذا سـببتم فـاعلها وقع السب على الله تعالى لأنه هو فاعلها ومنزلهـا. وأما الدهر الذي هو الزمان فلا فعل له، بل هو مخلوق من جملة خلق الله تعالى.

هذا، وفوق كل ذى علم عليمٌ، أنَّ أسمـاء الله تعالى ألفاظٌ مشرفـةٌ لها فضل على سائر الكلام، وفـيها بركةٌ، وفى ذكـرها ثوابٌ عظيمٌ. وأن الإنسان إذا واظب على ذكر الله تعالى طهرت نفسُه، وصفت روحُـه، ولاسيما إذا كان ذكره بحضور قلبٍ وفهم للمـعنى. أما ما زاد على ذلك فلـم يرد فى كتاب ولا سنة، وقـد نهينا عنَ الغلوّ فى دين الله تعالى، والزيادة فيه، وحسبنا الاقتصارُ على ما ورد.

٦- اسم الله الأعظم:

ورد ذكر اسم اللهِ الأعظمِ فى أحاديث كثيرة؛ منها:

١- عن بريدةَ -رضي الله عنه- قال: سـمعَ النّبىُّ -ﷺ- رجلاً يدعـو وهو يقولُ: اللّهُمَّ إنى أسألُك بأنّى أشـهدُ أنك أنتَ الله لاَ إله إلاَّ أنتَ الأحدُ الصَّـمَدُ(١) الذى لم يلد ولم يولَد، ولم يكن له كُفُوًا أحدٌ قالَ: فقال: «**والذى نفسى بيده لقد سأل اللهَ باسمـه الأعظمِ(٢)، الذى إذا دُعىَ به أجاب، وإذا سُئلَ به أعطى**» رواه أبو داودَ والتِّرمذىّ والنَّسائىّ وابن ماجَه. وقال المنذرىُّ؛ قال شيخَنا أبو الحسن المقْدسىّ: هو إسنادٌ لا مطعن فـيه، ولا أعلمُ أنه روى فى هذا البـاب حديثٌ أجـودُ إسنادًا منه. وقال الحافظ ابنُ حجر: هذا الحديث أرجحُ ما ورد فى هذا الباب من حيث السند.

٢- عن أنسِ بن مالكٍ -رضي الله عنه- قال: دخلَ النّبى -ﷺ- المسجدَ ورجلٌ قد صلّى(٣) وهو يدعـو ويقـولَ فى دعـائه: اللَّهُمَّ لا إلـه إلاَّ اللهُ. أنتَ المنّانُ، بديع السّمواتِ والأرض، ذا الجلالِ والإكرامِ(٤). فقال النّبى -ﷺ-: «**أتدرون بما دعا**

(١) «الصمد» أى المقصود فى الحوائج. «ولم يكن له كفوًا أحد»: أى ولم يكن له أحد مكافئًا ومماثلاً.

(٢) «لقد سـأل الله باسمه الأعظم» قال الطيـبى: فيه دلالة على أن لله تعالى اسـمًا أعظم إذا دعى به أجاب وأن ذلك مذكور ههنا، وفيه حـجة على من قال: كل اسم ذكر بإخلاص تام مع الإعـراض عما سـواه هو الاسم الأعظم؛ إذ لا شـرف للحروف، وقـد ذكر فى أحاديث أخر مـثل ذلك وفيها أسـماء ليست فى هذا الحديث إلا أن لفـظ الله مذكور فى الكل فيستدل بذلك على أنه الاسم الأعظم.

(٣) «دخل النبى -ﷺ- المسـجد ورجل قـد صلى» قـال النووى قـال الخطيب هذا الرجل أبو عياش زيد بن الصامت الأنصارى الزرقى.

(٤) «ذا الجلال والإكرام»: أى يا ذا العظمة والكبرياء، وذا الإكرام لأوليائك.

اللهَ؟ دعا اللهَ باسمه الأعظم الذى إذا دُعىَ به أجابَ، وإذا سُئلَ به أعطى» رواه أبو داودَ والتّرمذىُّ والنَّسائىُّ وابن ماجَه.

٣- عن أسماءَ بنت يزيد -رضي الله عنها- أن النبىَّ -ﷺ- قال: «اسمُ الله الأعظمُ فى هاتين الآيتين ﴿وَإِلَهُكُمْ إِلَهٌ وَاحِدٌ لاَّ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ﴾[1]، وفاتحة آل عمران: ﴿الٓمٓ ۝ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ﴾»[2]. رواه أحمد وأبو داود والترمذىُّ وابنُ ماجَه، وقال الترمذىُّ: حديث حسنٌ صحيحٌ.

٤- عن سعد بن مالك -رضي الله عنه- قال: سمعتُ رسولَ الله -ﷺ- يقول: «هل أدلكم على اسمِ الله الأعظَمِ، الذى إذا دُعىَ به أجابَ، وإذا سُئلَ به أعطَى؟ الدعوةُ التى دعا بها يونُسُ حيثُ نادَى فى الظلمات الثلاث[3]: ﴿لاَ إِله إلا أنت، سبحانك إنى كنت من الظالمين﴾» فقالَ رجلٌ: يا رسولَ الله هل كانتْ ليونُسَ خاصة أم للمؤمنين عامةً؟ فقال رسولُ الله -ﷺ-: «ألاَ تسمعُ قولَ الله عزَّ وجلَّ: ﴿وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْغَمِّ وَكَذَلِكَ نُنجِي الْمُؤْمِنِينَ﴾[4]». رواه الحاكم.

فأنت ترى من هذه الأحاديثِ ومن غيرها أنها لم تعينْ الاسمَ الأعظمَ بالذات، وأنّ العلماءَ مختلفون فى تعيينه لاختلافهم فى ترجيح الأحاديث بعضها على بعض، حتى اختلفوا على نحو الأربعين قولاً. والذى نأخذُه من هذه الأحاديث الشريفة، ومن أقوالِ الثِّقاتِ من رجالِ الملّة، أنَّ الاسمَ الأعظمَ دعاءٌ مركبٌ من عدة أسماء من أسمائه تعالى إذا دعا به الإنسانُ، مع توفر شروط الدعاء المطلوبة شرعًا استجاب الله له، وقد صرَّحَتْ به الأحاديثُ الشريفةُ فى عدّة مواضع.

وإذا تقرر هذا، فما يدَّعيه بعضُ الناس من أنه سرٌ من الأسرارِ يمنح لبعض الأفراد، فيفتحون به المغْلَقات، ويخرقون به العادات، ويكونُ لهم به من الخواصِّ ما ليس لغيرهم من الناس، أمرٌ زائدٌ على ما ورد عن الله ورسوله. وإذا احتجَّ هؤلاء البعض بالآيةِ الكريمة وهى قوله تعالى: ﴿قَالَ الَّذِي عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ أَنَا

---

(١) سورة البقرة: ١٦٣.

(٢) سورة آل عمران: ١، ٢.

(٣) ﴿فى الظلمات الثلاث﴾ ظلمة الليل، وظلمة بطن الحوت، وظلمة البحر.

(٤) سورة الأنبياء: ٨٨.

آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ﴾[1]. على القول بأن معنى: ﴿عِندَهُ عِلْمٌ مِّنَ الْكِتَابِ﴾ أنه اسمُ الله الأعظمُ، نقول لهم: قد صرَّح المفسرون بأن ذلك المدعوَّ به كان: يا حَيُّ يا قَيُّومُ، أو: اللهُ لا إلهَ إلا هُوَ الحَيُّ القَيُّومُ. وادعى بعضُهم أنه سرياني لفظه (آهيا شراهيا)، وهى دعوى بغير دليلٍ، فلم يخرج الأمرُ عما ورد فى الأحاديث الصحيحة.

وخلاصةُ البحث أن بعضَ الناسِ ولعوا بالمعمَّيات وادعاء الخصوصيات، والزيادة فى المأثوراتِ، فقالوا ما لم يرد فى كتابٍ ولا سنةٍ، وقد نُهينا عن ذلك نهيًا شديدًا، فلنقف مع المأثور.

---

(١) سورة النمل : ٤٠ .

صفات الله تعالى

١- صفات الله تبارك وتعالى فى نظر العقل السليم:

أنت إذا نظرتَ إلى هذا الكون وما فيه من بدائع الحكم، وغرائبِ المخلوق ودقيقِ الصُّنع، وكبير الإحكام، مع العظمةِ والاتساعِ، والتناسقِ والإبداعِ، والتجددِ والاختراعِ؛ ورأيتَ هذه السماءَ الصافيةَ بكواكبها وأفلاكها وشموسها وأقمارها ومداراتها؛ ورأيت هذه الأرض بنباتها وخيراتها ومعادنِها وكنوزِها وعناصرها وموادّها، ورأيتَ عالم الحيوان وما فيه من غريبِ الهدايةِ والإلهام؛ بل لو رأيتَ تركيبَ الإنسانِ وما احتواه من أجهزةٍ كثيرةٍ، كلٌّ يقومُ بعمله، ويؤدى وظيفتَه، ورأيتَ عالم البحار وما فيه من عجائبَ وغرائب، وعرفتَ القُوَى الكونيةَ وما فيها من حكم وأسرارٍ من كهرباء، ومغناطيس وأثير، وراديوم، ثم انتقلتَ من النظر إلى ذوات العالَمِ وأوصافها، إلى الروابط والصِّلاتِ فيما بينها، وكيفَ أنّ كلا منها يتصلُ بالآخر اتصالاً محكمًا وثيقًا بحيث يتألفُ من مجموعها وحدة كونية كلّ جزءٍ منها يخدم الأجزاء الأخرى كما يخدم العضوُ فى الجسم الواحدِ بقيةَ الأعضاء، لخرجت من كلِّ ذلك، من غيرِ أن يأتيك دليلٌ أو برهانٌ، أو وحىٌ أو قرآنٌ، بهذه العقيدة النظريةِ السهلة وهى: أن لهذا الكون خالقًا صانعًا موجدًا، وأن هذا الصانعَ لابد أن يكونَ عظيمًا فوق ما يتصورُ العقلُ البشرى الضعيفُ من العظمةِ، وقادرًا فوقَ ما يفهمُ الإنسانُ من معانٍ للقدرةِ، و حيًّا بأكمل معانى الحياةَ، وأنه مستغنٍ عن كل هذه المخلوقات؛ لأنَه كانَ قبل أن تكون، وعليمًا بأوسعَ حدود العلم، وأنه فوق نواميس هذا الكون لأنه واضعها، وأنه قبل هذه الموجودات لأنه خالقُها، وبعدَها لأنه الذى سيحكم عليها بالعدم؛ وإجمالاً سترى نفسَك مملوءًا بالعقيدة بأن صانعَ هذا الكون ومدبِّرَه: متصفٌ بكلِّ صفات الكمالِ فوق ما يتصورُها العقلُ البشرىّ الصغيرُ، ومنزَّهٌ عن كلِّ صفاتِ النقصِ؛ وسترى هذه العقيدةَ وحىَ وُجدانك لوجدانك، وشعور نفسك لنفسك: ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا لا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾(١).

ونسوقُ إليكَ بعد هذه المقدمة بعضَ غرائبِ الحوادثِ فى هذا الكوْن،

(١) سورة الروم: ٣٠.

وسترى أنها، على قلتـها، بالنسبة لعظمةِ الكونِ وما فـيه من دِقَّةٍ وإحكامٍ ستكون كافية لأن تشعر فى نفسك بما قدّمتُ لك.

الملاحظة الأولى: هذا الهواء الذى نسـتنشقه مركبٌ من عدةِ عنـاصرَ، منها جـزءان هامان: جـزء صـالح لتنفس الإنسـان ويُسـمىً باصطلاح الكيـميـائيـين الأوكسـجين، وجزء ضار به ويُسـمَّى الكربون. فمن دقائق الارتبـاط بين وحدات هذا الوجودِ المعجز أن هذا الجزء الضار بالإنسـان يتنفسهُ النباتُ وهو نافع له، ففى الوقت الذى يكون الإنسانُ فـيه يستنشقُ الأوكسجـين ويطردُ الكربون يكون النباتُ يعملُ عـكسَ هذه العمليـة، فيسـتنشقُ الكربون ويطرد الأوكـسجين. فـانظر إلى الرابطة التعاونيَّةِ بين الإنسان والنبات فى شىء هو أهم عناصر الحياة عندهما، وهو التنفس. وقل لى، بعـد ذلك، هل يفعل هذا فى الكون العـظيمِ غيرُ عظـيم قادرٍ واسعِ العلمِ، دقيق الحكمةِ؟

الملاحظة الثـانية: أنتَ تأكلُ الطعـامَ وهو يتركبُ من عـدة عناصرَ نبـاتية أو حيوانية، يقسـمُها العلماءُ إلى مواد زُلالية، أو نشَويَّة، أو دُهنيَّـةَ، مثلاً، فترى أن الريقَ يهضمُ بعضَ المواد النّشوية، ويذيبُ المواد السكّرية ونحوهَا مما يقبلُ الذوبانَ، والمعدَة يهضمُ عصـيرُها الموادَّ الزُّلاليةَ كاللحمِ وغيرِه، والصـفراء المنفرزةَ من الكبد تهضم الدّهنيات، وتجزئُهـا إلى أجزاء دقيقة يمكن امتصاصُها، ثم يأتى البنكرياسُ بعد ذلك فيُفـرزُ أربعَ عُصارات تتولى كل واحدة منها تتمـيم الهضم فى عنصر من العناصر الثـلاثة: النشوية أو الزلاليـة أو الدهنية، والرابعـةُ تحوِّل اللبن إلى جُبن. فتأمَّل هذا الارتباطَ العجيبَ بين عناصر الجـسم البشرىِّ، وعناصر النبات والحيوان والأغذيةِ التى يتغذى بها الإنسانُ!

الملاحظة الثالثة: ترى الزهرةَ فى النبات فترى لهـا أوراقًا جميلةً جذّابةً ملونةً بألوان بهيـجة، فإذا سألـت علماءَ النبات عن الحكمـة فى ذلك، أجابوك بأن هذا إغواءٌ للنحل وأشباهه من المخلوقات التى تمتص رحيق الأزهار لتسقط على الزهرة، حتى إذا وقفت على عـيدانها علقت حبوب اللقـاحِ وانتقلتْ من الزهرة الذكر إلى الزهرةِ الأنثى فيـتم التلقيح. فانظـر كيف جعلت هذه الأوراقُ الجـميلةُ فى الزهرة حلقة اتصال بين النبات والحـيوان حتى يستخدم النباتُ الحيـوانَ فى عملية التلقيح الضرورية للإثمار والإنتاج!

كل ما فى الكون ينبئك بوجود حكمة عالية، وإرادة سامية، وسيطرة قوية، ونواميس فى غاية الدقة والإحكام يسير عليها هذا الوجود. ورب هذه الحكمة، وصاحب هذه العظمة، وواضع هذه النواميس هو: الله.

وقد أفاض القرآن فى ذلك، وفى لفت الأنظار إلى هذه الحكم البارعة، والأسرار العالية، فلا تكاد تخلو سورة من سوره من ذكر آلاء الله ونعمه، ومظاهر قدرته وحكمته، وحث الناس على تجديد النظر فى ذلك، ودوام التفكر فيه.

قال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ(١) أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ(٢) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ(٣) ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ(٤) إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا(٥) وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٦).

وقال تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيَاحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا(٧) فَيَبْسُطُهُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ وَيَجْعَلُهُ كِسَفًا فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَن يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ

---

(١) ﴿ومن آياته﴾ أى ومن آيات الله تبارك وتعالى الدالة على قدرته ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ أى تنتشرون فى الأرض تتصرفون فيما هو قيام معايشكم.

(٢) ﴿واختلاف ألسنتكم وألوانكم﴾ أى اختلاف لغاتكم من عربية وعجمية وغيرهما، واختلاف ألوانكم من بياض وسواد وغيرهما وأنتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة.

(٣) ﴿إن فى ذلك لآيات للعالمين﴾ بفتح اللام وكسرها: أى ذوى العقول وأولى العلم.

(٤) ﴿وابتغاؤكم من فضله﴾ أى تصرفكم فى طلب المعيشة بإرادته ﴿إن فى ذلك لآيات لقوم يسمعون﴾ أى سماع تدبر واعتبار.

(٥) ﴿ومن آياته يريكم البرق خوفًا وطمعًا﴾ أى خوفًا للمسافر من الصواعق وطمعًا للمقيم فى المطر.

(٦) سورة الروم: ٢٠-٢٤.

(٧) ﴿فتثير سحابا﴾ أى تزعجه ﴿ويجعله كسفًا﴾ أى قطعًا متفرقًا ﴿فترى الودق﴾ أى المطر ﴿يخرج من خلاله﴾ أى من وسطه ﴿إذا هم يستبشرون﴾ أى يفرحون بنزول المطر عليهم. ﴿وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين﴾ أى ليائسين من نزوله.

يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلِ أَن يُنَزَّلَ عَلَيْهِم مِّن قَبْلِهِ لَمُبْلِسِينَ ﴿٤٩﴾ فَانظُرْ إِلَىٰ آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَٰلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾(١).

وغيرُ ذلك كثيرٌ في سورةِ الرَّعْدِ، والقَصَصِ، والأنبياء، والنملِ، وق، وغيرها من سورِ القرآنِ الكريم.

٢- مجمل صفات الله في القرآن:

أشارت آياتُ القرآنِ الكريمِ إلى بعضِ الصفاتِ الواجبةِ لله تعالى، والتي يقتضيها كمالُ الألوهيةِ. وإليك بعضَ هذهِ الآيات الكريمة:

وجود الله تعالى :

١- قال الله تعالى: ﴿اللَّهُ الَّذِي رَفَعَ السَّمَاوَاتِ بِغَيْرِ عَمَدٍ تَرَوْنَهَا ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِي لِأَجَلٍ مُّسَمًّى يُدَبِّرُ الْأَمْرَ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لَعَلَّكُم بِلِقَاءِ رَبِّكُمْ تُوقِنُونَ ﴿٢﴾ وَهُوَ الَّذِي مَدَّ الْأَرْضَ(٢) وَجَعَلَ فِيهَا رَوَاسِيَ وَأَنْهَارًا وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ(٣) يُغْشِي اللَّيْلَ النَّهَارَ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٣﴾ وَفِي الْأَرْضِ قِطَعٌ مُّتَجَاوِرَاتٌ وَجَنَّاتٌ مِّنْ أَعْنَابٍ وَزَرْعٌ وَنَخِيلٌ صِنْوَانٌ وَغَيْرُ صِنْوَانٍ(٤) يُسْقَىٰ بِمَاءٍ وَاحِدٍ وَنُفَضِّلُ بَعْضَهَا عَلَىٰ بَعْضٍ فِي الْأُكُلِ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ﴾(٥). وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي أَنشَأَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ ﴿٧٨﴾ وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ(٦) فِي

---

(١) سورة الروم: ٤٨-٥٠.

(٢) ﴿وهو الذي مد الأرض﴾ أي بسطها طولاً وعرضًا. ﴿وجعل فيها رواسي﴾ أي جبالاً ثوابت.

(٣) ﴿جعل فيها زوجين اثنين﴾ أي من كل نوع ﴿يغشي الليل والنهار﴾ أي يغطي الليل بظلمته النهار.

(٤) ﴿ونخيل صنوان وغير صنوان﴾ جمع صنو وهو: النخلة، والنخلتان يجمعهن أصل واحد وتتشعب منه رءوس فتصير نخلاً.

(٥) ﴿ونفضل بعضها على بعض في الأكل﴾. الأكل: الثمر، يعني الحلو والحامض، وهو من دلائل قدرة الله تعالى. سورة الرعد: ٢-٤.

(٦) ﴿وهو الذي ذرأكم﴾ أي خلقكم. ﴿وإليه تحشرون﴾ أي تجمعون يوم القيامة للجزاء.

الأرض وإليه تحشرون ﴿٧٩﴾ وهو الذى يحيى ويميت وله اختلاف الليل والنهار أفلا تعقلون﴾(١).

فكلُّ هذه الآيات تنبئُكَ بوجودِ الله تبارك وتعالى، وتستدل عليه بما ترى من تصرُّفاتِه فى شئون هذا الكونِ العجيب.

قدم الله تعالى وبقاؤه:

٢، ٣- قال الله تعالى: ﴿هو الأول والآخر(٢) والظاهر والباطن وهو بكل شىء عليم﴾. وقال تعالى: ﴿ولا تدع مع الله إلهًا آخر لا إله إلا هو كل شىء هالك إلا وجهه له الحكم وإليه ترجعون﴾(٣). وقال تعالى: ﴿كل من عليها فان ﴿٢٦﴾ ويبقى وجه ربك ذو الجلال والإكرام﴾(٤).

وفى هذه الآياتِ الكريمة إشارةٌ إلى صفتَى القِدَم، والبقاء لله تبارك وتعالى.

٤- قال الله تعالى: ﴿قل هو الله أحد ﴿١﴾ الله الصمد(٥) ﴿٢﴾ لم يلد ولم يولد ﴿٣﴾ ولم يكن له كفوًا أحد﴾(٦). وقال تعالى: ﴿فاطر السموات والأرض(٧) جعل لكم من أنفسكم أزواجًا ومن الأنعام أزواجًا يذرؤكم فيه ليس كمثله شىء وهو السميع البصير﴾(٨).

وفى ذلك إشارة إلى مخالفته تبارك وتعالى للحوادثِ من خلقِه، وتنزُّهِه عن الولد والوالد والشبيه والنظير.

---

(١) سورة المؤمنون: ٧٨-٨٠.
(٢) ﴿هو الأول﴾ أى قبل كل شىء بلا بداية ﴿والآخر﴾ بعد كل شىء بلا نهاية ﴿والظاهر﴾ بالأدلة عليه ﴿والباطن﴾ عن إدراك الحواس. سورة الحديد: آية ٣.
(٣) سورة القصص: ٨٨.
(٤) سورة الرحمن: ٢٧.
(٥) ﴿الله الصمد﴾ أى المقصود فى الحوائج على الدوام.
(٦) ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾ أى ولم يكن له أحد مكافئًا ومماثلاً تعالى الله عن ذلك علوًا كبيرًا. سورة الإخلاص.
(٧) ﴿فاطر السموات والأرض﴾ أى خالقهما على غير مثال سبق. ﴿جعل لكم من أنفسكم أزواجًا﴾ أى حيث خلق حواء من ضلع آدم. ﴿ومن الأنعام أزواجًا﴾ أى ذكورًا وإناثًا.
(٨) سورة الشورى: ١١.

قيام الله تعالى بنفسه :

٥- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ الْحَمِيدُ﴾(١). وقال تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ(٢) وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾(٣).

وفى ذلك إشارة إلى قيامه تعالى بنفسه واستغنائه عن خلقه مع حاجتهم إليه.

وحدانية الله تعالى :

٦- قال الله تعالى: ﴿وَقَالَ اللَّهُ لا تَتَّخِذُوا إِلَهَيْنِ اثْنَيْنِ إِنَّمَا هُوَ إِلَهٌ وَاحِدٌ فَإِيَّايَ فَارْهَبُونِ(٤) ۝٥١ وَلَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلَهُ الدِّينُ وَاصِبًا(٥) أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَتَّقُونَ ۝٥٢ وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ اللَّهِ ثُمَّ إِذَا مَسَّكُمُ الضُّرُّ فَإِلَيْهِ تَجْأَرُونَ﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿لَقَدْ كَفَرَ الَّذِينَ قَالُوا إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُ ثَلاثَةٍ وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلاَّ إِلَهٌ وَاحِدٌ وَإِن لَّمْ يَنتَهُوا عَمَّا يَقُولُونَ لَيَمَسَّنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ۝٧٣ أَفَلا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ﴾(٧). وقال تعالى: ﴿أَمِ اتَّخَذُوا آلِهَةً مِّنَ الأَرْضِ هُمْ يُنشِرُونَ(٨) ۝٢١ لَوْ كَانَ فِيهِمَا آلِهَةٌ إِلاَّ اللَّهُ لَفَسَدَتَا فَسُبْحَانَ اللَّهِ رَبِّ الْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ۝٢٢ لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ ۝٢٣ أَمِ اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ هَذَا ذِكْرُ مَن مَّعِيَ(٩) وَذِكْرُ مَن قَبْلِي بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ فَهُم مُّعْرِضُونَ ۝٢٤ وَمَا أَرْسَلْنَا مِن

---

(١) سورة فاطر: ١٥.

(٢) ﴿ولا خلق أنفسهم﴾ أى لم أشهد بعضهم خلق بعض. ﴿وما كنت متخذ المضلين عضدًا﴾ أى أعوانًا فى الخلق.

(٣) سورة الكهف: ٥١.

(٤) ﴿فإياى فارهبون﴾ أى خافون دون غيرى.

(٥) ﴿وله الدين واصبا﴾ أى دائمًا.

(٦) ﴿فإليه تجأرون﴾ أى ترفعون أصواتكم بالاستغاثة والدعاء ولا تدعون لغيره. سورة النحل ٥٣.

(٧) سورة المائدة: ٧٤.

(٨) ﴿هم ينشرون﴾ أى يحيون الموتى، ولا يكون إلهًا إلا من يحيى الموتى.

(٩) ﴿هذا ذكر من معى﴾ أى أمتى. وهو القرآن ﴿وذكر من قبلى﴾ من الأمم، وهو التوراة والإنجيل وغيرهما من كتب الله تعالى، ليس فى واحد منها أن مع الله إلهـا مما قالوا، تعالى الله عن ذلك.

قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ إِلاَّ نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنَا فَاعْبُدُونِ ﴾[١]. وقال تعالى: ﴿ قُل لِّمَنِ الأَرْضُ وَمَن فِيهَا إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٤﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَذَكَّرُونَ ﴿٨٥﴾ قُلْ مَن رَّبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ وَرَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ ﴿٨٦﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ أَفَلا تَتَّقُونَ ﴿٨٧﴾ قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ[٢] وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿٨٨﴾ سَيَقُولُونَ لِلَّهِ قُلْ فَأَنَّىٰ تُسْحَرُونَ[٣] ﴿٨٩﴾ بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ وَإِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٩٠﴾ مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ[٤] وَلَعَلا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٩١﴾ عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَتَعَالَىٰ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلامٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَىٰ آللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾ أَمَّنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنبَتْنَا بِهِ حَدَائِقَ ذَاتَ بَهْجَةٍ[٦] مَّا كَانَ لَكُمْ أَن تُنبِتُوا شَجَرَهَا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ ﴿٦٠﴾ أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا[٧] وَجَعَلَ خِلالَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لا يَعْلَمُونَ ﴿٦١﴾ أَمَّن يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إِذَا دَعَاهُ[٨] وَيَكْشِفُ السُّوءَ وَيَجْعَلُكُمْ خُلَفَاءَ الأَرْضِ[٩] أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قَلِيلاً مَّا تَذَكَّرُونَ ﴿٦٢﴾ أَمَّن يَهْدِيكُمْ فِي ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ[١٠] وَمَن يُرْسِلُ الرِّيَاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ[١١] أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ تَعَالَى اللَّهُ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٦٣﴾

---

(١) سورة الأنبياء: ٢١ - ٢٥.

(٢) ﴿من بيده ملكوت كل شيء﴾ أي ملك كل شيء والتاء للمبالغة. ﴿وهو يجير ولا يجار عليه﴾ أي يحمي ولا يحمى عليه.

(٣) ﴿فأنى تسحرون﴾ أي تخدعون وتصرفون عن الحق وعبادة الله وحده: أي كيف يخيل لكم أنه باطل.

(٤) ﴿إذا لذهب كل إله بما خلق﴾ أي انفرد ومنع الآخر من الاستيلاء عليه ﴿ولعلا بعضهم على بعض﴾ مغالبة كفعل ملوك الدنيا.

(٥) سورة المؤمنون: ٨٤ - ٩٢.

(٦) ﴿فأنبتنا به حدائق ذات بهجة﴾ جمع حديقة وهي البستان الذي عليه حائط. والبهجة: الحسن والجمال.

(٧) ﴿أمن جعل الأرض قراراً﴾: أي تميد بأهلها. ﴿وجعل لها رواسي﴾ أي جبالاً أثبت بها الأرض. ﴿وجعل بين البحرين حاجزا﴾ أي بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر.

(٨) ﴿أمن يجيب المضطر﴾ أي المكروب الذي مسه الضر.

(٩) ﴿ويجعلكم خلفاء الأرض﴾ أي سكانها يهلك قومًا وينشئ آخرين.

(١٠) ﴿أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر﴾ أي يرشدكم إلى مقاصدكم بالنجوم ليلاً وبعلامات الأرض نهاراً.

(١١) ﴿ومن يرسل الرياح بشرًا بين يدي رحمته﴾ أي أمام المطر.

أَمَّن يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَن يَرْزُقُكُم مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾(١).

إلى غير ذلك من الآيات، التي تثبتُ أنه تعالى واحدٌ في ذاته، واحدٌ في صفاته، واحدٌ في أفعاله وتصرفاته، لا رب غيرُه، ولا إله سواه.

قدرة الله تعالى:

٧- قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ(٢) ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِن مُّضْغَةٍ مُّخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لِّنُبَيِّنَ لَكُمْ وَنُقِرُّ فِي الأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ طِفْلاً ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰ أَرْذَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الأَرْضَ هَامِدَةً فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَنبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ۝ ذَٰلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَىٰ وَأَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ۝ وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لاَّ رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَن فِي الْقُبُورِ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿مَّا أَشْهَدتُّهُمْ خَلْقَ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَلا خَلْقَ أَنفُسِهِمْ وَمَا كُنتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ عَضُدًا﴾(٤). وقال تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾(٥). وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ(٦) هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا

---

(١) سورة النمل: ٥٩-٦٤.

(٢) ﴿فإنا خلقناكم من تراب ثم من نطفة﴾ أي خلقنا آدم عليه السلام من تراب ثم خلقنا ذريته من نطفة من مني ﴿ثم من علقة﴾ أي دم جامد ﴿ثم من مضغة﴾ وهي لحمة قدر ما يمضغ ﴿مخلقة وغير مخلقة﴾ أي مصورة تامة الخلق وغير تامة الخلق. ﴿ثم لتبلغوا أشدكم﴾ أي نعمركم لتبلغوا أشدكم، أي الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة. ﴿ومنكم من يرد إلى أرذل العمر﴾ أي أخسه من الهرم والخرف. ﴿وترى الأرض هامدة﴾ أي يابسة لاتنبت شيئًا. ﴿فإذا أنزلنا عليها الماء اهتزت وربت﴾ أي تحركت وارتفعت وزادت. ﴿وأنبتت من كل زوج بهيج﴾ أي من كل صنف حسن.

(٣) سورة الحج: ٧.

(٤) سورة الكهف: ٥١.

(٥) ﴿وما مسنا من لغوب﴾ أي تعب. سورة ق: ٣٨.

(٦) ﴿وهو الذي مرج البحرين﴾ أي أرسلهما متجاورين. ﴿هذا عذب فرات﴾ أي حلو شديد العذوبة. ﴿وهذا ملح أجاج﴾ أي شديد الملوحة. ﴿وجعل بينهما برزخا﴾ أي حاجزًا لا يختلط أحدهما بالآخر. ﴿وحجرًا محجورًا﴾ أي سترا مستورًا يمنع أحدهما من=

مَّحْجُوراً ﴿٥٣﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَراً فَجَعَلَهُ نَسَباً وَصِهْراً وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيراً﴾[1]. وقال تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يُزْجِي سَحَاباً[2] ثُمَّ يُؤَلِّفُ بَيْنَهُ ثُمَّ يَجْعَلُهُ رُكَاماً فَتَرَى الْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلالِهِ وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مِن جِبَالٍ فِيهَا مِن بَرَدٍ فَيُصِيبُ بِهِ مَن يَشَاءُ وَيَصْرِفُهُ عَن مَّن يَشَاءُ يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِ[3] يَذْهَبُ بِالأَبْصَارِ ﴿٤٣﴾ يُقَلِّبُ اللَّهُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَعِبْرَةً لأُولِي الأَبْصَارِ ﴿٤٤﴾ وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِّن مَّاءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[4].

إلى غير ذلك من الآيات الدالة على عظيم قدرته تبارك وتعالى وباهر عظمته.

إرادة الله تعالى:

٨- قال الله تعالى: ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئاً أَن يَقُولَ لَهُ كُن فَيَكُونُ﴾[5]، وقال تعالى: ﴿وَإِذَا أَرَدْنَا أَن نُّهْلِكَ قَرْيَةً أَمَرْنَا مُتْرَفِيهَا[6] فَفَسَقُوا فِيهَا فَحَقَّ عَلَيْهَا الْقَوْلُ فَدَمَّرْنَاهَا تَدْمِيراً﴾[7]. وقال تعالى حكاية عن الخضر في قصته مع موسى عليهما السلام: ﴿فَأَرَادَ رَبُّكَ أَن يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا[8] وَيَسْتَخْرِجَا كَنزَهُمَا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ وَمَا فَعَلْتُهُ

= الاختلاط بالآخر. ﴿وهو الذى خلق من الماء بشراً﴾ أى خلق من النطفة إنساناً، قال القرطبى: وفى هذه الآية تعديد النعمة على الناس فى إيجادهم بعد العدم، والتنبيه على العبرة فى ذلك.

(١) سورة الفرقان: ٥٤.

(٢) ﴿ألم تر أن الله يزجى سحابًا﴾ أى يسوقه. ﴿ثم يؤلف بينه﴾ أى يجمعه ليقوى ويتصل ويكثف. ﴿ثم يجعله ركامًا﴾ أى مجتمعًا يركب بعضه بعضًا. ﴿فترى الودق﴾ أى المطر.

(٣) ﴿يكاد سنا برقه﴾ أى لمعان برقه ﴿يذهب بالأبصار﴾ الناظرة إليه: أى يخطفها ﴿يقلب الله الليل والنهار إن فى ذلك لعبرة﴾ أى دلالة ﴿لأولى الأبصار﴾ أى لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى.

(٤) سورة النور: ٤٣ - ٤٥.

(٥) سورة يس: ٨٢.

(٦) ﴿أمرنا مترفيها﴾ أى منعميها بمعنى رؤسائها، أى أمرناهم بالطاعة على لسان رسلنا. ﴿فحق عليها القول﴾ أى بالعذاب ﴿فدمرناها تدميراً﴾ أى أهلكناها بإهلاك أهلها وتخريبها.

(٧) سورة الإسراء ١٦.

(٨) ﴿فأراد ربك أن يبلغا أشدهما﴾ أى إيناس رشدهما ﴿ذلك تأويل ما لم تسطع عليه صبراً﴾ أى تطق صبراً عليه.

عَنْ أَمْرِى ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِع عَّلَيْه صَبْرًا﴾(١)، وقال تعالى: ﴿يُرِيدُ اللَّهُ لِيُبَيِّنَ لَكُمْ(٢) وَيَهْدِيَكُمْ سُنَنَ الَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ وَيَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٢٦﴾ وَاللَّهُ يُرِيدُ أَن يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَن تَمِيلُوا مَيْلاً عَظِيماً ﴿٢٧﴾ يُرِيدُ اللَّهُ أَن يُخَفِّفَ عَنكُمْ وَخُلِقَ الإِنسَانُ ضَعِيفًا﴾(٣).

إلى غير ذلك من الآيات الكريمة التى تشيرُ إلى إثباتِ إرادةِ الله تعالى وأنها فوقَ كلِّ إرادةٍ ومشيئةٍ. ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ﴾(٤).

علم الله تعالى:

٩- قال الله تعالى: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الأَرْضِ وَلَهُ الْحَمْدُ فِى الآخِرَةِ وَهُوَ الْحَكِيمُ الْخَبِيرُ ﴿١﴾ يَعْلَمُ مَا يَلِجُ فِى الأَرْضِ(٥) وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا وَمَا يَنزِلُ مِنَ السَّمَاءِ وَمَا يَعْرُجُ فِيهَا وَهُوَ الرَّحِيمُ الْغَفُورُ﴾(٦). وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُسِرُّونَ وَمَا تُعْلِنُونَ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾(٧). وقال تعالى حكاية عن لُقْمَـان فى وصيّته لابنه: ﴿يَا بُنَىَّ إِنَّهَا إِن تَكُ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ فَتَكُن فِى صَخْرَةٍ أَوْ فِى السَّمَوَاتِ أَوْ فِى الأَرْضِ يَأْتِ بِهَا اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ خَبِيرٌ﴾(٨). وقال تعالى فى حكاية ما وقع بين شُـعَيْب وقومه: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِى مِلَّتِنَا قَالَ أَوَ لَوْ كُنَّا كَارِهِينَ ﴿٨٨﴾ قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِى مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللَّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا عَلَى اللَّهِ

---

(١) سورة الكهف: ٨٢.

(٢) ﴿يريد الله ليبين لكم﴾ أى شـرائع دينكم ومصـالح أمركم. ﴿ويهـديكم سنن الذين من قبلكم﴾ أى طرائق الذين من قبلكم من الأنبياء فى التحليل والتحريم فتتبعوهم.

(٣) سورة النساء : ٢٦ - ٢٨.

(٤) سورة الدهر: ٣٠.

(٥) ﴿يعلم ما يلج فى الأرض﴾ أى يدخل فيها من ماء وغيره ﴿وما يخرج منها﴾ أى من نبات وغيره ﴿ومـا ينزل من السماء﴾ من رزق وغيره. ﴿وما يعـرج فيها﴾ أى يصعد فـيها من الملائكة وأعمال العباد.

(٦) سورة سبأ: ١، ٢.

(٧) ﴿والله عليم بذات الصدور﴾ أى بما فيها من الأسرار والمعتقدات. سورة التغابن آية ٤.

(٨) سورة لقمان آية ١٦.

توكلنا ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق(١) وأنت خير الفاتحين﴾، وقال تعالى: ﴿ألم تر أن الله يعلم ما في السموات وما في الأرض ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم(٢) ولا خمسة إلا هو سادسهم ولا أدنى من ذلك ولا أكثر إلا هو معهم أين ما كانوا ثم ينبئهم بما عملوا يوم القيامة إن الله بكل شيء عليم﴾(٣). وقال تعالى: ﴿وما تكون في شأن وما تتلو منه من قرآن ولا تعملون من عمل إلا كنا عليكم شهودًا(٤) إذ تفيضون فيه وما يعزب عن ربك من مثقال ذرة في الأرض ولا في السماء ولا أصغر من ذلك ولا أكبر إلا في كتاب مبين﴾(٥).

إلى غير ذلك من الآيات الكثيرة الدالة على سعة علمه تبارك وتعالى، وإحاطته بكل شيء، قل أو كثر، دق أو عظم.

حياة الله تعالى:

١٠- قال الله تعالى: ﴿الله لا إله إلا هو الحي القيوم(٦) لا تأخذه سنة ولا نوم له ما في السموات وما في الأرض﴾(٧). وقال تعالى: ﴿الم ۝١ الله لا إله إلا هو الحي القيوم ۝٢ نزل عليك الكتاب(٨) بالحق مصدقًا لما بين يديه وأنزل التوراة والإنجيل ۝٣ من قبل هدى للناس وأنزل الفرقان﴾(٩). وقال تعالى: ﴿الله الذي جعل لكم الأرض قرارًا والسماء بناء وصوركم فأحسن صوركم ورزقكم من الطيبات ذلكم الله ربكم فتبارك الله رب العالمين ۝٦٤ هو الحي لا إله إلا هو فادعوه مخلصين له الدين الحمد لله رب العالمين﴾(١٠).

---

(١) ﴿ربنا افتح بيننا وبين قومنا بالحق﴾ أي احكم. سورة الأعراف: ٨٨، ٨٩.
(٢) ﴿ما يكون من نجوى ثلاثة إلا هو رابعهم﴾ أي بعلمه.
(٣) سورة المجادلة آية ٧.
(٤) ﴿إلا كنا عليكم شهودًا﴾ أي نعلمه. ﴿إذ تفيضون فيه﴾ أي تأخذون فيه. ﴿وما يعزب عن ربك﴾ أي يغيب.
(٥) سورة يونس آية ٦١.
(٦) ﴿القيوم﴾ أي القائم بتدبير خلقه. ﴿لا تأخذه سنة﴾ السنة بكسر السين: النعاس.
(٧) سورة البقرة: ٢٥٥.
(٨) ﴿نزل عليك الكتاب﴾ أي القرآن ﴿مصدقًا لما بين يديه﴾ أي لما قبله من الكتب المنزلة ﴿وأنزل الفرقان﴾ أي الكتب الفارقة بين الحق والباطل.
(٩) سورة آل عمران : ١ - ٤.
(١٠) سورة غافر : ٦٤، ٦٥.

إلى غير ذلك من آيات كثيرةٍ تدل على أن الله تبارك وتعالى متَّصِفٌ بالحياةِ الكاملة التى ليس ثَمَّ أكمل منها.

سمع الله تعالى وبصره:

١١- قال الله تعالى: ﴿قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ﴾(١). وقال تعالى: ﴿أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَىٰ ﴿٩﴾ عَبْدًا إِذَا صَلَّىٰ ﴿١٠﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَانَ عَلَى الْهُدَىٰ ﴿١١﴾ أَوْ أَمَرَ بِالتَّقْوَىٰ ﴿١٢﴾ أَرَأَيْتَ إِن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿١٣﴾ أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ اللَّهَ يَرَىٰ﴾(٢). وقال تعالى لموسى وهارون حين أرسلهما إلى فرعون: ﴿اذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَا رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنَّنِي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ﴾(٣). وقال تعالى: ﴿يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ(٤) وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴿١٩﴾ وَاللَّهُ يَقْضِي بِالْحَقِّ وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِن دُونِهِ لَا يَقْضُونَ بِشَيْءٍ إِنَّ اللَّهَ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(٥).

إلى غير ذلك من الآيات التى تدلُّ على اتصافه تبارك وتعالى بالسمع والبصر.

كلام الله تعالى:

١٢- قال الله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ اللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾(٦)، وقال تعالى: ﴿أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ(٧) اللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن

(١) ﴿قد سمع الله قول التى تجادلك﴾ أى تراجعك ﴿والله يسمع تحاوركما﴾ أى تراجعكما. سورة المجادلة آية ١.
(٢) سورة العلق: ٩ - ١٤.
(٣) ﴿قالا: ربنا إننا نخاف أن يفرط علينا﴾ أى يعجل بالعقوبة ﴿أو أن يطغى﴾ علينا: أى يتكبر. سورة طه: ٤٣ - ٤٦.
(٤) ﴿يعلم خائنة الأعين﴾ أى بمسارقتها النظر إلى محرم ﴿وما تخفى الصدور﴾ أى القلوب.
(٥) سورة غافر: ١٩، ٢٠.
(٦) سورة النساء ١٦٤.
(٧) ﴿يسمعون كلام الله﴾ أى التوراة ﴿ثم يحرفونه﴾ أى يغيرونه. ﴿من بعد ما عقلوه﴾ أى فهموه.

بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾[1]. إلى غير ذلك من الآيات التى تدلُ على اتصافه تبارك وتعالى بصفة الكلام.

صفات الله لا تتناهى:

وصفاتُ الله تبارك وتعالى فى القرآن الكريم كثيرةٌ، وكمالاتهُ تبارك وتعالى لا تتناهَى، ولا تدرِك كُنْهَها عقولُ البشر، سبحانَه لا نحصى ثناءً عليه هو كما أثْنَى على نفسِه.

بين صفات الله وصفات الخلق:

والذى يجب أن يتفطّنَ له المؤمنُ أن المعنى الذى يُقْصَدُ باللفظِ فى صفاتِ الله تبارك وتعالى يختلفُ اختلافًا كليًّا عن المعنى الذى يقصد بهذا اللفظ عينه فى صفات المخلوقين. فأنتَ تقولُ: الله عالم والعلم صفة لله تعالى، وتقولُ: فلانٌ عالمٌ والعلمُ صفة لفلان من الناس، فهل ما يقصدُ بلفظَة العلمِ فى التركيبين واحد؟ حاشا أن يكون كذلك؛ وإنما علْم الله تبارك وتعالى علم لا يتناهَى كمالُه ولا يُعَدُّ علمُ المخلوقين شيئًا إلى جانبه. وكذلك الحياة، وكذلك السمع، وكذلك البصر، وكذلك الكلام، وكذلك القدرة والإرادة. فهذه كلها مدلولاتُ الألفاظ فهى تختلفُ عن مدلولاتها فى حق الخلقِ من حيثُ الكمالُ والكيفيةُ اختلافًا كلّيًّا؛ لأنه تبارك وتعالى لا يشبه أحدًا من خلقه. فتفطَّن لهذا المعنى فإنه دقيق. ولستَ مطالبًا بمعرفة كُنْهها، وإنما حسبُك أن تعلَم آثارَها فى الكون ولوازمَها فى حقِّك. والله نَسألُ العصمةَ من الزللِ ونسأله حسنَ التوفيقِ.

الأدلة العقلية والمنطقية على إثبات صفات الله تعالى:

يعمد علماء العقائد إلى إثبات صفات الله تبارك وتعالى بأدلة عقلية، وأقيسة منطقية، ونحن نقولُ: إن ذلكَ حسنٌ؛ لأن العقلَ أساسُ المعرفةِ، ومناطُ التكليفِ، وحتى لا يكونَ فى نفسِ أحد أثرٌ من آثار الشُّبُهات والأباطيلِ، ولكن الأمرَ أوضحُ من ذلك، ووجودُ الخالقِ تبارك وتعالى وإثباتُ صفاتِ

---

(١) سورة البقرة : ٧٥.

الكمال المطلقِ له صار فى حكم البدهيات التى لا يُحتَاجُ فى إثباتها إلى دليلٍ أو برهان، ولا يطالب بالدليل عليها إلا كلُّ مكابرٍ مريضِ القلب لا يُجْديه دليلٌ، ولا تنفع معه حُجَّةٌ؛ ومع هذا فتتميمًا للفائدة نذكر بعض الأدلة العقلية الإجمالية والتفصيلية، فنقولُ:

الدليل الأول: هذا الوجودُ الذى يدل بعظمته وإحكامه على وجودِ خالقه وعظمته وكماله.

الدليل الثانى: أن فاقدَ الشىء لا يعطيه، فإذا لم يكن موجِدُ هذا الكونِ متصفًا بصفاتِ الكمالِ فكيف تكونُ آثارُ هذه الصفات فى مخلوقاته.

الدليل الثالث: وهو خاصٌ بأن هذا الخالقَ واحدٌ لا يتعدد: إن التعدُّد مدعاةَ الفساد والخلاف والعلوٍّ ولاسيما وشأنُ الألوهية الكبرياءُ والعظمةُ؛ وأيضًا فلو استقل أحدُ المتعددين بالتصرف تعطلتْ صفاتُ الآخرين، ولو اشتركوا تعطلت بعضُ صفاتِ كل منهم، وتعطيلُ صفات الألوهيَّة يتنافى مع جلالِها وعظمتِها، فلابد أن يكونَ الإله واحدًا لا رب غيره.

هذه نماذجُ من الأدلة المنطقيَّة على وجودِ الخالق، وإثبات صفاته. ومن أراد الاستيعابَ فعليه بالمطولات. على أن الأمرَ مركوزٌ فى فطَر النفوسِ الصافيَة، مستقرٌ فى أعماقِ القلوبِ السليمةِ ﴿ **وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُوراً فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ** ﴾[1].

سؤال يقف أمامه كثير من الناس:

وردَ فى حديث عن أبى هريرةَ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: «**لا يزالُ الناسُ يتساءلونَ حتى يُقالَ هذا: خلقَ اللهُ الخلْقَ فمَن خلقَ اللهَ؟ فَمَن وجدَ من ذلك شيئًا فلْيَقل: آمنتُ بالله**[2]» رواهُ مسلمٌ.

---

(١) سورة النور: ٤٠.

(٢) قال الإمام المازرى: ظاهر الحديث أنه -ﷺ- أمرهم أن يدفعوا الخواطر بالإعراض عنها والرد لها من غير استدلال ولا نظر فى إبطالها. قال: والذى يقال فى هذا المعنى أن الخواطر على قسمين، فأما التى ليست بمستقرة ولا اجتلبتها شبهة طرأت فهى التى تدفع بالإعراض عنها وعلى هذا يحمل الحديث، وعلى مثلها ينطلق اسم الوسوسة، فكأنه لما كان أمرًا طارئًا وبغير أصل دفع بغير نظر فى دليل، إذ لا أصل له ينظر فيه. وأما =

وهذا السؤالُ وإن كـان خطأ من أساسه؛ لأننا أُمـرنا ألاّ نبحثَ فى ذات الله تبارك وتعالى؛ لأن عقولَنا الـقاصرةَ التى تعجز عن إدراك حقيقة نفـسها تعجزُ من باب الأولى، عن إدراك حقيـقة ذات الله تبارك وتعالى، إلا أنه يخـتلج فى نفوسِ بعضِ الناس، ونريدُ أن نوضِّحَ لهم الجوابَ عليه بمثالٍ يريحُ ضمائرَهم، إن شاء اللهُ تعالى، فنقول:

إذا وضعتَ كتابًا على مكتبك ثم خرجتَ من الحـجرة وعدتَ إليها بعد قليل فرأيت الكتابَ الذى تركـتَه على المكتبِ موضوعًا فى الدرج، فإنك تعـتقدُ تمامًا أن أحدًا لابد أن يكون قد وضعـه فى الدرج؛ لأنك تعلم من صفاتِ هذه الكتاب أنه لا ينتقل بنفسه. احفظ هذه النقطة وانتقل معى إلى نقطةِ أخرى: لو كان معك فى حجرة مكتبك شخص جالسٌ على الكرسىِّ ثم خـرجتَ وعدتَ إلى الحجرةِ فرأيتَه جالسًا على البساطِ مثلاً فإنك لا تسـألُ عن سبب انتقاله، ولا تعتقدُ أن أحدًا نقله من موضعه، لأنكَ تعلم من صفاتِ هذا الشـخصِ أنه ينتقلُ بنفسه ولا يحتاج إلى من ينقله. احـفظ هـذه النقطة الثـانيـة ثم اسـمع مـا أقـولُ لكَ: لما كـانت هذه المخلوقاتُ مُحْدَثَةً ونحـن نعلم من طبائعها وصفاتها أنهـا لا توجدُ بذاتها بل لابد لها من موجِد، عـرفنا أن موجِدَها هو الله تبارك وتعالى؛ ولما كـان كمالُ الألوهيَّة يقتضى عدم احتـياج الإله إلى غيرِه، بل إن من صفاته قيامَـه بنفسه، عرفنا أن اللهَ تبارك وتعالـى موجود بذاته وغيرُ مـحتاجٍ إلى من يوجِدُه. وإذا وضـعتَ النقطتين السابقتين إلى جانبِ هذا الكلام، اتّضح لكَ هذ المقـام، والعقلُ البشرىُّ أقصرُ من أن يتورّطَ فى أكثرَ من ذلك. واللهَ نسألُ العِصْمَةَ من الزللِ؛ إنه رءوف رحيم.

وإليك أقوالَ علمـاء الأوروبيين فى إثباتِ وجود اللهِ تعالـى والإقرار بكمالِ صفاتِه، واللهُ ولىُّ توفيقِنا وتوفيقك.

كلام العلماء الطبيعيين فى إثبات وجود الله وصفاته:

قدمنا لك أن هذه العقـيدة فطرية فى النفوس السليمة، مسـتقرة فى الأذهان الصافية، تكاد تكون من بدهيّاتِ المعلوماتِ، تؤيدها نتائجُ العقولِ جيلا بعد جيلٍ،

= الخـواطر المسـتقـرة التى اجتلبـتهـا الشبـهة فإنهـا لا تدفع إلا بالاستـدلال والنظر فى إبطالها، والله أعلم.

ولذلك اعتقدها علماءُ الكونِ من الأوروبيينَ وغيرهم وإن لم يتلقوها عن دينٍ من الأديان؛ وسننقلُ لك بعضَ شهاداتهم، لا تأييدًا للعقيدة، ولكن إثباتًا لاستقرارِها في النفوسِ، وقطعًا لألسنة الذينَ يريدونَ أن يتحلّلوا من رباطِ العقائد، ويخادعوا ضمائرَهم وأرواحَهم بالباطِل.

١- قال ديكارت العالِم الفرنسي:

«إني مع شعوري بنقص ذاتيّ أحسُّ في الوقت نفسه بوجوبِ وجودِ ذات كاملة، وأراني مضطرًا للاعتقاد بأن هذا الشعورَ قد غرسَته في ذاتي تلك الذاتُ الكاملةُ المتحليةُ بجميعِ صفاتِ الكمالِ، وهي: اللهُ».

فهو يثبتُ في كلامه هذا ضعفَ نفسه ونقصَها، ووجودَ الله وكمالَه، ويعترفُ بأن شعورَه وإحساسَه هبةٌ من اللهِ له وفطرَةٌ فيه ﴿فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا﴾(١).

٢- وقال إسحاق نيوتن العالِم الإنجليزيُّ الشهير، ومكتشفُ قانونِ الجاذبية:

«لا تشكوا في الخالِق فإنه مما لا يعقلُ أن تكون المصادفاتُ وحدَها هي قائدةَ هذا الوجودِ».

٣- وقال هرشل الفلكيّ الإنكليزيّ:

«كلما اتسع نطاقُ العلم ازدادت البراهينُ الدامغةُ القويةُ على وجودِ خالقٍ أزليّ لا حدَّ لقدرته ولا نهايةَ؛ فالجيولوجيونَ والرياضيونَ، والفلكيونَ، والطبيعيونَ قد تعاونوا على تشييدِ صرحِ العلمِ، وهو صرحُ عظمةِ اللهِ وحدَه».

٤- وقال لينيه كما نقله عنه كاميل فلامريون الفرنسي في كتابهِ المسمَّى «الله في الطبيعة»:

«إن اللهَ الأزليَّ الأبديَّ العالِمَ بكل شيء والمُقْتَدِرَ على كلِ شيء، قد تجلّى لي ببدائع صُنْعِه حتى صرتُ مندهشًا مبهوتًا؛ فأيُّ قدرةٍ وأيُّ حكمةٍ وأيُّ إبداعٍ أبدعَه في مصنوعَاتِه! سواءٌ في أصغر الأشياء أو أكبَرِها! إنّ المنافعَ التي نستمدُّها

---

(١) سورة الروم آية ٣٠.

من هذه الكائنات تشهدُ بعظمة رحمة الله الذى سَخَّرَها لنا، كما أن كمالَها وتناسُقَها يُنْبئُ بواسعِ حِكمته، وكذلك حفظُها عن التلاشى وتجدُّدها يقرُّ بجلاله وعظمته».

٥- ويقول «هربرت سبنسر الإنجليزى» في هذا المعنى في رسالته في التربية:

«العلمُ يناقضُ الخُرافات، ولكنهُ لا يناقضُ الدِّينَ. يوجدُ في شىء كثيرٍ من العلم الطبيعىِّ الشائع روحُ الزندقة، ولكن العلمَ الصحيحَ الذى تجاوز المعلومات السطحيةَ، ورسبَ في أعماق الحقائق، براءٌ من هذه الروح. العلمُ الطبيعىُّ لا ينافى الدينَ، والتوجهُ للعلم الطبيعىِّ عبادةٌ صامتةٌ واعترافٌ صامتٌ بنفاسة الأشياء التى تعايَن وتُدرسُ، ثم بقُدرة خالقها، فليس ذلك التوجهُ تسبيحًا شفهيًّا، بل هو تسبيحٌ عملىٌّ، وليس باحترامٍ مُدَّعًى، إنما هو احترامٌ أثمرتهُ تضحيةُ الوقت والتفكير والعمل. وهذا العلم لا يسلك طريقَ الاستبداد فى تفهيم الإنسان استحالةَ إدراك السببِ الأوَّل وهو «اللهُ»، ولكنهُ ينهجُ بنا النَّهْجَ الأوضحَ في تفهيمنا الاستحالةَ، بإبلاغنا جميعَ أنحاء الحدودِ التى لا يستطاعُ اجتيازُها، ثم يقف بنا، فى رفقٍ وهوادة، عند هذه النهاية، وهو بعد ذلك يُرينا -بكيفية لا تعادَلُ- صغَرَ العقلِ الإنسانىِّ إزاء ذلك الذى يفوتُ العقلَ...» ثم أخذَ يضربُ الأمثلةَ على ما يقولُ فقال: «إنَّ العالِمَ الذى يرى قطرةَ الماء فيعلمُ أنها تتركبُ من الأوكسجين والإيدروجين بنسبة خاصة، بحيث لو اختلفت هذه النسبة لكانت شيئًا آخرَ غيرَ الماء، يعتقدُ عظمةَ الخالق وقُدرَتَه وحكمتَه وعِلْمَه الواسعَ بأشدَّ وأعظمَ وأقوى من غير العالِم الطبيعىِّ الذى لا يرى فيها إلا أنها قطرة ماء فحسب، وكذلك العالِمُ الذى يرى قطعةَ البرَدِ(١) فيرى تحتَ مجهره ما فيها من جمالِ الهندسة، ودقة التقسيم، لا شك أنهُ يشعر بجمالِ الخالق ودقيق حكمته أكبَر من ذلك الذى لا يعلم عنها إلا أنها مطرٌ تجمَّدَ من شدةِ البَرْد».

وأقوالُ علماء الكونِ في ذلك لا تقع تحت حصرٍ، وفيما ذكرناهُ الكفايةُ. وإنما استشهدنا بذلك حتى يعلَم شبابُنا أن دينَهم مُؤيَّدٌ من عند الله تباركَ وتعالى، لا يزيدهُ العِلمُ إلا قُوةً وثباتًا وتأييدًا، مِصْداقًا لقولِ الله تعالى:

---

(١) أى قطعة الثلج الصغيرة النازلة مطرًا.

﴿سَنُرِيهِمْ آيَاتِنَا فِي الآفَاقِ وَفِي أَنفُسِهِمْ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُ الْحَقُّ أَوَ لَمْ يَكْفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ﴾(١).

آيات الصفات وأحاديثها:

وردت في القرآن الكريم آياتٌ وفي السُّنَّة المُطَهَّرَة أحاديثُ، تُوهِمُ بظاهرها مشابهةَ الحق تبارك وتعالى لخلقه في بعض صفاتهم، نوردُ بعضَها على سبيل المثال، ثم نُقَفِّي بذكرِ ما وردَ فيها من الأقوال. واللَّهَ نسألُ أَنْ يوفقنا إلى بيان وجه الحقِ في هذه المسألة، التي طال فيها جدَلُ النَّاسِ ونقاشُهم إلى هذا العصر، وأن يُجَنِّبَنَا الزلَلَ، ويُلهِمَنَا الصَّوابَ، وهو حسبنا ونعم الوكيلُ.

نماذج من آيات الصفات:

١- قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ﴿٢٦﴾ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلالِ وَالإِكْرَامِ﴾(٢).

ومثلُها كل آيةٍ وردَ فيها لفظُ الوجهِ مضافًا إلى الحقِّ تبارك وتعالى.

٢- قال الله تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَىٰ ﴿٣٧﴾ إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنِ اقْذِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْذِفِيهِ فِي الْيَمِّ(٣) فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّي وَعَدُوٌّ لَّهُ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾. وقال تعالى: ﴿وَأُوحِيَ إِلَىٰ نُوحٍ أَنَّهُ لَن يُؤْمِنَ مِن قَوْمِكَ إِلاَّ مَن قَدْ آمَنَ فَلا تَبْتَئِسْ(٤) بِمَا كَانُوا يَفْعَلُونَ ﴿٣٦﴾ وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا وَوَحْيِنَا وَلا تُخَاطِبْنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا إِنَّهُم مُّغْرَقُونَ﴾(٥).

---

(١) سورة فصلت: آية ٥٣.

(٢) ﴿كل من عليها﴾ أي على الأرض ﴿فان﴾ أي هالك. ﴿ويبقى وجه ربك﴾ أي ذاته. قال الزمخشري: والوجه يعبِّر به عن الجملة والذات، ومساكين مكة يقولون: أين وجه عربي كريم ينقذني من الهوان. سورة الرحمن: ٢٦، ٢٧.

(٣) ﴿فاقذفيه في اليم﴾ أي في نهر النيل ﴿فليلقه اليم بالساحل﴾ أي بالشاطئ. ﴿ولتصنع على عيني﴾ أي تربى على رعايتي وحفظي لك. سورة طه: ٣٧- ٣٩.

(٤) ﴿فلا تبتئس﴾ أي فلا تحزن ﴿واصنع الفلك بأعيننا﴾ أي بمرأى منا وحين نراك. وقال الربيع بن أنس: بحفظنا إياك حفظ من يراك. وقال عبدالله بن عباس -رضي الله عنهما-: بحراستنا.

(٥) سورة هود: ٣٦، ٣٧.

ومثلُها كل آية ورد فيها لفظ العين مضافًا إلى الله تبارك وتعالى.

٣- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُبَايِعُونَكَ(١) إِنَّمَا يُبَايِعُونَ اللَّهَ يَدُ اللَّهِ فَوْقَ أَيْدِيهِمْ فَمَن نَّكَثَ فَإِنَّمَا يَنكُثُ عَلَىٰ نَفْسِهِ وَمَنْ أَوْفَىٰ بِمَا عَاهَدَ عَلَيْهُ اللَّهَ فَسَيُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ(٢) غُلَّتْ أَيْدِيهِمْ وَلُعِنُوا بِمَا قَالُوا بَلْ يَدَاهُ مَبْسُوطَتَانِ يُنفِقُ كَيْفَ يَشَاءُ﴾. وقال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا خَلَقْنَا لَهُم مِّمَّا عَمِلَتْ(٣) أَيْدِينَا أَنْعَامًا فَهُمْ لَهَا مَالِكُونَ﴾.

٤- قال الله تعالى: ﴿لَّا يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللَّهِ فِي شَيْءٍ إِلَّا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللَّهُ نَفْسَهُ(٤) وَإِلَى اللَّهِ الْمَصِيرُ﴾. وقال تعالى: ﴿وَإِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ أَأَنتَ قُلْتَ لِلنَّاسِ اتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيْنِ مِن دُونِ اللَّهِ قَالَ سُبْحَانَكَ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أَقُولَ مَا لَيْسَ لِي بِحَقٍّ إِن كُنتُ قُلْتُهُ فَقَدْ عَلِمْتَهُ تَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِي وَلَا أَعْلَمُ مَا فِي نَفْسِكَ(٥) إِنَّكَ أَنتَ عَلَّامُ الْغُيُوبِ﴾.

٥- قال الله تعالى: ﴿الرَّحْمَٰنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَىٰ﴾(٦).

ومثلُها كل آية نُسب فيها الاستواء على العرش إلى الله تبارك وتعالى.

---

(١) ﴿إن الذين يبايعونك﴾ أى بيعة الرضوان. ﴿يد الله فوق أيديهم﴾ أى التى بايعوا بها النبى -ﷺ-: أى هو مطلع على مبايعتهم فيجازيهم عليها. ﴿فمن نكث فإنما ينكث على نفسه﴾: أى فمن نقض البيعة فإنما يرجع وبال نقضه على نفسه. سورة الفتح آية ١٠.

(٢) ﴿وقالت اليهود يد الله مغلولة﴾ أى مقبوضة عن إدرار الرزق علينا، كنوا بذلك عن البخل تعالى الله عن ذلك. ﴿غلت أيديهم﴾ أى أمسكت عن فعل الخيرات ﴿بل يداه مبسوطتان﴾ مبالغة فى الوصف بالجود، وثنى اليد لإفادة الكثرة؛ إذ غاية ما يبذله السخى من ماله أن يعطى بيديه. سورة المائدة آية ٦٤.

(٣) ﴿أولم يروا أنا خلقنا لهم مما عملت أيدينا أنعامًا﴾ أى أبدعناه وعملناه بلا شريك ولا معين. والأنعام هى الإبل والبقر والغنم. سورة يس آية ٧١.

(٤) ﴿ويحذركم الله نفسه﴾ أى يخوفكم الله إياه. آل عمران آية ٢٨.

(٥) ﴿تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك﴾ أى تعلم سرى وما انطوى عليه ضميرى الذى خلقته، ولا أعلم شيئًا مما استأثرت به من غيبك وعلمك. سورة المائدة آية ١١٦.

(٦) ﴿الرحمن على العرش استوى﴾ العرش سرير الملك. واستوى قال أبو الحسن الأشعرى وغيره: استوى على عرشه بغير حد ولا كيف كما يكون استواء المخلوقين. وقال عبدالله ابن عباس -رضي الله عنهما-: يريد: خلق ما كان وما هو كائن إلى يوم القيامة وبعد القيامة. طه آية ٥.

٦- قال الله تعالى: ﴿وَهُوَ الْقَاهِرُ فَوْقَ عِبَادِهِ[١] وَيُرْسِلُ عَلَيْكُمْ حَفَظَةً حَتَّىٰ إِذَا جَاءَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ تَوَفَّتْهُ رُسُلُنَا وَهُمْ لَا يُفَرِّطُونَ﴾. وقال تعالى: ﴿أَأَمِنتُم مَّن فِي السَّمَاءِ[٢] أَن يَخْسِفَ بِكُمُ الْأَرْضَ فَإِذَا هِيَ تَمُورُ﴾. وقال تعالى: ﴿مَن كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ[٣] الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ السَّيِّئَاتِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَٰئِكَ هُوَ يَبُورُ﴾.

مما يؤخذ منه نسبةُ الجهة لله تبارك وتعالى.

٧- قال الله تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ[٤] وَرَسُولَهُ لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُّهِينًا﴾. وقال تعالى: ﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[٥]. وقال تعالى: ﴿كَلَّا إِذَا دُكَّتِ الْأَرْضُ دَكًّا دَكًّا ﴿٢١﴾ وَجَاءَ رَبُّكَ وَالْمَلَكُ صَفًّا صَفًّا﴾[٦].

---

(١) ﴿وهو القاهر فوق عباده﴾ قال القرطبي: القهر: الغلبة والقاهر الغالب. ومعنى ﴿فوق عباده﴾ فوقية الاستعلاء بالقهر والغلبة عليهم: أى هم تحت تسخيره لا فوقية مكان. كما تقول: السلطان فوق رعيته أى بالمنزلة والرفعة. ﴿ويرسل عليكم حفظة﴾ أى ملائكة تحصى أعمالكم ﴿توفته رسلنا﴾ أى الملائكة الموكلون بقبض الأرواح. سورة الأنعام آية ٦١.

(٢) ﴿أأمنتم من فى السماء﴾ أى أأمنتم من فى السماء سلطانه وقدرته. قال القرطبي: وخص السماء وإن عم ملكه، تنبيهًا على أنه الإله الذى تنفذ قدرته فى السماء لا من يعظمونه فى الأرض ﴿فإذا هى تمور﴾ أى تذهب وتجيء. سورة الملك آية ١٦.

(٣) ﴿إليه يصعد الكلم الطيب﴾ أى الله تبارك وتعالى، يصعد الكلم الطيب: أى يعلمه ﴿والعمل الصالح يرفعه﴾ أى يرفعه الله: أى يقبله. والكلم الطيب: هو التوحيد الصادر عن عقيدة طيبة. ﴿ومكر أولئك هو يبور﴾ أى يهلك. سورة فاطر آية ١٠.

(٤) ﴿إن الذين يؤذون الله ورسوله﴾ هم الكفار يصفون الله تعالى بما هو منزه عنه من الولد والشريك ويكذبون رسوله -ﷺ-. سورة الأحزاب آية ٥٧.

(٥) ﴿التى أحصنت فرجها﴾ أى حفظته عن الفواحش ﴿فنفخنا فيه﴾ أى أرسلنا جبريل فنفخ فى جيبها ﴿من روحنا﴾ أى روحًا من أرواحنا وهى روح عيسى عليه السلام ﴿وصدقت بكلمات ربها﴾ أى بشرائعه ﴿وكانت من القانتين﴾: أى من المطيعين. سورة التحريم آية ١٢.

(٦) ﴿دكا دكا﴾ أى مرة بعد مرة وزلزلت فكسر بعضها بعضًا فتكسر كل شيء على ظهرها ﴿وجاء ربك﴾ أى أمره وقضاؤه ﴿والملك﴾ أى الملائكة ﴿صفا صفا﴾ أى صفوفًا. سورة الفجر: ٢١، ٢٢.

نماذج من أحاديث الصفات :

وردت فى الأحاديث الشريفة ألفاظٌ كالتى وردت فى الآيات السابقة، منسوبةٌ إلى الله تبارك وتعالى: كالوجْه واليـد، ونحوهما، فنكتـفى بالآيات عن ذكرها؛ وورد فى أحاديث كـثيرة ألفاظٌ أخـرى من هذا القبيل منسـوبةٌ إلى ذات الله تبارك وتعالى نوردُ بعضَها؛ فمن ذلك:

١- عن أبى هريرةَ -رضي الله عنه- عـن النبىّ -ﷺ- قـال: «خَلَقَ اللهُ آدمَ عَلى صورته[1] طـولُه سـتون ذراعًـا، فلما خلَقَـه قال: اذهب فسلم عَلَى أولئك -نفر من الملائكة جلوس- فـاستَـمعْ ما يحـيُّـونَك فـإنها تحيَّتُك وتحـيَّةُ ذريتك، فـقال: السلامُ علـيَكم. فقالوا: الـسَّلامُ عليـكَ ورحمـةُ الله، فزادوه ورحمـةُ الله، فكل من يدخلُ الجنـةَ عـلى صورةِ آدمَ، فلـم يـزل الخـلـقُ يـنـقـصُ بَعـدُ حتى الآنَ» رواهُ البخاريُّ ومُسلمٌ.

٢- عن أنسِ بن مالك -رضي الله عنه- عن النبيّ -ﷺ- أنه قال: «لا تزالُ جهنمُ يُلقَى فيها وتقولُ: هل من مَزيد حتى يضعَ رَبُّ العزَّة فيها قدمَه[2] فينزوى بعضُها إلى بعض، وتقولُ قط قط بعزّتك وكـرمك، ولا يزَالُ فى الجنة فضلٌ حتى يُنْشئ اللهُ لها خَلقًا فَيسكنهم فضل الجنة» رواهُ البخاريُّ ومسلمٌ.

٣- عن أبى هريرةَ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: «للهُ أشَدُّ فَرَحًا[3] بتوبةِ أحَدِكم مِنْ أحَدِكم بضالَّته إذا وَجَدَهَا» رواهُ البخَاريُّ ومسلم.

---

(١) «على صورته» أى على صـورة آدم عليه السلام. قـال الحافظ العسـقلانى: المعنى أن الله تعالى أوجده على الهيئة التى خلقه عليها لم يتنقل فى النشأة أحوالاً ولا تردد فى الأرحام أطواراً كذريته، بل خلقه الله رجلاً كاملاً سويًا من أول ما نفخ فيه الروح.

(٢) «حتى يضع رب العزة فيها قدمـه». قال الزمخشرى: وضع القدم على الشيء مثل للردع والقـمع فكأنه قال: يأتيـها أمـر الله فيكفـها عن طلب المزيد فـترتدع. وقـوله -ﷺ-: «فينـزوى بعضهـا إلى بعض» أى ينقبـض بعضهـا إلى بعض «وتقول قط قـط» أى تقول حسبى حسبى.

(٣) «لله أشد فـرحًا» قـال النووى: قال المازرى: الفـرح ينقسم علـى وجوه: منهـا السرور، والسرور يقـاربه الرضا بالمسـرور به، فالمراد هنا أن الله تعالى يرضـى بتوبة عبـده أشد مما يرضى واجد ضالته، فعبر عن الرضا بالفـرح تأكيداً لمعنى الرضا فى نفس السامع ومبالغة فى تقريره.

انقسم الناس فى هذه المسألة على أربعة فرق :

١- فرقة أخذت بظواهرها كما هى، فنسبت إلى الله وجهًا كوجُوه الخلق، ويدًا أو أيديًا كأيْديهمْ، وضحكًا كضحكهم، وهكذا حتى فرضوا الإله شيخًا، وبعضهم فرضه شابًا، وهؤلاء هم المجَسِّمة والمشَبِّهَةُ، وليسوا من الإسلام فى شىء، وليس لقولهم نصيبٌ من الصحة، ويكفى فى الردِّ عليهم، قولُ الله تعالى: ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾(١). وقولُهُ تعالى: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا أَحَدٌ﴾(٢).

٢- فرقة عطَّلَت معانى هذه الألفاظ على أىِّ وَجْه، يقصدونَ بذلك نفى مدلولاتها مطلقًا عن الله تبارك وتعالى، فاللهُ تبارك وتعالى عندهم لا يتكلمُ ولا يسمعُ ولا يُبْصِرُ؛ لأن ذلك لا يكون إلا بجارحة، والجوارحُ يجبُ أنْ تُنْفَى عنهُ سبحانه؛ فبذلك يعطِّلون صفات الله تبارك وتعالى ويتظاهرون بتقديسه، وهؤلاء هم المعطِّلةُ. ويطلق عليهم بعضُ علماءِ تاريخ العقائد الإسلامية: الْجَهْمِيَّة، ولا أظن أن أحدًا عندهُ مُسْكَةٌ من عقلٍ يستسيغ هذا القولَ المُتَهافت! وها قد ثبتَ الكلامُ والسَّمْعُ والبصرُ لبعض الخلائق بغير جارحة، فكيفَ يتوقَّفُ كلامُ الحقِّ تبارك وتعالى على الجوارحِ؟! تعالى الله عن ذلك عُلوًّا كبيرًا.

هذان رأيان باطلانِ لا حظَّ لهما من النظر، وبقى أمامَنا رأيانِ هُما محلُّ أنظارِ العلماءِ فى العقائدِ، وهما رأى السَّلَفِ ورأى الْخَلَفِ.

مذهب السلف فى آيات الصفات وأحاديثها

٣- أما السَّلَفُ رضوان اللهُ عليهم فقالوا: نؤمنُ بهذه الآيات والأحاديث كما وردت، ونتركُ بيانَ المقصود منها لله تبارك وتعالى، فهم يثبتون اليد والعين والأعين والاستواءَ والضَّحكَ والتعجبَ. . إلخ وكلٌّ ذلك بمعانٍ لا ندركُها، ونتركُ لله تبارك وتعالى الإحاطةَ بعلمها، ولاسيما وقد نهينا عنْ ذلك فى قول النبى -ﷺ-: «تَفَكَّروا فى خلْقِ اللهِ ولا تتفكَّروا فى اللهِ فإنكم لن تَقْدُروه قَدْرَهُ».

---

(١) سورة الشورى : ١١.

(٢) سورة الإخلاص: ١-٤.

قال العراقيُّ: رواهُ أبو نعيم فى «الحِلْيَة» بإسناد ضَعيف، ورواهُ الأصبهَانىُّ فى الترغيبِ والترهيب بإسناد أصحَّ منه، ورواهُ أبو الشيخ كذلك مع قطعهم رضوان الله عليهم بانتفاء المشابهةِ بينَ اللهِ وبين الخلق. وإليك أقوالَهم فى ذلك:

(أ) روى أبو القاسم اللالكائىُّ فى (أصول السُّنة) عن محمد بنِ الحسنِ صاحب أبى حنيفةَ -رحمهما الله- قال: (اتفقَ الفقهاءُ كلُّهم من المشرقِ إلى المغربِ على الإيمانِ بالقرآن والأحاديث التى جاءت بها الثقاتُ عن رسول الله -ﷺ- فى صفة الرَّبِّ عَزَّ وجلَّ من غير تفسيرٍ ولا وصفٍ ولا تشبيه، فمن فسرَّ اليوم شيئًا من ذلك فقد خرج مما كان عليه النبىُّ -ﷺ- وفارق الجَماعة؛ فإنهم لم يصفوا ولم يفسِّرُوا، ولكن أفتوا بما فى الكتابِ والسنة ثم سكتوا».

(ب) وذكر الخلاّلُ فى كتابِ «السُّنة» عن حنبلٍ وذكرهُ حنبلٌ فى كُتُبه مثلَ كتاب «السُّنة والمحنة» قال حنبلٌ: «سألتُ أبا عبدالله عن الأحاديث التى تروى «إن اللهَ تبارك وتَعالى ينزلُ إلى سماءِ الدنيا». و«إن اللهَ يرى» و«إنّ اللهَ يَضَعُ قدمَه» وما أشبه هذه الأحاديث؟ فقال أبو عبدالله: نُؤْمنُ بها ونُصَدِّقُ بها ولا كيف ولا معنى ولا نَرُدّ منها شيئًا، ونعلمُ أن ما جاءَ به الرسولُ -ﷺ- حقٌّ إذا كان بأسانيدَ صحاح، ولا نرد على الله قولَه، ولا يوصفُ اللهُ تبارك وتعالى بأكثرَ مما وصف به نفسَه بلا حَدٍّ ولا غاية، لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَىْءٌ».

(جـ) وروى حَرْملةُ بنُ يحيَى قالَ: سمعتُ عبدَالله بنَ وَهْب يقولُ: سمعتُ مالكَ بنَ أَنَسٍ يقولُ: مَنْ وصف شيئًا من ذات الله مثل قَوْله: ﴿**وَقَالَتِ الْيَهُودُ يَدُ اللَّهِ مَغْلُولَةٌ**﴾ فأشار بيده إلى عنقه، ومثل قوله: ﴿**وهو السميع البصير**﴾ فأشار إلى عينه أو أُذُنه أو شىء من يديه، قطع ذلك منه؛ لأنهُ شَبَّهَ اللهَ بنفسه. ثم قال مالكٌ: أما سَمعتَ قولَ الْبرَاء حين حدّث أن النبىَّ -ﷺ- لا يضحى بأربعٍ من الضحايا وأشارَ البرَاءُ بيده كما أشارَ النبىُّ -ﷺ- قال البَراءُ: ويدى أقصرُ من يَدِ رسول الله -ﷺ- فكره البراء أن يصف يدَ رسولِ الله -ﷺ- إجلالاً لَهُ وهو مخلوق، فكيف الخالق الذى ليس كَمثله شىءٌ؟!

(د) وروى أبو بكرٍ الأثْرَمُ، وأبو عَمْرو الطلمنكىُّ وأبو عبدالله بنِ أبى سَلَمَةَ الماجشون كلامًا طويلاً فى هذا المعنى ختمهُ بقولِهِ: «فما وصفَ اللهُ مِنْ نَفْسِهِ فسماهُ

عَلَى لسان رسوله سمَّيناهُ كما سمّاهُ، ولم نتكلّفْ منهُ صفة ما سواهُ، لا هذا ولا هذا، لا نَجحد ما وصفَ، ولا نتكلّفُ معرفةَ ما لم يصف».

«اعلم، رحمك اللهُ، أن العصمةَ في الدينِ أن تنتهي حيثُ انتُهِيَ بك، ولا تجاوز ما قد حُدَّ لك؛ فإنَّ من قوامِ الدِّينِ معرفةَ المعروف، وإنكارَ المنكر، فما بُسطتْ عليه المعرفةُ، وسكنَتْ إليه الأفئدةُ، وذُكر أصلهَ في الكتاب والسُّنة، وتوارَثَ علْمَهُ الأمةُ فلا تخافنَّ في ذكرِه وصفته من ربك ما وصف من نفسه عينًا، ولا تكلفنَّ بما وصف من ذلك قدراً، وما أنكرتَه نفسُك، ولم تجد ذكره في كتابِ ربِّك، ولا في الحديث عن نبيِّك من ذكر صفة ربك فلا تتكلّفَنَّ علمه بعقلك، ولا تصفه بلسانك، واصمُتْ كما صَمَتَ الربّ عنه من نفسه، فإنّ تكلّفك معرفة ما لم يصف به نفسه مثل إنكارك ما وصف منها، فكما أعظمت ما جحد الجاحدون مما وصف من نفسه، فكذلك أعْظِمْ تكلف ما وصف الواصفون مما لم يصف منها، فقد والله عزّ المسلمون الذين يعرفون المعروف وبمعرفتهم يعرف، وينكرون المنكر وبإنكارهم ينكر، يسمعون ما وصف الله به نفسَه من هذا في كتابه، وما يبلغهم مثلهُ عن نبيِّه، فما مرض من ذكر هذا وتسميته من الرب قلبُ مسلم، ولا تكلّف صفة قدره، ولا تسمية غيره من الرب مؤمنٌ، وما ذكر عن رسول الله -ﷺ- أنه سَماهُ من صفة ربه فهو بمنزلة ما سمَّى ووصفَ الرّب تعالى من نفسه، والرَّاسخونَ في العِلْم، والواقفون حَيْثُ انتهى بهم علمُهمْ، والواصفونَ لربهم بما وصَفَ نفسَهُ، التاركون لما ترك من ذكرها لا ينكرون صفة ما سمَّى منها جَحداً، ولا يتكلّفون وصفه بما لم يسم تعمقًا؛ لأن الحق ترك ما ترك وسمي ما سمَّى، ومَن ﴿يَتَّبِعْ غَيْرَ سَبِيلِ الْمُؤْمِنِينَ نُوَلِّهِ مَا تَوَلَّىٰ وَنُصْلِهِ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيرًا﴾(١). وهَبَ اللهُ لنا ولكم حكمًا، وألحقنا بالصالحين».

مذهب الخلف في آيات الصفات وأحاديثها

قدمتُ لك أنَّ السلَفَ، رضوانُ الله عليهم، يؤمنونَ بآياتِ الصفاتِ وأحاديثها كما وردت، ويتركون بيانَ المقصودِ منها للهِ تبارك وتعالى، مع اعتقادِهم بتنزيه اللهِ تبارك وتعالى عن المشابهة لخلقه.

---

(١) سورة النساء : ١١٥.

فأما الخَلَفُ فقد قالوا: إننا نقطعُ بأن معانى ألفاظ هذه الآيات والأحاديث لا يرادُ بها ظواهرُها، وعلى ذلك فهى مَجازاتٌ لا مانع مَن تأويلها، فأخذوا يؤولون «الوجه» بالذاتِ و«اليَدَ» بالقدرةِ وما إلى ذلك، ؛ هربًا من شبهةِ التشبيه. وإليكَ نماذجَ من أقوالِهم فى ذلك.

١- قال أبو الفرج بنُ الجوزىِّ الحنبلىُّ فى كتابه «دفع شبهة التشبيه»: قال اللهِ تعالى: ﴿وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ﴾(١). قال المفسرون: يبقى ربك، وكذلك قالوا فى قوله تعالى: ﴿يُرِيدُونَ وَجْهَهُ﴾(٢). أى يريدونه. وقال الضّحّاكُ وأبو عبيدةَ: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ﴾(٣). أى إلا هو.

وعقد فى أول الكتاب فصلاً ضافيًا فى الرد على من قالوا إن الأخذَ بظاهر هذه الآيات والأحاديث هو مذهبُ السلَف؛ وخلاصةُ ما قاله: إن الأخذ بالظاهر هو تجسيمٌ وتشبيهٌ؛ لأن ظاهرَ اللفظ هو ما وُضع له، فلا معنى لليد حقيقةً إلا الجارحة، وهكذا. وأما مذهبُ السلَفِ فليس أخذها على ظاهرها، ولكن السكوتُ جملةً عن البحثِ فيها. وأيضًا فقد ذهبَ إلى أن تسميتها آيات صفات وأحاديث صفات تسمية مبتدعة لم ترد فى كتاب ولا فى سنة، وليست حقيقيَّة فإنها إضافات ليس غير، واستدل على كلامه فى ذلك بأدلةٍ كثيرةٍ لا مجالَ لذكرِها هنا.

٢- وقال فخرُ الدينِ الرازىُّ فى كتابه «أساسُ التقديس»: واعلم أن نصوصَ القرآنِ لا يمكنُ إجراؤها على ظاهرها لوجوه: الأول أن ظاهرَ قوله تعالى: ﴿وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي﴾(٤). يقتضى أن يكون موسى عليه السلام مستقرًا على تلك العين ملتصقًا بها مستعليًا عليها وذلك لا يقولُه عاقلٌ، والثانى أن قوله تعالى: ﴿وَاصْنَعِ الْفُلْكَ بِأَعْيُنِنَا﴾(٥). يقتضى أن يكون آلة تلك الصنعة هى تلك العين، والثالثُ أن إثبات الأعين فى الوجه الواحد قبيح فثبت أنه لابد من المصير إلى التأويل، وذلك هو أن تُحملَ هذه الألفاظُ على شدةِ العنايةِ والحراسةِ.

---

(١) سورة الرحمن : ٢٧.

(٢) سورة الأنعام : ٥٢.

(٣) سورة القصص: ٨٨.

(٤) سورة طه: ٣٩.

(٥) سورة هود: ٣٧.

٣- قال الإمـامُ الغزاليُّ فى الجزء الأول من كـتابه «إحيـاء علوم الدين» عند كلامه عَلَى نسـبةِ الْعلمِ الظاهر إلى الباطنِ وأقـسام مَا يتأتَّى فيـه الظهورُ والبطونُ، والتأويلُ وغير التأويلِ: القسمُ الثـالثُ أن يكون الشىءُ بحيثُ لو ذُكرَ صريحًا لفهم ولم يكن فيه ضررٌ، ولكن يُكنَّى عنهُ عَلَى سبيل الاستعارة والرمز؛ ليكونَ وقْعُهُ فى قلبِ المستـمعِ أغلبُ... ومنه قوله -ﷺ-: «**إن المسجـدَ لَيَنْزَوى**[(١)] **من النُّخَامة كـمَا تنـزوى الجِلْدَةُ على النار**». ومعنـاهُ أن روحَ المسجدِ وكـونَهُ معظـمًا، ورَمْىَ النخامة فـيه تحقَيـرٌ لهُ فيضاد معـنى المسجدية مضادّة النارِ لاتـصال أجزاء الجلدة. وأنت ترى أن ساحـةَ المسجد لا تنقـبضُ من نخامة، وكـذلك قوله -ﷺ-: «**أَمَا يخشَى الذى يرفَـعُ رَأْسَهُ قبلَ الإمَـام أَنْ يُحَوِّلَ اللهُ رأْسَه رأْسَ حـمار**»[(٢)]، وذلك من حـيث الصورة لم يكن قط ولا يكون، ولـكن من حيث المعَنى هو كـائنٌ؛ إذ رأسُ الحـمارِ لـم يـكـن بحـقيـقتـه وكونه وشكله بل بخـاصيـته، وهى البـلادةُ والحـمقُ، ومَنَ رَفَعَ رَأْسَه قبلَ الإمام فقد صار رَأْسَهُ رَأْسَ الْحمارِ فى معنى البلادة والحمـقِ، وهو المقصودُ دونَ الشكلِ. وإنما يـعرف أن هذا السرَ على خلاف الظاهر إمـا بدليلٍ عقلىٍّ أو شـرعىٍّ. أما العقلىُّ فأن يكون حمله علـى الظاهر غير ممكن، كقـولـه -ﷺ-: «**قلبُ المؤمنِ بين إصبعـين من أصابع الرحمن**»[(٣)]. إذ لو فَتَشْنَا عـن قلوب المؤمنين لم نجد فـيها أصابع، فعلم أنها كـناية عن القدرة التى هى سرٌّ الأصـابعِ ورُوحُـها الخـفىُّ، وكنَّى بالأصابع عن القـدرة لأن ذلك أعظم وقعًـا فى تفهم تمام الاقتدار».

وقد نعرض لمثل هذا الكـلام فى موضع آخَر من هذا البحث، وفيـما ذكرناه كفاية.

إلى هنا وضح أمامَك طريقَا السَّلَفِ والخلَفِ؛ وقد كـان هذان الطريقان مثارَ

---

(١) قوله -ﷺ-: «إن المسـجد لينزوى» أى لينقـبض. قال الزبيـدى فى شـرح الإحيـاء: قال العراقى: هذا لم أر له أصلاً فى المرفوع وإنما هو من قول أبى هريرة ورواه ابن أبى شيبة فى مصنفه. قلت: ورواه كـذلك عبدالرزاق موقوفًا على أبى هريرة، وفى صـحيح مسلم عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أيضًا أن رسول الله -ﷺ- رأى نخامة فى المسجد فى القبلة فقال: «ما بال أحدكم مستقبل ربه فينخع أمامه! أيحب أحدكم أن يُستقبل فينخع فى وجهه؟».

(٢) رواه البخارى ومسلم من حديث أبى هريرة.

(٣) رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو.

خلاف شديد بين علماء الكلام من أئمة المسلمينَ، وأخذ كلٌّ يدعمُ مذهبَه بالحجج والأدلّة، ولوْ بحثتَ الأمرَ لعلمتَ أن مسافة الخلْف بين الطريقين لا تحتملُ شيئًا من هذا لوَ ترك أهلُ كلٍّ منهما التطرفَ والغلوَّ، وأن البَحثَ في مثل هذا الشأن، مهما طال فيه القولُ، لا يؤدى فى النهاية إلا إلى نتيجةٍ واحدةٍ، هى التفويضُ لله تبارك وتعالى، وذلك ما سنفصله لك إن شاء الله تعالى.

بين السلف والخلف:

قد علمتَ أن مذهبَ السَّلَف فى الآياتِ والأحاديثِ التى تتعلقُ بصفاتِ الله تبارك وتعالى أن يُمرُّوها على ما جاءَت عليه، ويسكتوا عَن تفسيرها أو تأويلَها؛ وأن مذهب الخلفَ أن يؤوِّلوها بما يتفقُ مع تنزيه الله تبارك وتعالى عن مشابهة خلقه. وعلمتَ أن الخلافَ شديدٌ بين أهل الرأيين حتى أدى بينهما إلى التنابز بالألَقاب العصبيةِ؛ وبيانُ ذلك عن عدة أوجهٍ:

أولاً: اتفقَ الفريقانِ على تنزيهِ الله تبارك وتعالى عن المشابهةِ لخلقهِ.

ثانيًا: كلٌّ منهما يقطعُ بأن المرادَ بألفاظ هذه النصوص فى حقِّ الله تبارك وتعالى غيرُ ظواهرِها التى وُضِعتْ لها هذه الألفاظُ فى حق المخلوقاتِ، وذلك مترتبٌ على اتفاقهما على نفى التشبيه.

ثالثًا: كلٌّ من الفريقين يعلمُ أن الألفاظَ تُوضَع للتعبير عما يجولُ فى النفوسِ، أو يقعُ تحتَ الحواسِ مما يتعلق بأصحاب اللغة وواضعيها، وأن اللغات، مهما اتسعت، لا تحيطُ بما ليس لأهلها بحقائقه علمٌ، وحقائقُ ما يتعلقُ بذاتِ الله تبارك وتعالى من هذا القبيلِ، فاللغةُ أقصرُ من أن تواتينا بالألفاظ التى تدلُّ على هذه الحقائق، فالتحكمُ فى تحديدِ المعانى بهذه الألفاظِ تغريرٌ.

وإذا تقرر هذا فقد اتفقَ السّلَفُ والخلَفُ على أصل التأويلِ، وانحصرَ الخلافُ بينهما فى أنَّ الخلَفَ زادوا تحديد المعنى المراد حيثما ألجأتهم ضرورةُ التنزيه إلى ذلك حفظًا لعقائدِ العوامِّ من شبهةِ التشبيهِ، وهو خلافٌ لا يستحقُّ ضجةً ولاَ إعناتًا.

ترجيح مذهب السلف:

ونحن نعتقدُ أن رأى السلَف من السكوت وتفويضِ علمِ هذه المعانى إلى الله تبارك وتعالى أسلمُ وأولى بالاتباعِ، حسما لمادة التأويلِ والتعطيلِ؛ فإن كنتَ ممن أسعدَه اللهُ بطمأنينة الإيمان، وأثلجَ صدرَه ببرد اليقين فلا تعدل به بديلا؛ ونعتقدُ إلى جانب هذا أن تأويلات الخلَف لا توجبُ الحكمَ عليهم بكفرٍ ولا فسوق، ولا تستدعى هذا النزاعَ الطويلَ بينهم وبين غيرهم قديمًا وحديثًا، وصدرُ الإسلام أوسعُ من هذا كلّه. وقد لجأ أشدُّ الناسِ تمسكا برأى السلَف، رضوانُ الله عليهم، إلى التأويل فى عدّة مواطنَ، وهو الإمام أحمدُ بنُ حَنْبل -رضي الله عنه-؛ من ذلك تأويله لحديث: «الحَجر الأسودُ يمينُ الله فى أرضه»(١)، وقوله -ﷺ-: «قلبُ المؤمن بين إصبعين من أصابعِ الرحمنِ»(٢)، وقولَه -ﷺ-: «إنى لأجد نفس الرّحمن من جانب اليمن»(٣).

وقد رأيتُ للإمام النووىّ -رضي الله عنه- ما يفيد قرب مسافة الخلاف بين الرأيين مما لا يدعُ مجالاً للنزاعِ والجدال ولاسيما وقد قيَّد الخلفُ أنفسهم فى التأويلِ بجوازه عقلاً وشرعًا، بحيث لا يصطدمُ بأصلٍ من أصولِ الدين.

قال الرازىُّ فى كتابه «أساسُ التقديسِ»: «ثم إنْ جوَّزْنا التأويلَ اشتغلنا على سبيل التبرع بذكر تلك التأويلات على التفصيلِ، وإن لم نجز التأويلَ فوّضنا العلم بها إلى الله تعالى، فهذا هو القانون الكلىُّ المرجوعُ إليه فى جميع المتشابهاتِ، وبالله التوفيقُ».

وخلاصةُ هذا المبحث أن السّلَفَ والخلَفَ قد اتفقا على أن المرادَ غيرُ الظاهر المتعارف بين الخلق، وهو تأويلٌ فى الجملة، واتفقا كذلك على أن كلَّ تأويلٍ يصطدمُ بالأصولِ الشرعيةِ غيرُ جائز، فانحصرَ الخلافُ فى تأويلِ الألفاظ بما يجوزُ فى الشرعِ، وهو هينٌ كما ترى، وأمرٌ لجأ إليه بعضُ السلف أنفسُهم، وأهمُّ ما يجبُ أن تتوجَّه إليه هممُ المسلمينَ الآن توحيدُ الصفوفِ، وجمعُ الكلمةِ ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً، واللهُ حسبنا ونعمَ الوكيل.

---

(١) قال العراقى: رواه الحاكم وصححه من حديث عبدالله بن عمر.

(٢) رواه مسلم من حديث عبدالله بن عمرو.

(٣) قال العراقى: رواه أحمد من حديث أبى هريرة فى حديث قال فيه: «وأجد نفس ربكم من قبل اليمن» ورجاله ثقات.

المأثورات

تقديم

الحمد لله رب العالمين. والصلاة والسلام على محمد خاتم الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه الغُرّ الميامين.

وبعد: فهذه تعليمات مختصرة حررتها على رسالة «المأثورات» للأستاذ التقى الصفى الجليل شقيق الروح المرحوم الشيخ حسن البنا طيب الله ثراه، توضح الغامض من ألفاظها وتعين قراءها على فهم معانيها ومقاصدها. وقد عنيت بمقابلة أحاديثها على أصولها من: «الجامع الصحيح» للإمام أبى عبدالله محمد بن إسماعيل البخارى، و«الجامع الصحيح» للإمام أبى الحسين مسلم بن الحجاج القشيرى النيسابورى، و«السنن» للإمام أبى داود سليمان بن الأشعث السجستانى، و«السنن» للإمام أبى عيسى محمد بن عيسى الترمذى، و«السنن» للإمام أبى عبدالرحمن أحمد بن شُعَيب النسائى، و«السنن» للإمام أبى محمد عبدالله بن عبدالرحمن الدارمى، و«عمل اليوم والليلة» للإمام أبى بكر أحمد بن محمد بن إسحاق الدينورى الشهير بابن السنى، وغيرها، فأصلحت ما ألفيت فيها من غلط أو تحريف وتصحيف حيث لم أظفر بنسخة فضيلة الأستاذ المؤلف -رحمه الله- التى حررها بخطه.

وأرجو أن أكون بذلك كله قد قمت ببعض الواجب علىّ نحو الحديث النبوى، ونحو الأستاذ المؤلف وقراء مأثوراته.

رضوان محمد رضوان

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على سيدنا محمد أفضل الذاكرين، وسيّد الشاكرين، وإمام المرسَلين وخاتم النبيين وقائد الغُرّ المحَجَّلين، وعلى آله وأصحابه أجمعين، ومَن سلك طريقهم إلى يوم الدين.

١- الذكر فى كل حال:

وبعد: فاعلم يا أخى -رزقنى الله وإياك حسن التوفيق- أن لكل إنسان غاية أساسية من حياته تدور عليها أفكارهُ وتتّجه نحوها أعمالهُ، وتتركز حولها آماله؛ وهى التى يسمونها «المثل الأعلى» ومتى سَمت هذه الغاية وعلت صدرت عنها أعمالٌ سامية مجيدة، وانطبعت نفسُ صاحبها بصورة من الجمال الروحى، وحَدَت به إلى الكمال دائمًا حتى يأخذ فيه بالنصيب الذى قدرَ له.

والإسلام، وقد جاء لإصلاح نفوس البشر وتزكيتها والعلو بها إلى منتهى الكمال الممكن لها، أوضح للإنسانية جميعًا الغاية القصوى، وحدا بها نحو المثل الأعلى، وكان هذا المثل هو «قدس حضرة الله جل وعلا» والآية الكريمة تقول: ﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ﴾(١).

وإذ عرفت هذا أيها الأخ الكريم فلا تستغرب بعدُ أن يكون المسلم ذاكرًا لله على كل حال، وأن تؤثر عن النبى -ﷺ- وهو أعرف الخلق بربه - تلك الصِّيَغُ الرائعة البليغة من الذكر والدعاء والشكر والتسبيح والتحميد فى كل الأحوال صغيرها وكبيرها وعظيمها وحقيرها، فقد كان النبى -ﷺ- يذكر الله على كل أحواله(٢) ولا تعجب إذا طالبنا الإخوان المسلمين أن

---

(١) ﴿ففروا إلى الله﴾ أى فروا إلى ثوابه من عقابه وذلك بأن تطيعوه ولا تعصوه. سورة الذاريات آية ٥٠.

(٢) هذا حديث رواه مسلم وأبو داود والترمذى ولفظه: عن عائشة -رضي الله عنها- قالت: كان رسول الله -ﷺ- يذكر الله على كل أحيانه.

يَسْتَنّوا بسُنَّة نبيهم ويقتدُوا به -ﷺ- فيحفظوا هذه الأذكار ويتقربوا بها إلى العزيز الغفار:

﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ(١) لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيراً﴾.

٢- فضل الذكر والذاكرين:

وقد ورد الأمر بالذكر والإكثار منه وبيان فضله وفضل الذاكرين فى كثير من آيات القرآن الكريم وأحاديث الرسول العظيم -ﷺ-، وحسبك أن كان خاتمة المراتب فى قوله تعالى:

﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ(٢) وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ(٣) وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيراً وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً﴾.

وقد أمر الله به المؤمنين فى قوله تعالى:

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْراً كَثِيراً ﴿٤١﴾ وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلاً﴾(٤).

وقد وردت الأحاديث الكثيرة فى فضل الذكر، قال رسولُ الله -ﷺ- فيما يرويه عن ربه عز وجل: قال الله تبارك وتعالى:

«أنا عندَ ظَنِّ عَبْدى بى، وَأَنَا معَهُ إِذَا ذكرَنى، فَإِنْ ذَكَرَنى في نَفْسه ذَكَرْتُهُ فى نَفْسى وَإِنْ ذَكَرَنى فى مَلأ(٥) ذَكَرْتُهُ فى مَلأٍ خَيْرٍ مِنْهُمْ» مُتَّفَقٌ عليه(٦).

من حديث أبى هريرة.

---

(١) ﴿أسوة حسنة﴾: أى اقتداء برسول الله -ﷺ- و﴿يرجو الله﴾: أى يخاف الله تعالى. سورة الأحزاب آية ٢١.

(٢) ﴿والقانتين﴾ أى العابدين المطيعين.

(٣) ﴿والخاشعين﴾: أى الخائفين من الله. سورة الأحزاب آية ٣٥.

(٤) ﴿وسبحوه بكرة وأصيلا﴾، أى أول النهار وآخره. سورة الأحزاب آية ٤٢.

(٥) «وإن ذكرنى فى ملأ»، الملأ الجماعة.

(٦) أى رواه البخارى ومسلم.

وعن عبدالله بن بُسْر -رضي الله عنه- أنَّ رَجُلاً قالَ: يا رَسُولَ الله إنَّ شرائعَ الإسْلامِ[1] قَدْ كَثُرَتْ عَلَيَّ فَأَخْبِرْنِى بشَيْء أتَشَبَّثُ به. قال: «لا يَزَالُ لِسَانُك رَطْبًا مِنْ ذِكْرِ الله» رواه الترمذى وقال: حديثٌ حَسَنٌ.

٣- آداب الذكر:

وأعلم يا أخى أن الذكر ليس المقصود به الذكر القولى فحسب بل إن التوبة ذكر، والتفكر من أعلى أنواع الذكر، وطلب العلم ذكر، وطلب الرزق إذا حسنت فيه النية ذكر، وكل أمر راقبت فيه ربك وتذكرت نظره إليك ورقابته فيه عليك ذكر؛ ولهذا كان العارف ذاكرًا على كل حالاته. ولابد ليكون للذكر أثره فى القلب من مراعاة آدابه وإلا كان مجرد ألفاظ لا تأثير فيها. وقد ذكروا له آدابًا كثيرة أهمها وأولاها بالرعاية:

(١) الخشوع والتأدُّب، واستحضار معانى الصِّيغ، ومحاولة التأثر بها، وملاحظة مقاصدها وأغراضها.

(٢) خفض الصوت ما أمكن ذلك مع اليقظة التامة والهمة الكاملة حتى لا يشوِّش على غيره. وقد أشارت الآية الكريمة إلى هذه الآداب فقال تعالى:

﴿وَاذْكُر رَّبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالآصَالِ وَلا تَكُن مِّنَ الْغَافِلِينَ﴾[2].

(٣) موافقة الجماعة إن كان الذكر مع جماعة فلا يتقدم عليهم ولا يتأخر عنهم ولا يبنى على قراءتهم، بل إن حضر وقد بدءوا ابتدأ معهم من أول صيغة ثم قضى ما فاته بعد انتهائه، وإن تأخر عنهم فى أثناء القراءة قرأ ما فاته وأدركهم، ولا يبنى على قراءتهم أصلاً، لئلا يكون بذلك قد حرَّف القراءة وغيَّر الصيغ، وذلك حرام اتفاقًا.

---

(١) «شرائع الإسلام» ما شرع الله لعباده من الفرائض والسنن، وقوله: «أتشبث به» أى أتعلق به وأستمسك. قال الطيبى طيب الله ثراه: ولم يرد أنه يترك شرائع الإسلام رأسًا بل طلب ما يتشبث به بعد الفرائض عن سائر ما لم يفترض عليه.

(٢) ﴿بالغدو والآصال﴾ أى أول النهار وآخره. سورة الأعراف آية ٢٠٥.

(٤) النظافة في الثوب والمكان، ومراعاة الأماكن المحترمة والأوقات المناسبة، حتى يكون ذلك أدعى إلى اجتماع همته، وصفاء قلبه، وخلوص نيته.

(٥) الانصراف في خشوع وأدب، مع اجتناب اللغط واللهو الذي يذهب بفائدة الذكر وأثره.

فإذا لاحظ هذه الآداب فإنه سينتفع بما قرأ ويجد أثر ذكره حلاوة في قلبه، ونوراً لروحه، وانشراحًا في صدره، وفيضًا من الله، إن شاء الله تعالى.

٤- الذكر في جماعة:

ورد في الأحاديث ما يشعر باستحباب الاجتماع على الذكر ففي الحديث الذي يرويه مسلم:

«لاَ يَقْعُدُ قَوْمٌ يَذْكُرون اللهَ عَزَّ وَجَلَّ إلاَّ حَفَّتْهُمُ الملائكةُ[(١)] وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمة، وَنَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السكِينةُ، وَذكَرَهُمُ اللهُ فيمَنْ عِنْدَهُ».

وكثيراً ما ترى في الأحاديث أنه -ﷺ- خرج على جماعة وهم يذكرون الله في المسجد فبشرهم ولم ينكر عليهم[(٢)].

والجماعة في الطاعات مستحبة في ذاتها ولا سيما إذا ترتب عليها كثير من الفوائد مثل: تألف القلوب، وتقوية الروابط، وقضاء الأوقات فيما يفيد، وتعليم الأمي الذي لم يحسن التعلم وإظهار شعيرة من شرائع الله تعالى.

نعم إن الجماعة في الذكر تكره إذا ترتب عليها محظور شرعي كالتشويش على مصلّ، أو لغو وضحك، أو تحريف للصيَغ، أو بناء على قراءة غيره، أو نحو

---

(١) «إلا حفتهم الملائكة» أي طافت بهم ودارت حولهم «وغشيتهم الرحمة» أي عمتهم.

(٢) منها حديث أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- قال: خرج معاوية على حلقة في المسجد فقال ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله. قال آلله ما أجلسكم إلا ذاك؟ قالوا: والله ما أجلسنا إلا ذاك. قال أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، وما كان أحد بمنزلتي من رسول الله -ﷺ- أقل عنه حديثًا مني، وإن رسول الله -ﷺ- خرج على حلقة من أصحابه فقال: «ما أجلسكم؟ قالوا: جلسنا نذكر الله ونحمده على ما هدانا للإسلام ومنّ به علينا. قال: «أما إني لم أستحلفكم تهمة لكم، ولكنه أتاني جبريل فأخبرني أن الله عز وجل يباهي بكم الملائكة» رواه مسلم والترمذي والنسائي.

ذلك من المحظورات الشرعية، فحينئذ تمنع الجماعة فى الذكر لهذه المفاسد لا للجماعة فى ذاتها، وخصوصًا إذا كان الذكر فى جماعة بالصيغ المأثورة الصحيحة، كما فى هذه الوظيفة. فحبذا لو اجتمع الإخوان على قراءتها صباحًا ومساءً فى ناديهم أو فى مسجد من المساجد مع اجتناب هذه المكروهات. ومن فاتته الجماعة فيها فليقرأها منفردًا ولا يفرِّط فى ذلك.

الخاتمـــة

وبعد: فإلى الإخـوان المسلمين نتوجَّه بـهذه الوظيفة، وما هى بـخاصة بهم ولكنها للمسلمـين عامة، لعل فيها إعانةً لهم على طـاعة الله تبارك وتعالى. وهى تقرأ صبـاحًا من الفجر إلى الـظهر، ومساء من العـصر إلى ما بعد العـشاء فرادى وجماعة. ومن فاتته كلها فلا يفوتنه بعضها حتى لا يعتاد إهمالها وتضييعها.

والورْد القرآنى فى الوقـت المناسب ليلاً أو نهاراً، ومـا بعدهما من الأدعـية والأذكار يقرأ عند مناسباته.

ونسأل الله لنا ولهم حسن التـوفيق، وكمال الهداية، ونسـألهم ألا يحرمونا صـالح دعواتـهم فى الخلوة والجلوة، وصلى الله على سـيـدنا محـمـد وعلى آله وصحبه وسلم.

غرة رمضان سنة ١٣٥٥هـ

حسن البنـا

المرشد العام للإخوان المسلمين

القسم الأول

الوظيفة

أَعُوذُ بِاللهِ السَّمِيعِ الْعَلِيمِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ(١).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝١ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ ۝٢ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ ۝٣ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ(٢) ۝٤ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ ۝٧﴾(٣).

﴿الم ۝١ ذَلِكَ الْكِتَابُ(٤) لا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۝٢ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣ وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ۝٤ أُولَئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾(٥).

---

(١) قال الله تعالى: ﴿فإذا قرأت القرآن فاستعذ بالله من الشيطان الرجيم﴾ وأخرج ابن السنى عن أنس -رضي الله عنه- عنه النبى -ﷺ- قال: «من قال حين يصبح أعوذ بالله السميع العليم من الشيطان الرجيم، أجير من الشيطان حتى يمسى».

(٢) ﴿مالك يوم الدين﴾: أى يوم الجزاء وهو يوم القيامة.

(٣) فى حديث أبى بن كعب -رضي الله عنه- أن رسول الله -ﷺ- قال: «والذى نفسى بيده ما أنزلت فى التوراة ولا فى الإنجيل ولا فى الزبور ولا فى الفرقان مثلها (الفاتحة) وأنها سبع من المثانى والقرآن العظيم الذى أعطيته» رواه الترمذى وقال: حديث حسن صحيح وروى أبو داود وغيره بسنده عن رسول الله -ﷺ-، قال: «كل أمر ذى بال لا يبدأ فيه ببسم الله الرحمن الرحيم فهو أقطع». أى قليل البركة.

(٤) ﴿ذلك الكتاب﴾ أى: القرآن ﴿لا ريب فيه﴾ أى لا شك فيه أنه من عند الله تعالى. سورة البقرة : ١ - ٥.

(٥) روى الدارمى، والبيهقى فى الشعب، عن ابن مسعود -رضي الله عنه- قال: «من قرأ عشر آيات من سورة البقرة أول النهار لم يقربه شيطان حتى يمسى، وإن قرأها حين يمسى لم يقربه شيطان حتى يصبح ولا يرى شيئًا يكرهه فى أهله وماله». وروى الطبرانى فى الكبير، والحاكم وصححه، عن ابن مسعود -رضي الله عنه- أن النبى -ﷺ- قال: «من قرأ عشر آيات: أربعًا من أول البقرة، وآية الكرسى، وآيتين بعدها، وخواتيمها لم يدخل ذلك البيت شيطان حتى يصبح».

﴿ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ(١) لا تَأْخُذُهُ سِنَةٌ وَلا نَوْمٌ لَّهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مَن ذَا الَّذِي يَشْفَعُ عِنْدَهُ إِلاَّ بِإِذْنِهِ يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلاَّ بِمَا شَاءَ وَسِعَ كُرْسِيُّهُ السَّمَوَاتِ وَالأَرْضَ وَلا يَئُودُهُ حِفْظُهُمَا(٢) وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ ﴿٢٥٥﴾ لا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَد تَّبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَن يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ(٣) وَيُؤْمِن بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَىٰ(٤) لا انفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٥٦﴾ اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَوْلِيَاؤُهُمُ الطَّاغُوتُ يُخْرِجُونَهُم مِّنَ النُّورِ إِلَى الظُّلُمَاتِ أُوْلَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴾(٥).

﴿ لِّلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ وَإِن تُبْدُوا مَا فِي أَنفُسِكُمْ أَوْ تُخْفُوهُ يُحَاسِبْكُم بِهِ اللَّهُ فَيَغْفِرُ لِمَن يَشَاءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٨٤﴾ آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِن رَّبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلاَّ وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِن نَّسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا(٦) كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِن قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنتَ مَوْلانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴾

﴿ بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ الم ﴿١﴾ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيُّ الْقَيُّومُ ﴾(٧).

﴿ وَعَنَتِ الْوُجُوهُ(٨) لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا ﴿١١١﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلا يَخَافُ ظُلْمًا وَلا هَضْمًا ﴾(٩).

---

(١) ﴿القيوم﴾. القائم بتدبير شئون خلقه. والسنة: النعاس.

(٢) ﴿ولا يئوده حفظهما﴾ أى لا يثقله حفظ السموات والأرض.

(٣) الطاغوت: الشيطان.

(٤) ﴿العروة الوثقى﴾: العقد المحكم.

(٥) سورة البقرة: ٢٥٥ - ٢٥٧.

(٦) ﴿ولا تحمل علينا إصراً﴾ الإصر: الأمر الذى يثقل حمله. سورة البقرة: ٢٨٤ - ٢٨٦.

(٧) سورة آل عمران آية ٢.

(٨) ﴿وعنت الوجوه للحى القيوم﴾ أى خضعت لله تعالى.

(٩) ﴿ولا هضماً﴾. أى ينقص من حسناته. سورة طه: ١١١، ١١٢. وعن القاسم بن عبدالرحمن -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- أن اسم الله الأعظم فى ثلاث سور من القرآن. فى سورة البقرة وآل عمران، وطه. قال القاسم، فالتمستها فوجدتها فى سورة البقرة آية الكرسى=

﴿حَسْبِيَ اللَّهُ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَهُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ﴾(١) . (سبعًا).

﴿قُلِ ادْعُوا اللَّهَ أَوِ ادْعُوا الرَّحْمَنَ أَيًّا مَّا تَدْعُوا فَلَهُ الأَسْمَاءُ الْحُسْنَىٰ وَلا تَجْهَرْ بِصَلاتِكَ وَلا تُخَافِتْ بِهَا وَابْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلاً ﴿١١٠﴾ وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُ وَلِيٌّ مِّنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا﴾(٢) .

﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لا تُرْجَعُونَ ﴿١١٥﴾ فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿١١٦﴾ وَمَن يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِندَ رَبِّهِ إِنَّهُ لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ ﴿١١٧﴾ وَقُل رَّبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأَنتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ﴾(٣) .

﴿فَسُبْحَانَ اللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾ وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالأَرْضِ وَعَشِيًّا وَحِينَ تُظْهِرُونَ(٤) ﴿١٨﴾ يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَيُحْيِي الأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا وَكَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ﴿١٩﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ إِذَا أَنتُم بَشَرٌ تَنتَشِرُونَ(٥) ﴿٢٠﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِّتَسْكُنُوا

= (الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وفى سورة آل عمران. (الم الله لا إله إلا هو الحى القيوم) وفى سورة طه. (وعنت الوجوه للحى القيوم) رواه الحاكم ولم يتعقبه الذهبى.

(١) سورة التوبة: ١٢٩. عن أبى الدرداء -رضي الله عنه- عن النبى -صلى الله عليه وسلم- قال: «من قال فى كل يوم حين يصبح وحين يمسى: (حسبى الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم) سبع مرات كفاه الله عز وجل ما أهمة من أمر الدنيا والآخرة» أخرجه ابن السنى وابن عساكر مرفوعًا، وأخرجه أبو داود موقوفًا على أبى الدرداء.

(٢) سورة الإسراء آية ١١٠، ١١١ عن أبى موسى الأشعرى -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من قرأ فى مصبح أو ممسى (قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن) إلى آخر السورة لم يمت قلبه فى ذلك اليوم ولا تلك الليلة» أخرجه الديلمى فى مسند الفردوس.

(٣) سورة المؤمنون آية ١١٥-١١٨ عن محمد بن إبراهيم التيمى عن أبيه قال: «وجهنا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- فى سرية فأمرنا أن نقرأ إذا أمسينا وإذا أصبحنا (أفحسبتم إنما خلقناكم عبثًا) الآيات فقرأنا فغنمنا وسلمنا» أخرجه ابن السنى وأبو نعيم وابن منده. قال الحافظ: سند ابن منده لا بأس به.

(٤) ﴿وحين تظهرون﴾ أى تدخلون فى الظهيرة.

(٥) ﴿ثم إذا أنتم بشر تنتشرون﴾ أى تنتشرون فى الأرض. عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «من قال حين يصبح: ﴿فسبحان الله حين تمسون وحين تصبحون، وله الحمد فى السموات والأرض وعشيًا وحين تظهرون﴾ إلى ﴿وكذلك تخرجون﴾ أدرك ما فاته فى يومه ذلك، ومن قالهن حين يمسى أدرك ما فاته فى ليلته» رواه أبو داود.

إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُم مَّوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٢١﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ ﴿٢٢﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُم بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَابْتِغَاؤُكُم مِّن فَضْلِهِ(١) إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَسْمَعُونَ ﴿٢٣﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمُ الْبَرْقَ خَوْفًا وَطَمَعًا وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُحْيِي بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿٢٤﴾ وَمِنْ آيَاتِهِ أَن تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِّنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنتُمْ تَخْرُجُونَ ﴿٢٥﴾ وَلَهُ مَن فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾(٢).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ حم ﴿١﴾ تَنزِيلُ الْكِتَابِ مِنَ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ ﴿٢﴾ غَافِرِ الذَّنبِ وَقَابِلِ التَّوْبِ(٣) شَدِيدِ الْعِقَابِ ذِي الطَّوْلِ(٤) لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ إِلَيْهِ الْمَصِيرُ﴾(٥).

﴿هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ هُوَ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ ﴿٢٢﴾ هُوَ اللَّهُ الَّذِي لا إِلَهَ إِلاَّ هُوَ الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ(٦) السَّلامُ الْمُؤْمِنُ الْمُهَيْمِنُ الْعَزِيزُ الْجَبَّارُ الْمُتَكَبِّرُ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٢٣﴾ هُوَ اللَّهُ الْخَالِقُ الْبَارِئُ(٧) الْمُصَوِّرُ لَهُ الْأَسْمَاءُ الْحُسْنَى يُسَبِّحُ لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا(٨) ﴿١﴾ وَأَخْرَجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا(٩) ﴿٢﴾ وَقَالَ الْإِنسَانُ مَا لَهَا ﴿٣﴾ يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا ﴿٤﴾ بِأَنَّ رَبَّكَ

---

(١) ﴿وابتغاؤكم من فضله﴾. أى تصرفكم فى طلب المعيشة بإرادته سبحانه وتعالى.
(٢) ﴿كل له قانتون﴾ أى مطيعون. سورة الروم: ١٧ - ٢٦.
(٣) ﴿وقابل التوب﴾: أى التوبة.
(٤) ﴿ذى الطول﴾ أى الإنعام الواسع.
(٥) ﴿إليه المصير﴾. أى المرجع. سورة غافر: ١ - ٣. عن أبى هريرة -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «من قرأ (حم) المؤمن إلى ﴿إليه المصير﴾ وآية الكرسى حين يصبح حفظ بهما حتى يمسى، ومن قرأهما حين يمسى حفظ بهما حتى يصبح» أخرجه الترمذى والدارمى وابن السنى والمروزى.
(٦) ﴿القدوس﴾، أى المنزه عن كل نقص، الطاهر عما لا يليق به و(المهيمن): الشهيد على عباده بأعمالهم. عن أبى أمامة -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال: «من قرأ خواتيم الحشر فى ليل أو نهار فمات فى ذلك اليوم أو الليلة فقد ضمن الله له الجنة» أخرجه البيهقى.
(٧) ﴿البارئ﴾، أى المنشئ من العدم. سورة الحشر: ٢٢ - ٢٤.
(٨) ﴿إذا زلزلت الأرض زلزالها﴾ أى حركت لقيام الساعة.
(٩) ﴿وأخرجت الأرض أثقالها﴾ كنوزها وموتاها فألقتها على ظهرها.

أَوْحَىٰ لَهَا ﴿٥﴾ يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا[(١)] لِّيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ ﴿٦﴾ فَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ ﴿٧﴾ وَمَن يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾[(٢)].

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قُلْ يَا أَيُّهَا الْكَافِرُونَ ﴿١﴾ لَا أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ﴿٢﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٣﴾ وَلَا أَنَا عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ﴿٤﴾ وَلَا أَنتُمْ عَابِدُونَ مَا أَعْبُدُ ﴿٥﴾ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِيَ دِينِ﴾[(٣)].

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللَّهِ وَالْفَتْحُ[(٤)] ﴿١﴾ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللَّهِ أَفْوَاجًا[(٥)] ﴿٢﴾ فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَاسْتَغْفِرْهُ إِنَّهُ كَانَ تَوَّابًا﴾[(٦)].

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ اللَّهُ الصَّمَدُ[(٧)] ﴿٢﴾ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ﴿٣﴾ وَلَمْ يَكُن لَّهُ كُفُوًا[(٨)] أَحَدٌ﴾(ثلاثًا).

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَٰنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ[(٩)] ﴿١﴾ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ﴿٢﴾ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ[(١٠)] إِذَا وَقَبَ ﴿٣﴾ وَمِن شَرِّ النَّفَّاثَاتِ[(١١)] فِي الْعُقَدِ ﴿٤﴾ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ﴾[(١٢)](ثلاثًا).

---

(١) ﴿يصدر الناس أشتاتًا﴾ أى متفرقين فآخذ ذات اليمين إلى الجنة وآخذ ذات الشمال إلى النار.

(٢) فى حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- مرفوعًا: «إذا زلزلت تعدل نصف القرآن» رواه الترمذى والحاكم من حديث يمان بن المغيرة.

(٣) فى حديث ابن عباس -رضي الله عنهما-: «﴿قل يا أيها الكافرون﴾ تعدل ربع القرآن» رواه الترمذى والحاكم وقال: صحيح الإسناد.

(٤) ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾، أى فتح مكة.

(٥) ﴿يدخلون فى دين الله أفواجًا﴾. أى جماعات فوجًا بعد فوج بعد ما كان يدخل فيه واحد واحد وذلك بعد فتح مكة، جاءه العرب من أقطار الأرض طائعين.

(٦) فى حديث أنس -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لرجل من أصحابه: «أليس معك ﴿إذا جاء نصر الله والفتح﴾؟ قال: بلى. قال: ربع القرآن» رواه الترمذى وقال: حديث حسن.

(٧) ﴿الله الصمد﴾. أى المقصود فى الحوائج على الدوام.

(٨) ﴿ولم يكن له كفوًا أحد﴾ أى لم يكن له أحد مكافئًا ومماثلاً.

(٩) ﴿الفلق﴾: الصبح.

(١٠) ﴿ومن شر غاسق إذا وقب﴾ أى الليل إذا أظلم.

(١١) ﴿ومن شر النفاثات﴾ أى الساحرات اللاتى ينفثن ﴿فى العقد﴾ أى فى عقد الخيط حين يرقين عليها شبه النفخ كما يفعل من يرقى.

(١٢) عن عبدالله بن خبيب -رضي الله عنه- أنه قال: (خرجنا فى ليلة مطر وظلمة شديدة نطلب=

﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ ﴿١﴾ مَلِكِ النَّاسِ ﴿٢﴾ إِلَهِ النَّاسِ ﴿٣﴾ مِن شَرِّ الْوَسْوَاسِ(١) الْخَنَّاسِ ﴿٤﴾ الَّذِي يُوَسْوِسُ فِي صُدُورِ النَّاسِ ﴿٥﴾ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ﴾ (ثلاثًا).

أَصْبَحنا وأَصبح المُلْكُ للهِ والحَمْدُ للهِ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لاَ إلهَ إلاَّ هُوَ وإليهِ النُّشُورُ(٢) (ثلاثًا).

أصْبَحْنا عَلَى فِطْرةِ الإِسْلامِ، وكلِمَةِ الإخلاصِ وعَلى دينِ نَبِيِّنا مُحمَّدٍ -ﷺ-، وعَلى مِلةِ أَبِينا إِبْراهيم حَنِيفًا(٣) وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ(٤) (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ إنِّي أَصبحْتُ منْكَ في نِعْمةٍ وعافيةٍ وَسِتْرٍ، فأَتمَّ عَلَيَّ نِعْمَتَكَ وَعافِيَتَك وَسِتْرَكَ في الدُّنْيا والآخِرةِ(٥) (ثلاثًا).

= رسول الله -ﷺ- ليصلي لنا فأدركناه فقال: «قل» فلم أقل شيئًا. ثم قال: «قل» فلم أقل شيئًا. ثم قال: «قل». فقلت: يا رسول الله ما أقول؟ قال: «قل هو الله أحد، والمعوذتين حين تمسى وحين تصبح ثلاث مرات تكفيك من كل شيء» أخرجه أبو داود والترمذي والنسائي، وقال الترمذي: حديث حسن صحيح.

(١) ﴿من شر الوسواس﴾، أي من شر الشيطان. ﴿الخناس﴾، الذي يخنس ويتأخر عن القلب كلما ذكر الله تعالى.

(٢) ﴿وإليه النشور﴾: المرجع. عن أبي هريرة -رضي الله عنه- قال: كان رسول الله -ﷺ- يقول إذا أصبح: «أصبحنا وأصبح الملك لله، والحمد لله لا شريك له لا إله إلا الله وإليه النشور»، وإذا أمسى قال: «أمسينا وأمسى الملك لله، والحمد لله لا شريك له، لا إله إلا الله وإليه المصير» أخرجه ابن السني والبزار. وقال البيهقي: إسناده جيد.

(٣) «حنيفًا» قال ابن سيده في المحكم: الحنيف المسلم الذي يتحنف عن الأديان أي يميل إلى الحق.

(٤) عن أبيّ بن كعب -رضي الله عنه- قال كان رسول الله -ﷺ- يعلمنا إذا أصبحنا أن نقول: «أصبحنا على فطرة الإسلام، وكلمة الإخلاص، وعلى دين نبينا محمد -ﷺ-، وعلى ملة أبينا إبراهيم حنيفًا، وما كان من المشركين» وإذا أمسينا مثل ذلك، أخرجه عبدالله بن الإمام أحمد في زوائده.

(٥) عن ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «من قال: اللهم إني أصبحت منك في نعمة وعافية وستر فأتم على نعمتك وعافيتك وسترك في الدنيا والآخرة ثلاث مرات إذا أصبح وإذا أمسى، كان حقًا على الله عز وجل أن يتم عليه نعمته» رواه ابن السني.

اللَّهُمَّ مَا أَصبَحَ بِى من نعمَة أوْ بِأَحَد مِنْ خَلْقِكَ فمنْكَ وَحْدَكَ لا شَرِيكَ لَكَ، فَلَكَ الْحَمْدُ، ولَكَ الشُّكْرُ(١) (ثلاثًا).

يَا ربِّى لَكَ الْحَمْدُ كما يَنْبَغى لِجَلالِ وَجْهِكَ وَعَظِيمِ سُلْطَانِكَ(٢) (ثلاثًا).

رَضِيت بِاللهِ ربًّا، وبالإسلامِ دينًا، وَبِمُحَمَّدٍ نَبيًّا وَرَسُولا(٣) (ثلاثًا).

سُبْحَانَ اللهِ وَبِحَمْدِهِ، عَدَدَ خَلْقِهِ وَرِضا نَفْسِهِ، وَزِنَةَ عَرْشِهِ، وَمِدَادَ كَلِمَاتِهِ(٤) (ثلاثًا).

باسْمِ اللهِ الذى لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَيْءٌ فى الأرْضِ وَلا فى السَّمَاءِ وَهُوَ السَّميعُ الْعَلِيمُ(٥) (ثلاثًا).

---

(١) عن عبدالله بن غنام البياضى -رضي الله عنه- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «من قال حين يصبح: اللهم ما أصبح بى من نعمة أو بأحد من خلقك فمنك وحدك لا شريك لك، فلك الحمد ولك الشكر، فقد أدى شكر يومه، ومن قال مثل ذلك حين يمسى فقد أدى شكر ليلته» رواه أبو داود والنسائى وابن حبان فى صحيحه.

(٢) عن عبدالله بن عمر -رضي الله عنهما-، أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- حدثهم أن عبداً من عباد الله قال: يا ربى لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك فعضلت بالملكين (أعيتهما) فلم يدريا كيف يكتبانها، فصعدا إلى السماء. فقالا: يا ربنا إن عبدك قد قال مقالة لا ندرى كيف نكتبها؟ قال الله عز وجل وهو أعلم بما قال عبده: ماذا قال عبدى. قالا: يا رب إنه قد قال: يا ربى لك الحمد كما ينبغى لجلال وجهك وعظيم سلطانك. فقال الله عز وجل لهما: اكتباها كما قال عبدى حتى يلقانى فأجزيه بها. رواه الإمام أحمد وابن ماجه، ورجاله ثقات.

(٣) عن أبى سلام -رضي الله عنه- خادم النبى -صلى الله عليه وسلم- مرفوعًا أنه قال: سمعت رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «من قال إذا أصبح وإذا أمسى: رضينا بالله ربًا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد رسولاً، كان حقًا على الله أن يرضيه» رواه أبو داود والترمذى والنسائى والحاكم.

(٤) عن جويرية أم المؤمنين -رضي الله عنها-، أن النبى -صلى الله عليه وسلم- خرج من عندها بكرة، حين صلى الصبح، وهى فى مسجدها ثم رجع بعد أن أضحى وهى جالسة فقال: «مازلت اليوم على الحال التى فارقتك عليها؟ قالت: نعم. فقال النبى -صلى الله عليه وسلم-: لقد قلت بعدك أربع كلمات ثلاث مرات لو وزنت بما قلت اليوم لوزنتهن: سبحان الله وبحمده عدد خلقه ورضا نفسه وزنة عرشه ومداد كلماته» رواه مسلم.

(٥) عن عثمان بن عفان -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «ما من عبد يقول صباح كل يوم ومساء كل ليلة: باسم الله الذى لا يضر مع اسمه شيء فى الأرض ولا فى السماء وهو السميع العليم ثلاث مرات فلن يضره شيء»، رواه أبو داود والترمذى وقال: حديث حسن صحيح.

اللَّهُمَّ إِنَّا نَعُوذُ بِكَ مِنْ أَنْ نُشْرِكَ بِكَ شَيْئًا نَعْلَمُهُ، وَنَسْتَغْفِرُكَ لِما لا نَعْلَمُهُ[(١)] (ثلاثًا).

أَعُوذُ بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ مِنْ شَرِّ مَا خَلَقَ[(٢)] (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْهَمِّ وَالْحزَنِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْعجْزِ وَالْكَسَلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنَ الْجُبْنِ والْبُخْلِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ غَلَبَةِ الدَّيْنِ وَقَهْرِ الرِّجالِ[(٣)] (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ عَافِنى فى بَدَنِى، اللَّهُمَّ عافِنِى فِى سَمْعِى، اللَّهُمَّ عافِنى فى بَصَرِى (ثلاثًا). اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الكُفْرِ وَالْفَقْرِ، اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، لاَ إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ[(٤)] (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ أَنْتَ رَبِّى لا إِلهَ إِلاَّ أَنتَ، خلقْتَنى وأنا عَبْدُكَ وأنا على عَهْدِكَ وَوَعْدِكَ ما اسْتَطَعْتُ، أَعُوذُ بِك مِنْ شر مَا صَنَعْتُ، أَبُوءُ لَكَ[(٥)]

---

(١) عن أبى موسى الأشعرى -رضي الله عنه- قال: خطبنا رسول الله -ﷺ- ذات يوم فقال: «يا أيها الناس اتقوا هذا الشرك فإنه أخفى من دبيب النمل» فقال له من شاء الله أن يقول: وكيف نتقيه وهو أخفى من دبيب النمل يا رسول الله؟ قال: «قولوا اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئًا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه» رواه أحمد والطبرانى بإسناد جيد، ورواه أبو يعلى بنحوه من حديث حذيفة إلا أنه قال فيه: «يقول كل يوم ثلاث مرات».

(٢) عن أبى هريرة -رضي الله عنه- أن النبى -ﷺ- قال: «من قال حين يمسى ثلاث مرات: أعوذ بكلمات الله التامات من شر ما خلق لم تضره حمة تلك الليلة» رواه ابن حبان فى صحيحه، والحمة بضم الحاء المهملة وتخفيف الميم: السم أو لدغة كل ذى سم.

(٣) عن أبى سعيد الخدرى -رضي الله عنه- قال: دخل رسول الله -ﷺ- ذات يوم المسجد فإذا هو برجل من الأنصار يقال له أبو أمامة فقال: «يا أبا أمامة ما لى أراك جالسًا فى المسجد فى غير وقت صلاة؟» قال هموم لزمتنى وديون يا رسول الله، قال: «أفلا أعلمك كلامًا إذا قلته أذهب الله همك، وقضى عنك دينك؟» قال: قلت: بلى يا رسول الله قال: «قل إذا أصبحت وإذا أمسيت: اللهم إنى إعوذ بك من الهم والحزن، وأعوذ بك من العجز والكسل، وأعوذ بك من الجبن والبخل، وأعوذ بك من غلبة الدين وقهر الرجال» قال: ففعلت ذلك فأذهب الله همى، وقضى عنى دينى. أخرجه أبو داود.

(٤) عن عبدالرحمن بن أبى بكرة -رضي الله عنه- أنه قال لأبيه: يا أبت إنى أسمعك تدعو كل غداة: اللهم عافنى فى بدنى، اللهم عافنى فى سمعى، اللهم عافنى فى بصرى، اللهم إنى أعوذ بك من الكفر والفقر، اللهم إنى أعوذ بك من عذاب القبر، لا إله إلا أنت، تعيدها حين تصبح ثلاثًا، وثلاثًا حين تمسى: فقال: إنى سمعت رسول الله -ﷺ- يدعو بها فأنا أحب أن أستن بسنته رواه أبو داود وغيره.

(٥) «أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبى» أى أقر وأعترف.

بِنِعْمَتِكَ عَلَيَّ وَأَبُوءُ بِذَنْبِي فَاغْفِرْ لِي فَإِنَّهُ لاَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلاَّ أَنْتَ[١] (ثلاثًا).

أستغْفِرُ اللهَ الَّذِي لا إلهَ إلاَّ هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ[٢] (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ صلِّ عَلى سيِّدنَا مُحَمَّد وَعَلى آل سيِّدنَا مُحَمَّد كما صَلَّيْتَ عَلى سيِّدنَا إبْراهيمَ وَعَلَى آل سيِّدنَا إبْراهيمَ وَبَارِكْ عَلى سَيِّدنَا مُحَمَّدٍ وَعَلى آل سيِّدنَا مُحَمَّد كما باركتَ عَلَى سيِّدنَا إبراهيمَ وَعَلَى آلِ سيِّدنَا إبْراهيمَ في الْعَالَمينَ إنَّكَ حَميدٌ مَجيدٌ[٣] (عَشْرًا).

سُبْحَانَ الله، وَالحمدُ لله، وَلا إلهَ إلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَرُ[٤] (مائة).

لا إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الحمدُ، وَهُوَ عَلى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ[٥] (عشرًا).

---

(١) عن شداد بن أوس -رضي الله عنه-، عن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «سيد الاستغفار اللهم أنت ربي لا إله إلا أنت، خلقتني وأنا عبدك وأنا على عهدك ووعدك ما استطعت، أعوذ بك من شر ما صنعت، أبوء لك بنعمتك على وأبوء بذنبي، فاغفر لي فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت. من قالها موقنًا بها حين يمسي فمات من ليلته دخل الجنة، ومن قالها موقنًا بها حين يصبح فمات من يومه دخل الجنة» رواه البخاري وغيره.

(٢) عن زيد مولى النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: سمعت أبي يحدثنيه عن جدي أنه سمع رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول: «من قال أستغفر الله الذي لا إله إلا هو الحي القيوم وأتوب إليه، غفر له وإن كان فرَّ من الزحف» رواه أبو داود والترمذي والحاكم، وقال صحيح على شرط البخاري ومسلم.

(٣) عن أبي الدرداء -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من صلى عليَّ حين يصبح عشرًا، وحين يمسي عشرًا أدركته شفاعتي يوم القيامة» رواه الطبراني.

(٤) عن عمرو بن شعيب عن أبيه عن جده -رضي الله عنهم- قال: قال رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «من سبح الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حج مائة حجة، ومن حمد الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن حمل على مائة فرس في سبيل الله، أو قال: غزا مائة غزوة، ومن هلل الله مائة بالغداة ومائة بالعشي كان كمن أعتق مائة رقبة من ولد إسماعيل، ومن كبر الله مائة بالغداة ومائة بالعشي لم يأت في ذلك اليوم أحد أكثر مما أتى به إلا من قال مثلما قال أو زاد على ما قال» أخرجه الترمذي وقال حديث حسن، وأخرج نحوه النسائي، وعن أم هانئ -رضي الله عنها- أن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قال لها: «يا أم هانئ إذا أصبحت فسبحي الله مائة، وهلليه مائة، واحمديه مائة، وكبريه مائة، فإن مائة تسبيحة كمائة بدنة تهدينها، ومائة تهليلة لا تبقى ذنبًا قبلها ولا بعدها» أخرجه الطبراني.

(٥) عن أبي أيوب -رضي الله عنه- أن النبي -صلى الله عليه وسلم- قال: «من قال حين يصبح: لا إله إلا الله وحده =

سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ، أَشْهَدُ أَنْ لا إِلهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ(١) (ثلاثًا).

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ عَبْدِكَ وَنَبِيِّكَ وَرَسُولِكَ النَّبِيِّ الأُمِّيِّ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّم تَسْلِيمًا عَدَدَ مَا أَحَاطَ بِهِ عِلْمُكَ، وَخَطَّ بِهِ قَلَمُكَ وَأَحْصَاهُ كِتَابُكَ، وَارْضَ اللَّهُمَّ عَنْ سَادَاتِنَا أَبِي بَكْرٍ وَعُمَرَ وَعُثْمَانَ وَعَلِيٍّ، وَعَنِ الصَّحَابَةِ أَجْمَعِينَ، وَعَنِ التَّابِعِينَ وَتَابِعِيهِمْ بِإِحْسَانٍ إِلَى يَوْمِ الدِّينِ.

سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ، وَسَلامٌ عَلَى الْمُرْسَلِين، وَالْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ(٢).

الوظيفة الصغرى:

إذا وجد الأخ ضيقًا فى وقته، أو فتورًا فى نفسه، أو فى إخوانه إذا كان يقرأ الوظيفة بهم، فليختصرها على هذا النحو يقرأ الاستعاذة والفاتحة وآية الكرسى وخواتيم سورة البقرة وسورة الإخلاص والمعوّذتين كل منها (ثلاثًا)، ثم يتبع ذلك بالأذكار الواردة إلى الاستغفار الأخير:

(أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذى لا إله إلاَّ هُوَ الْحَىَّ الْقَيُّومَ...) إلخ، ثم يتبع الاستغفار مباشرة بصيغة: (سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ) إلى آخر الوظيفة.

= لا شريك له، له الملك وله الحمد، وهو على كل شىء قدير، عشر مرات كتب الله عز وجل له بكل واحدة قالها عشر حسنات، وحط عنه عشر سيئات، ورفعه بها عشر درجات، وكن كعتق عشر رقاب، وكان له مسلحة من أول النهار إلى آخره، ولم يعمل يومئذ عملاً يقهرهن. وإن قالها حين يمسى فمثل ذلك» أخرجه أحمد والطبرانى وسعيد ابن منصور وغيرهم.

(١) عن جبير بن مطعم -رضي الله عنه- قال: قال رسول الله -ﷺ-: «من قال: سبحانك اللهم وبحمدك أشهد أن لا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك، فى مجلس ذكر كان كالطابع يطبع عليه، ومن قالها فى مجلس لغو كان كفارة له» رواه النسائى والطبرانى والحاكم وغيرهم.

(٢) قال الإمام النووى فى الأذكار: روينا فى حلية الأولياء عن على كرم الله وجهه: «من أحب أن يكتال بالمكيال الأوفى فليقل فى آخر مجلسه أو حين يقوم: سبحان ربك رب العزة عما يصفون، وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين».

القسم الثانى

الورد القرآنى

فضل القرآن :

القرآن الكريم هو الدستور الجامع لأحكام الإسلام، وهو المنبع الذى يفيض بالخير والحكمة على القلوب المؤمنة، وهو أفضل ما يتقرَّب المتعبدونَ بتلاوته إلى الله تبارك وتعالى.

وفى حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- عن النبى -ﷺ- قال:

«إنَّ هذا الْقُرآنَ مَأدُبَةُ الله(١) فَاقْبَلُوا مَأْدُبَتَهُ مَا اسْتَطَعْتُمْ؛ إنَّ هذا الْقُرْآنَ حَبْلُ الله(٢) والنُّورُ الْمُبينُ والشِّفَاءُ النَّافعُ، عصْمَةٌ لِمَنْ تَمَسَّكَ به، ونَجَاةٌ لمَنْ اتَبَعَهُ، لا يَزيغُ فَيُستَعْتَبُ، وَلاَ يَعْوَجُّ فَيُقَوَّمُ، وَلا تَنْقَضِى عَجَائِبُهُ وَلاَ يَخْلَقُ منْ كَثْرَة الردِّ(٣). اتْلُوهُ فَإنَّ الله يَأْجُرُكُمْ عَلَى تلاوته كُلَّ حَرْفٍ عَشْرَ حَسَنَاتٍ. أَمَا إنِّى لاَ أَقُولُ لَكُم الم حَرْفٌ، وَلَكنْ أَلفٌ وَلاَمٌ وَمِيمٌ» رواه الحاكم.

وفى وصيَّة رسول الله -ﷺ- لأبى ذرٍّ -رضي الله عنه-: «عَلَيْكَ بتلاوَة الْقُرآن فإنَّهُ نُورٌ لَكَ فى الأرضِ وَذُخْرٌ لَكَ فى السَّماء» رواه ابن حبان فى حديث طويل.

وَعَنْ عَائشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: قَالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «الْمَاهرُ(٤) بِالقُرْآنِ مَعَ

(١) «إن هذا القرآن مأدبة الله» أى مدعاته، شبه النبى -ﷺ- القرآن بصنيع صنعه الله لهم فيه خير ومنافع.

(٢) «إن هذا القرآن حبل الله» أى نور هداه.

(٣) «ولا يخلق» قال النووى: بضم اللام ويجوز فتحها والياء فيهما مفتوحة، ويجوز ضمها مع كسر اللام. يقال: خلق الشيء، وخلق، وأخلق إذا بلى، والمراد هنا لا تذهب جلالته وحلاوته من كثرة التلاوة والقراءة.

(٤) «الماهر»: الحاذق الكامل الحفظ الذى لا يتوقف ولا تشق عليه القراءة لجودة حفظه. و«السفرة»: الملائكة. «البررة»: المطيعون «ويتتعتع فيه» قال القرطبى: التتعتع التردد فى الكلام عيًا وصعوبة. وإنما كان له أجران من حيث التلاوة ومن حيث المشقة، ودرجات =

السَّفَرَةِ الْكِرَامِ الْبَرَرَةِ، وَالَّذِى يَقْرَأُ الْقُرْآنَ وَيَتَتَعْتَعُ فِيهِ وَهُوَ عَلَيْهِ شَاقٌ لَهُ أَجْرَانِ» رَوَاهُ الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ.

ولقد كانَ رسولُ الله -ﷺ- يحملُ الناس عَلى الْقُرْآنِ حَمْلاً، وَيُفَاضِلُ بَيْنَهُم بِمَنْزِلَتِهِمْ مِنَ الْقُرْآنِ، وَيُوصى مَنْ عَجز عنِ القراءة بِأَنْ يَسْتَمِعَ وَيَتَفَهَّمَ حَتَّى لاَ يُحرمَ بَرَكَةَ الصِّلَةِ الروحية بكتاب الله تبارك وتعالى.

عن أبى هريرةَ -رضي الله عنه- أن رسولَ الله -ﷺ- قالَ: «مَن اسْتَمَعَ إِلى آيَة مِنْ كِتَابِ الله كُتِبَتْ لَهُ حَسَنَةٌ مُضَاعَفَةٌ، وَمَنْ تَلاَهَا كَانَتْ لَهُ نوراً يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رَوَاهُ أَحمد.

وفى حديث أبى هريرةَ -رضي الله عنه- قالَ: بَعَثَ رَسولُ الله -ﷺ- بَعْثًا وَهُمْ ذَوو عَدَدَ فَاسْتَقْرَأَهُمْ(١)، فَاسْتَقْرَأَ كلَّ رَجُلٍ مِنْهُمْ، يَعْنِى مَا مَعَهُ مِنَ الْقُرْآن، فَأَتَى عَلى رَجُلٍ مِنْهُمْ مِنْ أَحْدَثِهِمْ سِنًّا فقالَ: «ما مَعَكَ يَا فُلاَنُ؟» قالَ: مَعى كَذَا وَكَذَا وَسُورَةُ الْبَقَرَةِ. قالَ: «أَمَعَكَ سُورَةَ الْبَقَرَةِ؟» قالَ: نَعَمْ. قالَ: «اذْهَبْ فَأَنْتَ أَميرُهُمْ(٢)» رَوَاهُ التِّرْمِذِىُّ وقالَ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

عرف سلفنا الصالح رضوان الله عليهم فضل القرآن وتلاوته، فجعلوه مصدر تشريعهم، ودستور أحكامهم، وربيع قلوبهم، وورد عبادتهم، وفتحوا له قلوبهم وتدبروه بأفئدتهم، وتشربت معانيه السامية أرواحهم، فأثابهم الله فى الدنيا سيادة العالم، ولهم فى الآخرة عظيم الدرجات؛ وأهملنا القرآن فوصلنا إلى ما وصلنا إليه من ضعف فى الدنيا ورقة فى الدين.

عَنْ أَنَسِ بنْ مَالِكٍ -رضي الله عنه-: قال رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: «عُرِضَتْ عَلَىَّ أُجُورُ

= الماهر فوق ذلك كله، لأنه قد كان القرآن متعتعًا عليه ثم ترقى عن ذلك إلى أن شبه بالملائكة.

(١) «فاستقرأهم». أى طلب منهم أن يقرءوا.

(٢) تمام الحديث: فقال رجل من أشرافهم: والله يا رسول الله ما منعنى أن أتعلم البقرة إلا خشية ألا أقوم بها، فقال رسول الله -ﷺ-: «تعلموا القرآن واقرءوه، فإن مثل القرآن لمن تعلمه فقرأه وقام به كمثل جراب محشو مسكا يفوح ريحه فى كل مكان، ومثل من تعلمه فيرقد وهو فى جوفه كمثل جراب وكئ على مسك»، وقوله -ﷺ-: «وكئ على مسك» أى ربط بالوكاء وهو الخيط الذى يشد به فم القربة.

أُمَّتِى حَتَّى الْقَذَاةُ يُخْرِجُهَا الرَّجُلُ مِنَ الْمَسْجِدِ، وَعُرِضَتْ عَلَىَّ ذُنُوبُ أُمَّتِى فَلَمْ أَرَ ذَنْبًا أَعْظَمَ مِنْ سُورَةٍ مِنَ الْقُرْآنِ، أَوْ آيَةٍ أُوتِيَهَا رَجُلٌ ثُمَّ نَسِيَهَا» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمِذِىُّ وَابْنُ مَاجَه.

ولهذا عُنِى الإخوان المسلمون بأن يجعلوا كتاب الله تبارك وتعالى أول أورادهم وكان من تعهدهم أن يرتب الأخ على نفسه كل يوم حزبًا من القرآن الكريم.

مقدار الورد:

تختلف ظروف الإخوان وأحوالهم، ولهذا لم يحدد مقدار الورد، وترك ذلك لظروف كل شخص ومقدرته(١) والمهم ألاَّ يمر به يوم بغير أن يقرأ شيئًا من كتاب الله تعالى.

وسنورد هنا أوجه تقسيم الورد القرآنى عند سلفنا الصالح رضوان الله عليهم، على سبيل المثال والتوضيح فنقول:

(١) أقل مدة للختمة ثلاثة أيام، وقد كرهوا أن يختم الإنسان فى أقل من ثلاث وفى أكثر من شهر وقالوا: إن فى الختم فى أقل من ثلاث إسراعًا لا يعين على التفهم والتدبر، وفى الختم فى أكثر من شهر إسرافًا فى هجر التلاوة.

عن عبدالله بن عَمْرو بنِ العَاص -رضي الله عنهما- قالَ: قالَ رَسُولُ الله -ﷺ-: «لَمْ يَفْقَه(٢) مَنْ قَرَأَ الْقُرْآنَ فى أَقَلَّ مِنْ ثَلاثٍ» رَوَاهُ أبو داوُدَ والتِّرْمِذِىُّ وابنُ ماجَه وقال الترمذىُّ: حديثٌ حَسَنٌ صحيحٌ.

(٢) الحد الوسط أن يختم كل أسبوع مرة إذا تمكن من ذلك، وقد أمر رسول

---

(١) قال النووى فى التبيان، والاختيار أن ذلك يختلف باختلاف الأشخاص فمن كان يظهر له بدقيق الفكر لطائف ومعارف فليقتصر على قدر ما يحصل له كمال فهم ما يقرؤه، وكذا من كان مشغولاً بنشر العلم أو غيره من مهمات الدين ومصالح المسلمين العامة فليقتصر على قدر لا يحصل بسببه إخلال بما هو مرصد له، وإن لم يكن من هؤلاء المذكورين فليستكثر ما أمكنه من غير خروج إلى حد الملل والهذرمة.

(٢) «لم يفقه من قرأ القرآن فى أقل من ثلاث» أى لم يفهم ظاهر معانيه. وأما فهم دقائقه فلا تفى به الأعمار، والمراد نفى الفهم لا نفى الثواب.

الله -ﷺ- عبدالله بن عمرو أن يختم فى كل أسبوع مرة[(١)]، وكذلك كان جماعة من الصحابة رضوان الله عليهم يفعلون: كعثمان، وزيد بن ثابت، وابن مسعود، وأبى بن كعب -ﷺ-. وكان عثمان -رضي الله عنه- يفتتح ليلة الجمعة بالبقرة إلى المائدة، وليلة السبت بالأنعام إلى هود، وليلة الأحد بيوسف إلى مريم، وليلة الاثنين بطه إلى طسم موسى وفرعون، يعنى القصص، وليلة الثلاثاء بالعنكبوت إلى ص، وليلة الأربعاء بتنزيل إلى الرحمن، وليلة الخميس يختم الختمة. وكان لابن مسعود -رضي الله عنه- تقسيم آخر يختلف فى عدد السور، ولكنه يتفق فى الختم كل أسبوع، وقد ورد فى التقسيم فى الأسبوع أخبار كثيرة[(٢)].

سور يستحب الإكثار من تلاوتها:

من أوراد الإخوان القرآنية المواظبة على تلاوة هذه السور كل يوم، وهى:

---

(١) هاك حديثه: عن عبدالله بن عمرو -رضي الله عنه- قال كنت أصوم الدهر وأقرأ القرآن كل ليلة، فإما ذكرت للنبى -ﷺ- وإما أرسل إلى، فأتيته فقال لى: «ألم أخبر أنك تصوم الدهر وتقرأ القرآن كل ليلة؟» فقلت: بلى يا نبى الله ولم أرد بذلك إلا الخير. قال: «فإن بحسبك أن تصوم من كل شهر ثلاثة أيام»، قلت: يا نبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك. قال: «فإن لزوجك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، ولجسدك عليك حقًا، فصم صوم داود نبى الله فإنه كان أعبد الناس» قلت: يا نبى الله وما صوم داود؟ قال: «كان يصوم يومًا ويفطر يومًا، واقرأ القرآن فى كل شهر» قلت: يا نبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك. قال: فاقرأه فى كل عشرين» قلت: يا نبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك. قال: «فاقرأه فى كل عشر» قلت: يا نبى الله إنى أطيق أفضل من ذلك. قال: «فاقرأه فى كل سبع ولا تزد على ذلك، فإن لزوجك عليك حقًا، ولزورك عليك حقًا، ولجسدك عليك حقًا» فشددت فشدد على، وقال لى النبى -ﷺ-: «إنك لا تدرى لعلك يطول بك عمر» فصرت إلى الذى قال لى النبى -ﷺ-. فلما كبرت وددت أنى كنت قبلت رخصة نبى الله -ﷺ-. رواه البخارى ومسلم، وقوله -ﷺ-: «ولزورك عليك حقًا» أى لزائرك: وقوله: «فى كل سبع ولا تزد» قال النووى: هذا من الإرشاد إلى الاقتصاد فى العبادة. والإرشاد إلى تدبر القرآن.

(٢) ليس هذا التقسيم بمتعين بل هو على سبيل الاتباع والأفضلية، وللأخ أن يقرأ حسب مقدرته بحيث لا يمضى يوم بغير تلاوة، فإن لم يكن من أهل القراءة فليجتهد فى الاستماع أو فى حفظ بعض السور يتلوها كلما سنحت له الفرصة.

يس، والدخان، والواقعة، وتبارك الملك، ويتأكد ذلك يوم الجمعة وليلة الجمعة، ويضاف إليها سورة الكهف، وسورة آل عمران، وقد وردت بذلك الأحاديث عن رسول الله -ﷺ-:

(١) عَنْ مَعْقَلِ بنِ يَسَارٍ -رضي الله عنه- أَنَّ رَسُولَ الله -ﷺ- قال: **«قَلْبُ الْقُرْآنِ يس لا يَقْرَؤُها رَجُلٌ يُرِيدُ اللهَ وَالدَّارَ الآخِرَةَ إلاَّ غَفَرَ اللهُ لَهُ، اقْرءُوهَا عَلَى مَوْتَاكُم»** رَوَاهُ أَحْمَدُ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسائى وَغَيْرُهُم.

(٢) وعن عبدالله بن مَسْعُود -رضي الله عنه-: «مَنْ قَرَأَ **﴿تَبَارَكَ الَّذِى بِيَدِهِ الْمُلْكُ﴾** كلَّ لَيْلَةٍ مَنَعَهُ اللهُ بِهَا مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَكُنَّا فِى عَهْدِ رَسُولِ اللهِ -ﷺ- نُسَمِّيها الْمَانِعَةَ، وإِنَّها فِى كِتَابِ الله عَزَّ وَجَلَّ سُورَةٌ مَنْ قَرَأَ بِهَا فِى لَيْلَةٍ فَقَدْ أَكْثَرَ وَأَطَابَ» رَوَاهُ النَّسائىُّ: وَرَوَى مِثْلَهُ الحاكم وَصَحَّحَهُ.

(٣) وَفِى حَدِيثِ أَبِى هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه-: «مَنْ قَرَأَ **﴿حم الدُّخَانِ﴾** فِى لَيْلَةٍ أَصْبَحَ يَسْتَغْفِرُ لَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ» رَوَاهُ التِّرْمِذِىُّ والأصبهانى.

(٤) وفى حديث أَبِى سَعِيد الْخُدْرِىِّ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِىَّ -ﷺ- قالَ: **«مَنْ قَرَأَ سُورَةَ الْكَهْفِ فِى يَوْمِ الْجُمعَةِ أَضَاءَ لَهُ مِنَ النُّورِ مَا بَيْنَ الجُمُعَتَيْنِ»** رَوَاهُ النَّسائىُّ والبيهقى مَرْفُوعًا.

(٥) وفى حديث ابن عباس -رضي الله عنهما- قال: قالَ رسولُ الله -ﷺ-: **«مَن قَرَأَ السُّورَةَ الَّتى يُذْكَرُ فِيها آلُ عِمْرَانَ يَوْمَ الجُمُعَة صلى عَلَيْهِ اللهُ وَمَلائكَتُهُ حَتَّى تَغِيبَ الشَّمْسُ»** رَوَاهُ الطَّبَرانى فى الأوسط والكبير.

(٦) وقد وردت الآثار كذلك مرفوعة وموقوفة من حديث عبدالله بن مسعود -رضي الله عنه- بفضل سورة الواقعة، ولاسيما وفيها البعث والجزاء والاستدلال على ذلك بما لا يدع شبهة لقائل، فيستحب للأخ المسلم ألا يحرم نفسه فضل تلاوة هذه السورة مرة كل يوم وفى الليل أفضل وفى يوم الجمعة لا بأس من تلاوتها فى الليل مرة وفى النهار مرة، ويجعل وقت العصر إلى المغرب لسورة آل عمران لعلها ساعة الإجابة فيكون فيها مشغولاً بأفضل الذكر وهو تلاوة القرآن.

آداب التلاوة :

ذكرنا فى المقدمة طرفًا من آداب الذكر، ونزيد هنا أن من آداب التلاوة الاجتهاد كل الاجتهاد فى التدبر والتفكر فذلك هو المقصود الأول منها. والله تبارك وتعالى يقول:

﴿كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِّيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُوْلُوا الأَلْبَابِ﴾(١).

ولاسيما إذا لاحظ أنّ فى ذلك خطاب ربّ العالمين العزيز الحكيم، كما أنّ من آداب التلاوة كذلك مراعاة أحكام التجويد، فيُخرج الحروف من مخارجها، ويؤدِّيها على قواعدها، ويمد الممدود ويغنَّ ما يستحق الغنَّة، ويفخم المفخم ويرقق المرقّق وهكذا.

عَنْ سَعْد بن أبى وَقَّاص -رضي الله عنه- عَنْ رسول الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ نَزَلَ بِحُزْنٍ فَإِذَا قَرَأْتُمُوهُ فَابْكُوا، فَإِنْ لَمْ تَبْكُوا فَتَبَاكَوْا وَتَغَنَّوْا بِهِ، فَمَنْ لَمْ يَتَغَنَّ بِالْقُرْآنِ فَلَيْسَ مِنَّا» رواهُ ابنُ مَاجَهْ.

والمراد بالتّغنِّى هُنا التحزّن وإظهار الخشوع مع تجويد القراءة، فقد جاء فى حديث جابر -رضي الله عنه- قالَ: قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-:

«إِنَّ مِنْ أَحْسَنِ النَّاسِ صَوْتًا الَّذِي إِذَا سَمِعْتُمُوهُ يَقْرَأُ حَسِبْتُمُوهُ يَخْشَى اللهَ»(٢) رواهُ ابنُ مَاجَهْ.

مجلس الاستماع :

ومن أوراد الإخوان المسلمين القرآنية الاجتماع لسماع كتاب الله تبارك وتعالى ممن يحسن تلاوته، وعلى القارئ فى مجلس الاستماع أن يقرأ قراءة

(١) سورة ص : ٢٩.

(٢) قال ابن كثير: والغرض أن المطلوب شرعًا إنما هو التحسين بالصوت الباعث على تدبر القرآن وتفهمه والخشوع والخضوع والانقياد للطاعة، فأما الأصوات بالنغمات المحدثة المركبة على الأوزان والأوضاع الملهية والقانون الموسيقائى، فالقرآن ينزه عن هذا ويجل ويعظم أن يسلك فى أدائه هذا المذهب، وقد جاءت السنة بالزجر عن ذلك.

مرسلة يلاحظ فيها الآداب السابقة. وعلى الإخوان إذا استمعوا أن ينصتوا ويفكروا فى المعانى، وأن يكونوا على غاية الخشوع والتوقير والتعظيم لكتاب الله تبارك وتعالى ويستحضروا الآية الكريمة:

﴿وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنصِتُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ﴾(١).

ولقد كان أصحاب رسول الله -ﷺ- يستمعون القرآن وكأن على رءوسهم الطير، وكان مشيخة مكة من الصالحين إذا أرادوا التذكر أقبلوا على الشافعي -رضي الله عنه-، وكان حسن القراءة، فقرأ عليهم واستمعوا فلا يرى الراءون أكثر بكاء منهم فى حالهم تلك حين الاستماع:

﴿وَإِذَا سَمِعُوا مَا أُنزِلَ إِلَى الرَّسُولِ تَرَىٰ أَعْيُنَهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ مِمَّا عَرَفُوا مِنَ الْحَقِّ﴾(٢).

ويستحب إتمامًا للفائدة إذا حضر مجلسهم هذا أهل العلم أن يلخصوا لهم مقاصد ما تلى من آيات.

ورد الحفظ:

ويستحب كذلك للأخ المسلم، وهو من أورادنا القرآنية، أن يجتهد ما استطاع فى حفظ ما يمكن من القرآن الكريم، فيرتب على نفسه كل يوم آية أو آيات بقدر طاقته يحفظها حفظًا جيدًا، وبهذه الطريقة التدريجية يمكنه أن يحفظ الشيء الكثير من كتاب الله تبارك وتعالى.

وفى الحديث أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال لأبى ذرٍّ -رضي الله عنه-: **«يا أَبا ذرٍّ لأنْ تَغْدُوَ(٣) فَتَعلَّمَ آيَةً مِنْ كِتَابِ اللهِ خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ تُصَلِّيَ مائَةَ ركْعة»** رواهُ ابنُ مَاجه بإسناد حسن، ويعضده حديث مسلم وأبى داود فى هذا المعنى(٤).

---

(١) سورة الأعراف: ١٠٤.

(٢) سورة المائدة: ٨٣.

(٣) «يا أبا ذر لأن تغدو» الغدوة: أول النهار.

(٤) وإليك لفظه: عن عقبة بن عامر -رضي الله عنه- قال: خرج رسول الله -ﷺ- ونحن فى الصفة فقال: أيكم يحب أن يغدو كل يوم إلى بطحان أو إلى العقيق فيأتى منه بناقتين كوماوين =

فاجتهد يا أخى أن تفوز بهذه الفضيلة، واللهَ نسأل أن يجعلنا وإياك من أهل القرآن، فنكون بذلك من أهل الله وخاصته، والله حسبنا ونعم الوكيل.

= فى غير إثم ولا قطع رحم؟» فقلنا: يا رسول الله نحب ذلك. قال: «أفلا يغدو أحدكم إلى المسجد فيعلم أو يقرأ آيتين من كتاب الله عز وجل خير له من ناقتين، وثلاث خير له من ثلاث، وأربع خير له من أربع ومن أعدادهن من الإبل» رواه مسلم وأبو داود، و«بطحان» بضم الباء وسكون الطاء والمد: موضع بالمدينة. و«الكوماء» بفتح الكاف وسكون الواو: الناقة العظيمة السنام. «ومن أعدادهن من الإبل»: أى وأكثر من أربع آيات يعلمها أو يقرؤها خير له من أعداد النوق، خمس آيات خير من خمس إبل، ودواليك. . .

القسم الثالث

أدعية اليوم والليلة

أولاً: دعاء الاستيقاظ من النوم:

(١) عن حذَيْفَةَ بن اليَمان وأبى ذرٍّ -رضي الله عنهما- قالا: كانَ رسولُ الله -ﷺ- إذَا استَيْقَظَ قالَ: «الْحَمْدُ لله الَّذى أَحْيَانَا بَعْدَ مَا أَمَاتَنا وإلَيْه النُّشُور[1]» رَواهُ البخارىُّ.

(٢) وَعن أَبى هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عَن النَّبىِّ -ﷺ- قالَ: «إذَا اسْتَيْقَظَ أَحدُكُمْ فَلْيَقُلْ الحمدُ لله الَّذى رَدَّ علَىَّ رُوحى، وعَافانى فى جَسَدى، وأَذنَ لى بذكْره» رَواهُ ابْنُ السُّنِّى.

(٣) وَعَنْ عَائشَةَ -رضي الله عنها- عَنِ النَّبىِّ -ﷺ- قَالَ: «مَا منْ عَبْد يَقُولُ حين يَرُدُّ اللهُ تعالَى رُوحَه: لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ له، لَهُ الْمُلْكُ ولَه الحمدُ وَهُوَ عَلى كلِّ شَىْءٍ قَديرٌ، إلاَّ غَفَرَ اللهُ تَعَالَى لَهُ ذُنوبَهُ وَلَوْ كانَتْ مثْلَ زَبَد البَحْرِ[2]» رَوَاهُ ابْنُ السنى.

(٤) وَعنْ أَبى هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: «مَا منْ رَجُل يَنْتَبهُ منْ نَوْمه فَيَقُولُ: الحمدُ لله الَّذى خَلَقَ النَّوْمَ وَالْيَقظَةَ، الْحَمْدُ لله الَّذى بعثَنى سالمًا سَويًّا، أَشْهَدُ أَنَّ اللهَ يُحْيى الْمَوْتَى وهُوَ عَلى كلِّ شَىْءٍ قَديرٌ، إلاَّ قَالَ اللهُ تعَالَى: صَدَقَ عَبْدى» رواهُ ابنُ السُّنِّى.

(٥) وَعَنْ عَائشَةَ -رضي الله عنها- أَنَّ رسولَ الله -ﷺ- كَانَ إذَا استيقظ منَ اللَّيْل قَالَ: «لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ، اللَّهُمَّ أَسْتَغْفرُكَ لذَنْبى، وأَسْأَلُكَ رَحْمَتكَ، اللَّهُمَّ زدْني علمًا، ولاَ تُزغْ قَلْبى بَعْدَ إذْ هَدَيْتنى، وَهَبْ لى منْ لدُنْكَ رَحْمَةً، إنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ» رواه أبو داوُدَ.

---

(١) وإليه النشور: أى المرجع.

(٢) زبد البحر: الزبد بفتحتين: الرغوة، أى ولو كانت ذنوبه فى الكثرة مثل زبد البحر.

ثانيا: دعاء لبس الثوب وخلعه:

(١) عَنْ أَبي سَعِيد الْخُدَرِيّ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- كانَ إذَا لَبس ثَوْبًا سَمَّاه بِاسْمِه قميصًا أَوْ رداءً أَوْ عِمَامَةً يَقُولُ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِهِ وَخَيْرِ مَا هُوَ لَهُ، وأَعوذُ بِكَ مِنْ شَرِّه وَشَرِّ مَا هُوَ لَهُ» رواهُ ابْنُ السُّنِّي.

(٢) وَعَنْ مُعَاذ بْنِ أَنسٍ -رضي الله عنه- أَنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- قال: «مَنْ لَبِس ثَوْبًا جَدِيدًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لله الَّذِي كَسَانِي هَذَا الثَّوْبَ وَرَزَقَنِيه مِنْ غَيْرِ حَوْلٍ مِنِّي وَلاَ قُوَّةٍ، غُفِرَ لَهُ مَا تَقدَّمَ مِنْ ذَنْبِه» رواهُ ابْنُ السُّنِّي.

(٣) وَعَنْ أَنَسِ بنِ مَالك -رضي الله عنه- قَالَ: قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «سَتْرُ مَا بَيْنَ أَعْيُنِ الْجِنِّ وَعَوْرَاتِ بَنِي آدَمَ أَنْ يَقُولَ الرَّجُلُ الْمُسْلِمُ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَطْرَحَ ثِيَابَهُ: بِاسْمِ الله الَّذِي لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ» رواهُ ابْنُ السُّنِّي.

ثالثا: دعاء الخروج من المنزل ودخوله:

(١) عَنْ أَنَسِ بنِ مَالك -رضي الله عنه- قال: قال رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «مَنْ قَالَ، يَعْنِي إِذَا خَرَجَ مِنْ بَيْتِه: بِاسْمِ الله تَوَكَّلْتُ عَلَى الله، لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إِلاَّ بِالله، يُقَالُ لَهُ: كُفِيتَ وَوُقِيتَ وَهُدِيتَ وَتَنَحَّى عَنْهُ الشَّيْطَانُ» رواهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمِذيُّ وَالنَّسَائيُّ وَقَالَ التِّرمِذيُّ: حديثٌ حَسَنٌ صَحيحٌ.

(٢) وَعَنْ أَبِي مَالك الأَشْعَرِيِّ -رضي الله عنه- قالَ: قالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا وَلَجَ الرَّجُلُ بَيْتَهُ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ خَيْرَ الْمَولِجِ وَخَيْرَ الْمَخْرَجِ، بِاسْمِ الله وَلَجْنَا، وَبِاسْمِ الله خَرَجْنَا وَعَلَى الله رَبِّنَا تَوَكَّلْنَا، ثُمَّ لِيُسَلِّمْ عَلَى أَهْلِه». رواهُ أَبُو دَاوُدَ.

رابعا: دعاء المشي إلى المسجد ودخوله والخروج منه:

(١) عَنْ عَبْد الله بن عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- خَرَجَ إِلَى الْمَسْجد وَهُوَ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اجْعَلْ فِي قَلْبِي نُورًا، وفِي بصري نُورًا، وفي سَمْعِي نُورًا، وَعَنْ يَمِينِي نُورًا، وَعَنْ يَسَارِي نُورًا، وَفَوْقِي نُورًا، وتَحتِي نُورًا، وَأَمَامِي نُورًا وَخَلْفِي نُورًا، وَاجْعَلْ لِي نُورًا» رَواهُ البخاريُّ.

(٢) وَعَنْ عَبْدِالله بْنِ عَمْرو بن الْعَاصِ -رضي الله عنهما- عن النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- أَنَّهُ كانَ إِذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قالَ: «أَعُوذُ بالله الْعَظِيمِ وبِوَجْهِه الْكَرِيم، وَسُلْطَانه الْقَدِيم، من الشَّيْطَانِ الرَّجِيم. قالَ: فَإِذَا قالَ ذلكَ قَالَ الشَّيْطَانُ: حُفِظَ مِنِّى سائِرَ الْيَوْمِ» رَواهُ أَبُو دَاوُد.

(٣) وَعَنْ أَنسِ بن مَالك -رضي الله عنه- قَالَ: كانَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم- إذَا دَخَلَ الْمَسْجِدَ قالَ: «باسْمِ الله اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد، وَإِذَا خَرَجَ قَالَ اللَّهُمَّ صَلِّ عَلى مُحَمَّد» رواهُ ابْنُ السُّنِّى.

(٤) وَعَنْ أَبِى حُمَيْد أَوْ عَنْ أَبِى أُسَيْد -رضي الله عنهما- قالَ: قالَ رَسُولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا دَخَلَ أَحَدُكُمْ الْمَسْجِدَ فَلْيُسَلِّم عَلَى النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- ثُمَّ لِيَقُلْ: اللَّهُمَّ افْتَحْ لِى أَبْوابَ رَحْمَتك، فإذا خَرَجَ فَلْيَقُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّى إِسْأَلُكَ مِنْ فَضْلكَ» رواهُ مُسْلِمٌ وَأَبُو دَاوُدَ وَالنَّسَائِىُّ.

خامسا: دعاء التخلى والمباشرة:

(١) عَنْ أَنَسِ بن مَالك -رضي الله عنه- أَنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- كانَ يَقُولُ عِنْدَ دُخُولِ الْخَلاَءِ[1]: «اللَّهُمَّ إِنِّى أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْخُبُثِ وَالْخَبَائِثِ» رواهُ الشَّيْخَان.

وَعَنْ عَبْد الله بن عُمَرَ -رضي الله عنهما- قالَ: كَانَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- إذَا خَرَجَ من الْخَلاء قالَ: «الْحَمْدُ لله الَّذِى أَذَاقَنِى لَذَّتَه، وأَبْقَى فِىَّ قُوتَه، وَدَفَعَ عَنِّى أَذَاهُ» رواهُ ابْنُ السُّنِّى وَالطَّبَرَانِىُّ.

(٢) وَعَنْ عَائِشَةَ -رضي الله عنها- أَن النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- كَانَ إِذَا خَرَجَ مِنَ الْغَائِطِ قالَ: «غُفْرَانَكَ[2]» رواهُ أَبُو دَاوُد.

---

(١) الخلاء: بفتح الخاء والمد: موضع قضاء الحاجة. والخبث بضم الباء: جمع خبيث، والخبائث: جمع خبيثة. استعاذ -صلى الله عليه وسلم- من مردة الجن ذكورهم وإناثهم.

(٢) غفرانك أى أسألك مغفرتك. قال الخطابى: وقيل فى تأويل ذلك وفى تعقيبه الخروج من الخلاء بهذا الدعاء قولان: أحدهما أنه قد استغفر من تركه ذكر الله تعالى مدة لبثه على الخلاء، وكان -صلى الله عليه وسلم- لا يهجر ذكر الله إلا عند الحاجة، فكأنه رأى هجران الذكر فى تلك الحالة تقصيرًا وعده على نفسه ذنبًا فتداركه بالاستغفار. وقيل معناه: التوبة من تقصيره فى شكر النعمة التى أنعم الله تعالى بها عليه فأطعمه ثم هضمه ثم سهل خروج الأذى منه فرأى شكره قاصرًا عن بلوغ حق هذه النعم ففزع إلى الاستغفار منه، والله أعلم.

(٣) وَعَنْ عَبْدالله بن عَبَّاسٍ -رضي الله عنهما- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- قال: «لَوْ أَنَّ أَحَدَكُمْ إِذَا أَتَى أَهْلَهُ قَالَ: بِاسْمِ الله، اللَّهُمَّ جَنِّبْنَا الشَّيْطَانَ وَجَنِّبِ الشَّيْطَانَ مَا رَزَقْتَنَا، فَقُضِيَ بَيْنَهُمَا وَلَدٌ لَمْ يَضُرَّهُ شَيْطَانٌ أَبَدًا» رواهُ الْبُخَارِيُّ.

سادسًا: دعاء الوضوء والغسل والأذان:

(١) عَنْ أَبِي مُوسَى الأَشْعرِيِّ -رضي الله عنه- قَالَ: أَتَيْتُ رَسُولَ الله -ﷺ- وَهُوَ يَتَوَضَّأُ فَسَمِعْتُهُ يَقُولُ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي» قُلْتُ يَا نَبِيَّ الله لَقَدْ سَمِعْتُكَ تَدْعو بِكَذَا وَكَذا؟ قالَ: «وَهَلْ تَرَاهُنَّ تَرَكْنَ مِنْ شَيْءٍ» رواهُ النَّسَائِيُّ وابنُ السُّنِّي.

(٢) وَعَنْ عُمَرَ بنِ الْخَطَّاب -رضي الله عنه- قَالَ: قالَ رسولُ الله -ﷺ-: «مَنْ تَوَضَّأَ فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ثُمَّ قالَ: أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ، اللَّهُمَّ اجْعَلْنِي مِنَ التَّوَّابِينَ، وَاجْعَلْنِي مِنَ الْمُتَطَهِّرِينَ[(١)] فُتِحَتْ لَهُ ثَمانِيَةُ أَبْوَابِ الْجَنَّةِ يَدْخُلُ مِنْ أَيِّهَا شَاءَ» رواهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرْمِذِيُّ.

(٣) وعن جابر بن عبدالله -رضي الله عنهما- أنَّ رسولَ الله -ﷺ- قال: «مَنْ قالَ حينَ يَسْمَعُ النِّدَاءَ[(٢)]: اللَّهُمَّ رَبَّ هذه الدَّعْوَةِ التَّامَّةِ، وَالصَّلاَةِ القَائمَةِ آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ» رواهُ البُخَارِيُّ.

سابعًا: دعاء الطعام:

(١) عن عبدالله بْنِ عَمْرو -رضي الله عنهما- عَنِ النَّبِيِّ -ﷺ- أنهُ كانَ يَقُولُ فِي الطَّعامِ إِذَا قُرِّبَ إِلَيْهِ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِيما رَزَقْتَنَا، وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ، بِاسْمِ الله». رواهُ ابنُ السُّنِّي.

---

(١) «اللهم اجعلنى من التوابين واجعلنى من المتطهرين» قال المباركفورى فى شرح الترمذى: جمع بينهما إلمامًا بقوله تعالى: ﴿إن الله يحب التوابين ويحب المتطهرين﴾ ولما كانت التوبة طهارة الباطن من أدران الذنوب، والوضوء طهارة الظاهر عن الأحداث المانعة عن التقرب إليه تعالى، ناسب الجمع بينهما.

(٢) النداء: الأذان، والوسيلة: منزلة فى الجنة، والفضيلة: المرتبة الزائدة على سائر الخلائق. والمقام المحمود: هو شفاعة النبى -ﷺ- العظمى يوم القيامة.

(٢) وَعَنْ عَائشَةَ -رضي الله عنها- قَالَتْ: قال رسولُ الله -ﷺ-: «إِذَا أَكلَ أَحَدُكُمْ فَلْيَذْكُر اسمَ الله تَعَالَى، فإِنْ نَسيَ أَنْ يَذْكُرُ اسْمَ الله تَعَالَى فى أَوَّلِه فَلْيَقُلْ: بِاسْمِ الله أَوَّلَهُ وآخِرَهُ» رواهُ أَبُو دَاوُدَ والتِّرْمذىُّ.

(٣) وَعَنْ أَبى سَعيد الْخُدرىِّ -رضي الله عنه- أنَّ النَّبىَّ -ﷺ- كانَ إذَا فَرَغَ منْ طَعَامه قالَ: «الْحَمْدُ لله الَّذى أَطْعَمَنَا وَسَقَانَا وَجَعَلَنَا مُسْلِمينَ». رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرْمذىُّ وَالنَّسَائىُّ وَابنُ مَاجَه.

(٤) وعن مُعَاذ بن أَنَس -رضي الله عنه- قالَ: قَالَ رسولُ الله -ﷺ-: «مَنْ أَكَلَ طَعَامًا فَقَالَ: الْحَمْدُ لله الَّذى أَطْعَمَنى هذَا وَرَزَقَنيه منْ غَيْر حَوْل منِّى ولاَ قُوَّة، غُفر لَهُ ما تَقَدَّمَ منْ ذَنْبه» رَوَاهُ التِّرْمذىُّ وَقَالَ: حَديثٌ حَسَنٌ.

(٥) وَعَنْ أَنَس بن مالك -رضي الله عنه- أنَّ النَّبىَّ -ﷺ- جَاءَ إلى سَعْد بن عُبَادَة -رضي الله عنه- فَجَاءَ بخبز وَزَيْت فَأَكَلَ، ثُمَّ قالَ النَّبى -ﷺ-: «أَفْطَرَ عنْدَكُمُ الصَّائمُونَ، وأَكَلَ طَعَامكُمُ الأَبْرارُ، وَصَلَّتْ عَلَيْكُمُ الْمَلاَئكَة» رواه أَبُو دَاوُد.

ثامنا: دعاء التهجد والأرق والرؤيا:

(١) عَنْ عَبْد الله بن عَبَّاس -رضي الله عنهما- قالَ: كانَ النَّبىُّ -ﷺ- إذَا قَامَ منَ اللَّيْل يتهجَّدُ[1] قالَ: «اللَّهُمَّ لَكَ الحمدُ أنت قَيِّمُ السَّموات والأرض ومَنْ فيهنَّ ولَكَ الحمدُ، أنتَ نُورُ السَّموات والأرض ومَنْ فيهنَّ ولَكَ الحمْدُ، أَنْتَ الحَقُّ، ووعْدُكَ الحَقُّ، ولقاؤُكَ حقٌّ، وقولُكَ حقٌّ وَالْجَنَّةُ حَقٌّ وَالنَّارُ حَقٌّ، وَالنَّبيُّونَ حَقٌّ، وَمُحَمَّدٌ -ﷺ- حَقٌّ والسَّاعَةُ حَقٌّ، اللَّهُمَّ لَكَ أَسْلَمْتُ، وَبكَ آمَنْتُ، وَعَلَيْكَ تَوَكَّلتُ، وإلَيْكَ أَنَبْتُ، وَبكَ خَاصَمْتُ، وإِلَيْكَ حَاكَمْتُ، فَاغْفرْ لي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ به منِّى، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّر، لاَ إلهَ إلاَّ أَنْتَ، وَلاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بالله» رواهُ الْبُخَارىُّ.

(٢) وَعَنْ أَبى سَعيد الْخُدْرىِّ -رضي الله عنه-، أَنَّهُ سَمعَ رسولَ الله -ﷺ- يَقُول: «إذَا رَأَى أَحَدُكُمُ الرُّؤْيَا يُحبُّهَا فإِنَّمَا هيَ منَ الله فَلْيَحْمَد اللهَ عَلَيْهَا وَلْيُحَدِّثْ بها،

(١) التهجد: اسم لدفع النوم بالتكلف، والهجود: هو النوم. يقال: هجد إذا نام، وتهجد إذا أزال النوم.

وَإِذَا رَأَى غَيْرَ ذلكَ مِمَّا يكرَهُ فَإِنَّما هي مِنَ الشَّيْطَانِ فَلْيَسْتَعِذْ بِالله مِنْ شَرِّهَا وَلاَ يَذْكُرْها لأَحَد فَإِنَّهَا لاَ تضرُّه» رواهُ البُخَارِيُّ وَمُسْلِمٌ.

(٣) وَعَنْ عَمْرو بنِ شُعَيْب عَنْ أَبيه عَنْ جَدِّه -رضي الله عنهم-، أَنَّ رسولَ الله -ﷺ- قالَ: «إِذَا فَزِعَ أَحَدُكُمْ في النَّوم فَلْيَقُلْ: أَعُوذُ بكلمَات الله التَّامَّات منْ غَضَبه وعقَابه وَشرِّ عبَاده، وَمنْ هَمَزَات الشَّيَاطين[(١)] وَأَنْ يَحْضرون فَإِنَّهَا لَنْ تَضرَّه» رَوَاهُ أَبُو دَاوُدَ وَالتِّرمذيُّ وَالنَّسَائيُّ وَقَالَ التِّرمذيُّ: حَدِيثٌ حَسَنٌ.

(٤) وَعَنْ خَالد بن الْوَليد -رضي الله عنه- أَنَّهُ أَصابَهُ الأَرَقُ فَقَالَ رسولُ الله -ﷺ-: «أَلاَ أُعَلِّمُكَ كَلمات إِذَا قُلْتَهُنَّ نمْتَ؟ قُلْ: اللَّهُمَّ ربَّ السَّموات السَّبْع وَمَا أَظَلَّتْ وَرَبَّ الأَرضين وَمَا أَقَلَّتْ وَرَبَّ الشَّيَاطين وَمَا أَضَلَّتْ كُنْ لي جَاراً منْ شرِّ خَلْقك أَجْمَعين أَنْ يَفْرُطَ عَلى أَحَدٌ منْهُمْ[(٢)] أَوْ أَنْ يطْغى، عَزَّ جَارُكَ، وَتَبَارَكَ اسْمُكَ»، فَقَالَهُنَّ فَنَامَ. روَاهُ الطبرانيُّ في الأَوسط وابْنُ شَيْبَة في مُصَنَّفه.

(٥) وَعَنْ زَيْد بْن ثَابت -رضي الله عنه- قَالَ: شَكَوْتُ إِلَى رسول الله -ﷺ- أَرَقًا أَصابَني فَقَالَ: «قُلْ: اللَّهُمَّ غَارَت النَّجُومُ، وَهَدَأَت العُيُون، وَأَنْتَ حَيٌّ قَيومٌ، لاَ تَأْخُذُكَ سنَةٌ وَلاَ نَوْمٌ، يَا حَيُّ يَا قَيُّومُ، اهد لَيْلي، وَأَنمِ عَيْني» ، فَقُلْتُهَا فَأَذْهَبَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ مَا كُنْتُ أَجدُهُ. رواهُ ابنُ السُّنِّي.

تاسعاً: دعاء النوم:

(١) عن أبي هُرَيْرَةَ -رضي الله عنه- عن النَّبيِّ -ﷺ- قالَ: «إِذَا جَاءَ أَحدُكُمْ فراشَهُ فَلْيَنْفُضْهُ بصنَفَة ثَوْبه[(٣)] ثَلاَثَ مَرَّات وَلْيَقُلْ: باسْمكَ رَبِّي وَضَعْتُ جَنْبي وَبكَ أَرْفَعُهُ، إِن أَمْسَكْتَ نَفْسي فَاغْفرْ لَهَا، وَإِنْ أَرْسَلْتَهَا فَاحفَظْهَا بِمَا تَحْفَظُ بِه عبَادَكَ الصَّالحينَ» رواهُ الجماعة[(٤)].

(٢) وعن عائشة -رضي الله عنها- قالت: «إِنَّ النَّبيَّ -ﷺ- كَانَ إِذَا أَوَى إِلى فرَاشه كُلَّ لَيْلة جَمَعَ كَفَّيْه وَنَفَخَ فيهما فَقَرَأَ فيهما: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ

---

(١) «ومن همزات الشياطين». الهمز: النخس والغمز وكل شيء دفعته فقد همزته.

(٢) «أن يفرط على أحد منهم» أي يعجل بالعقوبة «أو أن يطغى» يتكبر على.

(٣) الصنفة بفتح الصاد المهملة وكسر النون وفتح الفاء: طرف الثوب.

(٤) رواه الجماعة أي البخاري، ومسلم، وأبو داود، والترمذي والنسائي وابن ماجه.

الْفَلَقِ﴾ و ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ النَّاسِ﴾ ثُمَّ يَمْسَحُ بِهِما مَا اسْتَطَاعَ مِنْ جَسَدِه، يَبْدَأُ بِهِما عَلَى رَأْسِهِ وَوَجْهِهِ وَمَا أَقْبَلَ مِنْ جَسَدِه يَفْعَلُ ذَلِكَ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ» رواهُ البُخاري.

(٣) وَعَنْ أَبِي سَعِيد الْخُدْرِيِّ -رضي الله عنه- عَنْ النَّبِيِّ -صلى الله عليه وسلم- قَالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِه: أَسْتَغْفِرُ اللهَ الَّذِي لا إِلهَ إِلاَّ هُوَ الْحَيَّ الْقَيُّومَ وَأَتُوبُ إِلَيْهِ ثَلاَثَ مَرَّاتٍ، غَفَرَ اللهُ لَهُ ذُنُوبَهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ وَرَقِ الشَّجَرِ، وَإِنْ كَانَتْ عَدَدَ رَمْلِ عَالِجٍ[1] وَإِنْ كَانَتْ عَدَدِ أَيَّامِ الدُّنْيَا». رواهُ التِّرمذِيُّ وَقَالَ: حديثٌ حسنٌ.

(٤) وعن أَبِي هريرةَ -رضي الله عنه- أَنَّ النَّبِيَّ -صلى الله عليه وسلم- قالَ: «مَنْ قَالَ حِينَ يَأْوِي إِلَى فِرَاشِه: لاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، لَا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إِلاَّ بِاللهِ الْعَلِيِّ الْعَظِيمِ، سُبْحَانَ اللهِ، وَالْحَمْدُ للهِ، وَلا إِلهَ إِلاَّ اللهُ وَاللهُ أَكْبَرُ، غُفِرَتْ لَهُ ذُنُوبُهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» رَواهُ ابْنُ حِبَّانَ.

(٥) وعن الْبَرَاءِ بن عَازِب -رضي الله عنه- قَالَ: قَالَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم-: «إِذَا أَتَيْتَ مَضْجَعَكَ فَتَوَضَّأْ وُضُوءَكَ لِلصَّلاَةِ، ثُمَّ اضْطَجِعْ عَلَى شِقِّكَ الأيمن، ثُمَّ قُلْ: اللَّهُمَّ أَسْلَمْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَأَلْجَأْتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لا مَلْجَأَ وَلا مَنْجَى مِنْكَ إِلاَّ إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنْ مُتَّ مِنْ لَيْلَتِكَ فَأَنْتَ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَاجْعَلْهُنَّ آخِرَ مَا تَتَكَلَّمُ بِهِ» أخرجهُ الجماعةُ.

عاشراً: ختام الصلاة وختام المجلس:

(١) عن أبي هريرة -رضي الله عنه- عن رسول الله -صلى الله عليه وسلم- قَال: «مَنْ سَبَّحَ اللهَ فِي دُبُرِ كلِّ صَلاة ثَلاثًا وثَلاثِينَ، وَحَمَدَ الله ثَلاثًا وثَلاثِين، وَكَبَّرَ الله ثَلاثًا وثَلاثين، فَتِلْكَ تِسْعَةٌ وَتِسْعُونَ، وَقَالَ تَمَامَ المائَة: لا إِلهَ إِلاّ اللهُ وَحْدَهُ لاَ شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ، غُفِرَتْ خَطَايَاهُ وَإِنْ كَانَتْ مِثْلَ زَبَدِ الْبَحْرِ» رواهُ مُسْلِمٌ.

(٢) وَعَنْ مُعَاذ بن جَبَل -رضي الله عنه- أَنَّ رسولَ الله -صلى الله عليه وسلم- أَخَذَ بِيَدِهِ وقَالَ: «يَا

---

(١) «وإن كانت عدد رمل عالج» بفتح اللام وكسرها، موضع بالبادية فيه رمل كثير.

مُعَاذُ وَالله إِنِّي لأحبُّكَ، أُوصيكَ يَا مُعَاذُ لاَ تَدَعَنَّ فِي دُبُرِ كلِّ صَلاة أنْ تَقُول: اللَّهُمَّ أَعِنِّي عَلَى ذكْرِكَ، وَشُكْرِكَ وحُسْنِ عِبَادَتِكَ» رواهُ أَبُو دَاوُدَ.

(٣) وعن أَبِي بَرْزَةَ -رضي الله عنه- قَالَ: كانَ رسولُ الله -صلى الله عليه وسلم- يَقُولُ بأخَرَة[(١)] إِذَا أَرَادَ أَنْ يَقُومَ منَ الْمجلسِ: «سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبحَمْدكَ، أَشْهَدُ أَنْ لاَ إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ، أَسْتَغْفرُكَ وأَتُوبُ إِلَيْكَ» فَقَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ الله إِنَّكَ لتَقُولُ قَوْلا مَا كُنْتَ تَقُولُهُ فيمَا مَضَى؟ قَالَ: «ذَلكَ كَفَّارَةٌ لمَا يَكُونُ في الْمَجْلسِ» رواهُ أَبُو دَاودَ وَالْحَاكِمُ فِي الْمُسْتَدْرك.

(٤) وعن عليٍّ -رضي الله عنه- قَال: «مَنْ أَحَبَّ أنْ يَكْتَالَ بالْمكْيَالِ الأوْفى فَلْيَقُلْ فِي آخرِ مَجْلسه أوْ حينَ يقُومُ: سُبْحَانَ ربِّكَ ربِّ العزَّة عَمَّا يَصِفُونَ، وسَلامٌ على الْمُرسلِينَ والحَمْدُ لله ربِّ العالمينَ». رواهُ أَبُو نُعيم فى الحلية.

---

(١) كان رسول الله -صلى الله عليه وسلم- يقول بأخِرة بفتح الهمزة والخاء المعجمة: أى فى آخر الأمر.

القسم الرابع

الأدعية المأثورة فى حالات مختلفة

أولاً: دعاء الاستخارة الشرعية :

عَنْ جَابِرِ بنِ عَبْدِ الله -ﷺ- قالَ: كانَ رسولُ الله -ﷺ- يُعلِّمُنَا الاسْتِخَارة فِى الأُمُورِ كلِّهَـا كَمـا يُعلِّمُنَا السُّورَةَ منَ القُـرآنِ، يَقُولُ: «إذَا هَمَّ أَحَدُكُـمْ بِالأَمْرِ فَلْيَـرْكَعْ رَكْـعَتَـيْنِ منْ غَـيْرِ الفَـرِيضَـةِ، ثُمَّ لِيَـقُلْ: اللَّهُـمَّ إنِّى: أَسْـتَخِـيرُكَ بِعلْمكَ، وَأَسْتَقْدِرُكَ بِقُدْرَتِكَ، وأَسْأَلُكَ مِنْ فَضْلِكَ العَظِيمِ، فَإنَّكَ تَقْدرُ ولاَ أَقْدرُ، وتَعْلَمُ ولا أَعْلَمُ، وَأَنْتَ عَـلاَّمُ الغُـيُوبِ. اللَّهُـمَّ إنْ كُنْـتَ تَعْلَمُ أَنَّ هَذَا الأَمْرَ خَـيْـرٌ لى فى دينى وَمَعَاشى وَعَاقبَةِ أَمْرِى، أَوْ قَالَ عَاجلِ أَمْرِى وآجله فاقْدُرْهُ لى ويَسِّرْهُ لى ثُمَّ بَارِكْ لى فيه، وإِنْ كُـنْتَ تَعْلَمُ أنَّ هذَا الأَمْرَ شَرٌّ لى فى دينى ومَعَـاشى وعَاقبَـةِ أَمْرِى، أَوْ قَالَ فِى عَاجلِ أَمْرِى وآجله، فَـاصْرِفْهُ عَنِّى، وَاصْرِفْنِى عَنْهُ، وَاقْدُرْ لِى الخَيْـرَ حَيْثُ كانَ ثُمَّ ارْضِنى بِه» قَالَ: وَيُسَمِّى حَاجَتَهُ. رواهُ البُخَارِىُّ.

ثانياً: صلاة الحاجة :

عن عبدالله بن أبى أوفَى -ﷺ- قـالَ خَرَج عَلَيْنَا رسولُ الله -ﷺ- فَقَالَ: «مَنْ كَـانَتْ لَهُ حَاجَـةٌ إلَى الله تعَالَى أوْ إلَى أَحـد منْ بَنى آدَمَ، فَلْيَـتَوضَّـأ وَلْيُحْـسِنْ وضُـوءَهُ، ثُمَّ لِيُصَلِّ رَكْـعَتَـيْنِ، ثُمَّ يُثْنى عَلى الله تَعَـالَى، ولْيُـصَلِّ عَلى النَّبىِّ -ﷺ- ولْيَقُلْ: لاَ إِلهَ إلاَّ اللهُ الحَليمُ الكَرِيمُ، سُبْحَانَ الله رَبِّ العَرْشِ العَظِيمِ، الحَمْدُ لله رَبِّ العَالَمينَ، أَسْأَلُكَ مُوجبَاتِ رَحْمَتكَ[(١)] وَعَزَائمَ مَغْفرَتكَ، وَالعِصْمَةَ منْ كُلِّ ذَنْب، وَالغَنيمَـةَ منْ كُلِّ بِرٍّ، وَالسَّلامَـةَ مَنْ كُلِّ إثم لاَ تَدَعْ لِى ذَنْبًا إلاَّ غَـفَرْتَهُ، ولاَ هَمًّا إلاَّ فَرَّجْـته ولاَ حاجَـةً هِى لَكَ رِضًا إلاَّ قَضَـيْتَهَـا يَا أَرْحَمَ الرَّاحمينَ، ثُمَّ يَسْـأَل مِنْ أَمْرِ الدُّنْيَا وَالآخرة مَا شَاءَ فَإنه يُقَدَّرُ» أخرجَهُ التِّرْمذِى وَالنَّسَائِىُّ وَابْنُ مَاجَه.

---

(١) «أسألك موجبات رحمتك» بكسر الجيم: أى أسبابها «وعزائم مغفرتك» قال الطيبى: أى أعمالاً تتعزم وتتأكد بها مغفرتك.

ثالثا: من أدعية السفر:

يَقُولُ الْمُقِيمُ لِلْمُسَافِر: «أَستَوْدِعُ اللهَ دِينَكَ، وأَمَانَتَكَ(١)، وَخَوَاتِيمَ عَمَلِكَ، وَأَقْرأُ عليْكَ السَّلاَمَ» رواهُ التِّرمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِن حديثِ عبدالله ابنِ عُمَر.

ثُمَّ يُوصِيهِ فيقول: «عَلَيْكَ بتقْوَى الله، وَالتَّكْبير عَلى كُلِّ شَرَفٍ(٢)، اللَّهُمَّ اطْوِلَهُ الْبُعْدَ، وَهَوِّنْ عَلَيْهِ السَّفَرَ» رواه التِّرْمِذِيُّ وَالنسائِيُّ مِنْ حَدِيث أبِي هريرةَ.

ثُمَّ يَدْعُو لَهُ بِقَوْلِه: «زَوَّدَكَ الله التَّقْوَى، وَغَفَرَ ذَنْبَكَ، ويَسَّرَ لَكَ الْخَيْرَ حَيْثُما كنْتَ» أَخرجَه الترْمِذِيُّ وَالنَّسَائِيُّ مِنْ حديثِ أَنس.

ويَقُولُ الْمُسَافِرُ لِلْمُقِيم: «أَسْتَوْدِعُكَ اللهَ الَّذِي لاَ تَضِيعُ وَدَائِعُهُ» رواه الطَّبَرانيُّ مِنْ حَدِيثِ أَبِي هُرَيْرَةَ.

ثُمَّ يَدْعُو اللهَ بِقَوْلِه: «اللَّهُمَّ بِكَ أَصُولُ، وَبِكَ أَجُولُ، وَبِكَ أَسِيرُ. اللَّهُمَّ إِنِي أَسأَلُكَ فِي سفَرِي هَذَا الْبِرَّ وَالتَّقْوَى، وَمِنَ الْعَمَلِ مَا تَرْضَى، اللَّهُمَّ هَوِّنْ عَلَيْنا سفَرَنَا هذَا واطْوِ عنَّا بُعْدَهُ، اللَّهُمَّ أَنْتَ الصَّاحِبُ فِي السَّفَرِ والْخَلِيفَةُ فِي الأَهْلِ. اللَّهُمَّ إِنِي أَعُوذُ بِكَ مِنْ وَعْثَاء السَّفَر(٣)، وَكَآبَةِ الْمَنْظَر، وَسوء الْمُنقَلَب فِي الْمَال والأَهْلِ وَالْوَلَدَ». وَإِذا رَجَعَ قَالَهنَّ وزَادَ فِيهِنَّ: «آيبُونَ تَائبُونَ عَابِدُونَ لِرَبِّنَا حَامِدُونَ» رواه أَحمدُ وَالْبَزَّارُ ومسلمٌ وغيرهمُ من حديثِ عَلِيٍّ وابنِ عُمَرَ وَعَبْدِ اللهِ بْنِ سَرْجِس وَغَيرِهِم.

فَإِذَا بَدَأَ الرُّكُوبَ قَال: «بِاسْم الله»، فإذَا استَوَى عَلَى مَرْكَبِه قالَ: «الْحَمْدُ لله الَّذي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ(٤) وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنْقَلِبُونَ» رواه أبو داودَ وَالتِرمِذِيُّ من حديثِ عليٍّ -رضي الله عنه-.

---

(١) «وأمانتك» قال الخطابي: الأمانة هنا أهله، ومن يخلفه، وماله الذى عند أمينه. وذكر الدين هنا لأن السفر مظنة المشقة فربما كان سببًا لإهمال بعض أمور الدين.

(٢) «والتكبير على كل شرف» بالتحريك: أى على كل مكان عال.

(٣) «وعثاء السفر» بفتح الواو وسكون العين المهملة وبالمد: أى مشقته وشدته.

(٤) «وما كنا له مقرنين» أى مطيقين.

رابعًا: من أدعية الظواهر الكونية:

(١) إذَا رَأَى المطَرَ قال: «اللَّهُمَّ صَيِّبًا[1] نافعًا» مرَّتَيْنِ أوْ ثَلاثًا رواه ابْنُ أَبى شَيْبَةَ مِنْ حَدِيث عَائشَةَ، فإذَا كَثُرَ المطَرُ أَوْ خَافَ ضَرَرَهُ قال: «اللَّهُمَّ حَوالَيْنَا وَلاَ عَلَيْنا، اللَّهُمَّ عَلَى الآكَام، وَالآجَام[2] وَالظِّرَابِ وَالأَوْدِيَة، ومَنَابِتِ الشَّجَرِ». رواه البخاريُّ مِن حديث أنَس.

(٢) إذَا سَمِعَ الرَّعْدَ وَالصَّواعق قال: «اللَّهُمَّ لاَ تَقْتُلْنَا بغَضَبكَ وَلاَ تُهْلكْنَا بعَذَابكَ، وَعَافِنَا قَبْلَ ذلكَ» رواهُ التِّرْمِذِيُّ والْحَاكِمُ فى المسْتَدْرَكِ من حديث عبدالله ابنِ عُمَر.

(٣) إذَا رأَى الْهلاَلَ قال: «اللهُ أَكْبَرُ، اللَّهُمَّ أَهِلَّهُ عَلَيْنَا بالْيُمْنِ[3] وَالإيمان، وَالسَّلامَة والإسْلام، وَالتَّوْفيق لما تحبُّ وتَرْضى، ربِّى وَرَبُّكَ الله». «هلاَلُ خَيْر وَرُشْد». ثُمَّ يَقُولُ ثَلاثًا: «اللَّهُمَّ إنِّى أَسْأَلُكَ منْ خَيْرِ هذَا الشَّهْرِ وَخَيْرِ الْقَدَر، وَأَعُوذُ بكَ منْ شرِّه» رواه الدَّارِمِىُّ وَالترمِذِىُّ وَالطبرانى وغيرهُم من حديث عبدالله ابن عُمَرَ وَغيره.

خامسًا: من أدعية الزواج والأولاد:

(١) يَقُولُ لِمَنْ تَزَوَّجَ: «بارَكَ اللهُ لكَ وَبارَكَ عَلَيْكَ، وَجَمَعَ بَيْنَكُما فى خَيْرٍ». روَاهُ البخارىُّ ومسلِمٌ والأربعةُ من حديث أنس وأبى هريرة.

(٢) إذَا أُتِىَ بِمَوْلُودٍ أَذَّنَ فى أُذنهِ حِينَ وِلادَته رواه أبو داودَ والنَّسَائِىُّ.

(٣) تَعْويذ الأَطْفَال: «أُعِيذُكَ بِكَلِمَات الله التَّامَّة، مِنْ كُلِّ شَيْطَان وَهَامَّة[4] وَمِنْ كُلِّ عَيْنٍ لاَمَّة» رواه البخارىُّ من حَدَيث ابن عباس.

---

(١) «اللهم صيبًا» هو بتشديد الياء المثناة: أى منهمرًا متدفقًا.

(٢) «اللهم على الآكام» الآكام جمع أكمة وهى الرابية. والآجام: الشجر الكثير الملتف. والظراب: الجبال الصغار.

(٣) اللهم «أهله علينا باليمن» البركة.

(٤) «من كل شيطان وهامة» الهامة بتشديد الميم: هى كل ذى سم يقتل. واللامة بتشديد الميم: أى ذات لمم وهى التى تصيب بسوء ما نظرت إليه.

(٤) إِذَا أَفْصَحَ الصبىُّ فَلْيُعَلِّمْهُ لا إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَإِذَا أَثْغَرَ(١) فَلْيَأْمُرهُ بِالصَّلاةِ. أخرجهُ ابنُ السُّنِّى من حديث عبدِ اللهِ بْنِ عُمَرَ.

سادسا: من أدعية المرئيات:

(١) إِذَا رَأَى مَا يُحِبُّ قال: «الْحَمْدُ للهِ الَّذِى بِنِعْمَتِهِ تَتِمُّ الصَّالِحَاتُ». وَإِذَا رَأَى مَا يَكْرَهُ قال: «الْحَمْدُ للهِ عَلَى كُلِّ حالٍ» رواهُ الْحَاكِمُ وابنُ مَاجَه من حديثِ عائشةَ.

(٢) إذا رأَى وَجْهَهُ فى الْمرآة قال: «اللَّهُمَّ أَنْتَ حَسَّنْتَ خَلْقِى فحَسِّنْ خُلُقِى وَحَرِّمْ وَجْهِى عَلَى النَّار، الْحَمْدُ للهِ الَّذِى سَوَّى خَلْقِى فَعَدَلَهُ، وَكَرَّمَ صُورَةَ وَجْهِى فَأَحْسَنَها وَجَعَلَنِى مِنَ الْمسلمين» رواه ابنُ حبَّانَ وَابْنُ مَرْدويه وَالطَّبرانىُّ مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بنِ مَسْعُودٍ وَعائشةَ وأَنَسٍ.

(٣) إِذَا رَأَى بَاكُورةَ ثَمَرَةٍ أَوْ فَاكِهَةٍ قَالَ: «اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِى ثَمَرِنَا، وبَارِكْ لَنَا فِى مَدِينَتِنَا، وبَارِكْ لَنا فى صَاعِنَا، وبَارِكْ لَنَا فِى مُدِّنَا، اللَّهُمَّ كَمَا أَرَيْتَنَا أَوَّلَهُ فَأَرِنا آخِرَهُ»، ثُمَّ يُعْطِيهِ أصغَرَ مَنْ يَكُونُ عِنْدَهُ مِنَ الصبيَانِ، رواهُ مُسْلِمٌ وَالتِّرمِذِىُّ مِنْ حديثِ أَبى هُريرةَ.

(٤) إِذَا رَأَى أَخَاهُ الْمُسْلِم يَضْحَكُ، قَالَ: «أَضْحَكَ اللهُ سِنَّكَ» رواهُ البخارىُّ ومُسْلِمٌ مِنْ حديث سعد بن أَبى وقَّاص.

سابعا: من أدعية السلام والتحية:

(١) إِذَا بُلِّغَ عَنْ أَحَدٍ سَلامًا رَدَّهُ عَلى الْمُبَلِّغِ وَالْمُسَلِّمِ مَعًا. أَخْرَجَهُ النَّسائِىُّ وَابْنُ الْقَطانِ مِن حَدِيثِ أَنَسٍ فِى سَلامِ خَدِيجةَ.

(٢) إِذَا قَالَ لَهُ إِنْسانٌ إِنِّى أُحبُّك قالَ: «أَحبَّكَ الَّذِى أَحْبَبْتَنِى لَهُ» رواهُ أَبُو دَاوُدَ وَالنَّسائىُّ وَابْنُ حِبَّان مِنْ حَدِيثِ أَنسٍ.

(٣) إِذَا قِيلَ لَهُ: «كَيْفَ أَصْبَحْتَ؟» يَقُولُ: «أَحْمَدُ اللهَ إِلَيْكَ»، أَوْ يَقُولُ: «بِخَيْرٍ أَحْمَدُ اللهَ» رواهُ أَحمدُ وَالطَّبَرَانِىُّ مِنْ حديثِ عبدالله بن عُمَرَ وَأَنَس.

---

(١) «وإذا أثغر» أى سقطت رواضعه.

(٤) إذَا صَنَعَ إلَيْهِ أَحَـدٌ مَعْرُوفًـا قالَ: «جزَاكَ اللهُ خَـيْرًا» رواهُ التِّرْمِذِيُّ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَة.

ثامنا: من أدعية عوارض الحياة:

(١) إذَا أصابه الكرب أو الهَمُّ أو الغم أو الحزن يقول: «لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ الْكَرِيمُ العظيمُ سُبْحَانَه تبَارَكَ اللهُ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظيم، الْحَمْدُ لله رَبِّ الْعَالمينَ» «تَوَكَّلْتُ عَلَى الْحَيِّ الَّذِى لاَ يَمُوتُ»، «الْحمْدُ لله الَّذى لَمْ يَتَّخذْ وَلَدًا، ولَم يكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فى الْمُلْك، وَلَم يكُنْ لَهُ وَلِىٌّ منَ الـذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تكْبِيرًا»، «اللَّهُمَّ رَحْمَتكَ أَرْجُو فَلا تكلْنى إلَى نَفْسِى طَرْفَةَ عَيْن، وَأَصْلحْ لِى شَأْنِى كلَّهُ، لا إلهَ إلاَّ أَنْتَ» «يَا حَىُّ يَا قَيُّومُ بِرَحْمَتكَ أَستَغيثُ» «لاَ إلهَ إلاَّ أنْتَ سُبْحَانَك إنِّى كُنْتُ من الظالمين»، «اللَّهُمَّ إنى عَبْدكَ ابْنُ عبْدَكَ ابْنُ أَمتكَ ناصيتى بيَدكَ، مَاضٍ فِىَّ حُكْمُكَ، عَدْلٌ فِىَّ قَضَاؤُكَ، أَسأَلُكَ بكلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فى كتَابك، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا منْ خَلْقكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ به فى علْمِ الْغَيْب عنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرآنَ رَبِيعَ قَلْبى، ونُور بَصَرى، وَجَلاءَ حُزْنى، وَذَهَابَ هَمِّى» «لاَ حَوْلَ وَلاَ قُوَّةَ إلاَّ بالله» رواهُ النَّسَائِى وابنُ حبَّان من حديث علىٍّ، والْحاكمُ من حديث أبى هريرة وعبد الله بن مسعود وَالتِّرْمذِىُّ من حديث سعد بن أَبى وقاص، وأَحمدُ وَالبَزَّارُ من حديث ابن مسعود.

(٢) إذَا وَقَعَ لَهُ مَا لاَ يَخْتَارُهُ فَلْيَقُلْ: «قَدَّرَ اللهُ وَمَا شَاءَ فَعَلَ، وَلاَ يقُولُ لَوْ فإنَّ لَوْ تَفْتَحُ بَابَ الشَّيْطَان» رواه النسائىُّ من حديث أبى هريرة.

(٣) إنْ غَلَبَهُ أمرٌ فَلْيَقُلْ: «حَسْبُنا اللهُ وَنِعْمَ الْوَكيلُ» رواه أَبو دَاوُدَ من حديث عَوْف بن مَالك.

(٤) إن أَصَابَتْهُ مُصيبَةٌ قَالَ: «إنَّا لله وَإنَّا إلَيْه رَاجعُون، اللَّهُمَّ عنْدَكَ أَحْتَسبُ مُصيبَتى فَأْجُرْنى فيها وأَبْدلْنى منْهَا خَيْرًا» رواهُ التِّرْمذِىُّ وَالْحاكمُ منْ حَدِيث أَبى سَلَمَةَ.

(٥) إذَا استْصْعَبَ عَلَيْه شَىْءٌ قَال: «اللَّهُمَّ لا سَهْلَ إلاَّ مَا جَعلتَهُ سَهْلاً، وأَنْتَ تَجْعَلُ الْحزْنَ[1] إذَا شئْتَ سَهْلاً» رواهُ ابْنُ حبَّان منْ حديث أَنسٍ.

---

(١) الحزن بفتح الحاء: الصعب.

(٦) إِذَا غَضبَ قَالَ: «أَعُوذُ بِاللهِ مِنَ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ» رواهُ الْبُخَارِىُّ وَمُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ سُلَيْمَانَ بنِ صُرَدٍ.

(٧) إِذَا ابْتُلِىَ بِالدَّيْنِ قَالَ: «اللَّهُمَّ اكْفِنِى بِحَلالِكَ عَنْ حَرَامِكَ وَأَغْنِنِى بِفَضْلِكَ عَمَّنْ سِوَاكَ» رواهُ التِّرمِذِىُّ وَالْحَاكِمِ مِنْ حَدِيثِ عَلِىٍّ.

تاسعًا: من أدعية المرض والوفاة:

(١) إِذَا اشتَكَى وَضَعَ يَدَهُ عَلى مَوْضِعِ الأَلَمِ مِنْ جَسَدِه ثُمَّ قَالَ: «باسمِ الله، ثَلاثَ مَرَّاتٍ، أَعُوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ مَا أَجِدُ وَأُحَاذِرُ، سَبْعَ مَرَّاتٍ» رواهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عُثْمَانَ بنِ أَبِى الْعَاصِ.

(٢) إِذَا عَادَ مَرِيضًا قَالَ: «اللَّهُمَّ أَذْهِبِ الْبَأْسَ رَبَّ النَّاسِ، اشْفِ وَأَنْتَ الشَّافِى، لاَ شِفَاءَ إِلاَّ شِفَاؤُكَ، شِفَاءً لا يُغَادِرُ سَقَمًا» وَيَمْسَحُ بِيَدِهِ عَلَيْهِ وَيُطَيِّبُ خَاطِرَهُ. رواهُ الْبُخَارِىُّ مِنْ حَدِيثِ عَائِشَةَ.

(٣) وَفِى الْعَزَاءِ يُسَلِّمُ وَيَقُول: «إِنَّ للهِ مَا أَخَذَ وَلَه مَا أَعْطَى وَكلُّ شَىْءٍ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ[1]». رواهُ الْبُخَارِىُّ مِنْ حَدِيثِ أُسَامَةَ.

وكَتَبَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ- إلى مُعَاذ يُعَزِّيه فى ابْنِه: «بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحِيمِ مِنْ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللهِ إِلَى مُعَاذِ بْنِ جَبَلٍ: سَلاَمٌ عَلَيْكَ فَإِنِّى أَحْمَدُ إِلَيْكَ اللهَ الَّذِى لاَ إِلهَ إِلاَّ هُوَ. أَمَّا بَعْدُ فَأَعْظَمَ اللهُ لَكَ الأَجْرَ وَأَلْهَمَكَ الصَّبْرَ، وَرَزَقَنَا وَإِيَّاكَ الشُّكْرَ، فَإِنَّ أَنْفُسَنَا وَأَمْوَالَنَا وَأَهْلِينَا وَأَوْلادَنَا مِنْ مَوَاهِبِ اللهِ عَزَّ وَجَلَّ الْهَنِيَّةِ، وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ، نُمَتَّعُ بِهَا إِلَى أَجَلٍ مَعْدُودٍ، وَيَقْبِضُهَا لِوَقْتٍ مَعْلُومٍ، ثُمَّ افْتَرَضَ عَلَيْنَا الشُّكْرَ إِذَا أَعْطَى، وَالصَّبْرَ إِذَا ابْتَلَى، وَكَانَ ابْنُكَ مِنْ مَوَاهِبِ اللهِ الْهَنِيَّةِ، وَعَوَارِيهِ الْمُسْتَوْدَعَةِ، مَتَّعَكَ بِهِ فِى غِبْطَةٍ وَسُرُورٍ، وَقَبَضَهُ مِنْكَ بِأَجْرٍ كَثِيرٍ: الصَّلاَةَ وَالرَّحْمَةَ وَالْهُدَى إِنِ احْتَسَبْتَ، فَاصْبِرْ وَلاَ يُحْبِطْ جَزَعُكَ أَجْرَكَ فَتَنْدَمَ، وَاعْلَمْ أَنَّ الْجَزَعَ لاَ يَرُدُّ شَيْئًا، وَلاَ يَدْفَعُ حُزْنًا، وَمَا هُوَ نَازِلٌ فَكَأَنْ قَدْ، وَالسَّلاَمُ». رواهُ الحاكِمُ وابنُ مردُويه.

(٤) وَفِى صَلاَةِ الْجَنَازَةِ يَدْعُو لِلمَيِّتِ بِقَوْلِهِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لَهُ وَارْحَمْهُ، وَعَافِهِ

---

(١) «ولتحتسب»: أى تحتسب ثواب ما نزل بك عند الله تعالى.

واعْفُ عَنْهُ، وأَكْرِمْ نُزُلَهُ، ووَسِّعْ مَدْخَلَهُ، واغْسِلْهُ بالْمَاءِ والثَّلْجِ والْبَرَد، ونَقِّه من الْخَطَايا كَما نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأَبْيَضَ مِنَ الدَّنَس، وأَبْدِلْهُ دَارًا خَيْرًا مِنْ دَارِه، وأَهْلاً خَيْرًا مِنْ أَهْلِه، وزَوْجًا خَيْرًا مِنْ زَوْجِه، وأَدْخِلْهُ الْجَنَّةَ، وأَعِذْهُ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ أَوْ مِنْ عَذَابِ النَّارِ» رواهُ مُسْلِمٌ مِنْ حَدِيثِ عَوْفِ بْنِ مَالِك.

(٥) فِى زِيَارَةِ الْقُبُورِ يَقُولُ: «السَّلامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الدِّيَارِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُسْلِمِينَ، ويَرْحَمُ اللهُ الْمُسْتَقْدِمِينَ مِنْكُم وَالْمُسْتَأْخِرِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لاحِقُونَ، أَسْأَلُ اللهَ لَنَا ولَكُمُ الْعَافِيَةَ، أَنْتُمْ لَنَا فَرَطٌ[1] ونَحْنُ لَكُمْ تَبَعٌ، اللَّهُمَّ لاَ تَحْرِمْنَا أَجْرَهُمْ، وَلا تُضِلَّنَا بَعْدَهُمْ» رواهُ مُسْلِمٌ وَالنَّسَائِىُّ وابن ماجَه وابنُ السُّنِّى.

عاشرًا: صلاة التسبيح:

أربعُ رَكَعَاتٍ بِتَسْلِيمَةٍ وَاحِدَةٍ أَوْ بِتَسْلِيمَتَيْنِ، يَقْرَأُ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ بِالْفَاتِحَةِ وَسُورَةٍ ثُمَّ يُسَبِّحُ قَائِمًا خَمْسَ عَشْرَةَ مَرَّةً يقُولُ: «سُبْحَانَ اللهِ، وَالحمدُ للهِ، وَلاَ إِلهَ إِلاَّ اللهُ، وَاللهُ أَكْبَر، ويُسَبِّحُ فِى الرُّكُوعِ عَشْرًا، وَفِى الرَّفْعِ مِنْهُ عَشْرًا، وَفِى السُّجُودِ عَشْرًا، وَبَيْنَ السَّجْدَتَيْنِ عَشْرًا، وَفِى السَّجْدَةِ الثَّانِيَةِ عَشْرًا، وَفِى الرَّفْعِ مِنْهَا قَبْلَ الْقِيَامِ أَوِ التَّشَهُّدِ عَشْرًا، فَهِىَ خَمْسَةٌ وَسَبْعُونَ تَسْبِيحَةً، يَفْعَلُ ذلكَ فِى كُلِّ رَكْعَةٍ» الحَديث. أَخْرَجَهُ أَبُو دَاوُدَ وَالْحَاكِمُ مِنْ حديثِ عَبْدِ اللهِ بْنِ عَبَّاسٍ رَضِىَ اللهُ عَنْهُمَا.

---

(١) «أنتم لنا فرط» بفتحتين: أى متقدمون. قال ابن الأثير: يقال: فرط يفرط فهو فارط وفرط، إذا تقدم وسبق القوم ليرتاد لهم الماء ويهيئ لهم الدلاء والأرشية.

من أوراد الإخـوان

بعد الورد القرآني وورد المأثورات

١- ورد الدعـاء:

«أَسْتَـغفرُ اللهَ» مائة مـرة «اللَّهُمَّ صلِّ عَلى سيدنا مـحمَّد وَعَلى آله وصحـبه وسلِّم» مائة مرة. «لاَ إلهَ إلاَّ اللهُ» مائة مرة. الدعاء للدعوة والقائمين بها وللإخوان وللنفس والأهل بعد ذلك بما تيسر من الدعوات.

ويقرأ الورد صباحًا بعد صلاة الصبح، ومساءً بعد صلاة المغرب أو العشاء أو قبل النوم مع الخـشوع التام، وألا يقطع ورده بكلام دنيوى إلا للضـرورة استكمالاً للخشوع وتأدبًا فى الذكر.

٢- ورد الرابطـة:

يتلو الأخ الآية الكريمـة فى تدبر كامل: ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٦﴾ تُولِجُ اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ وَتُولِجُ النَّهَارَ فِي اللَّيْلِ وَتُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَتُخْرِجُ الْمَيِّتَ مِنَ الْحَيِّ وَتَرْزُقُ مَن تَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾(١).

ثم يتلو الدعاء المأثور بعد ذلك:

اللَّهُمَّ إنَّ هذا إقْبَالُ لَيْلكَ، وإدْبَارُ نَهَارِكَ، وَأَصْـوَاتُ دعاتك، فاغْفرْ لى» ثم يستحضر صورة مَن يعرف من إخوانـه فى ذهنه ويستشعر الصلةَ الروحية بينه وبين من لم يعـرفه مـنهم، ثم يدعو لـهم بمثل هذا الدعاء: «الـلهم إنكَ تعلم أن هذه القلوبَ قـد اجْتَـمَـعَتْ عَلى مَحَـبَّـتكَ، وَالْتَقَتْ عَلى طـاعتكَ، وَتَوَحَّـدَتْ عَلى دَعْـوتك، وَتَعَاهَدَتْ عَـلى نُصْرَة شـرَيعَـتك، فَوَثِّقْ اللَّهُـمَّ رَابطَتَهَـا، وأدم وُدَّها، واهْدِها سُبُلَهَـا، واملأها بِنُورِكَ الَّذَى لا يَخْبُـو، وَاشْرَحْ صُدُورَهَا بِفَـيْضِ الإيمانِ

(١) سورة آل عمران: ٢٦، ٢٧.

بك، وَجميلِ التَّوكُّلِ عليك، وَأَحْيِها بمعْـرِفَتكَ، وأَمتها عَلى الشَّهَادة فى سبيلكَ، إنك نعْمَ الْمَوْلَى وَنعْمَ النَّصِيرُ، اللَّهُمَّ آمين. وَصلِّ اللَّهُـمَّ عَلى سَيِّدنا محمدٍ وعَلى آلهِ وَصَحْبِهِ وسلِّم». ووقتَ هذا الْوِرْدِ ساعة الغروب تمامًا من كلِّ لَيلةٍ.

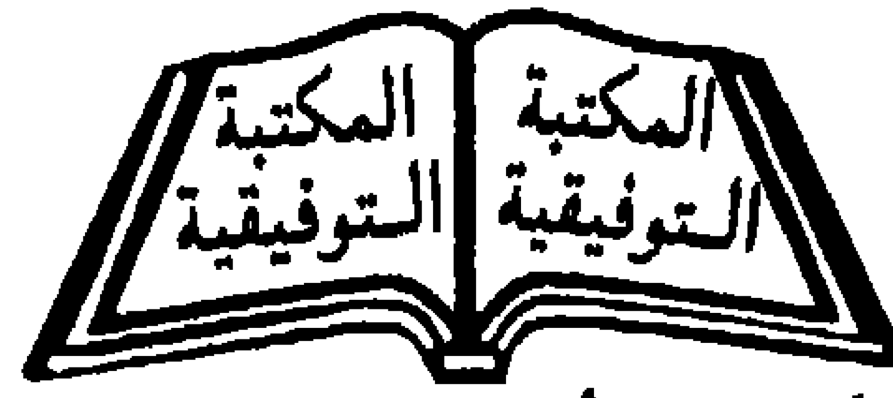
٣- ورد المحاسبة :

وهو استعراض أعـمال اليوم ساعة النوم فإن وجد الأخُ خيـراً فليحمَد الله، وإن وجَدَ غـيرَ ذلكَ فليستـغفر، وليـسأل ربه، ثم يجدد التـوبة وينامُ على أَفضل العزائم.

وصلى اللهُ عَلى سيِّدنا محمد وعَلى آلهِ وصحبهِ وسلم تسليمًا كثيراً.

فهرس الرسائل والمواضيع

صفحة


المكتبة التوفيقية
المكتبة التوفيقية
أمام الباب الأخضر - سيدنا الحسين
ت: ٥٩٠٤١٧٥ - ٥٩٢٢٤١٠


Bibliotheca Alexandrina
0680195
